سلسلة
نصوص ودروس
أبحاث إسلاميّة

السّفينة الجامعة لأنواع العلوم

الجزء الرّابع

تصنيف
الإمام شيخ الإسلام الحاكم
أبي سعد المحسن بن محمّد
بن كرامة الجشميّ البيهقيّ

تحقيق
عبد الرحمن بن سليمان السالميّ



دار المشرق

السّفينة الجامعة
لأنواع العلوم

الجزء الرابع

السّفينة الجامعة لأنواع العلوم

الجزء الرابع

تصنيف:

الإمام شيخ الإسلام الحاكم
أبي سعد المحسن بن محمّد
بن كرامة الجشميّ البيهقيّ

تحقيق:

عبد الرحمن بن سليمان السالميّ



دار المشرق

السفينة الجامعة لأنواع العلوم - الجزء الرابع

طبعة أولى ٢٠٢٤

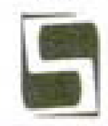


الأشرفيّة - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٠٢٤٢٣-١-٩٦١+
info@darelmachreq.com
www.darelmachreq.com

تصميم الغلاف، والإخراج: **فريق دار المشرق**

ISBN: 978-2-7214-8191-7

التوزيع:



فرن الشباك - بيروت، لبنان
هاتف: ٢٨٣٣٣٣-١-٩٦١+
info@librairiestephan.com
www.librairiestephan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي

باب الحِكَم

فصل في الحكمة

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]، قيل: النبوة، وقيل: علم القرآن، وقيل: علم الدين، وقيل: مخافة الله.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رأس الحكمة مخافة الله».

وقيل: الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:٥٤].

أوحى الله إلى داود: طوبى للحكماء يوم القيامة الذين أُعطوا الحكمة، ووعتها قلوبهم، وعملوا بها، ووعظوا عباد الله بها، والويل لمن لا يتعظ بما يعظ.

وقيل لسقراط: متى أثرت فيك الحكمة؟ قال: مذ بدأت أحقر نفسي.

وقيل: الحكمة غنى لا عدم معها، وسعادة لا يشقى صاحبها، عن بعض الفلاسفة.

وقيل: من تواضع لله تعالى ورثه الله الحكمة.

وقيل: من ألزم قلبه الفكرة ملأ الله قلبه حكمة.

أبو بكر الوراق: الحكمة ثلاثة: سماوية وهو القرآن وما يستنبط منه، وحكمة نبوية وهي علم السنة، وحكمة خدمية[1] وهي الجهد في العمل.

يحيى بن معاذ: الحكمة فتْحٌ من فتوح الآخرة.

معروف: من طاب طعامه[2] حسن عمله، ومن حسن عمله نزلت الحكمة في قلبه.

---

(١) خدمية: حدمية، م ي.

(٢) طعامه: طعمه، م ي.

ويقال: كنوز العلماء الحكمة، وكنوز الجهال المال.

شعر:

ابـدأ بنفسـك فانههـا عـن غيهـا فـإذا انتهـت عنـه فأنـت حكيـم

فصل في الأدب

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع».

ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما نحل والد ولده نحلًا أفضل من أدب حسن».

ابن عباس: حق الولد على الوالد[٣]: يحسن اسمه، ويحسن أدبه.

وقيل لابن سيرين: أي الأدب أقرب إلى الله؟ قال: المعرفة بربوبيته[٤]، والعمل بطاعته، والحمد على السراء، والصبر على الضراء.

وقيل لزيد بن وصاف: ما أدب النفس؟ قال: أن تعرف حق الله فتؤديه، وتتفرغ لحقوق الإخوان فتقضيها، وتكف لسانك من الشر، ولا تسأم فعل الخير، وتتوقى البخل فإنه مذلة، وعوِّدها[٥] على الكرم، والتوقي من العيوب وإسخاط الله.

قيل للحسن: قد أكثر الناس مِنْ تعلُّم العلم والأدب فما أنفعها علاجًا؟ وأوصلها أجلًا؟ قال: التفقه في الدين، فإنه يصرف إليك قلوب المتعلمين، والزهد في الدنيا، فإنه يقربك من رب العالمين، والمعرفة بما[٦] لله عليك من الحق، فإن بها كمال الإيمان.

وسئل قتادة عن الأدب فقال: إذا أحكمت متشابهات دينك، ولم[٧] تُسخط ربك فيما أمرك ونهاك، فأنت الأديب.

سعيد بن المسيب: من لم يعرف ما لله عليه في نفسه ودينه، ولم يتأدب بأمره ونهيه، كان من الأدب في عزلة.

---

(٣) حق الولد على الوالد: حق الوالد على الولد، ي.

(٤) ربوبيته: ربوبيته،م ي.

(٥) عوِّدها: دلها، م ي.

(٦) بما: ما، م ي. انظر مدارج السالكين ٢/ ٣٥٦.

(٧) لم: لا، ي.

وقيل: الأدب سند[8] الفقراء وزين[9] الأغنياء.

المهلب: من كان أدبه أكثر من عقله قتله أدبه، ومن كان عقله أكثر من أدبه عاش، ويعرفها الشر ويزجرها عنه.

وقيل: كمال الأدب التوبة والاستعداد ليوم الأوبة[10]، ومنع النفس عن الشهوة[11]، والصمت في الخلوة.

فصل في البلاغة

قيل لابن عباس: من أين لك هذا العلم؟ قال: بقلب عقول، ولسان سؤول[12].

وقيل للنظام[13]: ما البلاغة؟ قال: ما بلغك الجنة وصرفك عن النار.

وسئل فارسي عن البلاغة فقال: معرفة الفصل والوصل.

وسئل يوناني عنها فقال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.

بعض الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة.

وسأل معاوية صحار العبدي عن البلاغة فقال: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ[14].

وقال معاوية لعمرو بن العاص: من أبلغ الناس؟ قال: من ترك الفضول، واقتصر[15] على الإيجاز، قال: فمن أبصر الناس؟ قال: [من] بذل دنياه في صلاح آخرته ودينه، قال: فمن أشجع الناس؟ قال: من رد جهله بحلمه.

خالد بن صفوان: ليس البلاغة بخفة اللسان، ولا بكثرة الهذيان، ولكنها إصابة المعنى والقصد للحجة.

(8) سنَد سنة: سيد ستة، م ي.
(9) زين: من، م ي.
(10) الأوبة: التوبة، ي.
(11) الشهوة: الشعوة، ي.
(12) سؤول: سول، ي.
(13) للنظام: لنظام، م ي. وفي جملة من المراجع أن المسؤول هو عمرو بن عبيد. انظر العقد الفريد ٢/ ١٢١.
(14) المصون في الأدب ص١٣٩.
(15) اقتصر: انتصر، م ي. غرر الخصائص الواضحة ص٢٣٠.

فصل في الخطب

من خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبها بتبوك، رواها عقبة بن عامر: «أيها الناس، إن أحسن الحديث كتاب الله، وأوثق القول كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وخير السنة سنة محمد، وأشرف الحديث ذكر الله، وأحسن القصص هذا القرآن، وخير الأمور عوازمها، وشر الأمور محدثاتها، وخير العلم ما نفع، وخير الهدي ما اتبع، وشر العمى [عمى القلب] ، وشر المعذرة يوم القيامة، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله..» الحديث بطوله(١٦).

وعن الحسن قال: طلبت خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يخطب بها كل جمعة أربع سنين حتى وجدتها عند جابر بن عبد الله، وهي بعد التحميد: «أيها الناس، إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، أيها الناس إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إن العبد المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فيلتزود العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، فإن الدنيا خلقت لكم وأنتم خلقتم للآخرة، والذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلّا الجنة والنار(١٧)، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم».

ومن خطبة أبي بكر: اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في آجال قد غُيِّب(١٨) عنكم، فإن استطعتم أن تنقضي آجالكم وأنتم في عمل الله فافعلوا، فإن قومًا نسوا أنفسهم نهاكم الله أن تكونوا أمثالهم، قال الله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر:١٩].

وخطب عمر رضي الله عنه فقال: أوصيكم بتقوى الله الذي يملك ضركم ونفعكم، وإليه مآبكم، وعليه حسابكم، فإن الله قد بين لكم ما أحل لكم، وفصل لكم ما حرم عليكم، فاعملوا ما أمركم به رغبة في ثوابه، واجتنبوا ما نهاكم عنه رهبة من عقابه، فإنه حذركم وأوعدكم، والله منجز وعده ووعيده، قال الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ..﴾ الآية [طه:١١٢]، تزودوا في دار بلاغكم لدار قراركم، فإن الدنيا ليست بداركم التي لها خلقتم.

(١٦) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١٠٦.

(١٧) شعب الإيمان ١٣/ ١٥٣، وفي بعض المراجع (أو النار) انظر قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص١٢٩.

(١٨) غُيِّب: غيبت،م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٩١.

وخطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه [خطبا] كثيرة، منها: أيها الناس إن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق، ألا وإنكم في أيام مهل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام مهله قبل حضور أجله فقد خسر عمله، ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ألا وقد أُمرتم بالظعن ودُللتم[١٩] على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.

ومن خطبة عمر بن عبد العزيز: أيها الناس، لا تغرنكم الحياة الدنيا والمهلة، فعن قليل منها تنقلون، وإلى غيرها ترحلون، إنكم ما خلقتم للأبد، ولكنكم من دار إلى دار تنقلون.

ومن خطبة هشام بن عبد الملك: اعلموا أن الأمل صريع الأجل، وهو أمير عليه، والحذر [لا ينفع] عند القدر وهو مسلط عليه، فمهما نزل القدر لم ينفع الحذر، واعلموا أنه ليس من الله مهرب، فليكن التجاؤكم إليه، واتكالكم عليه بالعمل الصالح، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا يقبل عمل المفسدين.

ومن خطبة سليمان بن عبد الملك: الحمد لله الذي ما شاء صنع، ومن شاء رفع، ومن شاء وضع، ومن شاء أعطى، ومن شاء منع.

ومن خطبة هارون الرشيد: إن الدنيا غدارة ختارة[٢٠]، تنكح كل يوم بعلًا، وتقتل كل ليلة أهلًا، كم من متنافس فيها وراكن إليها من الأمم السابقة قد قذفتهم[٢١] في الهاوية، ودمرتهم[٢٢] تدميرا فأصلتهم سعيرا.

ومن خطبة المأمون: تفكروا عباد الله واحذروا يومًا يجمع فيه الثقلان، ويشيب فيه الولدان، وتتغير[٢٣] فيه الألوان، ويفوز فيه أولياء[٢٤] الرحمن، ويخسر فيه حزب الشيطان، ويقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا، والحمد[٢٥] لله الحميد المجيد، الفعال لما يريد، لا يُردُّ قضاؤه، ولا ينال كبرياؤه، وتباركت أسماؤه، أحمده على جوده ونعمه، وأثني عليه بجلاله وكرمه، وأعوذ به

(١٩) دُللتم: دللتك، م ي. البيان والتبيين ٢/ ٣٥.
(٢٠) الخَتَّار: الغدَّار. تهذيب اللغة (ختر).
(٢١) قذفتهم: هم، م ي. نهج السعادة للشيخ المحمودي ٣/ ١١٦.
(٢٢) دمرتهم: تدمرتهم، م ي. الأمالي للطوسي ص٦٨٥.
(٢٣) تتغير: يغبن، م ي.
(٢٤) أولياء: والبا، م ي.
(٢٥) الحمد: له الحمد، م ي.

من سطواته ونقمه، وأشهد أن لا إله إلّا هو إلهًا يدوم ويبقى، ويعلم السر وأخفى، ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ۝ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ(٢٦) عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٢-٤٣]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه برسالته، واختصه بكرامته، وأعز به الإسلام بعد ذلة، وأكثر أهله بعد قلة، وأظهر ملته على كل ملة، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنه من اتقاه فاز وظفر، ومن عصاه خاب وخسر، وإن الدنيا قد آذنت بزوالها، ورمت ركابها لارتحالها، واعلموا أنكم أغراض حمام، وفرضة(٢٧) هلكة، قد أنذركم القرآن، وصفر(٢٨) برحيلكم الجديدان، وإن لكم موعدًا لا تُؤَخَّر(٢٩) ساعته، ولا تدفع هجمته(٣٠)، فماذا عبأتم للرحيل، وماذا أعددتم للتزيل.

وخطب أعرابي فقال: إن الدنيا دار زوال، والآخرة دار قرار، فتزودوا لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها جئتم، ولغيرها خلقتم، وإن المرء إذا هلك قالت الملائكة: ما قدم؟ وقال الناس: ما خلف؟ فقدموا بعضًا يكن لكم ولا تُخَلِّفوه كُلًّا(٣١) فيكون [عليكم ثقيلا](٣٢).

وخطب الحجاج لما مات أخوه محمد فقال: يوشك الجديد منا ومنكم أن يبلى، والباقي منا ومنكم أن يفنى، والحي منا ومنكم أن يموت، ثم ندخل في بطن الأرض فتأكل من لحمنا، وتشرب(٣٣) من دمائنا كما كنا نأكل من ثمارها ونشرب من مائها حتى يكون كما قال الله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، ثم قال:

إذا ما لقيت الله عني راضيًا فإن شفاء النفس فيما هنالكا

وخطب المأمون فقال فيها: وإن من علم أن الخير والشر بيد الله، وأن النفع والضر من قبل الله لجدير ألا يرجو خيرًا ولا نفعًا إلّا بطاعته، ولا يأمن شرًا ولا ضرًا مع معصيته، فإن

(٢٦) يقولون: يقوقون، م ي.
(٢٧) فرضة: فرض، م ي. البصائر والذخائر ٥/ ١٩١.
(٢٨) صفر: ظعن، م ي. البصائر والذخائر ٥/ ١٩١.
(٢٩) تُؤَخَّر: يؤخر، م ي. البصائر والذخائر ٥/ ١٩١.
(٣٠) هجمته: قدمته، م ي. البصائر والذخائر ٥/ ١٩١.
(٣١) تُخَلِّفوه كُلًّا: تخلفوا كلا، م ي. المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٤٣٧.
(٣٢) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٤٣٧.
(٣٣) تشر: تشرب، م ي.

الآمنين غدًا هم الخائفون في الدنيا، أما سمعتم قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ الآية [الطور:٢٦]، طلبوا فأدركوا، وخافوا فأمنوا، وحزنوا ففرحوا، ونصبوا فنعموا[٣٤]، فالله الله عباد الله، فإنه الجد[٣٥] لا اللعب، والصدق لا الكذب.

فصل في كلام الأنبياء

قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]، قيل: هي (البينة على المدعي واليمين على مَنْ أنكر).

وذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شعيبًا فقال: «كان شعيب خطيب الأنبياء».

سليمان: لما خلق الله آدم قال: يا آدم واحدة لي وواحدة لك وواحدة بيني وبينك، أما التي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئًا، والتي لك فما عملت من شيء جزيتك به، والتي بيني وبينك فمنك الدعاء ومني الإجابة والعطاء[٣٦].

ابن عباس: كان إدريس عليه السلام يصعد له كل يوم من العمل مثل ما يصعد لجميع الناس.

ونظر دانيال ما يصنعه بخت نصر فبكى، وقال: بما كسبت أيدينا، وبالعار الذي أتينا، سلطت علينا من لا يعرفك ولا يرحمنا.

أوحى[٣٧] الله إلى آدم: إني أفعل بذريتك أربعة أشياء: كل مولود يولد فإني أميته، وكل عمران أخربه، وكل حبيب لهم فأنا أفرقه، وكل جمع لهم فأنا أبدده.

عطاء بن السائب: لما نجا يونس لبّى وقال: لبيك كاشف الكرب لبيك.

وقال الليث[٣٨] بن سعد: قيل لأيوب: ما لك لا تسأل الله العافية؟ قال: إني أستحي منه أن أسأله العافية حتى يمر بي من البلاء مثل ما مر بي في الرخاء.

---

(٣٤) نعموا: عموا، م ي.

(٣٥) فإنه الجد: لا الجد، م ي.

(٣٦) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١١٩.

(٣٧) أوحى: فأوحى، م ي.

(٣٨) الليث: ليس، م ي.

وقيل ليعقوب: ما لك لست كما كنت؟ فقال: غيرني طول الزمان، وكثرة الأحزان. فأوحى الله تعالى إليه: تشكوني، قال: يا رب ذنب فاغفره.

الحسن: فارق يوسف يعقوب ثمانين سنة، وقال داود: يا رب طال عمري وكبر سني وَضَعُفَ رُكْنِي. فأوحى الله إليه: طوبى لمن طاله عمره، وحسن عمله.

أوحى الله إلى موسى: [ضع][٣٩] الكبر ودع الفخر، واعلم أنك ساكن[٤٠] القبر، فليمنعك[٤١] ذلك من كثير من الشهوات.

عطاء: نقش داود خطيئته[٤٢] [في كفه][٤٣] لكيلا ينساها، فكان إذا رآها اضطربت يداه.

وهب: كتب داود في كفه: داود الخطّاء.

كعب: كان داود يجالس المساكين ويبكي ويقول: اللهم اغفر للمساكين والخاطئين.

فصل فيما أخرج من كلام موسى

كعب: قال موسى: يا رب أقريب فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فقال: يا موسى أنا جليس من ذكرني، قال: يا رب فإنا نكون[٤٤] على حال نعظمك ونجلك[٤٥] أن نذكرك عليها: الغائط والجنابة، قال: اذكرني على كل حال. قال أبو القاسم البلخي: ولم يرد قرب المكان، وإنما أراد قرب المنزلة.

وفي التوراة: يابن آدم اتق الله ونم حيث شئت.

وهب: قرأت في التوراة أربعة أسطر متواليات: من قرأ كتاب الله فظن ألا يغفر له فهو من المستهزئين بآيات الله. والثاني: من شكا مصيبة فإنما يشكو ربه. الثالث: من حزن على ما في يد غيره فقد سخط قضاء ربه. والرابع: من تضعضع لغني فقد ذهب ثلثا دينه.

---

(٣٩) شرح أصول الكافي للمازندراني ١١/ ٣٣٧.

(٤٠) ساكن: صاحب، م ي. شرح أصول الكافي للمازندراني ١١/ ٣٣٧.

(٤١) فليمنعك: وليمنعك، م ي. شرح أصول الكافي للمازندراني ١١/ ٣٣٧.

(٤٢) خطيئته: خطبته، ي. الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ص٢٤٢.

(٤٣) انظر الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا ص٢٤٢.

(٤٤) فإنا نكون: أني تكون، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ١/ ١٠٨.

(٤٥) نعظمك ونجلك: حلك، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ١/ ١٠٨.

وفي التوراة: من يزرع البر يحصد السلامة.

وفي الإنجيل: من يزرع الشر يحصد الندامة.

وفي القرآن: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣].

أوحى الله إلى موسى: يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا، فإنك لن تلقاني بكبيرة هي أشد عليك من الركون إلى الدنيا.

مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى إنك لن تتقرب إلي بشيء أحب من الرضا بقضائي، ولم تعمل عملًا أحبط لحسناتك من البطر[٤٦]، يا موسى لا تضرع إلى أهل الدنيا فأسخط عليك، ولا تَجُد[٤٧] بدينك لدنياهم، فأغلقَ عليك أبواب رحمتي، قل للمذنبين[٤٨] التائبين: ابشروا، وقل للعاملين المعجبين اخسؤوا[٤٩]».

مالك بن دينار: قرأت في التوراة: إني أنا الله ملك الملوك، ونواصيهم بيدي، فمن أطاعني جعلتهم [عليه][٥٠] رحمة[٥١]، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم[٥٢] بسب الملوك، وتوبوا إلي أعطفهم عليكم.

وأوحى الله إلى موسى: يا موسى احفظ وصيتي لك بأربعة أشياء: أولاهن[٥٣]: ما دمت لا ترى ذنوبك تغفر فلا تشتغل بذنوب غيرك. الثانية: ما دمت لا ترى كنوزي قد [نفدت][٥٤] فلا تغتم بسبب رزقك. والثالثة: ما دمت لا ترى زوال ملكي فلا ترجُ أحدًا غيري. والرابعة: ما دمت لا ترى الشيطان ميتًا فلا تأمنن مكره.

ولما كلم الله موسى قال موسى عليه السلام: يا رب أي عبادك أتقى؟ قال: الذي يذكرني

(٤٦) البطر: النظر، م ي. حلية الأولياء ٦/ ٥.
(٤٧) تَجُد: حد،م ي.
(٤٨) المذنبين: المؤمنين، م ي. حلية الأولياء ٦/ ٥.
(٤٩) المعجبين اخسؤوا: المخبتين اجهدوا، م ي. حلية الأولياء ٦/ ٥.
(٥٠) انظر تفسير البغوي ١/ ٢٩٠.
(٥١) رحمة: برحمة، م ي. تفسير البغوي ١/ ٢٩٠.
(٥٢) أنفسكم: أنفسهم، م ي.
(٥٣) أولاهن: أولهن، م ي. بحار الأنوار للمجلسي ١٣/ ٣٤٤.
(٥٤) بحار الأنوار للمجلسي ١٣/ ٣٤٤.

ثم لا ينساني. قال: أي عبادك أغنى يا رب؟ قال: الذي يقنع بما يؤتى. قال: أي عبادك أفضل؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى. قال: يا رب أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يطلب علم الناس فيجمعه إلى علمه، لعله يسمع كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى. قال: يا رب أي عبادك أحسن عملًا؟ قال: الذي لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه. قال: يا رب، فمن يطيق لا يكذب ولا يفجر ولا يزني؟ قال: من يخافني. قال: يا رب فأي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي إذا ذكرت عنده ذكرني، وحق علي أن أذكر من ذكرني. قال: يا رب فأي عبادك أبغض إليك؟ قال: جيفة(٥٥) بالليل بطال بالنهار. قال: يا رب فأي عبادك أشقى؟ قال: من لا تنفعه الموعظة، ولا يذكرني إذا خلا.

قيل: لما قال موسى: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص:٢٤]، أوحى الله إليه بعد ذلك: يا موسى لِمَ(٥٦) استكنت؟ قال: إني(٥٧) غريب مريض فقير، قال: المريض من ليس له مثلي طبيب، والغريب من ليس له مثلي حبيب، والفقير من ليس له مني نصيب..

وأوحى(٥٨) الله إليه: يا موسى أشكو عليك من عبادي أربعة استقرضتهم(٥٩) مما أعطيتهم فبخلوا، وحذرتهم من عدوهم فلم يحذروا، ودعوتهم إلى الجنة فلم يجيبوا، وخوفتهم من النار فاجتهدوا في الدخول فيها.

عبد الله بن سلام قال: قال موسى: يا رَب كيف أشكرك بما أنت أهله؟ قال الله تعالى: يا موسى لا يزال لسانك رطبًا من ذكري، وقلبك لا يفتر عن ذكري.

كعب: أوحى الله إلى موسى: يا موسى بن عمران إذا رأيت الغنى فقل: ذنب عجلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلًا فقل: مرحبًا بشعار الصالحين، يا موسى عليك بلين القلب، وطيب الكلام، يا موسى كفى بالعبد من الشر إذا قيل له: (اتق الله) أخذته العزة بالإثم، فإذا كان كذلك لعنته أنا وملائكتي، وأخرجته من رحمتي، وكيف يرحمه شيء ولم تسعه رحمتي وأنا أرحم الراحمين.

---

(٥٥) جيفة: خفة، م ي.

(٥٦) لِمَ: ما، م ي.

(٥٧) إني: إن، م ي.

(٥٨) وأوحى: فأوحى، م ي.

(٥٩) استقرضتهم: أستقرضهم، م ي. الترغيب والترهيب ص٧٧.

فصل من حكمة آل داود

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أوحى الله إلى داود: يا داود لو أشرت إلي في أول المصائب لأبرزت إليك من لطفي العجائب، ولكن رجعتَ إلى أمثالك فزدت في إشغالك».

سفيان بن عيينة: أوحى الله إلى داود: اصبر على المؤونة حتى تأتيك المعونة. وأوحى الله إليه: مر بني إسرائيل ليقولوا في دجى الليل بقلوب صافية وأعين باكية: أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم أموالًا وأشد قوة وأكثر جمعًا، فأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون(٦٠).

وفي الزبور: [يا] داود من الذي انقطع إلي فجنَّبته، ومن الذي سألني فحرمته، ومن الذي أناب إلي فطردته، ما لكم لا تقدسون الله وهو خالقكم. داود، أنا الرب الذي لا يزول ملكي، ولا يخمد سلطاني، ولا يُطفأ نوري، ولا يتغير شأني، يابن آدم ما أجرأك وأشد تمردك، فإذا(٦١) وقعت [في] بلوى دعوتني، وإذا كشفتُ عنك نسيتني، [يا] داود من انقطع إلي قبلتُه، ومن سألني أعطيته، ومن دعاني أجبته.

وفيه: [يا] داود عجبًا لمن أيقن بالموت كيف يضحك، ولمن علم أني الرازق فكيف يقنط، [يا] داود، نُحْ على نفسك كالمرأة الثكلى على ولدها، يا بني إسرائيل لو تفكرتم في منقلبكم ومعادكم لقل ضحككم وكثر بكاؤكم، ولكنكم غفلتم، كأنكم لستم بميتين ولا محاسبين، كم تقولون فلا تفعلون، وكم تَعِدُون فتخلفون، وكم تُعاهدون فتنقضون.

وفيه: ابن آدم كم من ليلة قصيرة أقللت فيها ذكري وأطلت المعاصي، فإذا أصبحت خادعتني بالاستغفار من غير نية عن الإقلاع، كأنما تعامل(٦٢) من يغيب عليه المكر والخداع، ليس المفلس من أفلس كيسه، ولكن المفلس من أفلس من رحمة الله، يا بني الطين والماء المهين، وبني الغفلة والغرة، لا تكثروا الالتفات إلى ما حرمت عليكم. داود، إنما الدنيا جموح، مَنْ ركبها فصرعته كان من النادمين، وقَلَّ من ينجو منها.

مالك بن دينار: قرأت في الزبور: إني لأنتقم من المنافق للمنافق ثم أنتقم من المنافقين جميعًا. وكذلك قوله: ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ..﴾ الآية [الأنعام:١٢٩].

(٦٠) فيض القدير ٢/ ٤٩٥.

(٦١) فإذا: إذا، م ي.

(٦٢) تعامل: يعامل، م ي.

ومن كلام داود يناجي ربه: إلهي بأي قدميّ أقوم أمامك يوم تزلّ[٦٣] أقدام الخاطئين، إلهي الويل لداود إذا كُشف عنه الغطاء فيقال: هذا داود الخاطئ، إلهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم؟ إلهي أنت الرب وأنا العبد فمن يدعو العبد إلّا ربه؟ إلهي أنت المغيث وأنا المستغيث، فمن يدعو المستغيث إلّا المغيث؟ إلهي أعوذ بك من دعوة لا تستجاب، وصلاة لا تُقبل، وذنب لا يُغفر، وعذر لا يُقبل، سبحان خالق النور، إلهي هربت إليك بذنوبي، واعترفت بخطيئاتي، فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، إلهي، فرغ الحنين، وفرغت[٦٤] الدموع، وخطيئتي ألزم بي من جلدي، سبحان خالق النور. فنودي[٦٥]: يا داود، أجائع فتطعم، أم ظمآن فتسقى، أم مظلوم فتنصر؟ قال: يا رب الذنب الذي أصبته، فنودي: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك.

ومن كلامه: إلهي لأن أذوق مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة أحب إلي من أن أذوق حلاوة الدنيا لمرارة الآخرة.

ومن كلام داود عليه السلام: إني أسألك أربعًا: بدنًا صابرًا، وقلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة تعينني على أمر ديني، وأعوذ بك من أربع: ولد يكون علي وبالًا، ومال يكون علي عذابًا، وامرأة تشيبني قبل المشيب، ومن جار السوء إن رأى مني حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها.

ثابت البناني قال: كان داود يطيل الصلاة بالليل ثم يرفع رأسه إلى السماء، ويقول: إليك رفعتُ رأسي يا عامر[٦٦] السماء نظر العبيد إلى أربابها.

وفي حكمة آل داود: إنما الناس ثلاثة: عالم، ومتعلم، وجاهل، فأما العالم فمستغن بعلمه فهو يزداد كل يوم بصرًا وعلمًا، فإذا فقه بصر، وإذا بصر عقل، وإذا عقل خاف، وإذا خاف رجع، فهذه الغاية القصوى. وأما المتعلم فهو في الزيادة كل يوم، فمثله مثل السراج كلما كان دهنه أصفى وفتيلته أغلظ كان أصفى لضوئه وأقوى لنوره، وأما الجاهل فيزداد كل يوم جهلًا، لا يتواضع للعلم، ولا ينظر في نور الحكمة.

(٦٣) تزلّ: يزول، م ي. التبصرة لابن الجوزي ص٢٨٧.

(٦٤) فرغ الحنين وفرغت: فرج الين وفقدت، م ي.

(٦٥) فنودي: ونودي، م ي.

(٦٦) عامر: رافع، م ي. مسند ابن الجعد ص٢١٠.

وفيها: العلماء غرباء لكثرة الجهال، وقال الله لداود: إياك والذنب، فإن المذنبين ينظرون من طرف خفي يوم القيامة.

فصل من حكمة عيسى عليه السلام

قال عيسى عليه السلام: ماذا يغني عن البرّ أن ينقّى[٦٧] ويطيب، ويطحن وينخل ثم يعود نتناً[٦٨]؟ وماذا يغني عن المتنعم[٦٩] في دار الدنيا إذا دخل بعدها النار.

وهب قال: مر عيسى بخربة فقال: يا أيتها[٧٠] الخربة أين أهلك؟ فنودي: يا عيسى خربت قصوري، وباد أهلي وأكلت لحومَهم الديدان، وحملت الريح شعورهم، ولكن بقيت أعمالهم وذنوبهم جديدة. ثم خرجت جارية حسناء وأقبلت في جمالها ثم أدبرت سمجة قذرة فقال عيسى: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا إذا أقبلت بالغنى فأنا أَحْسَنُ الخلق، وإذا أدبرت بالفقر فأنا أسمج الخلق، فقال عيسى: طوبى لمن أدبرت إليه بالفقر فصبر، وويل لمن أقبلت إليه بالغنى فلم يشكر.

وعنه: إلى متى توعظون فلا تتعظون، لقد كلفتم الواعظين تعبًا.

وعنه: يا طالب الدنيا لِتَبَرّ تَرْكُكَ لها أبرّ.

وقال الحواريون له: لو اتخذت حمارًا تركبه؟ فقال: أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئًا يشغلني عنه.

وعنه: تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إليه بالتباعد منهم[٧١]، والتمسوا رضاه بسخطهم.

وعنه: ترون القذا في عين غيركم ولا ترون الجذوع المعترضة في أعينكم؟.

(٦٧) البرّ أن ينقّى: التراب يبقى، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ص١٢٠.
(٦٨) نتنًا: بيتًا، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ص١٢٠.
(٦٩) المتنعم: المغنم، م ي.
(٧٠) يا أيتها: ياتها، ي.
(٧١) التباعد منهم: التنا عدمهم، م ي

وعنه: يا عبيد الدنيا جئتم إلى الدنيا عراة[٧٢] وتخرجون منها عراة عند[٧٣] الموت، فاصنعوا بين ذلك ما شئتم.

وعنه: لا يهمنكم رزق غد، فإنه إن جاء غد فسيأتي بما فيه، وإن جاء دونه الموت حال بينكم وبين ما أهمكم.

وعنه: إن من خبث الدنيا أن الله عُصي فيها، ومن خبثها أن الآخرة لا تنال إلّا بتركها.

وهب قال: نظر عيسى إلى نائم فقال: قم واعمل لربك، فقال: أنا في عمل ربي، فقال عيسى: وما عملك؟ قال: اعتزلت عن الناس بشرّي، قال: لو تحولت من الشمس إلى الظل، قال: من هوان الدنيا علي ما أكترث لشمسها[٧٤] ولا أرغب في ظلها، فقال عيسى: خذها يا ابن[٧٥] مريم [ممن هو أفقه منك].

وعنه: من الذي بنى على موج البحر دارًا، تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارًا.

الأعمش، عن أبي هريرة قال: قال عيسى لأصحابه: اتخذوا البيوت منازل، واتخذوا المساجد مساكن، وكلوا من بقل البرية، واشربوا ماء القراح، واخرجوا من الدنيا بسلام.

وعنه: إن الذي يصلي ويصوم ولا يترك الخطايا مكتوب في الملكوت كذابًا.

الإمام أبو الحسن الهاروني رضي الله عنه بإسناده عن الصادق رضي الله عنه أن عيسى عليه السلام التفت إلى أصحابه وقال: يا أولياء الله، الخبز اليابس بملح جريش والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة.

مالك بن دينار: مكتوب في التوراة: من كان له جار يعمل بالمعاصي فلم ينهه فهو شريكه.

وكتب الإسكندر على باب مدينته: الدنيا دار عمل، والآخرة دار ثواب، فمن لم يقدم خيرًا كان الشر له بالمرصاد.

ويقال: سعد آدم بخمسة أشياء: أقر بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وأسرع في التوبة، ولم يقنط من الرحمة. وشقي إبليس بخمسة أشياء: لم يقر بالذنب، ولم يندم عليه، ولم يَلُمْ نفسه، ولم ير التوبة، وقنط من الرحمة.

---

(٧٢) عراة: عرارة، م ي.

(٧٣) عند: دون، م ي.

(٧٤) أكترث لشمسها: أكثرت شمسها، ي.

(٧٥) يا ابن: بن، ي.

أوحى الله إلى عُزَير: إنك إذا وقعت في معصية فلا تنظر في صغرها[٧٦]، ولكن انظر من عصيت، وإذا أوتيت رزقًا فلا تنظر إلى قلته، ولكن انظر مَنْ أهداكه، وإذا نزلت بك بلية فلا تشكني[٧٧] إلى خلقي كما لا أشكوك إلى ملائكتي عند صعود مساوئك وفضائحك.

وهب: لما هلك لأيوب ما كان يملك دخل بيته وألقى ثيابه وقال: هكذا أخرجت إلى الدنيا.

فصل من كلام الحكماء قبل الإسلام

مبحث: من كلام لقمان

لقمان قال: يا بني ارحم الفقراء لقلة صبرهم، وارحم الأغنياء لقلة شكرهم، وارحم الجميع لطول غفلتهم.

وعنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة. يا بني خلق الإنسان على ثلاثة أثلاث: فثلث لله، وثلث لنفسه، وثلث للدود والتراب، فالذي لله فروحه، والذي لنفسه فعمله، والذي للدود والتراب فجسده، فالعاجز والخاسر من ينصب ويسعى للدود والتراب. يا بن لا تعرف ثلاثًا إلّا في ثلاث: الحليم إلّا عند الغضب، والشجاع إلّا عند الحرب، والأخ إلّا عند الحاجة. يا بني لا تكن حلوًا فتبلع، ولا مرًا فتلفظ.

وروى أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قال لقمان لابنه: يا بني، عليك بمجالسة العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر. وقال لقمان: ينبغي للمرء أن يكون عالمًا بنفسه، بصيرًا بزمانه، بصيرًا بالناس».

وعنه: ليكن أمر[٧٨] لله همّك، وطاعة الله نصب عينيك، وذكره في قلبك على لسانك، فإنه لا تخيب إذا سألته، ولا تندم غدًا إذا لقيته.

---

(٧٦) صغرها: صغره، ي.

(٧٧) تشكني: تشكوني، ي.

(٧٨) أمر: أمرك، ي.

مالك بن دينار: قال لقمان لابنه[٧٩]: يا بني إنك إن تنقل الحجارة[٨٠] مع الأبرار خير من أن تأكل الخبيص مع الفجار.

وروي أن لقمان كان خياطًا، وقيل: كان راعيًا، فنظر إليه رجل فقال: ألست كنت معنا؟ قال: نعم، فقال: بم بلغت؟ قال: بالرضى بما يصيبني وترك ما لا يعنيني.

وعنه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤد حقًا، وإذا ضجرت لم تصبر على حق.

وعنه: يا بني زاحم العلماء بركبتيك، ولا تجادلهم فيمقتوك، وخذ من الدنيا بلاغك، وأنفق من فضول كسبك لآخرتك، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون كَلًّا على أعناق الرجال، وصم صومًا يكسر شهوتك، ولا تصم صومًا يضر بصلاتك، فإن الصلاة أفضل من الصوم، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الحليم، ولا تُحابِ[٨١] القريب، ولا تجالس السفيه، ولا تخالط ذا الوجهين البتة. يا بني لا يكن الدِّيك[٨٢] أكيس منك، يصلي بالأسحار[٨٣] [وأنت][٨٤] نائم.

مبحث: من كلام قس بن ساعدة

سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم بكر بن وائل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما فرغ من حوائجهم قال: «هل فيكم أحد يعرف قس بن ساعدة الإيادي»؟ قالوا: نعم، كلنا نعرفه، ولكنه هلك. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كأني به على جمل أحمر بسوق عكاظ قائم يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، واتعظوا تنتفعوا، فكل من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آت، أما بعد إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، تخوم تغور، وبحار تمور، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، وشهب متبوع، أقسم قس قسمًا بالله لا كذبًا

(٧٩) لابنه: لابن، ي.

(٨٠) الحجارة: الحجار، ي.

(٨١) تُحابِ: تخاف، م ي. البيان والتبيين ص٢٨٩.

(٨٢) الدِّيك: الريك، م ي. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢/ ٢٧٤.

(٨٣) يصلي بالأسحار: صلي الأسحار، م ي. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢/ ٢٧٤.

(٨٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٢/ ٢٧٤.

ولا إثما، لئن كان في الأرض رضًا ليكونن فيها سخط، وإن لله دينًا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثم أنشأ أبياتًا لم أحفظها عنه»، فقام أبو بكر الصديق فقال: أنا حضرت ذلك المقام وتلك المقالة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما هي»، فقال أبو بكر: قال قس في آخر كلامه:

في الذاهبين الأوليـ ـن من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردًا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يمضي الأصاغر والأكابر
لا يرجع الماضي إليْـ ـيَ ولا من الباقين غابر
أيقنت أني لا محا لة حيث صار القوم صائر

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على وفد إياد فقال: «هل وجد لقس وصية»؟ قالوا: نعم، وجد له صحيفة تحت رأسه وفيه:

يا ناعي الموت والأموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خِرَقُ
دعهم فإن لهم يومًا يُصاح بهم كما يُنَبَّه من نوماته الصعق
حتى يجيبوا بحالٍ غير حالهم خلق مضوا ثم ماذا بعد ذاك لقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم منها الجديد ومنها الأورق الخلقُ

ذكر الجاحظ كلام قس ثم قال عقيبه: ولإياد في الخطب خصلة ليست لأحد؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [هو الذي][٨٥] روى كلام[٨٦] قس وموقفه بعكاظ وموعظته، وهو رواه لقريش والعرب، وهو الذي عجب من حسنه وأظهر من تصويبه، وهذا إسناد تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال، وإنما وفق الله ذلك لقس لاحتجاجه بالتوحيد[٨٧].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنهم لما أنشدوا الأبيات قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي بعثني بالحق نبيًا لقد آمن قس بالبعث».

(٨٥) انظر البيان والتبيين ٦٥.
(٨٦) كلام: كلا، ي.
(٨٧) البيان والتبيين ٦٥.

ومن حِكَم قس رحمه الله تعالى: مطر ونبات، وآباء وأمهات، وذاهب وآت، وأموات بعد أموات، وضوء وظلام، وليال وأيام، وغني وفقير، وشقي وسعيد، ومسيء ومحسن، أين الأرباب العملة، إن لكل عامل عمله، كلا، بل هو الله إله واحد، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى(٨٨) وإليه المعاد غدًا، أما بعد، يا معشر إياد أين ثمود وعاد؟ أين الآباء والأجداد؟ وأين الحسن الذي(٨٩) لم يشكر، والظلم(٩٠) الذي لم ينقم(٩١)، كلا ورب الكعبة ليعودن(٩٢) ما باد، ولئن ذهب يومًا ليعودن يومًا.

مبحث في: تفاريق من الأخبار

ولما أراد موسى الانصراف من العالم الذي لقيه(٩٣) ويقال: إنه الخضر، فقال له: أوصني، قال: كن بشاشًا ولا تكن غضبان(٩٤)، وكن نفاعًا ولا تكن ضرارًا، وانزع عن اللجاجة ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعَيِّر الخاطئين لخطاياهم، وابك على خطيئتك يابن عمران.

ومما يروى: لا تغفل الزاد فإنك مسافر.

وهب قال: إن إبليس أتى راهبًا في صومعته واستفتح عليه فقال: من أنت؟ قال: أنا المسيح، فقال الراهب: والله لئن كنت إبليس لا أخلون بك، وإن كنت المسيح ما عسيت أن أصنع بك شيئًا، بلَّغتنا رسالة ربنا وقبلنا عنك، وشرعْتَ لنا الدين فنحن عليه، اذهب فلست بفاتح لك(٩٥)، فقال: صدقت أنا إبليس، ولست أريد ضلالتك بعد اليوم، فسلني عما بدا لك أخبرك بالصدق، فقال: أخبرني أي أخلاق بني آدم أوثق في أنفسكم أن تضلوهم بها(٩٦)؟ قال إبليس: ثلاثة: الشح، والحدّة والسكر(٩٧).

---

(٨٨) أعاد وأبدى: أعادوا أبدا، م ي. نثر الدر في المحاضرات ٧/ ٧٧.

(٨٩) الحسن الذي: المحسن والذي، م ي. انظر نثر الدر في المحاضرات ٧/ ٧٧.

(٩٠) الظلم: الظالم، م ي. نثر الدر في المحاضرات ٧/ ٧٧.

(٩١) ينقم: يتمر، م ي. نثر الدر في المحاضرات ٧/ ٧٧.

(٩٢) ليعودن: لتعودن، م ي. نثر الدر في المحاضرات ٧/ ٧٧.

(٩٣) لقيه: لقه، ي.

(٩٤) غضبان: غضبانًا، م ي. شعب الإيمان ٩/ ٦٥.

(٩٥) فاتح لك: فاتحك، ي. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤/ ٤٤.

(٩٦) أن تضلوهم بها: لو تصلونها، م ي. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤/ ٤٤.

(٩٧) الحدّة والسكر: الحسد، والشك، م ي. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ٤/ ٤٤.

وأُتي معاوية برجل من جرهم يسمى عبيدًا، فقال له: ما أسكنك هذه البلدة؟ قال: خرج قومي من مكة وتفرقوا في البلاد، فخرج أبي نحو الشام فلم أزل بها، قال: كم أتى عليك؟ قال: أربعون ومائتا سنة، قال: فممن أنت؟ قال: من جرهم، قال: فكيف رأيت الدهر؟ قال: سنيات رجاء وسنيات رخاء، ويوم شبيه بيوم، وليلة شبيهة بليلة، يهلك والد ويخلف مولود، ولولا الهالك لامتلأت الدنيا، ولولا المولود باد الخلق[٩٨]. ذكره أبو حاتم في المعمرين.

ومن كلام أكثم بن صيفي لابنه: فعليك بالحلم[٩٩]، والحلم ألّا[١٠٠] تغضب، والعقل العفاف، والمروءة صلاح ذات البين، وصلوا أرحامكم بالإفضال، والزموا الحلم فإن الحلم زينة الرجال.

وكتب إلى أخواله: لن يهلك امرؤ عرف قدره، والعدم: عدم العقل لا عدم المال، آفة الرأي الهوى، والحسد داء ليس له دواء، الشماتة تعقب الندامة، ومن بر بوالده بُرّ به، ودعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر.

وعنه: من التواني والعجز نتجت[١٠١] الهلكة.

وكتب النعمان بن خميصة[١٠٢] إليه: أن صف لي الدهر. فكتب إليه: قد حلبت[١٠٣] الدهر أشطره، فرأيت أمامي ما لا أسامي، من يسمع[١٠٤] يخل، وكل زمان لمن[١٠٥] فيه، ومن يصحب الزمان يَرَ الهوان[١٠٦]، لم يفت من لم يمت[١٠٧]، في كل عام سِقَامٌ خاص أو عام، وكل ذي نصرة مخذول، ومع كل حيرة غيرة، ومع كل فرحة ترحة، لا تنفع حيلة مع غيلة، لكل ساقطة لاقطة، وكل آت قريب، ومن مأمنه يُؤْتى الحَذِرُ، عاداك من لاحاك[١٠٨].

---

(٩٨) باد الخلق: لم يتواجد، م ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص١٦٨.
(٩٩) بالحلم: حلمًا، م ي.
(١٠٠) ألّا: لا، م ي.
(١٠١) العجز نتجت: العجب تنجب، م ي.
(١٠٢) خميصة: حميه، م ي. أمثال الحديث ص٤١٧.
(١٠٣) حلبت: حلت، م ي. أمثال الحديث ص٤١٧.
(١٠٤) يسمع: سمع، م ي. جمهرة خطب العرب ١/ ١٥٩.
(١٠٥) لمن: من، م ي. أمثال الحديث ص٤١٧.
(١٠٦) يَرَ الهوان: يرى الهوى، م ي. الأمثال للأصبهاني ٤١٧.
(١٠٧) لم يمت: يت، م ي. الأمثال للأصبهاني ٤١٧.
(١٠٨) الأمثال للأصبهاني ٤١٧.

وعنه: عليكم بالبر فإنه ينمي العدد، وكفوا ألسنتكم، فإن مقتل الرجل بين فكيه.

ومن أمثاله: رب قول أنفذ من صول، الحُرُّ حُرٌّ[١٠٩] وإن مسه الضر، حافظ على الصديق ولو في الحريق، ليس من العدل سرعة العذل[١١٠]، ليس بيسيرٍ تقويم العسير، غثك خير مِنْ سمين غيرك.

وعن لقمان: يا بني طوبى لمن عرضت له الدنيا فأعرض عنها، ولم[١١١] يطلب منها [ما] فاته عنها، يا بني من عمل للآخرة يكفه الله ما أهمه من الدنيا، يا بني سل الله الكفاف فما فوق الكفاف [إلا] الإسراف.

ومن وصية سعد العشيرة: يا بني اتقوا إلهكم بالليل والنهار، وإياكم وما يدعو إلى الاعتذار، ودعوا قذف المحصنات تسلم لكم الأمهات، وإياكم والبغي على قومكم تعمر لكم الساحات، ودعوا المراء والخصام تسلم لكم المروءة والأحلام، ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلى التباين.

ومن كلام الحارث بن كعب وكان على دين شعيب: يا بني اتقوا إلهكم يكفكم المُهِمَّ من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته فيحل بكم الدمار، وتوحش[١١٢] الديار، يا بني كونوا جميعًا ولا تفرقوا فتكونوا شيعًا، فإن موتًا في عز خير من حياة في ذل[١١٣]، وكل ما هو كائن كائن، وكل جمع إلى تباين، الدهر صرفان: فصرف رخاء، وصرف بلاء، واليوم يومان: فيوم خير، ويوم عبرة[١١٤]، والناس رجلان: رجل معك، ورجل عليك، والضغائن تدعو إلى التباين، ثم قال شعرًا:

أكلت شبابي فأفنيته ... وأمضيت بعد دهور دهورا
ثلاثة أهلين صاحبتهم ... فبادوا[١١٥] وأصبحت شيخًا كبيرًا
قليل الطعام عسير القيا ... م قد ترك الدهر خطوي[١١٦] قصيرا
أبيت أراعي نجوم السماء ... أقلب أمري بطونًا ظهورا

(١٠٩) الحُرُّ حُرٌّ: الخير خير، م ي. جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٩٢.

(١١٠) العذل: العدل، ي. جمهرة الأمثال للعسكري ٢/ ٩٢.

(١١١) لم: لمن، م ي.

(١١٢) توحش: يوحش، م ي. التذكرة الحمدونية ٢/ ٣٤١.

(١١٣) ذل: ذلك، م ي. التذكرة الحمدونية ٢/ ٣٤١.

(١١٤) عبرة: غيره، ي. التذكرة الحمدونية ٢/ ٣٤١.

(١١٥) فبادوا: فنادوا، ي. الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٠٦. أمالي المرتضي ص٢٣٣.

(١١٦) خطوي: قيدي، م ي. الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٠٦.

وعاش ستين ومائة سنة.

وقال معاوية لعبيد الجرهمي: أخبرني عن أعجب شيء رأيته، قال: نزلت بحي من قضاعة فخرجوا بجنازة رجل من بني عذرة يقال له حريث بن جبلة، فخرجنا معهم حتى واروه، [فتنحيت] جانبًا عن القوم وبكيت وتمثلت بشعر كنت رويت قبل ذلك وهو:

يا قلب إنك من أسماء مغرور ... أذكر وهل ينفعن اليوم تذكير
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحد ... حتى جرت بك إطلاقًا محاصير
تبغي أمورًا فما تدري أعاجلها ... خير لنفسك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيرًا وارضين به ... فبينما العسر إذ جاءت مياسير
وبينما الحُرُّ في الأحياء مغتبطٌ[١١٧] ... إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
حتى كأن لم يكن إلّا تذكره ... والدهر أينما[١١٨] حال دهارير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحي مسرور
وذاك آخر عهد من أخيك إذا ... ما المرء ضمنه اللحد الخناسير[١١٩]

فقال رجل بقربي: يا عبد الله، من قائل هذا الشعر؟ قلت: ما أدري إلّا أني رويته منذ زمان، فقال: قائله الذي دفناه، وإن هذا قرابته أسَرُّ الناس بموته، وإنك الغريب الذي وصف تبكي عليه. فتعجبت لما ذكر من شعره والذي صار إليه.

قال ابن الكلبي: عاش جليلة بن كعب بن الحارث[١٢٠] بن معاوية بن وائل مائة وتسعين سنة، وقال:

وإن امرءًا قد عاش تسعين حجة ... إلى مائة يرجو الفلاح لجاهلُ
تؤمل أن تبقى وقد مات ذو الندى ... أبوك وأودى ذو الحمالة وائل
وحان[١٢١] الصفا والأرقمان[١٢٢] كلاهما ... فكيف تُرَجِّي الخلد أمُّك هابل
فلا ترج عُمْرًا بعد ما قال، إنما ... بقاؤك في الدنيا ليالٍ قلائلُ

---

(١١٧) مغتبطٌ: مغتبطًا،م ي. شرح شواهد المغني ١/ ٢٤٤.

(١١٨) أينما: اتما، م ي. شرح شواهد المغني ١/ ٢٤٤.

(١١٩) الخَنَاسِيرُ: الدواهي، وفي الأصل: (الحياسير). انظر التصحيح في ثمرات الأوراق ٢/ ٣٤.

(١٢٠) الحارث: الحرث، ي.

(١٢١) حان الرَّجُل: هلك. لسان العرب (حين).

(١٢٢) والأرقمان: والأرقمات. التصحيح في المزهر ٢/ ١٧٠. والأرقمان: رجلان.

فصل من وصية النبي ﷺ

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد، يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار، يا علي شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره، يا علي ثلاث من لقي الله بها فهو من أفضل الناس: من أدى ما فرض الله عليه فهو مِنْ أَعْبد الناس، ومن روع عن محارم الله فهو من أورع الناس، ومن قنع بما رزق الله فهو أغنى الناس، يا علي شر الناس من اتهم الله في قضائه، يا علي افتح بالملح واختم بالملح فإنه فيه شفاء من سبعين داء، يا علي أربعة من قواصم الظهر: إمام(١٢٣) يعصي الله ويطاع أمره، وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه، وفقر(١٢٤) لا يجد صاحبه له(١٢٥) مداويًا، وجار سوء في دار مقام، يا علي إذا رأيت شغل الناس بالاستكثار من النوافل فليكن شغلك بإتمام الفرائض، وإذا رأيت شغل الناس بعيوب الناس فليكن شغلك بعيب نفسك، وإذا رأيت [شغل] الناس بعمارة الدنيا فليكن شغلك بعمارة الآخرة، وإذا رأيت شغل الناس بتزيين(١٢٦) المجالس والبساتين فليكن شغلك بالاستعداد للموت».

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الحكمة تزيد الشريف شرفًا، وترفع(١٢٧) المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك».

وقال عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان يومه(١٢٨) شرًا من غده فهو ملعون، ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان، ومن كان في النقصان فالموت خير له من الحياة».

سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيّ به، واعلم يا محمد أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

---

(١٢٣) إمام: إما، م ي.

(١٢٤) فقر: فقير، م ي.

(١٢٥) صاحبه له: صاحبًا، م ي.

(١٢٦) تزيين: تزين، م ي.

(١٢٧) ترفع: ترف، م ي.

(١٢٨) يومه: سومه، م ي.

مجاهد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن من حيث ما وجدها قيدها، ثم ابتغى ضالة أخرى».

وقال عليه السلام: «احذروا البغي فإنه ليس من العقوبة أحضر(١٢٩) من عقوبة بغي، وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أعجل من(١٣٠) صلة الرحم، وإياك واليمين الفاجرة فإنها تدع الديار بلاقع، وإياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، ولن(١٣١) يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا جارٌّ إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين»، رواه علي عليه السلام.

وقال عليه السلام: «خسرت مروءة من ضعف عقله، وأزرى بنفسه من استشعر الطمع، الحسود لا ينال شرفًا، الحقود يموت كمدًا، واللئام تأكل أموالهم الأعداء، رضي بالذل من كشف عن(١٣٢) ضره، هانت عليه نفسه مَنْ أمَّرَ عليها لسانه»، رواه علي عليه السلام.

وقال: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وأنفق مالًا جمعه في غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن طاب كسبه، وذل في نفسه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله».

وقال عليه السلام: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله يملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»، رواه أبو مالك الأشعري، وهو في صحيح مسلم.

فصل من كلام الصحابة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، قال الله تعالى: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] يعني أصحاب محمد.

(١٢٩) أحضر: أخسر، م ي. ذم البغي لابن أبي الدنيا ص٥٣.

(١٣٠) من: كم، ي.

(١٣١) ولن: لم، م ي.

(١٣٢) عن: من، م ي.

من كلام أبي بكر رضي الله عنه: ثلاثة من كن فيه كن عليه: البغي، والنكث، والمكر، فإنه تعالى قال: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس:٢٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح:١٠]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

وعنه: طوبى لمن مات [في][١٣٣] نأنأة[١٣٤] الإسلام. وقال لخالد بن الوليد: احرص على الموت توهب لك الحياة.

عمر رضي الله عنه: اقرأوا القرآن تُعرفوا [به]، واعملوا به تكونوا من أهل الجنة، ولن يبلغ حقُّ ذي حقٍّ أن يطاع في معصية الله، ولن يقرب من أجل ولن يباعد من رزق أن يقوم رجل بحق أو يذكر بعظة[١٣٥].

وعنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت.

وعنه: الطالب طالبان، طالب يطلب الدنيا فارفضوها في نحره، فإنه ربما أدرك ما طلب منها فهلك بما أصاب منها، وربما فاته ما طلب منها فهلك بما فاته منه، وطالب يطلب الآخرة فإذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه.

وعنه: أفرغوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية، إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وترك الخطيئة خير من معاجلة التوبة، رب نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا.

وعنه يعظ رجلًا: لا يُلْهِك[١٣٦] الناس عن نفسك، فإن الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار سادرًا، فإنه محفوظ عليك ما عملت، وإذا أسأت فأحسن فإني لم أر شيئًا أشد طلبًا ولا أسرع دركًا[١٣٧] من حسنة حديثة[١٣٨] لذنب قديم.

ولما انصرف علي عليه السلام من صفين مر بمقابر فقال: السلام عليكم يا أهل الديار

(١٣٣) الزهد والرقائق لابن المبارك ص٩٥.
(١٣٤) النأنأة: الضعف. الصحاح (نأنأ). انظر الزهد والرقائق لابن المبارك ص٩٥.
(١٣٥) المجالسة وجواهر العلم ٤/ ١١٣.
(١٣٦) يُلْهِك: يهلك، م ي. المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٩٣.
(١٣٧) دركًا: هربًا، م ي. المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٩٣.
(١٣٨) حديثة: حديث، م ي. المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٩٣.

الموحشة، والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات، أنتم لنا سلف، ونحن لكم[١٣٩] تبع، وبكم عما قليل لاحقون. ثم قال: طوبى لمن ذكر المعاد، وقنع بالكفاف، لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، ينهى ولا ينتهي، ويأمر الناس بما لا يأتي، ويحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، ويبغض المسيئين وهو منهم، يكره الموت لكثرة ذنوبه ولا يدعها طول حياته.

عثمان بن عفان: إني لأكره أن يأتي علي يوم لا أنظر في عهد الله؛ يعني المصحف. وكان لا يفارق المصحف، فقيل له في ذلك فقال: إنه مبارك، جاء به مبارك.

وعن عثمان: أصلح الأعمال ثلاثة: خوف الله في السر والعلانية، والحكم بالعدل في الرضا والغضب، والاقتصاد في الغنى والفقر.

عائشة: لا سهر إلّا لثلاثة: مسافر، ومصلٍّ[١٤٠]، وعروس.

أنس: لولا ثلاث ما وضع ابن آدم رأسه لشيء: الفقر، والمرض، والموت، وإنه معهن لوثّاب[١٤١].

ابن عباس: ينبغي للمرء ألّا يخلو من إحدى ثلاث: تزود لمعاد، أو [مَرَمَّةٍ] لمعاش، أو لذة في غير محرم[١٤٢].

وعنه: شيئان إذا أخلصتهما لم تبال[١٤٣] ما صنعت: درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك، وقيل له: رجل يكثر من الصالحات ويعمل السيئات أحب إليك أم رجل يقل الحسنات ولا يعمل السيئات؟ قال: ما أعدل بالسلامة شيئًا.

معاذ: الدَّيْنُ يهدم الدِّينَ.

ابن عباس قال لمعاوية: إن الله قد مكنك من الدنيا، فإن أردت الدنيا فارتضع، وإن أردت الآخرة فارتدع.

---

(١٣٩) لكم: تبع، م ي.

(١٤٠) مصلّ: مصلين، م ي. انظر عيون الأخبار ١/ ١٤١.

(١٤١) لوثّاب: لراب، م ي. انظر الكشكول ٢/ ٩٣.

(١٤٢) صحيح ابن حبان ٢/ ٧٨.

(١٤٣) تبال: تبل، م ي.

وعنه: الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للكافر وجزء للمنافق، وجزء للمؤمن: فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

أبو ذر: كان الناس ورقًا لا شوك فيه، واليوم [هم] شوك لا ورق فيه.

وعنه: يكرهون السقم وأنا أحبه، ويكرهون الفقر وأنا أحبه، ويكرهون الموت وأنا أحبه، أحب السقم تكفيرًا لخطاياي، وأحب الفقر تواضعًا لربي، وأحب الموت اشتياقًا إلى ربي.

وعنه: أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب، ويلبسون ونلبس، ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم، ويحاسبون ونحن منها براء.

وعنه: من كان الأجوفان همه خسر ميزانه يوم القيامة.

وعن شهر بن حوشب قال: بعث عمر إلى سعيد بن(١٤٤) عامر بألف دينار، فجاء إلى بيته حزينًا، فقالت امرأته: ما لك أحدث أمر؟ قال: أشد من ذلك، فقالت: أمات أمير المؤمنين؟ قال: بل أشد من ذلك، ثم قام يصلي ويبكي حتى أصبح، وقام في الطريق وتصدق بها، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة، حتى أن الرجل من الأغنياء ليدخل في غمارهم فيؤخذ بيديه فيستخرج منهم(١٤٥)»، فأراد عمر أن يجعلني ذلك الرجل، فما(١٤٦) يسرني أني ذلك الرجل بأن لي الدنيا بما فيها.

عمر: لولا ما يذكر من شدة الحساب لشاركناكم في لين عيشكم.

وزار سلمان الفارسي أبا الدرداء من العراق إلى الشام راجلًا وعليه كساء غليظ، فقيل له: أشهرت(١٤٧) نفسك يا أبا عبد الله؟ قال: الخير خير الآخرة، وإنما أنا عبد ألبس ما يلبس العبد، فإذا أعتقت لبست جبة لا تبلى حواشيها أبدًا.

خطب أبو الدرداء فقال في خطبته: إنكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون، ألا وإن من كان قبلكم بنوا شديدًا، وأملوا بعيدًا، وجمعوا كثيرًا، فكان جمعهم بورًا، وأملهم غرورًا، ومساكنهم قبورًا.

---

(١٤٤) بن: بم، م ي.

(١٤٥) منهم: منه، م ي.

(١٤٦) فما: فيما، مي.

(١٤٧) أشهرت: سهرت، م ي. ومعنى (أشهرت): استخففت بها وفضحتها. انظر تاج العروس (شهر).

أبو عبيدة بن الجراح: ألا يا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا يا رب مكرم لنفسه اليوم وهو لها مهين غدًا، ألا فبادروا بالحسنات الحديثات للسيئات القديمات.

سلمان: أضحكني وأبكاني ثلاث: أما اللواتي أضحكتني: طالب دنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وضاحك ملء فيه لا يدري أرضى الله أم أسْخطه(١٤٨). وأما اللواتي أبكتني: فراق الأحبة محمد وحزبه، وهول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله [حين] تبدو السريرة علانية، لا أدري إلى جنة يؤمر [بي] أم إلى نار.

ابن عمر: ما ابتليت ببلية إلّا كان لله علي فيها أربع نعم: إذ لم تكن في ديني، وإذ لم تكن(١٤٩) أعظم منها، وإذ لم أُحرم(١٥٠) الرضا بها، وإذ كنت أرجو الثواب عليها.

أبو سعيد الخدري: إن ابن آدم إذا أصبح قالت الأعضاء للسان: ننشدك الله أن تستقيم، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا.

عمرو بن قيس قال: قيل لسلمان(١٥١): مَا حَسَبُكَ(١٥٢)؟ قال: كرمي وديني، وَحَسْبِيَ التراب، [و](١٥٣)من التراب خُلقت، وإلى التراب أصير، ثم أبعث وأصير إلى الموازين، فإن ثقلت موازيني فما أكرم حسبي، وإن خفت موازيني فما ألأم حسبي، وما أهونني على ربي، ويعذبني إلّا أن يعود(١٥٤) بالمغفرة والرحمة على ذنوبي.

أبو الدرداء: اعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلًا يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى.

أخبر الشيخ أبو علي الحسن بن علي الوخشي بإسناده عن أبي الدرداء أنه خرج إلى الصحراء فإذا هو بفتية على خيول لهم ينتظرون، وإذا فتى يغنيهم ويقول:

(١٤٨) أسْخطه: سخطه، م ي.
(١٤٩) تكن: يكن، م ي.
(١٥٠) أُحرم: أحزم، م ي.
(١٥١) سلمان: سليمان، م ي. التصحيح في الزهد الكبير للبيهقي ص٢٩١.
(١٥٢) حسبك: حسبم، ي. الزهد الكبير للبيهقي ص٢٩١.
(١٥٣) الزهد الكبير للبيهقي ص٢٩١.
(١٥٤) الزهد الكبير للبيهقي ص٢٩١.

فلـولا ثـلاثٌ هـن مِـنْ عيشـةِ[155] الفتى وجَـدِّكَ لـم أحفـل متـى قـام عُـوَّدي
فمنهـن سـبْقي[156] العـاذلات بشـربةٍ كُمَيْـتٍ متـى مـا تُعْـلَ بالمـاء تزبـدِ
وكَـرِّي إذا نـادى المضـاف محنّبـا[157] كَسِـيدِ الغضـا نبّهتَـهُ[158] المتـورد
وتقصيرُ يـوم الدجـن والدجـن مُعْجِبٌ بِبَهْكَنَـةٍ[159] تحـت الخبـاء الممـدَّدِ[160]

فقال أبو الدرداء: وأنا أقول: لولا ثلاث ما باليت ألاّ أعيش في الدنيا: أن أغدو وأروح في سرية في سبيل الله، وأن أعفر وجهي في التراب ساجدًا لله فإن العبد أقرب ما يكون من ربه إذا كان ساجدًا، وأن أجالس[161] أقوامًا ينتقون [الكلام] كما ينتقي آكل التمر التمرة الطيبة. انتظمه أحمد بن علي المافروحي فقال:

فلـولا ثـلاث لـم أبـال[162] معيشـتي أأحيـا مليّـا أم تخطفنـي الـردى
فمنهـا اجتهـادي فـي اقتيـاد سـرية لأضـرب فـي فرسـانها أوجـه العـدا
ومنهـا قيامـي فـي الصـلاة رجـاء أن أعفـر وجهـي فـي التـراب فأسـجدا
وأقـرب مـن ينتقـون طِيـب[163] كلامهم صنيـع جنـاة التمـر أجـود أجـودا

حذيفة: يأتي على الناس زمان يكون خيرهم فيه العاجز، وما كثَّر أحد سواد قوم إلّا كان منهم، ولا أحبهم إلّا جاء معهم، ولا رضي بفعلهم إلّا شاركهم.

أبو عثمان النهدي: كتب سليمان إلى أبي الدرداء: يا أخي عليك بالمسجد فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «المسجد بيت كل تقي».

---

(١٥٥) عيشة: عشية، م ي. شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٠٥.
(١٥٦) سبْقي: سقي، م ي. شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٠٥.
(١٥٧) المضاف محنّبا: المصاف محيًا، م ي. شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٠٥.
(١٥٨) الغضا نبّهتَهُ: القصاهنه، م ي. شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٠٥.
(١٥٩) بِبَهْكَنَةٍ: بنهكنةٍ، ي.
(١٦٠) العوَّد: جامع عائد، يقصد لم يبال بمن يعوده عند موته، والكُمَيْتُ: نوع من الخمر، والعاذلات: الملامات، والمضاف: الذي أضافته الهموم، والمحنب: فرسه، والسِّيد: الذئب، والغضا: شجر. ونبهته: هيجته. والدَّجن: المطر. والبهكنة: المرأة التامة الخلْق. انظر شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٠٥.
(١٦١) أجالس: تجالس، م ي.
(١٦٢) أبال: أبا، ي.
(١٦٣) وأقرب من ينتقون طِيب: فأقرب ما يلقى من الله، ي.

أبو الدرداء: حبك للشيء يعمي ويصم.

شعر:

فـوالله مـا أدري أحسـنًا رزقتـه أو الحـب أعمـى مثل ما قيـل في الحب

وعنه: أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب، واحذروا من[١٦٤] أن تظلموا[١٦٥] من لا ناصر له إلّا الله.

وعنه: نعم صومعة الرجل بيته، يكفُّ فيه نفسه وفرجه، وإياكم والمجالس في الأسواق، فإنها تلغي وتلهي.

وتذاكر سلمان وحذيفة إيوان كسرى وأعاجيب الزمان، وكان أعرابي من غامد يرعى شويهات له نهارًا، وإذا كان الليل صيرهن إلى داخل العرصة، وفيها سرير من رخام كان كسرى ربما جلس عليه، وربما صعد الغنم ذلك السرير، فقال سلمان: ومن أعجب ما تذاكرنا صعود غنيمات الغامدي إلى سرير كسرى.

ومر أبو هريرة بمروان وهو يبني داره فقال: يا [أبا] عبد الملك، ابن شديدا، وأمل بعيدا، وعش قليلا، وكل خضْمًا[١٦٦]، والموعد الله.

فصل من كلام أهل البيت عليهم السلام

الحسين بن علي عليهما السلام: العجب ممن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه.

الباقر قال لجعفر الصادق: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم.

وسئل الصادق عن العشق فقال: قلوب خلت عن ذكر الله، فأذاقها الله حب غيره.

---

(١٦٤) واحذروا من: واحذر وأمن، م ي.

(١٦٥) تظلموا: يظلموا، م ي.

(١٦٦) خضما: خصماؤك، م ي . البيان والتبيين ٢/ ١١، ومعنى (كُلْ خَضْمًا): كُلْ بجميع فمك. انظر الصحاح (خضم).

خطب زيد بن علي عليهما السلام فقال: اللهم إن هشامًا وأهل بيته قد طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم يا رب سوط العذاب، إن ربك لبالمرصاد، فأرح منهم العباد، وطهر منهم البلاد، واجعلهم نكالًا للحاضر والباد.

الصادق عليه السلام: أشد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك، والمواساة بالمال، وذكر الله على كل حال.

وسئل: من الزاهد؟ فقال: من ترك الحلال مخافة حسابه، والحرام مخافة عقابه.

زين العابدين عليه السلام: يا بني اصبر على النائبة، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى شيء مضرته عليك أعظم من منفعته له[١٦٧].

عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام قال لابنه النفس الزكية حين أراد الاستخفاء: أبنيّ إني مؤدٍّ حق الله إليك في تأديبك فأدِّ إلي حق الله في حسن الاستماع، أبنيّ كُفَّ الأذى، واقض الندى، واستعن على الكلام بطول الفكر، واحذر مشاورة الجاهل وإن كان ناصحًا، كما تحذر العاقل إن كان عدوًّا.

وكان الحسن بن زيد يلقب ذا الدمعة، فإذا عوتب في كثرة بكائه قال: وهل تركت[١٦٨] النيران والسهمان فيَّ مضحكًا؛ يعني [السهمين اللذين أصابا][١٦٩] زيد بن علي ويحيى بن زيد.

قيس بن حازم قال: ما رأيت هاشميًا قط أفضل من علي بن الحسين، ووقف عليه رجل يومًا فآذاه فلم يزل ساكنًا حتى فرغ، ثم قال: أسأل الله إن كنت صادقًا أن يغفر لي، وإن كنت كاذبًا أن يغفر لك.

وعنه: العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.

طاوس: دخلت الحجر فإذا علي بن الحسين ساجد يقول: عُبَيْدُك ببابك، مسكينك ببابك، فقيرك بفنائك، قال: فما دعوت بها في كربة إلّا فرج الله عني.

ويروى أن عليًا عليه السلام كان يتمثل:

---

(١٦٧) له: لك، م ي.

(١٦٨) تركت: تركب، م ي. بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٥١.

(١٦٩) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٥١.

لا تتهم ربك فيما قضى وهون الأمر وطب نفسا
لكل هم فرج عاجل يأتي على المصبح والممسا

ويتمثل:

كنا نغيِّر مَنْ يأتي بفاحشة والناس يرعون حق الدين والحسب
فالناس قد تركوا[١٧٠] التعيير[١٧١] بينهم لما استوى الناس في الفحشاء والكذب[١٧٢]

وعن الحسين عليه السلام أنه قال في خطبته بالكوفة: يا أهل الكوفة، اتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم، ونحن ضيفانكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ..﴾ [الأحزاب:٣٣]. فما رئي أكثر باكيًا من ذلك اليوم.

الباقر: الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة.

الصادق: تمام النعمة دخول الجنة.

موسى بن جعفر: من اتقى الله يُتّقى، ومن أطاع الله يُطاع.

علي بن موسى: من أرضى الخالق لم يبال بسخط[١٧٣] المخلوق، وكان يقول: ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسنًا استزاد الله منه وحمده، وإن عمل سيئة استغفر وتاب.

فصل من كلام الأعراب

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ..﴾ الآية [التوبة:٩٩].

عمر بن عبد العزيز: ما شيء أشبه بالسلف من الأعراب لولا[١٧٤] جفاء فيهم.

وقال غيلان: إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاستمع دعاء الأعراب.

الجاحظ: سمعت أعرابيًا يقول: يا بني الصبر لأمر الله أيسر [من الصبر] على عذاب الله، فأجمل في الطلب، فإن العري[١٧٥] القادح خير من الزِّيّ[١٧٦] الفاضح.

(١٧٠) الناس قد تركوا: اليوم قد تركون، م ي.
(١٧١) التعيير: اللَّوم. لسان العرب (ثرب). انظر بهجة المجالس وأنس المجالس ص١٦٩.
(١٧٢) لفحشاء والكذب: الأعوان والرتب، ي. انظر بهجة المجالس وأنس المجالس ص١٦٩.
(١٧٣) يبال بسخط: يقال يسخط، م ي.
(١٧٤) لولا: لول، م ي.
(١٧٥) العري: الظمأ، م ي.
(١٧٦) الزِّيّ: الرأي، م ي.

أعرابي: صن نفسك من النار وعرضك من العار، واصنع ما شئت.

ابن دريد: سمع أعرابي ابنه يتكلم بكلام أنكره فقال: يا بني إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فلست بموسع عذرًا كل من أسمعته نكرا.

الأصمعي: أوصى أعرابي بنيه فقال: يا بني أظهروا النسك فإن المرء إذا كان عيِيًّا[١٧٧] قيل: لا يتكلم بما [لا] يعنيه، وإن كان بخيلًا قالوا: مقتصد لا يحب السرف، وإن كان جبانًا قالوا: لا يقدم على الشبهات.

تزوج أعرابي امرأة من رهطه رجاء أن تلد له ابنًا، فولدت له ابنة، فهجرها، فمر بها بعد سنة وهي ترقص تلك البنية وهي تقول:

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألاّ نلد البنينا ليس [لنا] من[١٧٨] أمرنا ما شينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

فأقبل الرجل وقَبَّل ابنته وقال: ظلمتك وربك الكعبة.

ورئيت[١٧٩] ابنة النعمان بن المنذر في هيئة رثة فسئلت، فقالت:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تُقَلَّبُ تارات بنا وتصرَّفُ

وعن أعرابي: أشهد أن السماوات والأرض آيات ودلالات دالات وشواهد قائمات، كلٌّ يؤدي عنك الحجة، ويشهد لك بالربوبية.

ولزم أعرابي مجلس الشعبي مدة وهو ساكت، فسئل فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم.

وقيل لأعرابي مريض: كيف تجدك[١٨٠]؟ قال: أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد.

وكان سهيل بن عمرو واقفًا على باب عمر بعد أن حسن إسلامه وبالباب عيينة بن حصن

---

(١٧٧) عيِيًّا: غنيًا، م ي.
(١٧٨) ليس لنا من: ليس من، ي.
(١٧٩) رئيت: رأى، م ي.
(١٨٠) تجدك: نجدك، ي. انظر البيان والتبيين ١/ ١٨٢.

والأقرع[١٨١] بن حابس وفلان وفلان، فخرج إذن عمر فقال: أين بلال، أين صهيب، أين سلمان؟ فتمعرت[١٨٢] وجوه القوم، فقال سهيل: تمعرتْ[١٨٣] وجوهكم؟ دُعوا ودُعينا فأسرعوا وأبطأنا، ولئن حسدتموهم على باب عمر فما[١٨٤] أعد الله لهم في الجنة أكثر.

وقال عبد الملك للهيثم بن الأسود: كيف تجدك[١٨٥]؟ قال: أجدني قد ابيض مني ما أحب أن يسود، واسود مني ما أحب أن يبيض، واشتد مني ما أحب أن يلين، ولان مني ما أحب أن يشتد، ثم أنشد:

سوف أنبيك بآيات الكبر — نوم العشا وسعال بالسحر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر — وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج[١٨٦] النظر — وتركي الحسناء في قبل الطهر
والناس يبلون كما تبلى الشجر

وذكر أعرابي قريشًا فقال: كان لهم شرفًا [أنهم] أقرب الناس نسبًا برسول الله، وأقربهم بيتًا من بيت الله.

أعرابي: تباعدوا[١٨٧] في الديار، تقاربوا في المودة.

ودخل عيسى بن طلحة على عروة بن الزبير وقد قطع رجله فقال عيسى: والله ما كنا نَعُدُّك للصّراع وقد أبقى الله أكثرك، أبقى الله لك سمعك وبصرك، ولسانك وعقلك، ويديك وإحدى رجليك، فقال: يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني.

وقال أعرابي لعبد الملك: أتت علينا ثلاثة أعوام: فعام أكل الشحم، وعام أكل اللحم، وعام أنقى العظم، وعندكم أموال، فإن كانت لله فادفعوها إلى عباد الله، وإن كانت لعباد الله فادفعوها

(١٨١) الأقرع: الأفزع، ي.
(١٨٢) فتمعرت: فمتغرت، م ي.
(١٨٣) تمعرتْ: تمغرت، م ي.
(١٨٤) فما: فلما، م ي.
(١٨٥) تجدك: أجدك، م ي. انظر البيان والتبيين ١/ ٣١٥.
(١٨٦) البيان والتبيين ١/ ٣١٥، والتحميج: فتح العين وتحديق النظر كأنه بهوت، انظر لسان العرب (حمج).
(١٨٧) تباعدوا: باعدوا، م ي. انظر عيون الأخبار ٣/ ١٠٠.

إليهم، وإن كانت لكم فتصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، قال: هل من حاجة غير ذلك؟ قال: ما ضربت إليك أكباد الإبل أدّرع الهجير(١٨٨) لخاص دون عام(١٨٩).

وقيل: إذا رغبت في المكارم فاجتنب المحارم.

كتب بعضهم إلى أخ له: أما بعد فإن مجالسة الناس كانت دواء يستشفى بها وهي اليوم داء لا دواء له، فذرهم(١٩٠) والزم بيتك، واتخذ الله مؤنسك، والسلام.

وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى(١٩١) ابن الأشعث: إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو.

وعزى بعضهم [رجلًا في] ابن له فقال: اصبر أبا أمامة فإنه فرط افترطته، وخير قدمته، وذخر أحرزته.

وقيل: أشد من الموت ما يُتمنى له الموت.

الحسن قال: سمعت الحجاج يقول على المنبر: إن امرءًا ذهبت ساعات(١٩٢) عمره في غير ما خلق الله لحقيق أن تطول عليها حسرته.

الأحنف: أربع من كن فيه كان كاملًا: دين(١٩٣) يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يردعه.

محمد بن كثير:

كأنه قد قيل في مجلس ... قد كنت آتيه وأغشاه
محمد صار إلى ربّه(١٩٤) ... يرحمنا(١٩٥) الله وإياه

(١٨٨) أدّرع الهجير: أنزع الهجين، م ي. البيان والتبيين ٢/ ٤٦.
(١٨٩) البيان والتبيين ٢/ ٤٦.
(١٩٠) فذرهم: فاذرهم، م ي.
(١٩١) أسارى: أسارة، م ي.
(١٩٢) ساعات: ساعة، م ي.
(١٩٣) دين: دينًا، م ي.
(١٩٤) ربّه: تربه، م ي. البيان والتبيين ص٤٧٣.
(١٩٥) يرحمنا: يرحمه، م ي. البيان والتبيين ٤٧٣.

تمثل عبد الملك بن مروان:

وكل جديد يا أُمَيْمَ[١٩٦] إلى البِلى[١٩٧] وكل امرئ يومًا يصير إلى كان

وله:

فاعمل على مهل فإنك ميت واكدح لنفسك أيها الإنسان

وله:

فكأن ما[١٩٨] قد كان لم يك إذ مضى وكأن ما هو كائن قد كانا

ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وقالت:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

الحجاج: إنا والله ما خُلقنا للفنا، وما خلقنا إلّا للبقاء، ولكنا نُنْقَل من دار إلى دار.

لا يَغُرَّنكَ عِشاءٌ سَاكِنٌ قَد توافي بالمنيات السحر

التيمي:

إذا كانت السبعون عمرك لم يكن لذاتك إلّا أن تموت طبيب
وإن امرءًا قد سار سبعين حجة إلى منهل من ورده لقريب
إذا ما مضى القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

حسان:

وابيض مني الرأس بعد سواده ودعا المشيب حليلتي لبعادي
واستحصد القرن الذي أنا منهم وكفى بذاك علامة لحصادي

عروة بن أذينة:

نراع إذا الجنائز معرضات ويحزننا بكاء الباكياتِ
كروعة ثُلَّةٍ لمغار ذيبٍ فلما غاب عادت راتعاتِ

(١٩٦) أُمَيْمَ: ميم، م، ي. البداية والنهاية ٨/ ٣٤٩.
(١٩٧) البلى: بلاء، م، ي. البداية والنهاية ٨/ ٣٤٩.
(١٩٨) فكأن ما: وكأنما، م، ي. تفسير القرطبي ٦/ ٤١٤.

آخر:

رب مغروس يعاش به عَدِمَتْهُ عَيْنُ مُغْترسه
وكذاك الدهر مَأْتَمُهُ أقربُ الأشياء من عُرْسِه

فصل من كلام الفقهاء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة:١٢٢].

اختُلف عند الزهري في الزاهد يزهد، فقال الزهري: الزاهد الذي لا يغلب الحرامُ صَبْرَهُ والحلالُ شُكْرَهُ.

اعتذر ابن عون إلى إبراهيم النخعي فقال له: اسكت معذورًا، فإن الاعتذار يخالطه الكذب(١٩٩).

يونس بن عبيد: سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن: قول حسان بن أبي سنان: ما شيء بأهون من ورعٍ، إذا رابك أمرٌ فدعه. وقول ابن شبرمة: ما حسدت [أحدًا] على شيء قط. وقول مورق: لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها وما يئست منها، قيل: وما هي؟ قال: ترك ما لا يعنيني.

وقال هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله في الكعبة: سلني حاجتك؟ قال: أكره أن أسأل في بيت الله غير الله.

وقيل: دياركم أمامكم(٢٠٠) وحياتكم بعد موتكم.

وكان أبو حنيفة يتمثل:

كفى حزنًا أن لا حياة هنية ولا عمل يرضى به الله صالح

يونس: لو أمرنا بالجزع(٢٠١) لصبرنا.

(١٩٩) البيان والتبيين ٢/ ١٣٣.
(٢٠٠) دياركم أمامكم: دناركم إماكم، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٨٦.
(٢٠١) الجزع: الجوع، ي. البيان والتبيين ٣/ ٨٩.

قيل لأبي يزيد البسطامي: كيف حالك؟ قال: من وجد صاحب الحال فالاشتغال بالحال من المحال.

الحسن: ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعًا، يابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم، الثواء هاهنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع خياركم فماذا تنتظرون من المعاينة، فكأن قدِ، هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحال[202] بالها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق ولد آدم[203] فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة، إنه لا أمة بعد أمتكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، فإنما ينتظر بأولكم [أن يلحق][204] آخركم، من رأى محمدًا فقد رآه غاديًا رائحًا لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، فالوَحاء الوَحاء[205]، والنجاء النجاء[206] علام تعرّجون[207] أتيتم[208] ورب الكعبة، وقد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فما تنتظرون.

وعنه: ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها بعد قليل قبرك، واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، رحم الله رجلًا نظر فتفكر، وتفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر[209]، فأبصر فصبر، فقد أبصر أقوام ثم لم يصبروا، فذهب الجزع بقلوبهم، ولم يدركوا ما طلبوا، ولم يرجعوا إلى ما فارقوا، يابن آدم اذكر قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ...﴾ إلى قوله: ﴿مَنشُورًا﴾ [الإسراء:13]، عدل[210] عليك من جعلك حسيب نفسك. خذوا صفو الدنيا ودعوا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرًا، ولا الكدر ما عاد صفوًا، دعوا ما يريبكم إلى ما [لا] يريبكم، ذهب الجفاء، وقلت العلماء، وعفت السنة، وشاعت البدعة، ولقد صحبت أقوامًا كانت صحبتهم

(202) حال: حلال، م، ي. صفة الصفوة 2/ 139.
(203) أعناق ولد آدم: أعاق ولدا، م، ي. البيان والتبيين 3/ 90.
(204) البيان والتبيين 3/ 90.
(205) الوَحاء الوَحاء: البدارَ البدار، أو: العجلةَ العجلة. انظر: لسان العرب (وحي).
(206) النجاءَ النجاء: السرعة في السير. لسان العرب (نجا).
(207) تعرّجون: تعرضون، م، ي. البيان والتبيين 3/ 90.
(208) أتيتم: أنتم، م، ي. البيان والتبيين 3/ 90.
(209) أبصر: اعتبر فأصبر، ي. انظر: البيان والتبيين 3/ 90.
(210) عدل: أعدل، ي. انظر: البيان والتبيين 3/ 90.

قرة العين، وجلاء البصر، ولقد رأيت أقوامًا كانوا من حسناتهم أشفق من أن تُرَدّ[٢١١] عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم عليكم منها، أسمع حسيسًا ولا أرى أنيسًا، ذهب الناس وبقي النَّسْنَاس[٢١٢]، لو تكاشفتم[٢١٣] ما تدافنتم، تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح.[٢١٤]

وعنه: رحم الله امرءًا أهدى إلينا مساوئنا.

وعنه: من حمد الدنيا ذم الآخرة، وليس يكره العبد لقاء الله إلّا وهو مقيم على معصيته، وكان إذا قرأ (ألهاكم) قال: عماذا لهيتم؟ عن نار الخلود وجنة لا تبيد، هذا والله فضح القوم، وهتك الستر، وأبدى العوار، تنفق مثل ديتك[٢١٥] في شهوتك سرفا[٢١٦]، وتمنع[٢١٧] في حق الله درهمًا، ستعلم يا لكع.

وعنه: الناس ثلاثة: مؤمن، وكافر، ومنافق، فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف، وقومه ذكر العرض[٢١٨]. وأما الكافر: فقمعه السيف، وشرده الخوف، فأذعن بالجزية[٢١٩]، وأسمح بالضريبة. وأما المنافق: ففي الحجرات والطرقات، ويسرون غير ما يعلنون، ويضمرون غير ما يظهرون، فاعتبروا إنكارهم[٢٢٠] ربهم بالأعمال الخبيثة، ويلك، قتلت وليَّه[٢٢١] ثم تتمنى عليه جَنَّته.

وقال هارون لمالك: يجب أن تأتينا حتى يقرأ محمد والمأمون عليك الموطأ، فقال: العلم يؤتى ولا يأتي. وروي أنه قال: إن هذا العلم منكم خرج، فإن أنتم أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، فقال: أصاب الشيخ، وأمرهما فخرجا وسمعا مع الناس.

---

(٢١١) تُرَدّ: يرد، ي. انظر: البيان والتبيين ٣/ ٩٠.

(٢١٢) بقي النَّسْنَاس: بقيت في الفناس، ي. انظر: البيان والتبيين ٣/ ٩٠.

(٢١٣) تكاشفتم: كاشفتم، ي. انظر: البيان والتبيين ٣/ ٩٠.

(٢١٤) البيان والتبيين ٣/ ٩٠.

(٢١٥) ديتك: دينك، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩٣.

(٢١٦) سرفا: عرفًا، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩١.

(٢١٧) تمنع: يمنع، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩١.

(٢١٨) العرض: الفروض، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩١.

(٢١٩) فأذعن بالجزية: أذعن بالحرية، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩١.

(٢٢٠) إنكارهم: مكارهم، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩١.

(٢٢١) وليَّه: ويله، م، ي. البيان والتبيين ٣/ ٩١.

ومن حكمة الشافعي قوله:

ومن منح الجُهَّال علمًا أضاعهُ ... ومن منع المستوجبين فقد ظَلَمْ

الكرخي من أبيات:

صبرت على اللذات حتى تولت ... وكلفت نفسي صبرها فاستمرتِ
وما النفسُ إلّا حيث يجعلها الفتى ... فإنْ أُطْعمتْ[٢٢٢] تاقت وإلا تسَلَّتِ

أبو حنيفة: من أراد ألاّ يذل فليجتنب ثلاثة: الشهادة، والأمانة، والضيافة، لملامة الناس وتهمتهم.

القاضي أبو العلاء: من رقَّ[٢٢٣] وجهه رق عِلْمُه[٢٢٤].

أنشدنا الشيخ الإمام أبو محمد وكان كثيرًا ما يتمثل به:

الناس بحر عميقٌ ... والبعد منهم سفينه
وقد نصحتك فانظر ... لنفسك المسكينه

ويتمثل:

دار الزمان على المدار فإنه ... إن لم تُدارِ[٢٢٥] رماك[٢٢٦] بالإرغام
ودع الزمان عن الملام فإنما ... يحكي الزمان مجاري الأقلامِ

فصل من كلام الأنطاكي

ومن كلام الأنطاكي: الزهد أربعة أشياء: الثقة بالله، والبراءة من الخلق، والإخلاص في العمل، والاحتمال للظلم.

ومن كلامه: خمسة أشياء دواء القلوب: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وخلاء[٢٢٧] البطن، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح.

(٢٢٢) فإنْ أُطْعمتْ: فإني طعمت، م، ي. مصارع العشاق ١/ ٢٢٥.
(٢٢٣) رقَّ: دق، م، ي. أدب الدنيا والدين ص٥١.
(٢٢٤) يقصد: من استحيا في طلب العلم فقده. انظر: أدب الدنيا والدين ص٥١.
(٢٢٥) تدار: تداره، م، ي. تفسير الثعلبي ٥/ ٤٤٦.
(٢٢٦) رماك: دار، م، ي. تفسير الثعلبي ٥/ ٤٤٦.
(٢٢٧) خلاء: جلاء، ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٩٣.

وعنه: التهاون باليسير أساس الوقوع في الكبير، ومن ترك اليسير ترك اليسير والكثير.

وعنه: وجدت زاهد زماننا عند معرفة عيبه أبله، وعند معرفة عيب غيره جهبذا.

وقيل له: ما أضر الطاعات بصاحبها؟ قال: ما نسيت بها مساوئك، وجعلتها نصب عينك إذلالًا بها واغترارًا منك فذلك العجب[٢٢٨].

وعنه: من لم يعلم أنه هالك فهو هالك.

وقيل له: كيف السلامة من الناس؟ قال: مجانبتهم في الاجتماع، والدعاء لهم بظهر الغيب، ومشاهدتهم في الصلاة والأعياد.

وعنه: واعلم أن الخير والشر كله أمامك، وأنك لم تر منهما[٢٢٩] إلّا دلالة، ولم تسمع[٢٣٠] منهما إلّا علامة، لأن الله جعل الخير بحذافيره في الجنة، وجعل الشر بحذافيره في النار.

وعنه: إنك لو استعملت عند هيجان الغضب ذكر الله وعلمت أنه يشاهدك أُطفئت عنك نيران التعزز، وخمد فيك توقد غضب بالمراقبة[٢٣١].

وعنه: اغتنم من أهل زمانك خمسًا: إن حضرت لم تُعرف، وإن غبت لم تُفقد، وإن شهدت لم تشاور، وإن قلت لم يُقبل منك، وإن عملت شيئًا لم تُعظم به.

وعنه: إن أنفع ما عالج المؤمن من أمر دينه قطع حب الدنيا من قبله، فيهون عليه ترك الدنيا، ويسهل عليه طلب الآخرة.

وسئل عن المروءة فقال: أداء الطاعات، واجتناب المنهيات.

فصل من كلام المتكلمين

قال عمرو بن عبيد للمنصور: إن الله قد وهب لك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك من الله ببعضها.

---

(٢٢٨) صفة الصفوة ٢/٤١٨.

(٢٢٩) منهما: بينهما، م، ي.

(٢٣٠) تسمع: يسمع، م، ي.

(٢٣١) بالمراقبة: المراقبة، ي.

وقال له: [كما] أن الله لم يجعل أحدًا فوقك فلا تجعلن فوق شكرك[٢٣٢] الله شكرًا.

ومن كلام أبي علي الجبائي رحمه الله: عباد الله، فكم مؤملٍ ما لا يبلغه، وجامعٍ مال لا يأكله، ولعله من باطلٍ جَمَعَهُ، وعن[٢٣٣] حقٍّ مَنَعَهُ، أصابه حرامًا، وورثه عدوًا، واحتمل أمره، وباء بوزره، وورد على ربه تعالى أسفًا ﴿خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١].

فصل من كلام الصوفية

قيل لأحمد بن حنبل: إن هؤلاء الصوفية قعدوا في المساجد بلا علم، فقال: يابن أخي العلم أقعدهم، قال: إنما مراد أحدهم كسرة يأكلها، قال: ما أحسن أحوال قوم رضوا من الله بكسرة من الدنيا، قال: إنهم يرقصون ويستمعون ويصفقون، قال: يابن أخي ما أحسن أحوال قوم فرحوا مع الله ساعة.

سئل ذو النون عن المحبة فقال: هتك الأستار، وكشف الأسرار.

وسئل بعضهم عن المحبة فقال: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب.

الجنيد: سمعت السري السقطي يقول: إني حمدت الله يومًا ومن ذلك[٢٣٤] أستغفر الله منه منذ ثلاثين سنة. قيل: وكيف؟ قال: وقع الحريق في السوق فقصدت، فقيل لي: لم يحترق دكانك، فقلت: الحمد لله، فأنا أستغفر الله منه منذ ثلاثين سنة.

وكان الشبلي ينشد:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ... ما لذة العيش إلّا في المجانين

وقيل:

أحبك حبًا لو بُليتِ[٢٣٥] ببعضه ... أصابكِ من وجْدٍ عليَّ جنونُ
لطيفٌ[٢٣٦] على الأحشاء أما نهاره ... فسير وأما ليله فأنين

---

(٢٣٢) شكرك: شكر، ي.

(٢٣٣) عن: من، م، ي. الأوائل للعسكري ٢٥٥.

(٢٣٤) من ذلك: من ذنب، م، ي. صفة الصفوة ١/ ٥٠٠.

(٢٣٥) بُليتِ: علمت، م، ي. عيون الأخبار ٣/ ١٨.

(٢٣٦) لطيفٌ: لطيفًا، م، ي.

يحيى بن معاذ: إلهي أحبك، لأنك إله، أخافك لأني عبد، فلك حبي ولي خوفي، فارحمني إن شئت لضعف العبودية، وإن شئت لكرم الربوبية.

وعنه: احتقار الفقير عنوان التكبر.

رئي جنيد في المنام فقيل له: ما فعل بك ربك؟ قال: قال: طاحت[٢٣٧] تلك الإشارات، وسقطت تلك العبارات، وفنيت[٢٣٨] تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلّا ركيعات كنا نركعها في السحر.

وسئل بعضهم: ما علامة العارف؟ قال: نوم قليل، وحزن طويل، ونفس عليل، ومناجاة مع الخليل.

وعن بعضهم في صفة العارف: قطعوا مفاوز الأخطار حتى وصلوا إلى معادن الأنوار.

سئل بعضهم عن التوحيد، فأنشأ قوله:

كأن رقيبًا منك يرعى خواطري ... وآخر يرعى ناظري ولساني
فما عاينت عيناي بعدك منظرًا ... يسوؤك إلّا قلت قد رمقاني[٢٣٩]
وما خطرت في غامض السر خطرة ... لغيرك إلّا عرجا بعنانِ
إذا ما تسلى العاذرون عن الهوى ... بشرب مدام أو بعزف قيانِ
جعلت الذي يسلي سوادي توددًا ... إلى قربكم[٢٤٠] حتى أمل مكاني
وفتيان صدقٍ مذ سئمت لقاهم ... وأمسكت عنهم ناظري ولساني
وما الدهر أسلى عنهم غير أنني ... أراك على كل الجهات تراني

سئل الشبلي عن الأُنس فقال: وحشتك منك، وسمع قائلًا: العيال والدَّين هما في القلب همَّان[٢٤١]، فلو شاء ملك العرش كفاني مشغل هذين. فقال:

حزين من مكانين ... مكان الوصل والبين
وفي هذين لي شغل ... كفاني شُغْلُ هذين

---

(٢٣٧) طاحت: صاحت، م، ي. انظر: صفة الصفوة ١/ ٥٣٣.

(٢٣٨) فنيت: ابتدت، م، ي. صفة الصفوة ١/ ٥٣٣.

(٢٣٩) نشوار المحاضرة ٦/ ١٤٥.

(٢٤٠) قربكم: قربي، م، ي.

(٢٤١) همَّان: همين، م، ي.

ذو النون: لم أر أجهل من طبيب يداوي سكران في وقت سكره.

الشبلي: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير.

الفضيل بن عياض: أحق الناس بالرضى عن الله أهل المعرفة بالله.

وعنه: أفضل الزهد الرضى عن الله.

الجنيد: حياة القلوب ذكر علام الغيوب.

ابن المبارك: طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا.

وأنشد بعض الصوفية:

وما جلست إلى قوم أحادثهم ... إلا وأنت حديثي بين جلاسي
ولا هممت بشرب الماء من عطشٍ ... إلا رأيت خيالًا منك في الكاسِ

سئل بعضهم عن التصوف فقال: حسن الأدب، ودوام الطلب، وقطع السبب، ونسيان الحسب والنسب.

سمعت الفقيه نعمان قال: أنشد الأستاذ إسماعيل الصابوني لبعض الصوفية:

دموع عيني عليك تجري ... ولست أنساك طول دهري
وكيف أنساك يا حبيبي ... وسر سري إليك يسري

ووقع لبعض الصوفية عثرة مرات فتاب، فقال في مناجاته:

سيدي قد عثرت خذ بيدي ... لا تنبذني ولا تقل تعسا
واعف إن عدت واعف ثانية ... فقد يداوي الطبيب من نكسا

فرأى في المنام كأن هاتفًا يقول: أطعتنا فشكرناك، ثم هجرتنا فتركناك، فلو عدت لقبِلْناك.

لبعضهم نظير ذلك:

إن كنت أذنبت فقد تبت ... وعدت الليالي كما كنت
وليس لي ذنب سوى أنني ... أسرفت في الحب فعوقبت

وكان بعض الصوفية يقول يوم العيد:

للناس نظر وعيد أنا الوحيد الفريد
يا غايتي ومرادي قد تم لي ما أريد

عن بعضهم: أهل المحبة قلوبهم عند محبوبهم لا يملكها شيء دونه، ولا يحل بها ذكر غيره، إن عاشوا عاشوا بلا قلوب، وإن قتلهم الحب فإلى علام الغيوب.

مساكين أهل الحب ضاعت قلوبهم فهم عصبة عاشوا بغير قلوب

لبعضهم:

أقسمت لو حلف العشاق أنهمُ قتلى من الحب أو موتى لما حنثوا
أضحى المحبّون[٢٤٢] في شغل بشأنهمُ كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

آخر:

للقلب نور ونور القلب يمدده[٢٤٣] نور على النور دلال على الصمد

آخر:

سر في بلاد الله سياحا وابك على قلبك نواحا
وامش بنور الله في أرضه كفى بنور الله مصباحا

ومن كلام أبي بكر العنبري الصوفي: نعم السلاح الدعاء، ونعم المطية الوفاء، ونعم الشفيع البكاء، ثم قال:

وليس الذي يجري من العين ماؤها ولكنه روح يذوب فيقطر

ومن كلامه: التصوف اجتناب المحارم، واجتناء المكارم.

ليس التصوف بالفوط[٢٤٤] من قال ذاك فقد غلط
إن التصوف يا فتى صفو[٢٤٥] الفؤاد من الشطط

(٢٤٢) المحبّون: المجنون، ي.
(٢٤٣) يمدده: عدده، م، ي. بصائر ذوي التمييز ٥/ ١٣٣.
(٢٤٤) الفُوَط: جمع فُوطَة، وهو ثوب قصير غليظ. لسان العرب (فوط).
(٢٤٥) صفو: صفر، ي.

ومن شعره:

يـا مـن إلـى وجهـه حجـي ومعتمـري إن حـج قـوم إلـى تـرب وأحجـار
أنـت الصـلاة التـي أرجـو النجـاة بهـا وأنـت صومـي الـذي يزكـو وإفطـاري
إنـي وإن بعـدت منـي دياركـمُ فأنتـم فـي سـواد الليـل سـماري
فـإن تكلمـت لـم ألفـظ بغيركـمُ وإن سـكت فأنـت عقـد إضمـاري

ولأبي سويد الصوفي:

إنـي رضيـت بقـوتٍ ولبـس ثـوبٍ مرقّـع
ولـم يكـن لـي صديـقٌ فراقـه أتوقـع
وبـان منـي شـبابٌ فمـا عسـى الدهـر يصنـع

وروي لأبي سويد:

ليـس للراحـة قيمـه سـاعة منهـا غنيمـه
والـذي اختـار عليهـا تعـب النفـس بهيمـه

وشهق في بعض مجلس الصوفية إنسان فمات، فقال: روح حنَّت لربِّها[٢٤٦]، واشتاقت فدعيت فأجابت.

وتفكر صوفي في شيء ومشى حتى بلغ الروم، فأُخذ وأُريد بيعه، فانتبه فقال:

أقامنـي حبـك فيمـن يزيـد[٢٤٧] فـي موقـف الـذل ونعـت[٢٤٨] العبيـد
قـد حضـر البائـع والمشـتري عبـدك موقـوف[٢٤٩] فمـاذا تريـد

وكتب صوفي إلى إنسان يسأله شيئًا، فقال: سل دنياك من مولاك، وأجاب: الدنيا خسيسة[٢٥٠] وأنت خسيس، وإنما يطلب الخسيس من الخسيس، والمولى نفيس، ولا يسأل من النفيس إلّا النفيس.

---

(٢٤٦) حنَّت لربِّها: حيت قريب، م، ي.

(٢٤٧) يزيد: يريد، ي. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص٢٢٦.

(٢٤٨) نعت: نصب، م، ي. انظر: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص٢٢٦.

(٢٤٩) عبدك موقوف: عند موقف، م، ي. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص٢٢٦.

(٢٥٠) خسيسة: خسيس، ي.

فصل من كلام عقلاء المجانين

لا شبهة أن المجنون ليس بعاقل، ومعنى قولنا: (عقلاء المجانين) ينقسم، فمرة يعبر به عمن يتجانّ نفسه لأغراض[٢٥١] دنياوية أو دينية، ولهم أخبار:

ومنها: أن يجن ويفيق فيتكلم في حال الإفاقة بما يروى ويحفظ.

ومنها: أن يتكلم في حال جنونه فيخلط الجيد بالرديء، فيتفق منه ما يحسن كما قالوا: رب رمية من غير رامٍ[٢٥٢]، فيقول من غير قصد.

وعلى كل حال فالحكمة مطلوبة من أي موضع وجدت، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا[٢٥٣]﴾ [الأعراف:١٧٩]، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه مر برجل قد اجتمع الناس حوله، فقيل: هذا مجنون، فقال: «هذا مصاب، إنما المجنون المقيم على معصية الله». نظمه بعضهم فقال:

ومن كانت الدنيا هواه وهمه فذلك مجنون وإن قيل عاقلُ

آخر:

خلقنا لأمرٍ فإن لم نكن به مؤمنين[٢٥٤] فإنا لهلكى
وإن نحن كنا به مؤمنين[٢٥٥] ولسنا نخاف فإنا لنوكى

وسئل بعضهم عن المجنون، فقال: من عمل لدنياه ووافق هواه وآثر على ربه سواه، وقيل: المجنون من لا يأمن [على][٢٥٦] روحه ساعة وهو في عمارة دنياه.

الصولي قال: اعتل ابن المعتز فأتاه الناس للعيادة، فسئل عن علته، فأنشأ يقول:

(٢٥١) لأغراض: لغرض، م، ي.
(٢٥٢) رام: ارم، ي.
(٢٥٣) في م ي: (لهم قلوب لا يعقلون بها) وما أثبتناه من المصحف.
(٢٥٤) مؤمنين: مؤمناً، م، ي. عقلاء المجانين ص١٣.
(٢٥٥) مؤمنين: مؤمناً، ي. عقلاء المجانين ص١٣.
(٢٥٦) عقلاء المجانين ص١٣.

أيها العاذلون لا تعذلوني وانظروا حُسْنَ وجهها تعذروني
وانظروا هل ترون أحسن منها إن رأيتم شبيهها فاعذلوني
بي جنون الهوى وما بي جنونٌ وجنونُ الهوى جنونُ الجنونِ

مالك بن دينار قال: رأيت بالمصيصة(٢٥٧) شيخًا في عنقه سلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول:

إن من قد أرى على صور النّا س إذا فتشوا فليسوا بناس

فقلت: أمجنون أنت؟ فقال: أنا مجنون الجوارح ولست بمجنون القلب، ثم قال:

واريت(٢٥٨) أمري بالجنون عن(٢٥٩) الورى كيما أكون بواحدي مشغول
يا من تعجب في الأنام لمنطقي(٢٦٠) ماذا أقول ومنطقي مجهول

وأنشد:

جنيت على عقلي لديكم وما قلبي والله بمجنون
أجن مني -وإلهِ الورى- مَنْ اشترى دنياه بالدين

ويروى للشافعي:

وأنزلني طول البلا دار غربةٍ إذا شئت لاقيت امرءًا لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وحبست ليلى مع المجنون مرة ثم قيل للمجنون: اخرج أنت، فأنشأ يقول:

وسجني مع المحبوب فردوس جنتي(٢٦١) وناري مع المحبوب أنوار مهجتي

ثم قال: الكون مع الحبيب في السجن خير من الفراق، قال الله تعالى حاكيًا عن يوسف: ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ(٢٦٢) إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

---

(٢٥٧) المَصِيصةُ: ثغر من ثغور الروم في بلاد الشام. تاج العروس (مصص).
(٢٥٨) واريت: ورتب، م، ي. عقلاء المجانين ٣٣.
(٢٥٩) عن: على، م، ي. عقلاء المجانين ٣٣.
(٢٦٠) لمنطقي: بمنطقٍ، م، ي. عقلاء المجانين ٣٣.
(٢٦١) جنتي: جنةٍ، م، ي. عقلاء المجانين ٤٩.
(٢٦٢) في م ي: تدعوني. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

وكان مجنون بني عامر يأكل ويطعم كلبًا بقربه، فقيل له: لم تفعل هذا تأكل لقمة وتعطيه لقمة؟ قال: لأنه من جيران ليلى.

ومن جيد شعر المجنون:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمرُه الأمرُ
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الزجر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدا وزدت على ما لم يكن صنع الهجر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضا ما بيننا سكن الدهر

وقيل له: ألا تسلوا؟ فقال:

أريد لأنسى ذِكْرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل
فلا تلحنِّي يا سعيد[٢٦٣] فإنني وحق إلهي هالك بقليل[٢٦٤]

لسعدون المجنون:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه[٢٦٥] إن لها في كل يوم خليلا[٢٦٦]
تستنكح[٢٦٧] البعل وقد وطّنت[٢٦٨] في موضع آخر منه البديل[٢٦٩]
ما أقبح الدنيا لخطابها تقتلهم عمدًا قتيلًا قتيلا[٢٧٠]
إني لمعتز وإن البلى يعمل في جسمي قليلًا قليلا[٢٧١]
تزودا للموت زادًا فقد نادى مناديه الرحيلَ الرحيلَ

---

(٢٦٣) تلحنِّي يا سعيد: تلحيني يا سعاد، م، ي. عقلاء المجانين ص٤٩.
(٢٦٤) بقليل: لقليل، ي. عقلاء المجانين ص٤٩.
(٢٦٥) نفسه: نفسها، م، ي. عقلاء المجانين ٥٤.
(٢٦٦) خليلا: خليل، م، ي.
(٢٦٧) تستنكح: يستنكح، م، ي. عقلاء المجانين ٥٤.
(٢٦٨) وطّنت: وطيت، م، ي.
(٢٦٩) البديل: بدليل، م، ي. عقلاء المجانين ٥٤.
(٢٧٠) قتيلا: قتيل، م، ي.
(٢٧١) قليلا: قليل، م، ي.

وكتب سعدون على جدار(٢٧٢):

ما حال من سكن الثرى ما حاله؟ ... أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة يصيبه ... أبدًا ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبره أوصاله
واستبدلت منه المحاسن غبرة ... وتقسمت من بعده أمواله
ما زالت الأيام تلعب بالفتى ... والمال يذهب صفوه وحلاله

وروي أن سعدون قرأ في سوق البصرة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ..﴾ الآية [النساء:١] ثم رمى بطرفه إلى السماء وقال: عز علي أن تشتغلوا بتجارات الدنيا عن تجارة ربحها بين أيديكم، ثم أنشأ يقول:

فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلى ... وتفريق أعضاء ولحمٍ مبدّدِ
لكنت حقيقًا يابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعدِ

ذو النون: قرأت على كُمِّ جبة سعدون سطرًا:

عصيت مولاك يا سعيد ... ما هكذا يفعل العبيد

وعلى كمه الآخر سطرين(٢٧٣):

تبًا لمن قوته(٢٧٤) رغيف ... يأتي به السيد اللطيف
يعصي إلهًا له جلالٌ ... وهو به راحم رؤوفُ

وعلى عكازته:

اعمل وأنت من الدنيا على وجلٍ ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوثُ
واعلم بأنك ما قدمتَ من عملٍ ... يحصى عليك وما خلفت موروثُ

وله:

ألا يا عسكر الأحياء ... هذا عسكر الموتى

(٢٧٢) عقلاء المجانين ص٥٥.
(٢٧٣) سطرين: سطران، م، ي. عقلاء المجانين ص٥٩.
(٢٧٤) قوته: فوقه، م، ي. عقلاء المجانين ص٥٩.

أجابوا الدعوة الصغرى وهم في الدعوة الكبرى
يحثون على الزاد ولا زاد سوى التقوى
يقولون لكم جدوا فهذا غاية الدنيا

وقيل لواحد: مجنون أنت؟ فقال: ذاك أنت تأكل رزق الله وتطيع عدوه.

وقال مجنون: من زهد في الدنيا ملكها، ومن رغب فيها عبدها.

قيل لبهلول: أي شيء أولى بك؟ قال: العمل الصالح. وقال للرشيد في طريق الحج:

فهب أن قد ملكت الأرض طرًا ودان لك العباد فكان ماذا
ألست تموت في قبر ويحوي تراثك بعد هذا ثم هذا

وقال له رجل: عظني، فقال: بما أعظكم هذه قصوركم وهذه قبوركم.

وعنه: من كانت الآخرة أكثر همه أتته الدنيا راغمة.

وسئل عليان المجنون: من العاقل؟ قال: من حاسب نفسه وخاف ربه. وقال له رجل: يا مجنون، فقال: مه المجنون من عرف ربه ثم عصاه.

وسئل أبو نصر المدني المجنون: ما المروءة؟ فقال: إفشاء السلام، وإطعام الطعام، وتوقي الأدناس والآثام. قيل: فما السخاء؟ قال: جهد المقل.

وسئل جعيل المجنون عن الزهد فقال: محو الدنيا عن القلب.

وله[٢٧٥]:

يا حبيبي ومؤنسي وعمادي وغياثي ومعقلي ورجائي
يا إلهي وعصمتي ومنائي ارحم اليوم زلتي وبكائي

وقيل لسابق[٢٧٦]: علمنا دعاء، فقال: قل اللهم اجعل نظري عبرًا، وسكوتي فكرًا، وكلامي ذكرا.

ولهاني الشامي: أيها [الناس] تزودوا ليوم الدين، يوم تنشر فيه الدواوين، وتنصب فيه

(٢٧٥) عقلاء المجانين ص٩٤.
(٢٧٦) سابق: سايق، ي. عقلاء المجانين ص٩٧.

الموازين، وينتصف المظلوم من الظالمين، اعملوا وفي الأمر مهلة قبل أن تؤخذوا [على] غرة.[٢٧٧]

ولنقرة[٢٧٨] المعتوه شعرًا:

نظرت إلى الدنيا بعين مريضة ... وفكرة مغرورٍ وتأميل جاهل
فقلت هي الدار التي ليس مثلها ... ونافست فيها في غرور وباطل
وضيعت أحقابًا أمامك جمةً ... بلذة أيام قصارٍ قلائلِ

ولشمعون: سئل أي الطعام أشهى؟ قال: لقمة من ذكر الله، في فم اليقين بتوحيد[٢٧٩] الله، رفعتها من مائدة الرضا، عن الله عند حسن الظن بكرامة الله. وله:

أجلك أن أشكو الهوى فيك إنني ... أجلك أن تومي إليك الأصابع
وأضرب طرفي نحو غيرك عامدًا ... على أنه بالرغم نحوك راجعُ

شقران[٢٨٠] المجنون: الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها، الدنيا دار زوال وانتقال واضمحلال، والآخرة دار جلال وجمال وكمال.

عتاهية المجنون بواسط كان ينادي بالليل: تنبهوا عن رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة، واعملوا في إعداد العدة قبل انقراض المدة، واعلموا أن آجالكم منقوصة، وأعمالكم محفوظة، والموت يأتي بغتة.

وكان بكار المجنون ينشد:

كفى حزنًا أني مقيم ببلدةٍ ... أخلائي عنها نازحون بعيدُ
أقلب طرفي في البلاد فلا أرى ... وجوه أحبائي الذين أريدُ

فقال بعضهم: قلت: من أحباؤك؟ فأخذ بيدي وأدخلني المقابر وأشار إلى القبور وقال: هؤلاء.

---

(٢٧٧) عقلاء المجانين ص١٠٠.
(٢٧٨) لنقرة: لميسرة، م، ي. عقلاء المجانين ص١٠١.
(٢٧٩) توحيد: تحيد، م، ي. عقلاء المجانين ص١٠٢.
(٢٨٠) شقران: شعران، م، ي. عقلاء المجانين ص١٠٦.

ماني الموسوس:

يا نسيم الريح في السحر وشبيه الشمس والقمر
إن من أسهرت ليلته لقريب العين بالسهر

عن بعضهم قال: دخلت بمارستان بغداد فإذا شيخ يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فأنشأ يقول:

من كان أذنب ذنبًا فليدن مني قليلًا
لعلنا نتباكى على الذنوب طويلا

الفضيل: الدنيا دار مرضى، وللمجانين في دار المرضى شيئان: غل، وقيد، ولنا غل الهوى وقيد المعصية.

ولمجنون بني عامر:

أيها الشامخ الذي لا يُرام نحن من طينة عليك السلام
إنما هذه الحياة متاع ومع الموت تستوي الأقدامُ

ولمجنون بني عامر:

إذا الريح من نحو الحبيب تنسمت وجدت لريَّاها[٢٨١] على كبدي بردا
على كبد قد كان يبدي[٢٨٢] بها الجوى صدوعًا وبعض القوم يحسبني[٢٨٣] جلدا

قال علي بن ظبيان لفليت[٢٨٤] المجنون: تحب أن تكون أمير المؤمنين؟ قال: لا. قلت: لم؟ قال: يثقل ظهري، ويكثر همي، وينسيني النعيم ذكر ربي. قلت: أوفي الأرض عاقل لا يتمنى أنه خليفة؟ قال: وفي الأرض عاقل يتمنى أنه خليفة؟ ثم أنشأ يقول:

لعمرك ما أدري وإني لأَوْجَلُ[٢٨٥] على أينا تغدو المنية أول

فعاش سنة ومات في اليوم الذي تمثل بهذا البيت فيه.

---

(٢٨١) لريَّاها: لدياها، م، ي. المنتحل للثعالبي ص٢٤١.
(٢٨٢) يبدي: يبدي، م، ي.
(٢٨٣) يحسبني: تحسبني، م، ي. المنتحل للثعالبي ص٢٤١.
(٢٨٤) لفليت: لِقُلت، م، ي. عقلاء المجانين ص٨١.
(٢٨٥) وإني لأَوْجَلُ: لعلك أواجل، م، ي. العقد الفريد ٥/ ١٩٠.

عطاء السلمي قال: خرجنا للاستسقاء بالبصرة، فقال سعدون: خرجتم بقلوب عامرة سماوية أم بقلوب خربة أرضية؟ فقلت: بقلوب سماوية عامرة، فقال: يا عطاء لا تبهرج، فإن الناقد بصير. فخجلت من قوله.

حفص بن غياث: مررت بُعَلَيَّان فقال: من أراد سرور الدنيا وحزن الآخرة فليتمن ما هذا فيهن. فوالله لقد تمنيت أن كنت متُّ(٢٨٦) قبل أن ألي القضاء.

أبو سليمان الداراني: أقمت عند الكعبة فإذا كيسان المعتوه، فقلت: هل من حاجة؟ فقال: بلى، تزحزحني عن النار وتدخلني الجنة، فقلت: ليس هذا إليّ، قال: فلم تسألني عن حاجتي. ثم استقبل الكعبة وقال:

يا حبيب الفؤاد من لي سواكا ارحم اليوم مذنبًا قد أتاكا
يا رجائي ومؤنسي وسروري كذب القلب إن أحب سواكا

فصل من كلام أهل الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ [المائدة:٨٢].

وحدثنا الشيخ أبو حامد بإسناده عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن آخر ما تعلق(٢٨٧) به أهل الجاهلية من كلام النبوة إذا لم تستحي فاصنع ما شئت».

وسئل راهب عن الدنيا فقال: تخلق الأبدان، وتجدد الآمال، وتقرب المنية. قيل: فما حال أهلها؟ قال: من ظفر بها تعب، ومن فاتته نصب. قيل: فما الغنى فيها؟ قال: قطع الرجاء عنها. قيل(٢٨٨): أي الأصحاب أبر؟ قال: العمل الصالح(٢٨٩) والتُّقَى، قيل: فأيهم أضر وأجفى؟ قال: النفس والهوى، قيل: فأين المخرج؟ قال: سلوك المنهج.

إبراهيم بن أدهم: سألت راهبًا من أين تأكل؟ قال: ليس هذا العلم عندي، ولكن سل ربي من أين يطعمني.

---

(٢٨٦) متُّ: ميت، ي. انظر: عقلاء المجانين ص٧٥.

(٢٨٧) تعلق: تعلقوا، ي.

(٢٨٨) قيل: قال، م ي.

(٢٨٩) الصالح: الصحي، م ي. زهر الآداب ٤/ ١٠٨١.

قيل: لبزر جمهر: بم بلغت ما بلغت؟ قال: بيكور كبكور[٢٩٠] الغراب، وحرص كحرص الخنزير، وصبر كصبر الحمار، وتملق كتملق الكلب[٢٩١].

أبو بكر بن عياش: أربعة من الملوك تكلم كل واحد بكلمة كأنها رمية من قوس: قال كسرى: لأن أندم على ما لم أقل أحب إلي من أندم على ما قلت. وقال قيصر: أنا على رد ما لم أقل أقدر على رد ما قلت. ملك الصين: ما لم أتكلم الكلمة فأنا أملكها وإذا تكلمت بها ملكتني. ملك الهند: العجب ممن يتكلم بكلمة إن هي رفعت ضرته، وإن هي لم ترفع لم تنفعه.

وسأل أمير المؤمنين شاه زنان[٢٩٢] ابنة كسرى حين أسرت: ما حفظت من أبيك بعد وقعة الفيل؟ قالت: قال: إنه[٢٩٣] إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه[٢٩٤]، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة. فقال: صدق أبوك، تذل[٢٩٥] الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير.

وسئل راهب: ما السرور؟ قال: أمان من الوجل عند مجيء الأجل.

أنوشروان: من حفظ دينه وصان عرضه وبذل مجهوده ولم يأمن لسانه[٢٩٦] سلمت له المروءة.

قيل لراهب: متى يعرف العبد طريق الجنة؟ قال: إذا هرب إلى ربه من سواه، واجتهد في طاعته ورضاه، وكانت الجبال والأودية مأواه، وأنسته الذنوب السالفة ما يريده ويتمناه.

ومر ابن المبارك بمجوسي فقال: قل لا إله إلّا الله، فقال: كلام حسن وإن أصله لخلال، قال: وما هن؟ قال: ألستم تقولون الرازق هو الله؟ قال: نعم، قال: فالحرص لماذا؟ ألستم تقولون: الحساب حق؟ قال: نعم، قال: فالجمع لماذا؟ ألستم تقولون: إن الطاعة حسنة؟ قال: نعم، قال: فالتقصير لماذا؟ قال: هل عندك غير هذه؟ قال: نعم، قال: كُلْ ما عندك، وقُلْ ما

(٢٩٠) بيكور كبكور: بكن، م ي. عيون الأخبار ٢/ ١٣٩.
(٢٩١) عيون الأخبار ٢/ ١٣٩.
(٢٩٢) شاه زنان: ساه ريان، م ي. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ص٣٠٢.
(٢٩٣) إنه: إني، م ي. انظر الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ص٣٠٢.
(٢٩٤) المطامع دونه: المطاعم، م ي. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ص٣٠٢.
(٢٩٥) تذل: دل، م ي. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ص٣٠٢.
(٢٩٦) لسانه: انه، م ي.

تعلم، وارض بما بك، قال: زدني، قال: مت كما ولدت، وارفع كما وضعت، واطمع فيما قدمت، قال: زدني، قال: صاحب الحقد لا يسود، ومحب الله لا يحب الناس، ومحب الدين لا يحب الدرهم، قال: زدني، قال: نعم لا إله إلّا الله محمد رسول الله.

سئل راهب: ما الذي قطع الخلق عن الله بعد معرفته؟ وما الذي أوصلهم إليه؟ قال: الذي قطعهم حب الدنيا، لأنها أمد العاصين، ومنها تتفجر ينابيع المفسدين، ولم يوصلهم إليه إلّا تركها.

وقال بعض حكماء الهند لثلاثة من تلامذته: تكلموا بكلمة موجزة، قال أحدهم: اليأس حُرٌّ والرجاء عبد(٢٩٧)، وقال الآخر: الأمل آفة الحر، وقال الآخر: أنت العزيز(٢٩٨) ما التحفت بالقناعة.

كسرى: أغض [عينك] على القذى وإلا لم ترض أبدًا.

ومِنْ حِكَم الفرس: رب كلمة سلبت نعمة، بئس شعار(٢٩٩) المرء جهله، الخلاف يهدم الرأي، في تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال، العدل مألوف والهوى معسوف.

بزرجمهر: الحسد للصديق من سقم المودة.

سأل عمر بن عبد العزيز نصرانيًا عن سير ملوكهم قال: إذا ملك واحد منا فأول من يدخل عليه الحفار فيقول له: أين أحفر؟ فيقول: في موضع كذا وكذا، ثم يدخل العطار فيقول: ما أهيئ من الحنوط؟ قال: حنوط كذا، ثم يدخل صاحب الكفن فيقول: كيف تأمرني، فقال: هيئ الكفن، فإذا خرجوا على الناس وصفوا لهم. فبكى عمر وقال: هذا من لا يرجو الثواب ولا يخاف العقاب، فكيف من يرجو ويخاف.

أبو حازم: قلت لراهب: أين الطريق إلى الله؟ قال: لو عرفته لعرفت الطريق إليه، قلت: أو أعبد من لا أعرفه؟ قال: يا حنيفي أو تعصي من تعرفه.

بزرجمهر: لا ينبغي للعاقل أن يستخف بأحد خصوصًا بثلاثة: العلماء، والسلطان، والإخوان، فإن من استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته.

---

(٢٩٧) اليأس حُرٌّ والرجاء عبد: العاد حول الرجا، م ي. عيون الأخبار ٣/ ٢٠٧.

(٢٩٨) العزيز: آخر العز، ي. انظر التمثيل والمحاضرة ص٤١١.

(٢٩٩) بئس شعار: إدريس سعار، ي. انظر التمثيل والمحاضرة ص٤٣٩.

قيل لراهب: هل عندك من أخبار من مضى؟ قال: نعم، فريق في الجنة وفريق في السعير.

ابن أبي الحواري: رأيت راهبًا معه مخلاتان يلقي فيهما النواة، فقلت: ما هذا: قال: إني إذا ذكرت ربي أخذت حصاة فجعلتها في المخلاة التي أمامي، وإذا ذكرت الناس أخذت حصاة فجعلتها في المخلاة التي خلفي، فإذا أمسيت نظرت، فإن استويا أو زاد ذكر الله أفطرت، وإن كان ذكر الناس أكبر طويت[٣٠٠].

قيل لراهب: ما الرضى عن الله؟ قال: أن يستوي عندك مرارة المنع وحلاوة العطاء.

وقيل لآخر: من أسوأ الناس حالًا؟ قال: من خرج من الدنيا ولا حظ له في الآخرة.

قيل لراهب: أوصنا؟ قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ المحمل.

قيل لآخر: ما الإخلاص؟ قال: طاعة[٣٠١] بلا معصية، وخير بلا شر.

قيل لراهب: ألا تتزوج؟ قال: أنا في جمع المهر.

قيل لآخر: من أحسن الناس حالًا؟ قال: من خرج من الدنيا بما يرضي الله به.

بقراط: عالم معاند خير من مُنْصِفٍ جاهل.

كتب الإسكندر إلى أرسطاطاليس يستوصيه، وكتب إليه: إذا استولت عليك السلامة فجدد[٣٠٢] [ذِكْر][٣٠٣] العطب، وإذا هنأتك[٣٠٤] العافية فحدث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية الأمل فاذكر الموت، فإن أحببت نفسك فلا تجعل لها في الإساءة نصيبًا.

وقال ملك الهند للإسكندر: أوصني، قال: الرضى بما زرقت، قال: فما غمها؟ قال: الحرص على ما لعلك لا تناله[٣٠٥].

بطليموس: لا مرض أشد من ذنب أو قلة عقل.

(٣٠٠) يعني: إذا زاد ذكر الله أفطر وإذا زاد ذكر الناس صام.

(٣٠١) طاعة: الطاعة، ي.

(٣٠٢) جدد: حدد، ي. انظر حياة الحيوان للدميري ١/ ٣٥٣.

(٣٠٣) انظر حياة الحيوان للدميري ١/ ٣٥٣.

(٣٠٤) هنأتك: هنتك، ي. انظر حياة الحيوان للدميري ١/ ٣٥٣.

(٣٠٥) لا تناله: لاتباله، ي. انظر محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ١/ ٦٠٦.

قيل لجالينوس: ألا تعالج؟ قال: إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وإذا قدر الرب بطل حَذَرُ المربوب[٣٠٦]، ونعم الدواء الأجل، وبئس الداء[٣٠٧] الأمل.

وسئل أنوشروان: أي الملوك أصلح؟ قال: من أحيا صالح السنّة، وسلط الأخيار، وقمع الفجار.

وعنه: موت المؤمن راحة لنفسه، وموت الفاجر راحة للعالمين.

وكتب ملك إلى حكيم يسأله: كيف يعرف الملك ما في قلب رعيته؟ قال: قلوب الرعية خزائن ملكها، فلينظر الملك ما الذي أودعها، والسلام.

قيل لمجوسي في النزع: كيف أنت؟ قال: كيف يكون حال من يريد سفرًا بعيدًا بلا زاد، ويقدم على ملك بلا حجة، ويسكن قبرًا موحشًا بلا أنيس.

ومن كتاب جاويدان خرد[٣٠٨]: خير ما أعطي العبد في الدنيا الحكمة، وأفضل ما أعطي في الآخرة الرحمة.

وفيه: الغنيمة في القناعة، والسلامة في العزلة، والحرية في رفض الشهوات.

وفيه: المرأة الصالحة عماد الدين، وعمارة البيت، وعون على الطاعة.

وفيه: من حُبِّ الصحة: الانقطاع عن الشهوات، ومن خوف النار: الانصراف عن السيئات. ومن طلب الفضول وقع في البلايا، ومن جالس العلماء وقر، ومن خالط الأنذال حقر، ومن خاف الله أفلح، ومن لم يتعظ بالقليل لم ينفعه الكثير.

فصل ما وجد مكتوبًا على الأحجار والمواضع

ابن لهيعة يرفعه بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]، قال: «لوح من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبًا لمن عرف الموت ثم ضحك، عجبًا لمن أيقن بالبعث ولم ينصب، عجبًا لمن عرف الدار كيف غفل، لا إله إلّا الله محمد رسول الله».

(٣٠٦) حذر المربوب: المروب، ي. انظر المستطرف في كل فن مستظرف ص٥٥٩.

(٣٠٧) الداء: الدواء، والتصحيح من سراج الملوك ص١٨٩.

(٣٠٨) جاويدان خرد: حاودأن حرايل، ي. انظر كتاب ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ٤/ ٤٢.

أبو هريرة: وُجد حجر مكتوب فيه: بعد البعث من يزرع خيرًا يوشك أن يحصد غبطة، ومن يزرع شرًا يوشك أن يحصد ندامة، تعملون السيئات وترجون الحسنات، أجل لا تجتنون[٣٠٩] من الشوك العنب.

مغفل بن يسار، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس يوم يأتي على ابن آدم إلّا ينادى فيه: يابن آدم أنا[٣١٠] خَلْقٌ جديد، وأنا[٣١١] بما تعمل به غدًا شهيد، فاعمل خيرًا أشهد لك به غدًا، ويقول الليل مثل ذلك».

وجد حجر مكتوب عليه: يا ابن آدم كم[٣١٢] أراك تعيش والموت حصاد وأنت حشيش، فَطِرْ إلى الله ما دام في الجناح ريش[٣١٣].

وكتب بعض ملوك فارس على باب مدينته: من أوحش من الحق أهلكه الباطل، ومن اغتر بالدنيا عاجله الهلاك، ومن أحب نفسه لم يجعل له في المعصية سبيلًا.

ورئي مكتوب على حائط بستان: كيف يصفو سرور من ليس يدري أي وقت يفاجئه ريب المنون.

ووجد على حجر بالحيرة[٣١٤]:

من يعمل اليوم لدار البقا ... يجزيه مولاه غداة اللقا
فاعمل اليوم بحسن التقى ... تجزى به من سوء دار الشقا

ووجد على حجر بالجودي: الدنيا في إدبار، وأهلها منها في استكثار، والزارع عند التقوى يحصد الندم، والمغتر في طلابها يورث الهم.

وقرئ على حجر بالعبرانية:

اليأس مما بأيدي الناس مقنعة ... والمال يعجز والأخلاق[٣١٥] يتسع
لا تجزعن[٣١٦] على ما فات مطلبه ... هب قد جزعت فماذا ينفع الجزع

(٣٠٩) تجتنون: يجتنون، م ي.
(٣١٠) أنا: أنت، م ي. انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٦٧٩.
(٣١١) وأنا: وإنما، م ي. انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٦٧٩.
(٣١٢) كم: كما، م ي.
(٣١٣) ريش: الريش، م ي.
(٣١٤) الحيرة: الجزيرة، م ي.
(٣١٥) الأخلاق: الأخلاف، م ي. أنس المسجون وراحة المحزون ص١٨٨.
(٣١٦) تجزعن: يجزعن، م ي.

مبحث من نقوش الخواتيم

نقش بعض الحكماء على خاتمه: أعددت لديني حسن اليقين بربي.

ونقش آخر: جاري يا باري.

ونقش آخر: أنا بالله قانع، إن ربي لصانع.

ونقش آخر: أنا بالله واثق، إن ربي لرازق.

ونقش آخر: حب علي بن أبي طالب، فرض على الشاهد والغائب.

ونقش آخر: السلامة خير من الندامة.

ونقش آخر: الرجوع قبل الوقوع.

ونقش آخر: أنا وبالله، وبالله أنا والله مقر بالفنا

نقش خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة أسطر: محمد رسول الله.

نقش خاتم أبي بكر: نعم القادر الله.

نقش خاتم علي عليه السلام: الله الملك.

فصل من التوقيعات

كتب بعض عمال عمر إليه: إن الطاعون قد نزل بنا فأذن لنا أن نتحول إلى قرية. فوقع: إذا أتيت القرية فسلها عن أهلها.

وكتب بعضهم إلى بعض الخلفاء يخبره بكثرة جيوش الكفار، فوقع: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

وكتب المنصور إلى السفاح لما قتل ابن هبيرة يستأذنه في أمان الناس، فوقع: قد أمنت كل مذنب، وشكرت كل بريء، وجبرتُ[٣١٧] كل ولي.

وكتب إلى المهدي بإقبال الروم، فوقع: إنا بالأثر، وعلى الله الظفر.

وكتب ملك الروم إلى بعض الخلفاء يوعده، فوقع: وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار.

(٣١٧) جبرتُ: حبوت، ي. انظر البصائر والذخائر ٢/ ٢٣٤.

وكتب صاحب الأخبار إلى الصاحب أن داره يدخلها بعض الجواسيس، فوقع: دارنا خان يدخلها من وفيّ وخان.

وكتب بعضهم إليه يستميحه[٣١٨]، فوقع: إن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر فليس لكسرك من جبر والسلام.

فصل: أبيات في الحكم

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، نظمه بعضهم:

يا شاكي الدهر جهلًا في تصرفه ... لا تشك دهرك إن الدهر مأمور
ما ذنب دهرك والأقدار غالبةٌ ... وكل أمرٍ إذا وافاك مسطور
واصبر على حدثان الدهر وارض به ... ما دام في الدهر مهموم ومسرورُ

المتنبي:

وكل امرئ يولي[٣١٩] الجميل[٣٢٠] محبب ... وكل مكان[٣٢١] ينبت العزّ طيب

المهلبي:

يا مَنْ يُسَرُّ بلذة الدنيا ... ويظنها خُلقت لما يهوى
لا تكذبنّ فإنها خُلقت ... لينال زاهدُها بها الأخرى

وله:

إن توسطتَ إذا لم تترك ... وكففتَ النفس عن بعض الأرب
كان أرجى لك في العقبى من ... أن تملأ الدلو إلى عقد الكرب

(٣١٨) يستميحه: يستمحيه، ي.
(٣١٩) يولي: أولى، م ي. انظر خاص الخاص ص١٤٨.
(٣٢٠) الجميل: الجهل، ي.
(٣٢١) مكان: كلام، م ي. انظر خاص الخاص ص١٤٨.

فصل في الهواتف

مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن عيسى عليه السلام مر بخربة فقال - وسأل ربه أن تجيبه: أين أشجارك؟ وما فعل أنهارك؟ وما فعل قصورك؟ وأين سكانك؟ فهتف به هاتف: جاء وعد ربك فيبست أشجاري، ونشفت أنهاري، وخربت قصوري، ومات سكاني. قال: فأين أموالهم؟ قالت: جمعوها من حلال وحرام، فهي موضوعة في بطني، لله ميراث السماوات والأرض، فنادى عيسى: عجبت من ثلاثة: طالب دنيا والموت يطلبه، ومِنْ بانٍ للقصور والقبر منزله، ومن ضاحك ملء فيه والنار أمامه، يابن آدم لا بكثير تشبع، ولا بقليل تقنع، تجمع لمن لا يحمدك، وتقدم على رب لا يعذرك، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك».

الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتاهم آتٍ سمعوا صوته ولم يروا شخصه وقال: سلام عليكم أهل البيت، إن في الله خلفًا من كل فائت، وعزاء من كل مصيبة، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب مَنْ حُرم الثواب، فقال علي عليه السلام: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام.

ابن عباس قال: زار علي عليه السلام قبر فاطمة فبكى وانكب على القبر وقال:

مـا لـي مـررت علـى القبـور مسلمًا ... قبـر الحبيـب فلـم يـرد جوابـي
أحبيـب مـا لـك لا تجيـب مناديًـا ... أمللـت بعـدي خلـة الأحبابـي

فهتف به هاتف:

قـال الحبيـب وكيـف لـي بجوابكـم ... وأنـا رهيـن جنـادلٍ[٣٢٢] وتـرابِ
أكل التراب محاسـني[٣٢٣] ونسيتكم[٣٢٤] ... وحُجِبْـتُ عـن أهلـي وعـن أترابـي
فعليكـمُ منـي السـلام تقطعـت ... عنـي وعنكـم خلـة الأحبـابِ

خرج الحسين بن علي عليهما السلام ليلة إلى المسجد، فلما انتهى إلى الباب فرمى بطرفه إلى السماء وقال: اللهم غلقت الملوك أبوابها وقام عليها حراسها، وبابك مفتوح لمن دعاك.

(٣٢٢) جنادلِ: جنادي، م ي. بستان الواعظين ص٢٠٢.
(٣٢٣) محاسني: محاسنكم، م ي. بستان الواعظين ص٢٠٢.
(٣٢٤) ونسيتكم: فنسيتكم، م ي. انظر بستان الواعظين ص٢٠٢.

ثم صلى ركعتين وقال:

يـاذا المعالـي عليـك معتمـدي طوبـى لمـن كنـت أنـت مـولاه
طوبـى لمـن كان خائفًـا وجـلًا يشـكو إلـى ذي الجـلال بلـواه
ومـا بـه علّـة ولا سـقمٌ أكثـر مـن حبـه لمـولاه
إذا خـلا فـي المنـام مبتهـلًا أكرمـه الله ثـم أدنـاه
إذا شـكا بثـه وحاجتـه أجابـه الله ثـم لبّـاه

فسمع صوتًا من السماء:

لبيـك عبـدي فأنـت فـي كنفـي وكل مـا قلـت قـد علمنـاه
صوتـك تشـتاقه ملائكتـي فحسـبك الصـوت قـد سـمعناه
لـو هبـت الريـح مـن جوانبـه خـر صريعًـا لمـا تغشـاه
دعـاك عبـدي يجـول فـي حجبـي وذنبـك اليـوم قـد غفرنـاه
سـلني بـلا حشـمة ولا رهـبٍ ولا تخـف إننـي أنـا[٣٢٥] الله

وهاتف مكة عند الهجرة وهاتف سواد بن قارب قد مر في أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبكت الجن على الحسن عليه السلام وناحت بقوله:

مسـح الرسـول جبينـه فلـه بريـق فـي الخـدود
أبـوه مـن عليـا قريـش جـده خيـر الجـدود

وناحت الجن أيضًا:

سـيبكيك[٣٢٦] نسـاء الـ ـجن يبكيـن شـجِيّاتٍ[٣٢٧]
ويُخَمِّشْـنَ[٣٢٨] وجوهًـا كالدنانيـر نقيـات
ويلبسـن[٣٢٩] ثيـاب الـسـ ـود بعـد القصبيّـات[٣٣٠]

(٣٢٥) تخف إنني أنا: تخفني فإنني، ي.
(٣٢٦) سيبكيك: ستفديك، م ي. تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩.
(٣٢٧) يبكين شجِيّاتٍ: يبكي بحات، م ي. تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩.
(٣٢٨) يُخَمِّشْنَ: تخمش، م ي. تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩.
(٣٢٩) يلبسن: تلبس، ي. انظر تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩.
(٣٣٠) القصبيّات: العصبات، م ي. تاريخ الطبري ٤/ ٢١٩.

عباس بن خلف عن أبيه: لما توفي عمر بن عبد العزيز سمع[٣٣١] بمكة صوتًا:

عنا جزاك إله الخلق صالحة ... في جنة الخلد والفردوس يا عمرُ
أنت الذي لا نرى عِدْلًا يُسَرُّ به[٣٣٢] ... من بعده ما جرت شمس ولا قمر

فجاءهم النعي بعد ذلك، فأجيب الهاتف:

تنعي النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله فاعتمرا
حملت أمرًا عظيمًا فاصطبرت له ... وسرت فيه بحكم الله يا عمر
والشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبلى عليك نجوم الليل والقمر

ونظر هشام بن عبد الملك في المرآة فاستحسن وجهه فقال: أنا الملك الشاب، فهتف به هاتف:

أنت خير المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمت منك بعيب ... كان للناس غير أنك فاني

وسمع في جنازة الحجاج هاتف يقول: ﴿وَرُدُّوٓا[٣٣٣] إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

ولما مات المأمون جزعت جارية من جواريه غاية الجزع وخرجت حافية حاسرة، وكان عند طلوع الشمس قالت:

يا ملكًا لستُ بناسيه ... نعى إليه الموت ناعيه
والله لو يُقبل فيه[٣٣٤] الفدا ... لكنت بالمهجة أفديه

فهتف بها هاتف:

يا هذه من جزع أقصري ... قد غلق[٣٣٥] الرهن بما فيه

(٣٣١) سمع: فسمع، م ي.
(٣٣٢) نرى عِدْلًا يُسَرُّ به: يرى عدل بسرته، م ي. كتاب الهواتف لابن أبي الدنيا ص٣٣.
(٣٣٣) في الأصل: ثم ردوا. والصواب ما أثبتناه من نص الآية. وقد وردت بلفظ: (ثم ردوا) في سورة الأنعام آية: ٦٢ هكذا: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾.
(٣٣٤) فيه: فيك، م ي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١١/ ٣٦.
(٣٣٥) غلق: علق، ي. مرآة الزمان ١٤/ ٢٢٥.

فغشي عليها.

وعن مالك بن دينار: خرجت إلى المقابر وناديت:

أتيت القبور فناديتها فأين المعظَّم والمحتَقَر[٣٣٦]
وأين المدل بسلطانه وأين المطاع إذا ما أمر

قال: فنوديت ما أرى أحدًا[٣٣٧]:

تفانوا جميعًا فما مخبر وماتوا جميعًا ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما مضى معتبر
تروح وتغدو بنات[٣٣٨] الثرى وتمحى محاسن تلك الصور

عبد المنعم بن إدريس قال: يحكى أن عابدًا عبد الله سنين كثيرة، فأتاه الشيطان وقال: ما الذي حملت[٣٣٩] عليه نفسك من الشدة؟ فكأن النار خلقت لك وحدك[٣٤٠]، ادخل المدينة وخالط الناس، فدخل المدينة فرأى من المنكرات والمعاصي ما استعظمه، فضاق صدره وأراد الانصراف فاستحيا من ربه، فلما طال تفكره قال: على كل حال مولاي أرحم بي من غيره، فرجع إلى صومعته، فنودي: توكلت علينا فكفيناك، وأثرت علينا فتركناك، وأقبلت إلينا فقبلناك، وفارقت ذنوبًا فغفرناها لك[٣٤١].

وسمعت صوتًا ولم أر قائله:

سأترك ما بيني وبينك واقفًا فإن عدت عدنا والوداد سليمُ
تُواصِلُ قومًا لاوفاء[٣٤٢] لعهدهم وتترك مثلي والوفاء قديم
فلو قد بلوت الناس حق اختبارهم رجعت إلى وصلي وأنت كريمُ

وعن عبيد بن عبد الواحد قال: أخذت حظًا من العلم وتزهدت، فلحقني [ضيق] في

---

(٣٣٦) المحتَقَر: المفتخر، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤٨٧.
(٣٣٧) أحدًا: أحد، م ي.
(٣٣٨) تروح وتغدو بنات: يروح ويغدو نبات، م ي. انظر عيون الأخبار ٢/ ٣٢٦.
(٣٣٩) حملت: حملك، م ي.
(٣٤٠) وحدك: وحدها، م ي.
(٣٤١) غفرناها لك: غفرناك، م ي. نوادر القليوبي ص١٧.
(٣٤٢) قومًا لاوفاء: قوم بالوفاء، م ي. المدهش ص٢٢٤.

المعيشة، فقدم علينا فلان أميرًا وكان يعرفني، فكنت[٣٤٣] أكتب إليه، فمررت بصومعتي يومًا فسمعت صوتًا ولا أرى شخصًا:

نادتك دنياك فلبيتها تلبية بعت بها الآخره
آثرت دنياك على جنة لك لعمري صفقة خاسره
فافزع إلى التوبة مستأثرًا فإنها مرتبة فاخره

فدخلت الصومعة فلم أر أحدًا، ففزعت وأقمت وتبت.

وعن زيد بن أسلم قال: خرج رجل غازيًا وامرأته حامل، فوضع يده على بطنها وقال: اللهم إني أستودعك ما في بطنها، وخرج، فماتت امرأته، فكان يُرى من قبرها ضوء فيقولون: لعلها تُعذَّب، فلما[٣٤٤] رجع قُصَّ[٣٤٥] عليه القصة وقيل له: أي امرأة كانت؟ فقال: كانت عفيفة مسلمة، فقالوا: نرى من قبرها ضوءًا، فأتى الزوج القبر، فلما جاء القبر [إذا] بالضوء انكشف له وامرأته فيه ومعها صبيها، فأخذه، فهتف به هاتف: هذا ابنك الذي استودعتنا، ولو استودعت أمه لرددناها عليك، فكان يسمى المستودع. قال زيد: فرأيته رجلا يسمى المستودع، ورآه عمر مع أبيه يحمله على عاتقه، فقال: ما رأيت غرابًا بغراب أشبه من هذا به، فقال: يا أمير المؤمنين ولدته أمه وهي ميتة. وقص القصة.

وعن مسلمة بن خالد القرشي قال: لما توفي الحسن بن الحسن بن علي اعتكفت فاطمة بنت الحسن على قبره سنة وضربت فسطاطا[٣٤٦]، فلما بلغت السنة أمرت فقلع الفسطاط، ثم أنشأت تقول:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

ورجعت إلى المدينة، فهتف بها هاتف: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه هاتف من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا.

وعن مالك بن دينار أن صبيًا أخذه السبع، فتصدقت أمه برغيف، فرمى به ونوديت: لقمة بلقمة.

---

(٣٤٣) كنت: كتب، م ي.
(٣٤٤) فلما: فلا، ي.
(٣٤٥) قُصَّ: وقص، م ي.
(٣٤٦) فسطاطا: فسطاطًا، ي.

وعن خُلَيْد بن عبد الله قال: كنت أصلي وأردد هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فنادى مناد من ناحية البيت: كم تردد الآية فقد قتلت أربعة من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء حتى ماتوا، فوله خليد ولهًا.

وعن عبد الله بن شداد قال: دخلت مقبرة بني عامر فقلت:

أهل المقابر قد تساوى[٣٤٧] بينكم ... أين الضعيف من الكريم السيد
أين الجبابرة الملوك وأين من ... قد كان بالدنيا نصير[٣٤٨] مجهد
أين الحسان ذوو النضارة[٣٤٩] والنهى ... أين المليح من القبيح الأسود
أين الذين على العبادة أقبلوا ... وحملوا[٣٥٠] قلوبهم عن الأمر الردّي[٣٥١]
أين الذين تجبروا وتعظموا ... وعلو علوًا لم يكن بالمرشد

فهتف بي هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه:

إن المنية عاصفتهم[٣٥٢] بغتة ... فهمُ رقودٌ جوف قبر ملحد[٣٥٣]
قد دبت الديدان فوق جلودهم ... وسعت هوام الأرض في الوجه الندي
كم من أكف قد تناثر لحمها ... ومفاصل قد بان عنه وأسْعُدِ

وعن محمد بن قاسم: كان بنصيبين رجل يكنى أبا عمرو مسرف على نفسه، وكان لا يصحو من شرب الخمر، فانتبه ذات ليلة مرعوبًا، وقال: هتف بي هاتف:

جد بك الأمر أبا عمرو ... وأنت معكوف على الخمر
تشرب صهباء صراحية ... سال بك السيل ولا تدري

فلما أذن لصلاة الفجر خر ميتًا.

وعن محمد بن علي القرشي، عن أبيه قال: عزم أبي على الحج فلم يقدر له عامه ذلك،

(٣٤٧) تساوى: تسوى، م ي. الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي ص٤٤.
(٣٤٨) نصير: بصير، م ي. الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي ص٤٤.
(٣٤٩) النضارة: العصارة، م ي. الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي ص٤٤.
(٣٥٠) حملوا: خلوا، م ي. الفوائد والزهد والرقائق والمراثي للخلدي ص٤٤.
(٣٥١) الردّي: الرد، م ي.
(٣٥٢) عاصفتهم: غافصتهم، م ي. مثير الغرام ص٥٠٣.
(٣٥٣) قبر ملحد: لحد رقد، م ي. مثير الغرام ص٥٠٣.

فتأخر عازمًا على بناء قصرٍ، فبناه وتأنق في موضعه وتزيينه، وفرش له فيه، فهتف هاتف:

أتعبت نفسك في عمارة منزل ... عما قليل أنت عنه ظاعن
فاعمر أمامك منزلًا(٣٥٤) لتحله ... ودع التغافل إن(٣٥٥) ذاك الكائن

فلم يأت عليه شهر حتى مات.

وعن أبي الدنيا: سمعت محمد بن الحسن الدحلاني [يقول]: عدت مريضًا فهتف هاتف من زاوية البيت:

نادِ ربَّ البيت ذا المال الذي ... جمع المال بحرصٍ: ما فعل؟

فأجابه هاتف من الجانب الآخر:

كان في دارٍ سواها دارهُ ... علّلَتْه بالمنى ثم انتقل
لم يُمَتَّعْ بالذي كان حوى ... من حطام المال إذ جاء الأجل
إنما الدنيا كظل زائل ... طلعت شمس عليه فاضمحل

وعن عبادة بن أبي عباد المهلبي أن بعض مياسير البصرة كان يتنسك أولًا ثم مال إلى الدنيا، فبنى دارًا وشيدها وزينها وفرشها وقعد فيها، واجتمع إليه الناس وأعجبوا بقصره وداره، فعزم أن يبني لولده مثله، فهتف به هاتف وهو مع جلسائه:

يا أيها الباني الناسي منيته ... لا تأمنن فإن الموت مكتوبُ
على الخلائق إن سُرُّوا وإن كرهوا ... فالموت حتفٌ لذي الآمال منصوب
لا تبنينَّ ديارًا لستَ تسكنها ... وراجع النسك كيما يُغْفر(٣٥٦) الحوب

فجزع وجزع أصحابه ثم تاب وقال: اللهم إني أشهدك أني تائب، واهريق الشراب، وكسر الملاهي، ثم لم يزل يقول: الموت الموت [حتى مات](٣٥٧).

وعن أبي عروبة قال: كان قوم يجتمعون قبل الحرة في مجلس لهم يسمرون بالليل، فلما

(٣٥٤) منزلًا: منزلك، م ي.
(٣٥٥) إن: آت، ي.
(٣٥٦) يُغْفر: يعرف، م ي. هواتف الجنان ص٤٢.
(٣٥٧) هواتف الجنان ص٤٢.

جاءت الحرة افترق الناس وقتل[٣٥٨] من قتل، وقتلوا وأفلت رجل واحد فرجع إلى مجلسهم ليلة فلم ير أحدًا، فجاء الليلة الثانية[٣٥٩] والثالثة فلم يحس أحدًا، فعلم أنهم قتلوا، فتمثل:

تفرقت الكماة فأوحشوني كفى حزنًا بذكري للكماة[٣٦٠]

فهتف به هاتف:

فدع عنك الكماة[٣٦١] فقد تولوا ونفسك فارعها قبل الممات
فكل جماعة لا بد يومًا يفرق بينها صدم الشتاتِ

أحمد بن يونس قال: كان عندنا شاب بالموصل أولع بالمعصية، وكان يستتر[٣٦٢] جهده، لأنه كان من أهل بيت صالح، فهم ليلة بفاحشة فهتف به هاتف:

يا كاتم الذنب ومخفيه أين من الله تواريه
بارزت بالعصيان رب العلى وأنت من جارك تخفيه

ففزع الفتى وتاب، وتوفي بعد أيام، فرأته والدته في النوم وبين يديه نار فقالت: ما فعل بك؟ فقال: لولا نعمة ربي لكنت من المحضرين.

وعن المسلم بن العبيد قال: رأى رجل بطبرستان ورق الأشجار قد تناثر وتراكم، فتفكر وقال: إن الله يحصر هذا كله، فنودي: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وعن أبي عمرو بن العلاء: خرجت إلى ضيعة فكنت أدور في رياضها إذ هتف بي هاتف:

وإن امرءًا دنياه أكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور

عن ذي النون قال: سمعت سري السقطي قال: لعبت مع بنية لي فهتف بي هاتف: أقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين.

---

(٣٥٨) قتل: قيل، ي.
(٣٥٩) الثانية: الثالثة. م ي.
(٣٦٠) بذكري للكماة: لعقدي للماتِ، م ي. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص١٢٨.
(٣٦١) الكماة: الممات، م ي. محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص١٢٨.
(٣٦٢) يستتر: يسير، م ي.

وعن أبي بكر الوراق: خطر لي خاطر وأنا مار في تيه بني إسرائيل أن علم الحقيقة مباين للشريعة، فهتف بي هاتف: يا أبا بكر، كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كُفْرٌ.

وعن ابن العباس المروزي قال: رأيت أبا محمد المزني في المنام عليه ثياب بيض، فقال: يا أبا العباس، أما سمعت ما هتف به هاتف؟ قلت: ما هو؟ فقال:

يا غافلًا عن مجلس التوبة ... اصبر فقد آن لك التوبة
يا ساهيًا عما به تاركًا ... شمر فقد صاح بك الأوبة

ومر عدي بن زيد مع النعمان بن المنذر بمقبرة فهتف هاتف:

فيا[٣٦٣] الركب المجدون ... إلى أين تخبون
فما للموت من حيف ... على كل تموتون
وكل الخلق لا بد ... بكأس الموت يسقون
وهذا الموت لا بد ... كما ذقنا تذوقون
وكل الخلق إلى الله ... إلى الله يصيرون
فيموتون جميعًا ... وإلى القبر يزفون

وروي أن بعضهم أراد أن يخلو بفاحشة، فنودي: يا من استتر[٣٦٤] بالجدار عن الجار، أما تستحي من[٣٦٥] الملك الجبار.

الهاتف في زمن الأنبياء عليهم السلام: يجوز أن يكون جنيًا، أو ملكًا، أو صوتًا يُسمعه الله خلقه.

فأما في غير زمن الأنبياء فيكون على ثلاثة أوجه: إما أن يرى في النوم، أو يخطر على قلبه، أو يسمع من آدمي ولا يرى شخصه.

تمّت فصول الحكم بحمد الله تعالى

---

(٣٦٣) فيا: أيها، م ي.
(٣٦٤) استتر: ستر، ي.
(٣٦٥) من: عن، ي.

باب المعاصي والجرائم

فصل في المعصية وأثرها

مبحث في قوله تعالى:

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠].

الكلام في هذا من وجوه أربعة:

أحدها: أن الآدمي قد فضل على غيره، وفيه الكلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠].

والثاني: أنه بالمعصية يخرج عن درجة الصالحين، وفيه الكلام في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ [الحشر:٢٠].

والثالث: أنه يصير بمنزلة الأنعام بوجوه، وقد دل الكلام في قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ [الفرقان:٤٤] ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ [محمد:١٢].

والرابع: أنهم أشر من الأنعام، وأنهم يتمنون حال الأنعام، ويدخل فيه الكلام في قوله: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾.

أما الأول: قوله: ﴿كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، الله تعالى خلق الخلق ثم كرم الحيوان بالحياة، وكرم الآدمي بالعقل وأشياء غيره، وكرم منهم المؤمنين، واصطفى من المؤمنين الأنبياء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ..﴾ الآية [آل عمران:٣٣]، وكرَّمنا بالتشديد إشارة إلى الإكرام مرة بعد مرة.

ونعم الله كثيرة[١] لا يدخلها العد، غير أنا نذكر وجوهًا في ذلك: فمنها أن جعل أصلهم من التراب، خلقهم من تراب، وخلق الجان من النار، والتراب أفضل لوجوه: لقبول الأمانة، ولأنه منصرف الخلق، ومنه المعيشة، وتحتاج النار إليه.

ومنه: النبات، والأشجار، والمياه التي بها الحياة، والنار مهلكة وعقوبة.

ومنها: الصورة ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]، وقال: ﴿خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف:١١]، هو المصور يصور ويقدر ويدبر ليس له في تصويره[٢] وزيرٌ، ولا في تقديره ظهير، ولا في تدبيره مشير، وهو الفرد القديم.

ومنها: اعتدال الخَلْق، قال تعالى: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٧، ٨]، وقال: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، فجعله يأكل بيده، ويمشي برجله قائمًا بخلاف الأنعام، أحسن صورته، وسوى خلقته، تبارك الله أحسن الخالقين، وقال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ...﴾ الآية [النور:٤٥].

ومنها: الرزق، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الأنفال:٢٦]، لنا الحب والثمار، ولها التبن وورق الأشجار، ولنا اللحم، وللكلب العظم، فغذاء السباع الجيف، وغذاء الدواب الورق والتبن، وغذاء الطيور القمامة، وغذاء ابن آدم أطيب الرزق. عن الحسن: لباب البر بلعاب النحل بدهن[٣] اللوز ما عابه مسلم. وعنه: إن نعمة الله علينا في الماء البارد أكثر.

ومنها: التسخير، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الجاثية:١٣][٤]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [إبراهيم:٣٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ [إبراهيم:٣٢]، ﴿وسخر لكم الأنهار﴾[٥]، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [الزخرف:١٣]، ولم يسخرنا لأحد، وقال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً..﴾ [النحل:٨] الآيات ونظائرها.

ومنها: أنه خلق الأشياء لنا ولم يخلقنا لغيرنا و﴿الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

---

(١) كثيرة: كبيرة، ي.

(٢) تصويره: تصوير، ي.

(٣) بدهن: يدهن، ي.

(٤) في م ي: (إن الله سخر لكم ما في الأرض جميعا) وما أثبتناه من المصحف.

(٥) في م ي: (الأنعام).

[البقرة:٢٩]، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة:٢٢][٦]، فالجميع لمنافعنا إما دينًا أو دنيا.

ومنها: العقل، والأشياء على وجوه: جماد، ونام[٧]، وحي، وناطق، وعاقل، ففضل الإنسان بخمس درجات بخلاف الأنعام والدواب ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:٢٦٩] يعني[٨] العقل والفهم يا أولي الألباب.

ومنها: النطق ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن:٤].

ومنها: البيان والجدال ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل:٤].

ومنها: الكتابة ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٤، ٥].

ومنها: خصهم بالتكليف، وبعث إليهم الأنبياء ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا..﴾ الآية [المؤمنون:٤٤]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥].

ومنها: الكتاب والشرع، والأمل واليمين، والوعد والوعيد، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]، وخَلْق الجنة ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [مريم:٦٣]، وغير ذلك مما لا يمكن عدها.

ومنها: أن جعل منهم الرسل، خصوصًا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنه: أنه كرمهم بالأصابع للأعمال ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:٤].

ومنها: القبر ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:٢١] بخلاف الدواب، فهذه خمسة عشر وجهًا قليل وكثير، فإذا عصى الله فقد أسقط درجته حتى قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ﴾، وقيل: إنه في أول درجته قال: ﴿لَا يَسْتَوِى [أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ] ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:٩٥][٩]، ثم قال بأنه كالدواب[١٠]، ثم قال كالكلب[١١]، ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

ويقال: إن الله تعالى ركب فينا عقلًا وشهوة، وفي الدواب شهوة، وفي الملائكة عقلًا، فمن

(٦) في م ي: (أم من جعل الأرض فراشا والسماء بناء).

(٧) نام: وام، ي.

(٨) يعني: يعقل، م ي.

(٩) في م ي: (لا يستوي المؤمنون)، وما أثبتناه من المصحف.

(١٠) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الأنفال: ٢٢.

(١١) في قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ الأعراف: ١٧٥.

تبع عقله وغلب هواه التحق بالملائكة، ومن ركب هواه وغلب عقلَه شهوتُه التحق بالأنعام، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ﴾ [الفرقان:٤٤]، ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ﴾ [محمد:١٢].

وأما الفصل الثاني: فقوله: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠]، الله ذكر أشياء أنها لا تستوي، وهي خمسة أشياء:

منها: العالم والجاهل ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ..﴾ الآية [الزمر:٩].

ومنها: الماء العذب والمالح ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ [سَائِغٌ شَرَابُهُ] وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر:١٢].

ومنها: النور والظلمة، والأعمى والبصير، ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ [فاطر:٢٠، ٢١]، وما يستوي الحي والميت ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [فاطر:٢٢].

ومنها: الحلال والحرام، وأبو بكر وغيره، والمجاهد والقاعد، والمؤمن والكافر، والعفو والأذى، وأهل الجنة والنار، والمطيع والعاصي.

أما الأول: فقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، قيل: العالم أمير والجاهل حقير، العلم يُجلس المملوك مجالس الملوك. وقيل: العالم مالك والجاهل هالك فأنى يستويان، العالم محبوب والجاهل محجوب، والعالم شريف والجاهل ضعيف.

وأما الثاني: فقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر:١٢] هذا صاحبه يريقه، وهذا يشربه[١٢] ويذيقه، وهذا يزيد في الدهش وهذا يسكن العطش، هذا حياة وهذا ممات.

شعر:

لا يستوي العذب الفرات لشارب والآخر الملح الأجاج إذا سجا

وأما الثالث والرابع والخامس والسادس: فقوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿الْقُبُورِ﴾ [فاطر:١٩-٢٢].

أما الأعمى قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ﴾ [يونس:٣٥]، والآخر النور سرور وحبور، والظلمة شر وضر.

---

(١٢) يشربه: يشربع، ي.

وأما الحي، فالحي يأكُل والميت يُؤكل، الحي يَسمع ويُجيب، والميت ينادَى فلا يجيب أنى يستويان، ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠].

شعر:

كـم مـن أخٍ[١٣] لـي كان يؤنسـني ... أصبح[١٤] تحت التـرب منجـدلا
لا يسـمع الصـوت إن هتفـت بـه ... ولا يـرد الجـواب إن سـئلا
لـو خلـد الله - فاعلمـوا - أحـدًا ... لخَلَّـدَ الأنبيـاء والرسـلا

فأما الحلال والحرام: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]، هذا يحاسب حسابًا يسيرًا وينقلب إلى أهله مسرورا، وهذا يعذب عليه حين يدعو ثبورا ويصلى سعيرا، هذا قليل وإن جَلَّ، وهذا جليل وإن [قَلَّ]، فأنى يستويان؟

شعر:

للقمـة بجريـش الملـح آكلهـا ... ألـذّ مـن تمرة[١٥] تحشـى بزنبـور[١٦]
لا خيـر فـي طمـع يهـدي إلـى طمـع ... وغُفَّـةٌ[١٧] مـن قـوام العيـش تكفيني

آخر:

حـلاوة دنيـاك مسـمومة ... فمـا تـأكل الشـهد إلّا بسـم

فأما أبو بكر وغيره فقوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ..﴾ الآية [الحديد: ١٠]، نزلت في أبي بكر، صدق[١٨] وتصدق، وأنفق وأعتق، ورافق ووافق، صدق بمقاله، وتصدق بماله، أعتق العبيد، وأنفق الطارف والتليد[١٩]، وافق كتاب الله، ورافق رسوله، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١٣) من أخٍ: أخي، ي.
(١٤) أصبح: فصار، ي.
(١٥) تمرة: تمرى، م ي. انظر حلية الأولياء ٨/ ١٠.
(١٦) زنبور: زيتون، م ي. انظر حلية الأولياء ٨/ ١٠.
(١٧) الغُفَّةُ: البلغة من كل شيء. العين (غف).
(١٨) صدق: صديق، م ي.
(١٩) الطارف من المال: المستحدث، وهو خلاف التليد. الصحاح (طرف).

شعر:

وسميت صديقًا وكل مهاجر سواك يسمى باسمه غير منكر
وبالغار إذ في الغار سميت صاحبًا وكنت رفيقًا للنبي المطهر

فأما المجاهد والقاعد فقال: ﴿لا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ..﴾ الآية [النساء:٩٥]، قيل: هذا خطواته عبادة، وهذا خطواته بلا فائدة، وهذا يقاتل[٢٠] في رضى ربه، وهذا قاعد في بيته، هذا يقاتل[٢١] على فرسه، وهذا معانق لعرسه.

وأما الكافر والمؤمن كقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ [السجدة:١٨]، وقوله: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً..﴾ الآية [آل عمران:١١٣]، قيل: نزلت في علي[٢٢] عليه السلام، قيل: هذا يمجده[٢٣]، وهذا يجحده، هذا يشكره، وهذا ينكره، هذا يعلمه، وهذا يجهله، أنى يستويان.

شعر:

إذا شغل الناس أسواقهم فعيش المحبين نجواهمُ
بضاعتهم صومهم بالنهار وطول القيام لمولاهم
تشاغل قوم بدار الفناء وقوم تخلوا لمغناهم
فعرفهم باب مرضاته وعن سائر الناس أغناهمُ
فطوبى لهم ثم طوبى لهم وطوبى لهم حين أحياهمُ
فطورًا ينوحون عن حبه وطورًا تباكوا خطاياهمُ
فقال لهم ربهم مرحبًا وأهلًا وسهلًا وأدناهمُ

وأما الحسنة والسيئة: فقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت:٣٤]، هذا وجهته مولاه[٢٤]، وهذا قبلته[٢٥] هواه، هذا من الرحمن، وهذا من الشيطان، أنى يستويان؟

شعر:

هبني أسأت فإن أسأت فأين عفوك والمروه

(٢٠) يقاتل: يقابل، م ي.
(٢١) يقاتل: يقابل، م ي.
(٢٢) علي: عليه، م ي.
(٢٣) يمجده: يوحده، م ي.
(٢٤) وجهته مولاه: موالاه، م ي.
(٢٥) قبلته: تركته، م ي.

ولما ظفر الحجاج بأصحاب ابن الأشعث أمر بضرب أعناقهم، فأتي في آخرهم برجل تميمي فقال: يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو، فقال الحجاج: أفٍ لهذه الجيف، أما كان ينبغي أن يقول واحد مثل هذا، وعفا عنه.

فأما الجنة والنار: لقوله: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠]، هؤلاء مسجونون وهؤلاء مسرورون، هؤلاء مقربون وهؤلاء معذبون، هؤلاء مسلسلون ومصفدون وهؤلاء مكرمون مبجلون، أصحاب النار لهم ويل وعويل، وأصحاب الجنة لهم خير وسلسبيل.

شعر:

حطب النار شباب ... وشيوخ وكهول
ونساء عاصيات طال منهن العويل

هؤلاء الفائزون وهؤلاء الهالكون، فازوا بالجنان، ورضى الرحمن، شباب لا يعتريه هرم، وبصحة[٢٦] لا تعتريه سقم، وسرور لا يكدره[٢٧] غم، وراحة لا ينغصها همٌّ، وحياة لا يعقبها موت، ومُلكٌ لا يعقبه زوال، وفِّرت[٢٨] لهم الدرجات في الجنان[٢٩]، والنجاة من النيران، والأمن والأمان.

فأما العاصي والمطيع قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية:٢١]، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ..﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ﴾ [التوبة:١٩]، هذا ولي الله ورسوله، وهذا عدو الله ورسوله، هذا محمود، وهذا مذموم، هذا يبشَّر عند موته، وهذا ينكر عليه، وسائر الوجوه التي خالف الله فيها بين العاصي والمطيع.

فأما الثالث: فهو أن العاصي يصير كالأنعام، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الفرقان:٤٤]، وقد ساووها في وجوه: قال[٣٠] تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البقرة:١٧٢]، وقال: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقال بعضهم: إن الأنعام لا عقل لها - يعني اختيارها - وهذا له عقل، [لكنه] شرب الخمر فألحق نفسه بالبهائم، لا جرم بَعُد من

(٢٦) بصحة: صحة، م ي.
(٢٧) يكدره: يكدر، ي.
(٢٨) وفِّرت: وفوت، م ي.
(٢٩) الجنان: الجنانا، ي.
(٣٠) قال: وقال، م ي.

نشاط [خير] البرية ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣]، وطرد من نشاط الخدمة، وغدا يبعد من نشاط القربة والنعمة، وصار من أعداء الرحمن وأولياء الشيطان بمنزلة الدواب التي لا عقل لها ولا تمييز.

ولما اختلف درجة المؤمن والفاسق، التحق المؤمن في صفاته بالملك والرسول ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾ [النحل:٥٠]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ [البقرة:٩٧]، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء:٦٩] ونظائرها.

والتحق الفاسق بالأنعام، وقد قيل في مساواتهم وجوه:

منها: أن الدابة تعلم أحوال الدنيا فقط والعاصي كذلك، ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم:٧]، وقال: ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم:٢٩، ٣٠]، ومن دعائه صلى الله عليه: «اللهم لا تجعل الدنيا أكثر همنا ولا مبلغ علمنا».

ومنها: أن همة الدابة التمتع[٣١] والنوم، كذلك الفاسق ﴿يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ [محمد:١٢]، وفي الخبر: «جيفة[٣٢] بالليل بطال بالنهار».

ومنها: أنه ثبت له صفة الحمارية والبقرية وغيرها، فلا ينفع أمْرٌ ولا نهي، ولا وعد ولا وعيد، كذلك الفاسق ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف:١٧٦].

ومنها: أن لهم عينًا وسمعًا وفؤادًا لا يعقلون بها من أمور الدنيا شيئًا ولا يتفكرون، كذلك الفساق ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ..﴾ الآية [الأعراف:١٧٩]، ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨].

ومنها: أنه لا صلاة له ولا زكاة له ولا يعلم خالقه كالفاسق ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢] الآيات.

ومنها: أن الدابة إذا دخلت المسجد أخرجت لعدم العقل، ولذلك قال صلى الله عليه وآله

---

(٣١) التمتع: والتمتع، ي.

(٣٢) جيفة: حيفه، م ي. حلية الأولياء ١/ ٣٥٨.

وسلم: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم»، كذلك الفاسق شارب[٣٣] الخمر ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣].

ومنها: أنه لا يتفكر في عاقبة أمره، كالفاسق، ولا يعتبر بالآيات ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦]، ونظائر ذلك كثير.

ومنها: أنه لا لطف، به يصير مؤمنًا، كما لا لطف للكلب يترك اللهث، قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ..﴾ الآية [البقرة:٦].

فأما الدرجة الرابعة: فهو أن العاصي شر من الأنعام والكلب:

فمنها: أن الله قد أمر الفاسق ونهى، وأجرى عليه العلم، ووعده وأوعده، ولم يفعل ذلك بالأنعام، ومع ذلك عصى هو، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧].

ومنها: أن الفاسق له عقل فيُقْدِم على المعصية مع العلم به ومع عقله بخلاف الأنعام.

ومنها: أن النَّعَم رُفع عنها أحكام أفعالها حتى قال الرسول: «جرح العجماء جبار»، ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء:٧٨].

ومنها: أن الدواب في السراء والضراء يفر إلى مالكه من غير وصية، وأنت لا تفر إلى مولاك مع كثرة الوصية ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠]، ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ[٣٤]﴾ [الزمر:٥٤]، ﴿وَتُوبُوٓا۟ وَسَارِعُوٓا۟﴾، ﴿وَجَٰهِدُوا﴾، و﴿سَابِقُوٓا۟﴾، قال تعالى حاكيًا عن موسى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء:٢١] يعني المخلوقين إلى رب العالمين ﴿فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:٢١]، وفي الخبر: «يأتي على الناس[٣٥] زمان يكون خير مال المسلم غنيمة له في شَعَفِ الجبال[٣٦] ومواضع القطر يفر بدينه حتى يأتيه الموت»، وكان أصحاب الكهف فروا بدينهم وتبعهم كلبهم، فأثنى الله عليهم وذكر كلبهم.

---

(٣٣) شارب: شار، ي.

(٣٤) فيم ي: إلى الله. وما أثبتناه من المصحف.

(٣٥) الناس: النار، م ي. انظر أمالي ابن بشران ص٢٦.

(٣٦) شَعَفُ الجبال: رؤوسها. تاج العروس (شعف)، وفي المخطوط (سعف الحال)، والتصحيح من آمالي ابن بشران ص٢٦.

ومنها: أن الدابة لا تخالف مالكها، حتى إن كل دابة لا تطيع لأحد تطيع لمالكها، حتى الكلب العقور يتبصبص[٣٧] لمولاه، حتى الفيل يطيع من[٣٨] رباه وأحسن إليه، والعاصي لا يطيع ربه مع كثرة نعمه، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]. وقد ذكرنا في باب العبودية ما يليق بهذا الفصل.

ومنها: أن الدواب يسجدون ويسبحون ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ﴾ [الإسراء:٤٤]، ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الرعد:١٥]، وبنو آدم ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق:٢١].

ومنها: أن الدواب ما عصت الله، وما شكاها الله، ولا قتلت رسولًا، بخلاف العاصي، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١]، وقيل في تسبيح الدواب أقوال: منها أنه يدل على تنزيه الله؛ لأنها تنطق، وقيل: إنها تنطق جبرًا[٣٩]، وقيل: اختيارًا، ولما بلغ بيونس الحوت إلى أسفل البحر سمع حسًا فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله أنه تسبيح دواب البحر.

ومنها: أن الدواب لا تخضع لجماد، وبنو آدم تعبد جماد ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥].

ومنها: أن الدابة [لا] تخالف[٤٠] الوعيد، إذا زُجرتْ تنزجر، بخلاف الفاسق، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح:٦]، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة:١٢٥]، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو يعلم[٤١] البهائم ما تعلمون من الموت لما أكلتم منها سمينًا».

ومنها: أن الدابة تعمل ما خُلقتْ[٤٢] له، وخُلِقَ بنو آدم للطاعة ولا يعملون ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ [إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]﴾ [الذاريات:٥٦].

ومنها: أن الدابة تتوكل على ربها في رزقها، وبنو آدم لا يتوكلون ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ﴾

---

(٣٧) بَصْبَصَ الكلب وتَبَصْبَصَ: حرك ذَنَبه. الصحاح (بصبص).

(٣٨) من: لمن، م ي.

(٣٩) جبرًا: خيرًا، م ي.

(٤٠) لا تخالف: تخالف، م ي.

(٤١) انظر شعب الإيمان ١٣/ ١٣٧.

(٤٢) خُلقتْ: خلق، م ي.

[العنكبوت:٦٠]، وقال عليه السلام: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما[٤٣] يرزق الطير..»الخبر.

ومنها: أن الجماد لم يضيع الإله كما ضيعه الفاسق ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا..﴾ الآية [الأعراف:١٧٩].

ومنها: أن الدابة ترجع إلى دار صاحبها، لا تختار عليه غيره، ولا تختار على صاحبها، وبنو آدم اختاروا ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ [الكهف:٥٠]، ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [يس:٦٠].

ومنها: أن الدابة تتواضع[٤٤] لمن رزقها وأحسن إليها بخلاف الفاسق، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم:٣٤].

ومنها: أن الحمار إذا ركبه صاحبه سَبَّح، والفاسق يتغنى، في الخبر: «كل من ركب أتاه شيطان قال: تغن أو تمنّ».

ومنها: أن الفاسق يتمنى حال الدابة في قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠]، روي أنهم يصيرون ترابًا فيتمنون حالهم.

ومنها: أن الدواب كما لا يدخلون الجنة لا يدخلون النار، والعاصي لا يدخل الجنة ويدخل النار ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار:١٣، ١٤].

ومنها: أن يؤمن شرها، والفاسق لا يؤمن.

وكان أبو سهر الحراني ينادم قردة، فقيل له في ذلك فقال:

مِلْتُ إلى قردةٍ أُنادمها ... فأنكرتْ[٤٥] ذاك زمرةُ الحسدَهْ
فقلت: يا بله لا عقول لكم ... مَنْ عدم الناسَ عاشر القرده

وكان بعض الزهاد يتعاهد الكلاب، فقيل له في ذلك فقال: إنها من جنس من له صحبة؛ يعني كلب أصحاب الكهف.

---

(٤٣) كما: ما، م ي. سنن الترمذي ٤/ ١٥١.
(٤٤) تتواضع: تواضع، م ي.
(٤٥) أنكرتْ: أنكرت، ي. انظر يتيمة الدهر ٥/ ٤٤.

ومنها: أن الله أثنى على الدواب ولم يذمها، وذم الفاسق، وذكر الأصم[٤٦] في تفسيره [أنه] لما نزلت سورة (براءة) وأظهرت أسرار المنافقين ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة:٧٥]، ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التوبة:٦١]، ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]، ونظائرها، سمعها بعض المنافقين فقال لأصحابه: لئن كان ما يقول محمد حقًا لنحن أشر من الحمير، فسمعها ابن امرأته وكان مسلمًا فقال: إيه والله إنه لحق وأنت شر من دابتك.

ومنها: أن في الدواب منافع ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون:٢٢]، ﴿وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ [النحل:٥]، ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل:٦٦]، ولا منفعة في الكافر والفاسق.

ومنها: أن الدابة تحمل عليها زادها[٤٧] إلى منزلها، والعاصي يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف:٤٨].

فصل في الكبائر

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء:٣١]، ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ [وَٱلْفَوَ‌ٰحِشَ] وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧]، وقال: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٩] ونظائرها، ولا شبهة في[٤٨] أن في الذنوب صغيرة وكبيرة، فاختلف العلماء في الفرق بينهما.

وهذا الباب يشتمل على أربعة فصول: الفرق بين الصغير والكبير، وبيان ما روي في الكبائر، وبيان ما ذكر الله تعالى من الكبائر وما عقبه بالتوبة، ليُعْلَمَ[٤٩] لطفه ورحمته كما علم غضبه ونقمته.

مبحث في الفرق بين الصغير والكبير، والأقوال في ذلك

أما الأول: فقد روي عن ابن عباس: الكبير كل ما أوجب الله عليه حدًا وعقوبة، ورواه الضحاك.

(٤٦) الأصم: الصم أنه، م ي.
(٤٧) زادها: وزادها، ي.
(٤٨) ولا شبهة في: ولا في الشبهة، ي.
(٤٩) ليُعْلَمَ: لتعلم، ي.

وروى عنه قيس بن سعد: أنه كل ما هو مُصِرٌّ عليه، وليس بكبير ما تاب العبد منه.

وروي عنه: الكبائر لا يكفرها إلّا التوبة، والسيئات تكفرها الطاعات.

فأما الثاني: روى مسروق وعلقمة عن ابن مسعود أنه قال: الكبائر ما ذكرها الله من أول سورة النساء إلى قوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ﴾ [النساء:٣١].

وقيل لابن مسعود: من يرجى له؟ قال: من لم يصيب كبيرة ولا يمت مصرًا.

وعن معاذ: ما نهى الله عنه فهو من الكبائر.

وقيل لابن عباس: أليس الكبائر سبعة؟ فقال: إلى السبعين أقرب.

أما القول الثالث: عن ابن عمر أنه قال: الكبائر عشر[1]: الشرك، والعقوق، والقتل، والزنا، والقذف، وأكل مال اليتيم، واليمين الفاجرة، والفرار من الزحف، والسحر، واستحلال البيت الحرام.

وروي سبع عن الحسن، وروي سبع عن عبيد بن عمير، وفي كل واحد أنه [أعلاه] الشرك وما دون الشرك صغير.

وأما القول الخامس: أن العمد كبير والنسيان صغير، لأنه[2] لا يعلم الصغير إلّا يوم القيامة، فما غفره الله فهو صغير.

وأما القول السادس وهو الصحيح: أن كل ما زاد ثواب طاعته على عقاب معصيته فهو صغير، ثم يكون الموازنة والإحباط والتكفير، عند أبي هاشم الموازنة، وعند أبي علي الإحباط والتكفير.

ويقال: ينبغي ألاّ يستصغر الذنب، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أعظم الذنوب عند الله أصغرها عند الناس، وأصغر الذنوب عند الله أعظمها عند الناس».

وعن بعضهم: أذنبت ذنبًا فاستصغرته فرأيت في النوم أن قيل لي:

لا تحقرن من الذنوب صغيرا ... إن الصغير غدًا يعود كبيرا
إنّ الصغيرَ[3] وإن تَقادَمَ عَهدُهُ[4] ... عند الإله مُسَطَّرٌ تسطيرًا

(١) في م ي: (سبعة) لكنه أثبت في النص عشر كبائر.
(٢) لأنه: أنه، م ي.
(٣) الصغير: الذنوب، م ي. تفسير ابن كثير ٧/ ٤٨٦.
(٤) عهده: عهدها، ي. تفسير ابن كثير ٧/ ٤٨٦.

وقيل: كل السفلة تعمل[٥] الخير، ولكن الرجل من يجتنب المعاصي.

ويقال: إن في سورة النساء ثماني آيات فيها[٦] لأمة محمد من الخير ما لا يوصف ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٦]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء:٢٨]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء:٢٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١١٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:١١٦]، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ [النساء:١٤٧]، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا..﴾ الآية [النساء:٣١].

ليحيى بن معاذ:

أشكو إليك ذنوبًا لست أنكرها ... وقد رجوتك ياذا المن تغفرها

أرجوك تغفر لي في الحشر معصيتي ... إذ كنت يا سيدي في الأرض تسترها

مبحث فيما روي في الكبائر

فأما الفصل الثاني: فالأخبار فيه كثيرة، فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكبر الكبائر ثلاثة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس».

وعن عبد الله: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك»، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ..﴾ الآية [الفرقان:٦٨].

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكبائر سبعون كبيرة أولها الشرك، قال الله تعالى: ﴿مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢]».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله وما هي؟ قال: «الإشراك بالله، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات».

(٥) السفلة تعمل: سفلة يعمل، م ي.

(٦) فيها: منها، ي.

ابن عمر: كنت أقرأ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ﴾ [النساء:٣١]، فقلت: ما هذه الكبائر يا رسول الله؟ قال: «إحدى عشرة خصلة: أربع[٧] منها في الرأس، وثلاث[٨] في الجوف، وواحدة في اليدين، وواحدة في الفرج، وواحدة في الرجلين، وواحدة في سائر البدن، فأما التي في الرأس: فالشرك بالله، واليمين الفاجرة، وشهادة الزور، وقذف المحصنة، والتي في الجوف: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتي في اليدين: القتل، والتي في الفرج: ارتكاب المحارم، والتي في الرجلين: الفرار من الزحف، والتي في سائر البدن: عقوق الوالدين».

مبحث في الكبائر التي ذكرها الله في كتابه

فأما الكبائر التي ذكرها الله في كتابه:

فالشرك: ﴿[إِنَّهُۥ مَن][٩] يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢].

والردة: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ[١٠] مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة:٢١٧].

وعقوق الوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:٢٣].

والربا: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة:٢٧٥].

أكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ [النساء:١٠].

القذف: ﴿[إِنَّ] ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور:٢٣].

الفرار من الزحف: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال:١٦].

وشرب الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة:٩٠].

والزنا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢].

(٧) أربع: أربعة، م ي.
(٨) ثلاث: ثلاثة، م ي.
(٩) في م ي: ومن. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(١٠) في م ي: يرتد. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

الأمن من مكر الله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ [ٱلْخَـٰسِرُونَ]﴾ [الأعراف:٩٩].

اليأس من الرحمة: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٧].

الخيانة: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال:٢٧].

[تضييع] الأمانة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ[11]﴾ [النساء:٥٨].

نقض العهد: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ﴾ [البقرة:٤٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ [الرعد:٢٥].

الغيبة: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢].

السخرية: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١].

التجسس: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات:١٢].

سوء الظن: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:١٢].

الحسد: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥].

البخل: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [النساء:٣٧]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران:١٨٠].

الكبر: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣].

والركون إلى الظلمة: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ﴾ [هود:١١٣].

ترك الصلاة: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [مريم:٥٩]، ﴿قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣].

منع الزكاة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ [التوبة:٣٤].

نسيان القرآن: ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ [طه:١٢٦].

قطع الرحم: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧].

وشهادة الزور: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

وكتمان الشهادة: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَ﴾ [البقرة:٢٨٣].

المكر بالمسلمين: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

اليمين الكذب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:٧٧].

السرقة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة:٣٨].

---

(١١) في م ي: تود. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

قطع الطريق: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ﴾ [المائدة:٣٣].

الكذب على الله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ﴾ [الزمر:٦٠].

الظلم: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨].

وشق عصا المسلمين: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:١١٥].

اتباع الهوى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [ص:٢٦].

الإسراف: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ﴾ [الأنعام:١٤١].

المجادلة عن الظالم: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ﴾ [النساء:١٠٧].

وترك الأمر بالمعروف: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ [المائدة:٧٩].

موالاة أعداء الله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الممتحنة:١].

التلقيب: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات:١١].

الحكم بخلاف حكم [الله]: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٤].

كفران النعمة: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

الإلحاد في كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [فصلت:٤٠].

التطفيف: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١].

اللواط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الأعراف:٨٠]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ [الشعراء:١٦٥].

القمار: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة:٩٠].

إتيان الحائض: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

وأكل أموال[12] الناس بالباطل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم﴾ [البقرة:١٨٨].

إيثار الدنيا: ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النازعات:٣٨].

الإصرار: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ [آل عمران:١٣٥].

البهتان: ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦].

---

(١٢) أموال: أمول، ي.

النميمة: ﴿مَشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١].

الهمز واللمز: ﴿وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ [لُّمَزَةٍ]﴾ [الهمزة:١].

قهر اليتيم: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾ [الضحى:٩].

نهر السائل: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى:١٠].

المن والأذى: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤].

العلوّ(١٣): ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ [القصص:٨٣].

الجدال في كتاب الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ [غافر:٥٦].

العون على الإثم: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ﴾ [المائدة:٢].

والسحر: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة:١٠٢].

دخول الدار بغير إذن: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾ [النور:٢٧].

الرغبة عن سنة الرسول: ﴿وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

الغلول: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ..﴾ الآية [آل عمران:١٦١].

قتل الأولاد: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم﴾ [الأنعام:١٥١]، ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ﴾ [التكوير:٨].

عصيان الإمام: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩].

مبحث في: التوبة من الكبائر

وأما الرابع: فإنه تعالى ذكر عقيب الكبائر التوبة ليعلم العبد لطفه، وأن مراده أن يصل العبد إلى الثواب:

أما الكفر: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ [فاطر:٣٦] ثم قال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا [قَدۡ] سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

النفاق: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النساء:١٤٦].

---

(١٣) العلوّ: الغلو، ي.

كتمان الحق: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة:١٦٠].

الردة قال: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:٨٦] ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [آل عمران:٨٩] في آل عمران.

الزنا والقتل والشرك: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان:٦٨] ثم قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان:٧٠].

الربا: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٩].

قطع الطريق: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ [المائدة:٣٣] ثم قال عقبه: ﴿إلا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٣٤].

الظلم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ..﴾ الآية [النساء:١١٠].

السارق: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ [المائدة:٣٩].

النظر إلى غير المحرم: ﴿قُل[١٤] لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٣٠] ثم قال: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور:٣١].

السخرية: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾، ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ [الحجرات:١١].

التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [التوبة:١١٧]، ثم قال: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة:١١٨].

الشرك: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ[١٥]﴾ [المائدة:١٧]، ثم قال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ [المائدة:٧٤].

الإسراف: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾ [الزمر:٥٣] ثم قال: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾ [الزمر:٥٤].

الفاحشة: ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ ثم قال: ﴿فَإِن تَابَا﴾ [النساء:١٦].

قذف عائشة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور:١١] ثم قال: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ﴾ [النور:١٧].

القذف: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ [النور:٤]، ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ [النور:٥].

---

(١٤) في م ي: وقل. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(١٥) هكذا في م،ي. ولعل الصواب هو قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ..﴾ الآية، لأنه قال بعدهذه الآية: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾.

مبحث في الكفر

قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة:١].

هذا يشتمل على أربعة فصول: الشرك، الكفر، النفاق، الردة.

مطلب في الشرك ووجوهه

أما الشرك: فهو وإن كان في الشرع اسمًا[١٦] للكفر فهو في الأصل من يشرك في عبادة الله غيره، والشرك على أنواع، وقد وجد في هذه الأمة لكل[١٧] واحد أثر [وطائفة]، وقد روي في حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل». والشرك على وجوه:

منها: عبادة النجم، وهو شرك قوم إبراهيم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى...﴾ [الأنعام:٧٦] الآيات، وقد نهى الله عنه فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت:٣٧]، وقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ [الصافات:٨٨]. قيل: إنه كان له وقت عرف ذلك بطلوع النجم، وقيل: لأنه قال: سقيم القلب لما رأى من كفركم، وقيل: وعده الله مرضًا عند طلوع كوكب، وبقية هذا الشرك مذهب المنجمين، يرون السعد والنحس والتأثيرات من الكواكب.

ومنها: أصلان قديمان، وهو شرك المجوس، والثنوية والمانوية والديصانية والمرقيونية[١٨]. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الأنبياء:٢٢]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الإسراء:٤٢]، وقد بقيت منها بقية مذهب القرامطة القائلين بالأوّل والتالي، ويجعلون التأثير لهما، والدلائل العقلية أن الكواكب والأوّل والتالي لا يجوز أن تكون[١٩] صانعا دونه[٢٠] ليس هذا موضعه.

---

(١٦) اسمًا: اسم، م ي.

(١٧) لكل: لك، م ي.

(١٨) المرقيونية: المرقونية، م ي. انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٥٧.

(١٩) تكون: يكون، م ي.

(٢٠) صانعا دونه: صادونه، م ي.

ومنها: شرك النصارى قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [المائدة:٧٣]، وقد بقيت منه بقية مذهب الصفاتية[٢١] يقولون بعلم[٢٢] قديم وقدرة قديمة، وحياة قديمة، وذات قديمة، والجميع شيء واحد، وحالهم أشر، لأنهم[٢٣] قالوا ثلاثة، والصفاتية قالوا سبعة، ومنهم من زاد، ومنهم من قال: ثلاثة[٢٤] وأكثر.

ومنها: عبادة آدمي، وهو شرك قوم فرعون ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩]، ونمرود ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ودقيانوس ﴿لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا..﴾ الآية [الكهف:١٤]، وقد بقيت منها بقية، وهو أن الظَّلَمة اتخذوا رؤساءهم معبودًا يفعلون ما يأمرونهم، وقد نهى الله عن ذلك ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟﴾ [هود:١١٣]، ﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ [الصافات:٢٢].

ومنها: شرك العرب، جعلوا الملائكة بنات الله، ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف:١٥]، ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف:١٩]، واليهود قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ [الأنعام:١٠٠]، فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧١]، ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقد بقيت منه بقية مذهب الصوفية والخرمية[٢٥] يقولون: إن جزءًا من الله في الغلمان ونحوه، كما قال أولئك: إن جزءًا من الله في الملائكة.

ومنها: عبادة الأوثان ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥]، ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ [الزخرف:٥٨]، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، ﴿أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص:٦] الآيات. وقد بقيت بقية مذهب الكرامية والمشبهة، قالوا: إنه جسم على العرش، وإذا كانت بلقيس على العرش والرحمن على العرش فما الفرق؟ ونهى الله عنه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

ومنها: اتخاذ الأنبياء والعلماء إلهًا، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة:٣١] كانوا يستحلون بقولهم

(٢١) من الطوائف المتسبة للإسلام.

(٢٢) يقولون بعلم: علم، م ي.

(٢٣) يقصد النصارى، فهم يقولون ثلاثة، والصفاتية يقولون سبعة.

(٢٤) ثلاثة: ثالث، م ي.

(٢٥) الخرمية: الحرمية، م ي. الفرق بين الفرق ص٢٤١.

ويحرمون، وقد بقيت منه بقية، المبتدعة الذين جعلوا رؤساءهم معبودهم، ومنهم الرافضة جعلوا أئمتهم كالآلهة، وقد ذكر الله تعالى أركان الشرع وما أمر به أمرًا أمرًا، وما نهى عنه نهيًا نهيًا، والأمانة من أعظم الأركان.

ومنها: شرك مشركي العرب، أضافوا القبائح إلى الله ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الأنعام:١٤٨]، ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨]، فنهى الله عن ذلك بقوله: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف:٢٠]، وقد بقيت منها بقية، وهم الجبرية، ووجه شركهم أنهم قالوا: إبليس أراد ضلالًا والله أراد ضلاله، فأشركوا بينهما في إرادة [و]نسبة المعصية.

ومنها: الهوى، اتبعوا الهوى في جمع الدنيا وزينتها، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [النازعات:٣٧، ٣٨]، وفي ضده: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠]، وقد بقيت منها بقية عامة: كل واحد يؤثر دنياه ويتبع هواه ويعصي مولاه ويتبع شهوته مع علمه أن الله يراه ويسمع ويجازيه، ويظلم مع نهي الله عنه، فلو خُيِّر بين دانق وبين الله لاختار الدانق.

ومنها: الكفر وشرك الدهرية ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، وهذا مذهب الفلاسفة، وقد بقيت منه بقية مذهب الأطباء والقول بالطبائع الأربع: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، فرد الله عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٤]، ورد على الأطباء بقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، [و]﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك:٢]، ونحوها.

ومنها: شرك قوم موسى بعبادة العجل ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ [طه:٨٨] ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ..﴾ [الأعراف:١٤٨] الآيات، فعبدوها وسجدوا لها لما استحسنوها، كما يفعله الصوفية بالغلمان المرد، وكما يسجد الأتباع للرؤساء.

مطلب في الكفر ووصف أحوال الكفار في الدنيا والآخرة

فأما الكفر فهو أعظم الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ..﴾ إلى قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ[٢٦] هُمْ وَقُودُ[٢٧] ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٠]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:١١٦]،

---

(٢٦) في م ي: أولئك. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(٢٧) في م ي: رقود. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ [لَهُمْ] نَارُ جَهَنَّمَ..﴾ [فاطر:٣٦] الآيات، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن مسعود لما سأله: أي الذنوب أعظم؟ فقال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»، وعن عائشة: الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفر وهو الشرك.

وقد وصف الله أحوال الكفار في الدنيا والآخرة:

فمنها: أنه أمَرَ بمعاداتهم وحرم موالاتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٥١]، ﴿لَّا يَتَّخِذِ[28] ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [آل عمران:٢٨].

ومنها: قتلهم، وقتالهم، وأسرهم، وحصرهم، ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:٢٩]، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [البقرة:١٩١]، ﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة:٥].

ومنها: لعنهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ..﴾ الآية [البقرة:١٦١].

مالهم: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ [آل عمران:١٠]، ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٨].

إنفاقهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الأنفال:٣٦]، ثم قال: ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ[29]﴾ بعد قوله: ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [التوبة:٥٣]، ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤].

كنوزهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:٣٥].

ملكهم وعساكرهم: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٩]، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:٩٤].

أولادهم: ﴿لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم﴾ [المجادلة:١٧]، ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ الآية [المدثر:١٣]، ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ..﴾ الآية [آل عمران:١٤].

ومنها: الجزية ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ..﴾ الآية [التوبة:٢٩].

---

(٢٨) في م ي: لا تتخذوا. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(٢٩) في م ي: منهم. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

عند الموت: ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٠]. قولهم لهم: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان:٢٢].

ومنها: في القبر ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [غافر:٤٦]، ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١]. في القيامة: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠]، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]. غَلّهم[٣٠]: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة:٣٠]، ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ [غافر:٧١]، جرهم إلى النار: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ﴾ [القمر:٤٨]، عدم النصرة والشفاعة والمحبة: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة:٢٧]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر:٣٦]، ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١٣].

ومنها: اليأس من روح الله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الحجر:٥٦]، ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

النداء عليهم بالشقاوة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ [هود:١٠٦]، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦].

مطلب في النفاق ووصف أحوال المنافقين

فأما المنافق: فهو كافر بالإجماع، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ[٣١]﴾ [التوبة:٦٧].

وقد وصف الله أحوال المنافقين في القرآن ووردت فيهم أخبار كثيرة نذكر طرفًا منها:

فأما في القرآن: فوصف الله تعالى إيمانهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة:١٤]، ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٧٦].

شهادتهم للرسول: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون:١]

صلواتهم: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء:١٤٢]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون:٤].

---

(٣٠) غَلّهم: قتلهم، م ي.

(٣١) في م ي: الكافرون. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

ظنهم بالله: يظنون بالله ظن السوء: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:٦].

همتهم ومرادهم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٤٢]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ..﴾ إلى قوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ..﴾ الآية [البقرة:٨، ٩]، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧].

أيمانهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ [المجادلة:١٤]، ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة:١٦].

نفقتهم: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]، ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا﴾ [التوبة:٥٣]، ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [التوبة:٥٣].

أولياؤهم: المنافقون بعضهم أولياء بعض.

أمرهم: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة:٦٧].

جودهم: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧].

مسجدهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [التوبة:١٠٧].

قولهم عند الأمر بالجهاد: ﴿وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٨٦].

خروجهم: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا..﴾ الآية [التوبة:٤٧].

قتالهم: ﴿وَلَوْ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٠].

قعودهم مع الرسول: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:٦١]، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [محمد:١٦]، وإذا دعوا إلى الرسول لووا رؤوسهم[٣٢].

[تحاكمهم]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ [إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ] يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ﴾ [النساء:٦٠] ونظائرها.

مناجاتهم: ﴿وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ﴾ [المجادلة:٨]، ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [المنافقون:٨].

شجاعتهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ [المنافقون:٤]، و﴿يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الأحزاب:٢٠].

---

(٣٢) هكذا في م ي. ونص الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون:٥].

حالهم في الحرب: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ..﴾ الآية [الأحزاب:١٩].

موتهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة:٨٤].

في القيامة: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣].

موضعهم في النار: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ﴾ [النساء:١٤٥].

توبتهم: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٦].

وروى أبو الدرداء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن للمنافقين علامة فادعوهم[٣٣] بها، تحيتهم لعنة، وطعمتهم [نُهْبَة][٣٤]، وغنيمتهم غلول، لا يأتون المساجد إلّا هجرا، ولا يشهدون الصلاة إلّا دبرا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، جيفة بالليل بطال بالنهار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تجدون من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين، الذي يلقى هؤلاء بحديث هؤلاء، وهؤلاء»، رواه أبو هريرة.

الأوزاعي: المؤمن يُكثر العمل ويُقل الكلام، والمنافق يكثر الكلام ويُقلّ العمل.

حذيفة: كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله فيصير بها منافقًا، وإني لأسمعها لأحدكم في المجلس عشر مرات.

مالك بن دينار: لو نبت للمنافقين أذناب[٣٥] ما وجد المؤمنون أرضًا يمرون عليها.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خمس لا يكون في المنافق: الفقه في الدين، والورع باللسان، والسمت في الوجه، والنور في القلب، والمودة في المسلمين».

الحسن: إن المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر واحد ووجه واحد ونصيحة واحدة، وإنما يتبدل المنافق يتشاكل مع كل قوم، ويسعى مع كل ريح.

(٣٣) في كتب الحديث التي وقفت عليها (يُعرفون) بدل (فادعوهم). انظر على سبيل المثال شعب الإيمان ٤/ ٣٨٧، ومسند أحمد ١٣/ ٣٠٢.

(٣٤) انظر شعب الإيمان ٤/ ٣٨٧.

(٣٥) انظر حلية الأولياء ٢/ ٣٧٦.

الفضيل: أحب الناس إلى المنافق مَنْ مدحه بما ليس فيه، وأبغض الناس مَنْ عرَّفه[٣٦] عيوبه وأخبره بها.

وسئل النبي عليه السلام عن علامة المؤمن وعلامة المنافق فقال: «المؤمن هِمَّتُهُ[٣٧] في الصلاة والصيام والعبادة، والمنافق هِمَّتُهُ[٣٨] في الطعام والشراب كالبهيمة».

وقال عليه السلام: «المؤمن فطن حذر كيس وقَّافٌ ميسر[٣٩]، كسب طيبًا، وأنفق قصدًا، وقدم فضلًا، والمنافق حطمة همزة لمزة، لا يقف عند شبهة، ولا يفزع عند محرم، كحاطب الليل».

سفيان: إذا ذكر الصالحون وجدت نفسي بمعزل، وإن ذكر الصالحون[٤٠] وجدت نفسي في جوف[٤١] منزل.

ابن المبارك: إن رغبت في[٤٢] المكارم فاجتنب[٤٣] المحارم.

شعر:

وللنفاق علامات معددة إفك وخلف وخَوْنٌ[٤٤] في الأمانات

عمار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار».

مطلب في المرتد

فأما المرتد: فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ...﴾ الآية [البقرة:٢١٧]،

(٣٦) عرَّفه: عرف، م ي.
(٣٧) هِمَّتُهُ: بهمته، م ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٧٠.
(٣٨) هِمَّتُهُ: بهمته، م ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٧٠.
(٣٩) ميسر: منان، م ي.
(٤٠) الصالحون: الصاحون، م ي.
(٤١) جوف: جوفه، ي.
(٤٢) في: عن، م ي. ميزان الحكمة ١/ ٥٩٦.
(٤٣) اجتنب: اجتنبت، م ي. ميزان الحكمة ١/ ٥٩٦.
(٤٤) خَوْنٌ: خوف، م ي.

وقال: ﴿كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٨٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [آل عمران:٩٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ [ءَامَنُوا۟ ثُمَّ] كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟..﴾ الآية [النساء:١٣٧].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه».

مبحث في الظلم

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وفيه تسلية[٤٥] للمظلوم، ووعيد للظالم.

مطلب في أحوال الظلمة

وقد ذكر الله أحوال الظلمة في الدنيا:

منها: اللعنة ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨]، ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ [بَيْنَهُمْ] أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٤].

خراب دورهم: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل:٥٢]، روي أنه في التوراة: الظلم يخرب البيوت، نظيرها في القرآن: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠٢].

أموالهم: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ﴾ [الدخان:٢٥]، ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤٥].

النهي عن مقارفتهم[٤٦]: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [هود:١١٣].

عند الموت: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام:٩٣].

حشرهم: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ..﴾ الآية [الصافات:٢٢].

---

(٤٥) تسلية: تسليمة، م ي.

(٤٦) مقارفتهم: مفارقتهم، م ي.

حالهم في القيامة: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ[٤٧] إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ..﴾ الآية [سبأ:٣١].
عاقبتهم: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

وروى عبد الله بن عمر، عن النبي عليه السلام: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ألا فاتقوا الله وإياكم والتفحش فإن الله لا يحب الفحش، ألا فاتقوا الله وإياكم والشح، فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالفجور ففجروا».

وروى جرير بن عبد الله أن النبي عليه السلام قال: «هل تدري ما الظلمات يوم القيامة»؟ قلت: لا أدري، قال: «ظلم الناس بينهم في الدنيا[٤٨]».

أبو ذر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظلموا[٤٩]، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا الذي أغفر الذنوب ولا أبالي فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي كلكم جائع إلّا من أطعمت فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلّا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني[٥٠] فأعطيت كل إنسان منهم ما سأل، لم ينقص ذلك من ملكي شيئًا إلّا كما ينقص البحر [أن يغمس][٥١] فيه المِخْيط غمسة واحدة، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحفظها عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلّا نفسه».

وروى أبو موسى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته[٥٢]»، ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]».

إبراهيم التيمي: إن الرجل يظلمني وأنا أرحمه، قيل: وكيف ترحمه وهو يظلمك؟ قال: لأنه لا يدري لسخط مَنْ يتعرض.

---

(٤٧) في م ي: ولو ترى الذي. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٤٨) الدنيا: الدماء، م ي. شعب الإيمان ١٠/ ٤٥٩.
(٤٩) شعب الإيمان ٩/ ٣٠٠.
(٥٠) فسألوني: سألوني،م ي. شعب الإيمان ٩/ ٣٠٠.
(٥١) شعب الإيمان ٩/ ٣٠٠.
(٥٢) يفلته: يفتله، ي.

ميمون بن مهران: إن الرجل ليقرأ في الصلاة يلعن نفسه، قيل: وكيف ذلك؟ قال يقول: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود:١٨] وهو ظالم.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من حكم بين اثنين فجار في حكمه فقد ظَلَمَ، ولعنة الله على الظالمين».

عكرمة: بلغني أن الله تعالى يقول: لا يذكرني الظالم حتى ينزع عن[٥٣] ظُلْمه، فإنه من ذكرني كان حقًا علي أن أذكره، وإني إذا ذكرت الظالم لعنته.

عبد الله بن شداد، عن النبي صلى الله عليه: «تزفر جهنم يوم القيامة فتنشق منها قلوب الظالمين، ثم تزفر زفرة فيكبكبون على رؤوسهم في النار».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تنال شفاعتي ذا سلطان جائر غشوم ظلوم».

وعن عائشة: الدواوين ثلاثة: فديوان لا يغفره الله وهو الشرك بالله، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا وهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وديوان لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص فيه لا محالة.

هرم بن حيان: ويح الظالمين كيف يغفلون عن مالك يوم الدين وهو عنهم غير غافل[٥٤].

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥]: يعني الظالمين، عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير.

مطلب في مخالطة الظلمة

فأما مخالطة الظلمة فعلى وجوه جميعها محرم بالكتاب والسنة:

فمنها: مصاحبته قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود:١١٣]، قيل: لا ترضوا بأعمالهم، عن أنس، وقيل: لا تصاحبهم، وقيل: من رضي أفعالهم فقد ركن إليهم، عن ابن عمر.

---

(٥٣) ينزع عن: يرع من، م ي.

(٥٤) غافل: عاقل، ي.

سفيان: إياكم والظلم ومصاحبة الظالم، وعونه، ومواكلته، والتبسم في وجهه فتكون[٥٥] عونًا له، والعون شريك.

ومجاورة الظالمين، فقد وبخ الله قومًا بها، وذلك قوله: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟..﴾ الآية [إبراهيم:٤٥].

أبو عثمان الحيري: مجاورة الفساق وأهل المعاصي من غير ضرورة فِسْقٌ كامن ومعصية مستترة[٥٦] في القلب؛ لأن الله تعالى ذم قومًا بها فقال: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾، ولم يعذر من أقام فيها، وقال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ [النساء:٩٧].

مطلب في معاونة الظالم

وأما معاونة الظالم: فقد قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢]، قيل: ينادي منادٍ يوم القيامة: أين الذين كانوا يظلمون الناس في دنياهم؟ فيقومون، فينادي: أين أزواجهم؟ يعني أتباعهم الذين كانوا يعاونونهم، فلا يبقى أحد ممن كان شايعه إلّا قام معه حتى من كان صب في دواتهم ماء وقرأ لهم كتابًا أو أخذ لهم ركابًا أو سلم عليهم، أو هوى هواهم، فيحشرون جميعًا إلى النار.

وعن أبي العالية في قوله: ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قال: ليسوا بنسائهم ولا أولادهم، ولكن أشياعهم وأتباعهم.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعان ظالمًا فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه».

وعن أوس بن شرحبيل، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام».

ابن عباس: الظالم والمعين له والمحب له سواء.

(٥٥) تكون: يكون، ي.

(٥٦) مستترة: مسيرة، م ي. تفسير السلمي ١/ ٣٤٩.

عبد الله بن عمر، عن النبي عليه السلام أنه قال: «الجلاوزة[٥٧] والشُّرَطُ وأعوان[٥٨] الظلمة هم كلاب النار».

عمر بن عيينة، عن النبي عليه السلام: «من عقد لواء ضلالة أو نكث بيعة أو اغتصب مالًا ظلمًا أو أعان ظالمًا على ظلمه وهو يعلم أنه ظالم فقد كفر بما أنزل على محمد».

ابن عباس في قوله: ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قال: حتى من برى لهم قلمًا، أو لاق[٥٩] لهم دواة.

ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعان بباطل ليبطل بباطله حقًا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله، ومن مشى إلى سلطان الله ليذله[٦٠] - وسلطان الله في الأرض كتابه وسنة نبيه - أذل[٦١] الله رقبته قبل يوم القيامة، مع ما ادخر له من الخزي».

مطلب في مدح الظلمة ومحبتهم والضحك في وجوههم

فأما مدحهم: فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مُدِحَ الفاسق اهتز العرش».

الحسن وسميط بن عجلان: من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يُعصى الله في الأرض[٦٢].

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن الظلم[٦٣] ظلمات يوم القيامة، ألا من فعل شيئًا فعل به، ألا من صحب ضالًا لم يسلم حتى يبتلى بنفسه أو بدينه، ألا من مدح فاسقًا ذهب بهاء وجهه».

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لكعب بن عجرة: «يا كعب، تعوذ بالله من إمارة السفهاء، إنه سيكون أمراء، من دخل[٦٤] عليهم فصدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس

(٥٧) الجلاوزة: الحلاو، م ي. حلية الأولياء ٤/ ٢١، وجمع الجوامع ٣/ ٦٢٨، وكنز العمال ٣/ ٤٩٨.

(٥٨) وأعوان: أعوان، م ي. حلية الأولياء ٤/ ٢١، وجمع الجوامع ٣/ ٦٢٨، وكنز العمال ٣/ ٤٩٨.

(٥٩) في م ي: (ألاق)، والتصحيح من أمالي ابن بشران ص١٣٢، ومعنى لاق الدواة: أصلح مدادها. تاج العروس (لوق).

(٦٠) ليذله: في أرضه، م ي. المعجم الكبير للطبراني ١١/ ١١٤.

(٦١) أذل: أذ، ي.

(٦٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٦.

(٦٣) الظلم: الظالم، م ي.

(٦٤) دخل: داخل، م ي.

مني ولست منه، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيلقاني في الدرجات العلى».

شعر:

ألـم تـر أنـي أزور الوزيـر أمدحـه ثـم أسـتغفر
فأثنـي عليـه ويثنـي علـي وكل بصاحبـه يسـخر

ومنها: الضحك في وجه الظالم، وعن بعض السلف: الضحك في وجه الظالم ومصادقته من الكبائر، وروي مرفوعًا «أنه كان في بني إسرائيل عابد لم يعص الله، وكان في زمانه ملك ظالم، فجاء ليسلم عليه فضحك العابد في وجهه وأخذ يده، فمسخه الله».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «القوا أهل المعاصي بوجه مكفهر».

ومنها: محبتهم والدخول في جملتهم، قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف:٦٧]، وقال: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ [الزخرف:٣٨]، ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة:١٦٦]، ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ [الصافات:٥١]، ﴿[يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي](٦٥) لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨].

ابن عباس: الظالم والمحب له والمعين سواء.

مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانةً أن يكون أمينًا للخونة.

مطلب في ترك نصرة المظلوم

ومنها: ترك نصرة المظلوم: فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قيل(٦٦): يا رسول الله كيف ينصره ظالمًا(٦٧)؟ قال: «بكفه عن الظلم».

وكان الربيع بن خثيم لا يجلس على طريق، فسئل(٦٨) عن ذلك، فقال: أخاف أن يُظلم [أحدٌ] فلا أنصره.

(٦٥) في م ي: يا ليتني. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٦٦) قيل: قال، م ي. إحياء علوم الدين ٢/٢٠٨.
(٦٧) إحياء علوم الدين ٢/٢٠٨.
(٦٨) فسئل: فيسأل، م ي.

وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بمعاصي الله هم أكبر منه وأعز ثم يدهنوا[٦٩] في شأنه إلّا عاقبهم الله».

شعر:

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا ... وكم[٧٠] قد رام قبلك ما تروم
ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غدًا عند المليك مَنْ الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
وحق الله إن الظلم شُؤْمٌ[٧١] ... وما زال المسيء هو الظلوم

آخر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا ... فالظلم مرتعه يدني من الندم
نامت جفونك والمظلوم مرتقب ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقيل في قوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] هو النار، وقيل: سيعلم المعرِضُ عنا ما الذي فاته منا.

مطلب في دعوة المظلوم، وانتصاره، وعفوه، وإعانته

فأما المظلوم: فإن دعوته مستجابة، وله الانتصار، وإن عفا كان أحسن، ونصرته واجبة. وهي أربعة فصول:

أما دعوته: فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العدل، ودعوة المظلوم ترفع فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء، فيقول الله تعالى: وعزتي لأنتصرن لك ولو بعد حين».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي، إياك ودعوة المظلوم فإنه يسأل حقه، وإن الله[٧٢] لا[٧٣] يمنع من ذي حق حقه».

---

(٦٩) ثم يدهنوا: يم يذهبوا، م ي. معجم الطبراني الكبير ١٠/ ٢١٥.

(٧٠) وكم: فقد، م ي. ترتيب الأمالي الخميسية ١/ ١٠٨.

(٧١) شؤم: لشؤم، ي. شعب الإيمان ٩/ ٥٤٨.

(٧٢) الله: لله، ي. شعب الإيمان ٩/ ٥٣٣.

(٧٣) لا: لم، م ي. شعب الإيمان ٩/ ٥٣٣.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن جبل: «إياك ودعوة المظلوم فإنها مستجابة، ليس بينها وبين الله حجاب».

أنس، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كانت من كافر، ليس دونها حجاب».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان كافرًا فإن فجوره على نفسه».

شهر بن حوشب: قال حبيب بن مسلمة لأبي الدرداء: أوصني؟ قال: نعم أوصيك بتقوى الله والمحافظة على الصلوات كلها لوقتهن، وصل كل صلاة وأنت تحدث نفسك أنها آخر صلاة تصليها، وإياك ودعوة المظلوم، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن العبد إذا ظلم فلم ينتصر ولم يكن له من ينتصر له فرفع طرفه إلى السماء، قال: لبيك عبدي أنا أنتصر لك عاجلًا وآجلًا».

وقال رجل لمعاذ: أوصني، قال: صلِّ ونم، وصم وأفطر، ولا تموتن إلّا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم.

فأما الآيات: فقد قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠]، وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ [الأنبياء:٨٧]، ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ [الأنبياء:٨٩] الآيات ونظائرها.

فأما من له الانتصار: فقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ﴾ [الشورى:٤١، ٤٢]، وقال: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ﴾ [النحل:١٢٦]، ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة:١٩٤]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ﴾ [الشورى:٤٠].

فأما العفو: فقد قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى:٤٣]. وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن العفو لا يزيد العبد إلّا عزًا، فاعفوا يعزكم الله»، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وروي أنه ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا من كان أجره على الله فليقم، فيقوم العافون فيدخلون الجنة، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:٤٠].

شعر:

إنــي وهبــت لظالمــي ظلمــي وغفــرت ذاك لــه علــى علمــي
مــا زال يظلمنــي وأنصفــه حتــى بكيــت لــه مــن الظُّلــمِ(٧٤)

فأما إعانته: فقد أمر الله به ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وذم على تركه بقوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟..﴾ الآية [المائدة:٧٨]، وحلف المطيبين كان لنصرة المظلومين وقد مضى ذلك.

البراء بن عازب قال: مَرّ(٧٥) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوم جلوس على ظهر الطريق فقال: «إن كنتم لا بد فاعلين فاهدوا السبيل، وردوا السلام، وأعينوا المظلوم».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعان مظلومًا ثبت الله قدميه»، رواه عمران بن سليم.

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف يقدس الله قومًا لا يأخذون من شديدهم لضعيفهم».

قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر يقرأ هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، فقال: إن الناس يضعون هذه الآية [في] غير موضعها، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم أو قال: المنكر فلم يغيروه، عمهم الله بعقابه».

أنس عن النبي ، عن جبريل، عن الله: «من أهان أوليائي فقد بارزني بالمعصية، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحَرِد(٧٦)».

مبحث في المظالم

قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء:٢٩] يعني الحرام، بدليل قوله: ﴿كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨]، وقال: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢].

(٧٤) الظُّلم: الظلمي، ي.
(٧٥) مَرّ: أمرنا، م ي. مسند أبي يعلى ٣/ ٢٦٤.
(٧٦) شرح السنة للبغوي ٥/ ٢٣، والحَرِد: الغضبان. انظر تاج العروس (حرد).

والحرام على ضربين: حرام لحق الله كالخمر والخنزير، وحرام لتعلق حق آدمي به؛ وهو كل مال فيه حق لمخلوق له مَنْعُكَ منه إذا أكلته بغير رضاه، فهو حرام، وقد يكون حرامًا للحقَّين: حقِّ الله وحق العبد، ولا يخرج شيء من ذلك.

وهذا الفصل يشتمل على أربعة فصول:

أحدها: ذكر المظالم وما جاء فيها من الوعيد.

والثاني: إنفاق المال الحرام.

والثالث: أنه ليس من رزق الله له.

الرابع: من غصب الأراضي والعقارات.

مطلب في أنواع المظالم

أما المظالم: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لتؤدين الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

الشعبي: أول ما يقضى بين الناس: في المظالم بينهم.

أبو الدرداء: إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول: بيني وبينك الله فيقول: ما أعرفك(٧٧)، فيقول: بلى أنا أعرفك، ألا تذكر يوم كذا مررت بحائطي فأخذت منه [تبنة] فتخللت بها ثم رميتها، أنا اليوم محتاج إلى منفعتها ردها علي.

ورئي(٧٨) الحسن بن ذكوان في المنام كأن إحدى رجليه في الجنة والأخرى خارج الجنة، فقيل(٧٩) له: ما لك؟ قال: أنا محبوس بإبرة استعرتها من جار لي فلم أردها، أنادى كل يوم لا يدخلها حتى ترد المظلمة على أهلها.

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجيء يوم القيامة ناس معهم من الحسنات أمثال الجبال الرواسي بيض، حتى إذا أشرفوا على الجنة جعل الله حسناتهم هباء

(٧٧) أعرفك: أعرافك، ي.
(٧٨) ورئي: وروي، م ي.
(٧٩) فقيل: فقال، م ي.

منثورًا فأدخلهم النار»، قالوا: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: «أما إنهم كانوا يُصَلُّون ويصومون، ولكنهم إذا أشرفوا على حرام لم يدعوا منه».

وأنواع المظالم: القتل، والضرب، والشتم، والخيانة في الأمانة، وغصب الأموال.

أما القتل فنفرد له بابا.

فرع في الضرب، والشتم، والخيانة

وأما الضرب: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ينادى يوم القيامة: لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد عنده مظلمة حتى يقتص منه، حتى اللطمة».

وتهدد عمر بن زيدي محمد بن واسع بالضرب، فقال ابن واسع: نكال الآخرة أشد من نكال الدنيا. ونظيره قول السحرة: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢].

ولطم ابن أبي مسلم الخولاني مملوكًا له، فأمر أبو مسلم بالقصاص عن ابنه وقال: القصاص اليوم خير من القصاص غدًا.

وحديث عكاشة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضى في أخباره.

زادان عن ابن مسعود: يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادى: هذا فلان، فمن كان له حق قِبَله فليأت إلى حقه، فتود المرأة أن يكون لها حق على ابنها وأبيها ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

أما الشتم: قال تعالى: ﴿[إِنَّ ٱلَّذِينَ](٨٠) يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور:٢٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ [ثُمَّ لَمْ](٨١) يَأْتُوا۟﴾ [النور:٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ..﴾ [النور:٦] الآيات.

فأما الخيانة: فقد قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾ [النساء:٥٨]، وقال: ﴿لَا(٨٢) تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال:٢٧].

ابن مسعود: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلّا الأمانة، يجاء بالرجل يوم القيامة

(٨٠) في م ي: والذين. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٨١) في م ي: ولم. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٨٢) في م ي: ولا. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

فيقال له: أدِّ الأمانة، فيقول: من أين وقد ذهبت الدنيا؟ يقول: اذهبوا به إلى الهاوية، فتتمثل له[٨٣] في قعر جهنم فيهوي فيأخذها ويضعها على عاتقه، فيصعد بها حتى إذا ظن أنه قد جاء بها زلت فهوت، فيهوي في إثرها أبد الآبدين.

فرع في أخذ الأراضي غصبًا

فأما أخذ الأراضي غصبًا: فقد روى سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من ظلم شبرًا من الأرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة».

وروي أن سعد بن زيد خاصمته امرأة في بعض داره فقال: دعوها وإياها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أخذ شبرًا من أرض بغير حق طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة»، اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واجعل قبرها في دارها، فعميت ووقعت في بير في دارها فكانت قبرها.

أبو مالك الأشجعي، عن النبي عليه السلام: «إن أعظم الغلوم عند الله ذراع من الأرض، تجدون الرجلين جارين في الأرض فيقطع أحدهما من حظ صاحبه ذراعًا، فإذا اقتطع طوقه من سبع أرضين إلى يوم القيامة».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله من لعن أباه، لعن الله من غير منار الأرض».

ورأى أبو الدرداء بمصر رجلين مختصمين في أرض، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا رأيتم الأخوين المسلمين يختصمان في شبر من الأرض فاخرجوا من تلك الأرض»، وخرج إلى الشام.

فرع في مطل الدين

ومنها: مطل الدين: وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «مطل الغني ظلم»، وسأله رجل عن حجة الإسلام، وقال عليٌّ حجة الإسلام وعليّ[٨٤] دين، فقال: «اقض دينك».

(٨٣) فتتمثل له: فيمثل، م ي. حلية الأولياء ٩/ ٣٠.

(٨٤) عليٌّ حجة الإسلام وعليّ: علي عليه السلام: علي، م ي. مسند أبي يعلى ١١/ ٥٤.

وعن الخدري أنه صلى الله عليه وآله وسلم شهد جنازة أنصاري وقال: «أعليه دين»؟ قالوا: نعم، فرجع، فقال علي عليه السلام: أنا ضامن لذلك، فصلى عليه، وقال: «يا علي فك الله عن رقبتك كما فككت عن رقبة أخيك المسلم».

الزهري: لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي [على] أحد عليه دَيْن.

سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن رجلًا قُتِلَ في سبيل الله ثم أحيي، ثم قتل، لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة وإن كان قضيبًا من أراك»، فيجب أن يكون غير محقر ذنبا، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ دَقَّ في الدين نظَرُهُ جَلَّ في القيامة خَطَرُهُ».

وروي أن عيسى مرّ[٨٥] بقبر فأحيا صاحبه فقال: مذ كم مت؟ قال: سبعمائة سنة يسألني ربي ويحاسبني في شظية[٨٦] كنت حمالًا فحملت حطبا[٨٧] فأخذت شظية فتخللت[٨٨] بها ورميتها[٨٩]، فسألني رب العالمين أما راقبتني؟ أما استحيت مني؟ فبكى عيسى، فقال: هذا صاحب الشظية فكيف بصاحب الأجذاع.

وتناول كهمش بن الحسن طينة من جدار حائط فبكى عليها[٩٠] أربعين سنة، ورمى له[٩١] الغلام آجرة من حائط فكان يأتي ذلك المكان ويبكي.

مطلب في إنفاق المال الحرام

فأما إنفاق الحرام: فقد روى ابن مسعود عن النبي عليه السلام: «لا يكتسب عبد مالًا من حرام فيتصدق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلّا كان رداءه إلى

(٨٥) مرّ: مرى، م ي. المواعظ والمجالس لابن الجوزي ص٥٠.
(٨٦) شظية: سنطيه، ي. المواعظ والمجالس لابن الجوزي ص٥٠.
(٨٧) حطبا: حطيًا، ي. المواعظ والمجالس لابن الجوزي ص٥٠.
(٨٨) شظية فتخللت: سنطيه فحللت، م ي. المواعظ والمجالس لابن الجوزي ص٥٠.
(٨٩) رميتها: رميت، م ي. المواعظ والمجالس لابن الجوزي ص٥٠.
(٩٠) عليها: عليه، م ي.
(٩١) له: عنه، م ي.

النار، إن الخبيث لا يمحو الخبيث، ولا يمحو [الله][٩٢] السيئ [بالسيئ][٩٣]، ولكن يمحو[٩٤] السيئ بالحسن[٩٥]».

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اكتسب الرجل مالًا من حرام ثم حج به فقال: لبيك، قال الله: لا لبيك ولا سعديك، لا أقبل منك، زادك خبيث، ونفقتك خبيثة، ارجع وأنت غير مغفور لك».

الحسن: من أصاب مالًا من حرام فأنفق فقال: بسم الله، قالت الملائكة: العنوه لعنه الله، وإذا قال: الحمد لله، قالت الملائكة: العنوه لعنه الله.

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لردُّ دانِقٍ من حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة».

حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أوحى الله إلي: يا أخا المنذرين ويا أخا المرسلين أنذر قومك ألّا[٩٦] يدخلوا بيتًا من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحدمنهم مظلمة، فإن العبد ما دام قائمًا يصلي بين يدي لا أقبل صلاته حتى يؤدي تلك الظَّلَامَة إلى أهلها، فإذا أداها أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي، ويكون مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة»[٩٧].

ابن عباس، عن عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم حنين أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: فلان شهيد وفلان شهيد، حتى مروا على رجل فقالوا: فلان شهيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلا، إني رأيته في النار في بردة عليه»، ثم قال: «يابن الخطاب، اخرج فنادِ[٩٨] في الناس أن لا يدخل الجنة إلّا المؤمن»، فناديت بذلك.

---

(٩٢) شعب الإيمان ٧/ ٣٦٦.

(٩٣) شعب الإيمان ٧/ ٣٦٦.

(٩٤) يمحو: يمحي، م ي.

(٩٥) بالحسن: الحسن، م ي. شعب الإيمان ٧/ ٣٦٦.

(٩٦) ألّا: لا، م ي. حلية الأولياء ٦/ ١١٦.

(٩٧) حلية الأولياء ٦/ ١١٦.

(٩٨) فنادِ: فنادي، م ي.

مطلب في كون الحرام ليس رزقًا

فأما أنه ليس برزق: فهو أن الله مدح الإنفاق من الرزق وذم الإنفاق من الحرام، والرزق هو ما له أن ينتفع به وليس لأحد منعه، والآيات والأخبار في وعد[٩٩] من أنفق من الرزق قد مضت[١٠٠]، وإنفاق الحلال وفضله قد بيّنّاه[١٠١].

مبحث في القتل

قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا..﴾ الآية [النساء:٩٣]، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ [اللَّهِ] إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان:٦٨]، وقال: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير:٨]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [الإسراء:٣٣]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء:٣١].

أبو ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن جميع أمة [محمد][١٠٢] اشتركوا في دم رجل مؤمن لكان حقًا على الله أن يدخلهم النار».

أبو بكر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قتل نفسًا معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشتم ريحها».

عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قتل مؤمنًا تعمدًا ثم اغتبط[١٠٣] بقتله لم يقبل الله له صرفًا ولا عدلًا».

سعيد بن المسيب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه: آيس من رحمة الله».

الحسن: لو اجتمع أهل السماء وأهل الأرض على دم رجل واحد مؤمن أكبهم الله جميعًا في النار على وجوههم.

---

(٩٩) وعد: وعيد، م ي.
(١٠٠) مضت: مضى، م ي.
(١٠١) بيّنّاه: بينا، م ي.
(١٠٢) انظر الفوائد الشهير بالغيلانيات ٢/ ٨٠٧، والإيماء إلى زوائد الأمالي ٦/ ١٥١.
(١٠٣) اغتبط: اعتبط، م ي. انظر مسند الشاميين للطبراني ٢/ ٢١٦.

أبو أمامة، عن النبي عليه السلام: «شر قتيل يوم القيامة قتيل يقتل بين رجلين يطلبان الملك والدنيا، يقول الله له يو القيامة: ما حملك أن قتلت نفسك على دنيا غيرك، اذهبوا به إلى النار».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يَجَأُ بِهَا في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبدًا»[١٠٤].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحل دم امرئ مسلم إلّا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس بغير حق».

وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله، فإذا قالوها عصموا[١٠٥] مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها وحسابها على الله».

الحسن: من قتل نفسًا حرم الله عليه الجنة أن يجد ريحها.

أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قرأ ابن عباس هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء:٩٣] فقال: ما كان الله لينذر قاتل المؤمن حتى يهلكه.

أبو الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلّا من مات مشركًا، أو من قتل مؤمنًا متعمدًا».

مبحث في اليمين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:٧٧]، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [النحل:٩٥]، أي بما[١٠٦] عند الله.

وفي صفة المنافقين: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ [المجادلة:١٤]، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ [المجادلة:١٦]، ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا﴾ [التوبة:٧٤]، ﴿سَيَحْلِفُونَ [بِاللَّهِ] لَكُمْ﴾

(١٠٤) صحيح البخاري ٧/ ١٣٩.
(١٠٥) عصموا: عصموها، م ي. صحيح البخاري ٩/ ١١٢، وصحيح مسلم ٥٧١.
(١٠٦) أي بما: ما، م ي.

[التوبة:٩٥]، ﴿وَيَحْلِفُونَ(١٠٧) بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [التوبة:٥٦]، ﴿وَلَا تَنقُضُواْ(١٠٨) ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل:٩١]، ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل:٩٢]، ﴿فَيَحْلِفُونَ(١٠٩) لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ﴾ [المجادلة:١٨].

الأيمان ثلاث: يمين على المستقبل، تُكَفَّر. ويمين على الماضي مع ظن الصدق، وهو اللغو، ومع العلم بالكذب فهو اليمين الغموس.

وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه لقي الله وهو عليه غضبان(١١٠)» يعني يلقى جزاءه وغضبه، أراد عقوبته.

وقال عليه السلام: «ثلاث من الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس»، وقال: «إن اليمين الغموس تدع الديار بلاقع».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأدخله النار»، قال: يا رسول الله، وإن كان شبرًا؟ قال: «نعم، وإن كان عودًا من أراك».

فأما كراهية الحلف أصلًا: فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٤]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه يُنَفِّقُ(١١١) ثم يمحق»، رواه أبو هريرة، وقال: «ثلاثة(١١٢) يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم(١١٣) الله: أما الذين(١١٤) يحبهم: فرجل(١١٥) يكون في فئة فيلقون العدو فينصب في نحر العدو(١١٦) حتى يهراق دمه

(١٠٧) في م ي: يحلفون. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(١٠٨) في م ي: ينقضون. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(١٠٩) في م ي: يحلفون. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(١١٠) غضبان: عان، ي. انظر مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٤٦٢.
(١١١) انظر الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٢) ثلاثة: ثلاث، ي. انظر الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٣) ثلاثة يشنؤهم: ثلاث يشناهم، م ي. انظر الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٤) الذين: الذي، م ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٥) فرجل: فربج، م ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٦) ينصب في نحر العدو: يصيب في نحوه العدر، م ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.

أو يفتح الله عليه، ورجل في سفر مع قوم فيسيرون حتى يطول سراهم حتى يحبوا[١١٧] أن يَمَسُّوا الأرض فينحى أحدهم[١١٨]، ويقوم ويصلي حتى يوقظهم لرحلتهم ورجل[١١٩] له جار يؤذيه فصبر على أذاه [حتى][١٢٠] يفرق بينهما موت أو ظعن. والثلاثة الذين[١٢١] يشنؤهم الله: [التاجر][١٢٢] الحلاف، والفقير المختال، والبخيل المنان، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم:١٠]»[١٢٣].

سلمان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «[ثلاثة][١٢٤] لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل اللهُ له بضاعةً، فلا يبيع إلّا بيمينه ولا يشتري إلّا بيمينه»[١٢٥]، وفي رواية أبي ذر: «المنان، والذي يجر رداءه خيلاء، والذي ينفق سلعته باليمين الكاذبة».

الصادق عليه السلام: من قال: يعلم الله لما لا يعلم الله اهتز العرش إعظامًا له[١٢٦].

مبحث في الرشوة

قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢]، ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة:١٧٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما روى أبو هريرة: «لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم».

(١١٧) يحبوا: أحسبوا، م ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٨) ينحى أحدهم: يمسوا الأرض، م ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١١٩) رجل: له رجل، ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١٢٠) انظر الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١٢١) الثلاثة الذين: ثلاثة، م ي. الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١٢٢) الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١٢٣) الجهاد لابن المبارك ٥١، ومسند أحمد ٣٥/ ٢٦٨.
(١٢٤) شعب الإيمان ٦/ ٤٨٧، ومعجم الطبراني الأوسط ٥/ ٣٦٧.
(١٢٥) شعب الإيمان ٦/ ٤٨٧، ومعجم الطبراني الأوسط ٥/ ٣٦٧.
(١٢٦) يعلم: بعلم، ي. الكافي للكليني ٧/ ٤٣٧.

وعن إبراهيم بن سالم: رأيت مهران بن موسى في المنام بعد سنة من موته، فقلت: ما فعل بك؟ قال: أنا محاسب مذ مت بأكلة أكلتها في بيت غريم لي.

وقد مضى نظائر ذلك فيما مضى.

مبحث في الخمر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ [المائدة:٩٠]، وقال: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ﴾، ثم قال: ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ [الأعراف:٣٣]، و﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣]، ونظائرها.

وفي شرب الخمر سبعة أشياء:

سقوط العدالة: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣] أي عدلًا، وشرب الخمر يسقط عدالته.

وسقوط القربة: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣].

وذهاب القيمة، وهو زوال عقله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الفرقان:٤٤].

ووجوب العقوبة: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٩]، ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟﴾ [النساء:٣١]، ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ [الشورى:٣٧].

والغفلة: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٩١].

والعداوة: ﴿أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة:٩١].

وموافقة الشيطان: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة:٩].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله في الخمر عشرة: بائعها، ومشتريها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وغارسها لا يغرسها إلّا للخمر، وآكل ثمنها، ومؤديه، وساقيها، وشاربها».

وأنشد بعضهم:

بطيزناباد كرم ما مررت به ألا تعجبت ممن يشرب الماء

فهتف به هاتف[١٢٧]:

وفــي جهنــم مــاء مــا تجرعــه خلــق فأبقـى لـه فـي البطـن أمعـاء

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الذنوب كلها في بيت، وجعل مفتاحها شرب الخمر»، رواه علي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوضه»، قيل: وما هو نهر الغوضه؟ قال: «نهر يخرج من فروج المومسات، يؤذي أهل النار ريح فروجهن»، رواه أبو موسى.

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك ومدمن خمر»[١٢٨].

أبو جحيفة، عن النبي عليه السلام قال: «أتاني جبريل متغير اللون فقلت: ما لي أراك متغير اللون؟ قال: اطلعت في النار فرأيت واديًا في جهنم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا الوادي؟ قال: لثلاثة نفر: للمحتكرين، والمدمنين، والمؤلفة بين المفسدين».

ابن عمر، عن النبي عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين أعدائي، فيقول جبريل: أي أعدائك يا رب تريد؟ فيقول الرب: أصحاب الخمر الذين كانوا يبيتون سكارى، أين الذين كانوا يستحلون فروج المحارم؟[١٢٩] سقهم إلى النار مع الشياطين».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن سكر لم يقبل منه صرف ولا عدل أربعين ليلة، وإن مات فيها مات كعابد وثن، وحق على الله أن يسقيه من طينة الخبال»، قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار، والقيح، والدم».

عائشة، عن النبي عليه السلام: «من أطعم شارب الخمر فكأنما قتل مؤمنًا متعمدًا، ومن أعانه بشيء فكأنما هدم الإسلام».

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا مات شارب الخمر فإنه يجيء يوم

(١٢٧) التخويف من النار ١٥٥.

(١٢٨) صفة الجنة للضياء المقدسي ٦٩، والنهاية في الفتن والملاحم لأبي الفداء الدمشقي ٢/ ٢٨٠.

(١٢٩) المحارم: الحرام، م ي.

القيامة فيقول الله تعالى لملائكته: خذوه، فيأخذه سبعون ألف ملك، ويسحبونه على وجهه في النار».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات سكران[١٣٠] عاين ملك الموت وهو سكران، وأدخل القبر سكران، وبعث إلى القيامة سكران، وأوقف بين يدي الله سكران، وانصرف به إلى جهنم سكران، إلى جبل وسط جهنم يقال له سكران، فيه عين تجري مِدَّةً ودماغه يغلي، لا يكون له طعام ولا شراب إلّا منه».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من شيء أبغض إلى الله من شارب الخمر، يمسي ويصبح لا ينظر الله إليه، وإذا أخذ الكأس بيده تناثرت عنه حسناته، فإن شرب كتب عليه من الوزر كمن قتل نبيًا».

وروي أن عمر قدم الشام وذكر الكبائر وذكر فيها الخمر، فكأنهم أنكروا ذلك منه، فقال: والذي نفس عمر بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تسلموا على شارب الخمر، ولا تعودوا مرضاهم، ولا تصلوا على جنائزهم، وكأني أنظر إلى شارب الخمر يوم القيامة وعيناه زرقاوان، وشفته مائلة، يدلع لسانه، ويجري دماغ رأسه على صدره، يستقذره أهل الموقف، يسألون ربهم العافية مما ابتلاه به»، أزيدكم؟ قالوا: نعم، قال: والذي نفس عمر بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من شربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يومًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن شربها ثالثة لم يقبل له صلاة أربعين يومًا، فإن شربها رابعة حق على الله أن يسقيه من طينة الخبال عصارة أهل النار» أزيدكم؟ قالوا: نعم، قال: والذي نفس عمر بيده سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مدمن الخمر كعابد وثن».

للقاضي أبي سفيان السرخسي:

لا يغرنكم بني الشباب ... إن قدامكم بلى وترابُ
وشدادٌ من الأمور صعابٌ ... وثوابٌ مؤبدٌ وعذاب
عجبًا لامرءٍ تيقن هذا ... كيف في جوفه يقر الشرابُ

وسمع بعض الصالحين منشدًا ينشد:

سُكْرانِ سُكْرُ هوًى وسُكْرُ مدامةٍ ... أنى يفيق فتى به سُكْرانِ

---

(١٣٠) سكران: سكرًا، م ي.

فقال: أين هو عن السكرة الثالثة ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩]، ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ [الحج:٢].

وعاتب الضحاك صديقًا له على شرب الخمر فقال: إنه يهضم الطعام، فقال: ما يهضم من دينك أكثر.

وقيل لبعضهم: النبيذ كيمياء[١٣١] الطرب، فقال: نعم، ولكنه داعية الحرب.

وعن عمر: وافقت ربي في ثلاث: قلت: لو حرم الخمر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ [المائدة:٩٠]، وقلت: لو ضرب حجاب بين الرجال والنساء، فأنزل الله آية الحجاب، وقلت: من كان عدوا لجبريل فإن الله عدوه، فأنزل الله تصديق ذلك.

مبحث في القذف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ﴾ [النور:٢٣].

حكمه في الدنيا: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا﴾ [النور:٤].

فإن كانت زوجة: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور:٦]، وإن كانت عائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور:١١]، وفيه: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]، ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥].

وقد رميت عائشة ومريم وهما بريئتان وقصتهما في الكتاب، أما مريم: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ [مريم:٢٧]، وفي عائشة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ [النور:١١]، فأظهر الله براءة مريم على لسان ابنها، وأظهر براءة عائشة على لسان نبيه في ثماني عشرة آية.

وعن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رحم الله امرءًا كف لسانه عن أعراض المسلمين، لا تحل شفاعتي لطعانٍ ولا للعانٍ».

حذيفة، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «قذف المحصنة يهدم عمل مائتي سنة».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من الكبائر رمي المحصنات».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أربع موجبات: من قتل نفسًا بغير حقها، والإشراك بالله،

(١٣١) كيمياء: كما، ي. تحسين القبيح وتقبيح الحسن ص٧١.

والفرية[١٣٢] على المسلمة المحصنة[١٣٣]، والفرار يوم الزحف إلّا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة، ويغفر الله بعد ذلك لمن يشاء». وعنه[١٣٤]: «الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله إلّا بالحق، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم».

أبو ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يَرْمِ رجل رجلًا بالفسق ولا بالكفر، فإنه يرجع إليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

وقال عليه السلام: «البهتان على البريء أثقل من السماوات»؛ يعني وزره[١٣٥].

قيل: إن نخرت امرأة بالليل لا تقل لها: يا فاجرة، لعلها تابت، عن بعض السلف.

عائشة قالت: قال النبي عليه السلام ذات يوم لأصحابه: «أي الزنا أعظم عند الله»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «[إن أزنى][١٣٦] الزنا استحلال عرض امرئ مسلم، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

أنس عن النبي عليه السلام: «إن الرجل يقول لأخيه: يا مُراءِ، فيهدم عمله أربعين عامًا، فإن لم يكن له عمل أُوقِر وزر سبعين عامًا، وإن الرجل ليقذف المحصنة البريئة[١٣٧] فيهدم عمله سبعين عامًا، فإن لم يكن له عمل أُوقِرَ[١٣٨] وزر سبعين عامًا، والرجل ليتكلم بالكلمة لا يدري ما يوافق من كلامه سخط الله ليضحك به جلساؤه، فيسخط الله عليه بها إلى يوم القيامة».

مبحث في الزنا

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ [المؤمنون:٥]، وقال: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ﴾ [النور:٢].

وللزاني عقوبات في الدنيا وعقوبات في الآخرة:

(١٣٢) الفرية: القربة، ي.

(١٣٣) المحصنة: الحاصنة، م ي.

(١٣٤) وعنه: على، م ي.

(١٣٥) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٣٧٨.

(١٣٦) انظر مسند أبي يعلى ٨/ ١٤٥.

(١٣٧) البريئة: البرية، ي.

(١٣٨) أوقِرَ: وقر، م ي.

فأما الذي في الدنيا: فقال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي..﴾ الآية [النور:٢]، فهو في المحصن الرجم، وفي البكر الجلد. وأقام عمر الحد على ابنه أبي شحمة[١٣٩] حتى توفي، أمر به أفلح فضربه، وكان من كلامه له: يا أبت السلام عليك فإن الموت قد نزل بي، [قال]: فإذا لقيت رسول الله فأقره السلام، ثم مات، فصلى عليه عمر ودفنه. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الزنا يورث الفقر، وشدة الحساب، والعقوبة في الآخرة»، رواه أبو هريرة.

وقوله: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا..﴾ الآية [النساء:١٦]، كان حد الزنا الحبس، ثم نسخ بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا [عني، فقد جعل الله لهن سبيلا، الثيب بالثيب، والبكر بالبكر، الثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثم نفي سنة][١٤٠]»، ثم نسخ التغريب بآية الجلد.

وعن النبي عليه السلام: «إن الله تعالى قرن الزنا بالشرك والقتل في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ..﴾ ﴿وَلَا يَزۡنُونَ..﴾ الآية [الفرقان:٦٨].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يجتمع الزنا والغنى في بيت، ولا الفقر وقراءة القرآن في بيت».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أما اللواتي في الدنيا: فيذهب بنور الوجه، ويقطع الرزق، ويسرع الفناء، وأما اللواتي في الآخرة: فغضب الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن السماوات السبع والأرضين السبع لتلعن[١٤١] العجوز الزانية والشيخ الزاني».

علي عليه السلام: أتدرون أي الذنب أعظم؟ قال: أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك الزنا، لأنه يزني بحليلة أخيه فيصير زانيًا، ويفسد على أخيه زوجته، ثم قال: يرسل على الناس يوم القيامة ريح منتنة يتأذى منها كل بر وفاجر فتأخذ بأنفاس الناس، فيناديهم مناد: هذا ريح فروج الزناة، العنوهم لعنهم الله، فلا يبقى بر ولا فاجر إلّا قال: اللهم العن الزناة، ثم تصرف وجوههم إلى النار.

---

(١٣٩) شحمة: سحمة، ي.

(١٤٠) +: انظر صحيح مسلم ٣/ ١٣١٦.

(١٤١) لتلعن: ليعلن، م ي. لسان الميزان ٢/ ٢٩٤.

ابن مسعود قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله أي الذنوب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نِدًّا وهو خلقك»، قال: ثم أيّ؟ قال: «أن تزني بحليلة جارك»، قال: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك».

وعن الحسن قال: قال إبليس: إذا ظفرت من ابن آدم بأحد الخصلتين ما أبالي ما عمل معها: يقيم على فرج حرام، أو مكتسب حرام.

وكان ابن عباس يقول لغلمانه: تزوجوا فإن الرجل إذا زنا بتر عنه الإيمان، فإن شاء [الله] أعطاه وإن شاء منعه.

المقداد: سئل النبي عليه السلام عن الزنا فقال: «حرام حرمه الله ورسوله»، ثم قال: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه [من](١٤٢) أن يزني بحليلة جاره».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..» الخبر مذكور في باب الإيمان، ثم قال في آخره: «الإيمان أكرم على الله من ذلك».

مبحث في اللواط

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ [ٱلْفَٰحِشَةَ] مَا سَبَقَكُم بِهَا [مِنْ أَحَدٍ] مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٨٠]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ [الشعراء:١٦٥]، ونظائرها، وقصة قوم لوط وإهلاكهم(١٤٣) قد ذكرناها.

عن النبي عليه السلام: «احذروا الملوك وأبناء الملوك فإن لهم شهوة كشهوة العذارى(١٤٤)».

وقال عليه السلام: «من قبّل غلامًا لشهوة فكأنما نكح أمه سبعين مرة، ومن نكح أمه مرة فكأنما افتض سبعين عذراء بغير مهر، ومن افتض سبعين عذراء بغير مهر فكأنما أتى سبعين نبيًا، ومن زنى بامرأة مسلمة أو غير مسلمة، حرة أو أمة، فتحت عليه في قبره ثمانمائة ألف باب من النار، تخرج إليه حيات وعقارب وشهب من النار، فهو يعذب بها إلى يوم القيامة».

وعن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ستة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا

---

(١٤٢) انظر معجم الطبراني الكبير ٢٠/٢٥٦.

(١٤٣) إهلاكهم: أهلكهم، م ي.

(١٤٤) العذارى: العراري، م ي. المناهي وعقوبات المعاصي للنيسابوري ص ١٩١.

يجمعهم مع الناس: الفاعل بيده، والفاعل بحليلة جاره، وشارب الخمر إلّا أن يتوب، والفاعل، والمفعول به، والضارب والديه حتى يستغيثا الله».

عطاء الخراساني في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله سبعة كل واحد ثلاث مرات قال: ملعون ملعون من عمل عمل قوم لوط، ومن أتى بهيمة، ومن شتم والديه، ومن سرق تخوم[١٤٥] الأرض، ومن جمع بين امرأة وأمها، ومن ادعى إلى غير أبيه، ومن ذبح لغير الله».

وروي أن سليمان عليه السلام قال: سئل إبليس عن خصلتين قال: أي شيء أحب إليك وأبغض إلى الله؟ وأي شيء أبغض إليك وأحب إلى الله؟ قال: ليس شيء أحب إلى الله من الصلاة ولا أبغض إلي منها، وليس شيء أبغض إلى الله مِنْ ذَكَرٍ يعلو ذكرًا ولا أحب إلي منه، وإذا[١٤٦] رأى الشيطان ذكرًا يعلو ذكرًا فر منه مخافة أن ينزل بهم العذاب.

جاء في التفسير في قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩] قال: عشر خصال: اللواط، والخذف بالحصى[١٤٧]، والرمي بالبندق، والصفير، والسكينة، وحل إزار القبا والسراويل على ظهر القدم، ومضغ العلك، وطول الشارب، وشد العمائم حول الرأس، والسواك في المجلس[١٤٨].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من قبّل غلامًا شهوة حرم الله عليه الجنة وأوجب له أشد النار».

وعنه عليه السلام: «لا تملأوا[١٤٩] أعينكم من أولاد الأغنياء، فإن فتنتهم أشد من فتنة العذارى[١٥٠]». وفي الحديث: «لا تدعوا النظر إلى المرد فإن[١٥١] لهم لمحة[١٥٢] من الحور».

سعيد بن المسيب: إياكم ومجالسة كل[١٥٣] غلام فإنه أعظم فتنة من فتنة النساء.

(١٤٥) تخوم: نجوم، م ي. جامع بيان العلم وفضله للنمري ١/ ٣٠٤.
(١٤٦) إذا: إذ، م ي.
(١٤٧) الحصى: العصى، ي.
(١٤٨) القرطبي ١٣/ ٣٤٣.
(١٤٩) تملأوا: تملوا، م ي. الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ٦٦.
(١٥٠) الكامل في ضعفاء الرجال ٢/ ٦٦.
(١٥١) فإن: بأن، م ي، كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ٣٥٠.
(١٥٢) لمحة: لحظة، م ي. كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ٣٥٠.
(١٥٣) كل: كلا، م ي.

مبحث في إتيان الحائض

أنس قال: إن اليهود كانوا لا يأكلون ولا يشربون ولا يقعدون مع الحائض، فذكر ذلك للنبي، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ(١٥٤) عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اصنعوا كل شيء ما خلا الجماع».

وعنه عليه السلام: «من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد».

قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ ثم قال ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ بغير فاء، وقال: ﴿وَإِذَا(١٥٥) سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦] بالفاء، لأنه يسأل في المستقبل، وكذلك قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ(١٥٦) عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه:١٠٥].

وقيل: إن الحيض كان على الإباحة في شريعة النصارى، وفي غاية التحريم في شريعة اليهود، فلما قدم المسلمون المدينة سألوا عن ذلك فنزلت الآية.

قوله: ﴿هُوَ أَذًى﴾ [البقرة:٢٢٢]: نجاسة [والأذى في قوله]: ﴿بِٱلْمَنِّ(١٥٧) وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤] هو قول يكرهه(١٥٨) الفقير، [وفي قوله]: ﴿يُؤْذُونَ(١٥٩) ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٥٧] هو إيذاء أوليائه.

قوله: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢] للحائض عشرة أحكام: لا تصلي(١٦٠)، ولا تصوم(١٦١)، ولا تطوف بالبيت، ولا يقربها الزوج، يقول الله: من لا يصلح لخدمتي لا يصلح لصحبتك، ثم منع من الخدمة من غير ذم بخلاف السكران، لأنه منع من الخدمة مع الذم؛ لأن هناك السبب من جهة الله، وهاهنا من جهته، وفيه دليل لأهل العدل، ولا تقرأ القرآن، ولا تمس المصحف، وتنقضي به العدة، قال تعالى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨]، ولا تدخل المسجد.

---

(١٥٤) في م ي: يسألونك. وما أثبتناه من المصحف.

(١٥٥) في م ي: إذا. وما أثبتناه من المصحف.

(١٥٦) في م ي: يسألونك. وما أثبتناه من المصحف.

(١٥٧) في م ي: المن. وما أثبتناه من المصحف.

(١٥٨) يكرهه: يكره، ي.

(١٥٩) في م ي: يوذن. وما أثبتناه من المصحف.

(١٦٠) لا تصلي: لا يصلي، م ي.

(١٦١) لا تصوم: لا يصوم، م ي.

قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فأباح الإتيان بعد التطهير؛ لأن المنع من جهتين، فأراد[١٦٢] أن يكون الإطلاق[١٦٣] أيضًا من جهتين كقوله: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة:٢]، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا﴾ [الجمعة:١٠]، وأحكام الحيض معلومة.

مبحث في إتيان المرأة في دبرها

قال تعالى: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٢]، ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وعن جابر: قالت اليهود: من أتى امرأة في فرجها من دبرها خرج ولدها أَحْوَلَ، فأنزل الله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣].

خزيمة بن ثابت، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء من أدبارهن».

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي عليه السلام قال: «هي اللواطة الصغرى» يعني وطء النساء في أدبارهن.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا ينظر الله إلى رجل وطئ امرأته في دبرها».

مبحث في الربا

قال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران:١٣٠]، فإن أردتم زيادة المال ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ﴾ [الروم:٣٩]. ينقص ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا﴾ [البقرة:٢٧٦]، ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [البقرة:٢٧٩]، ﴿فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة:٢٧٥]، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٩] في الدنيا وفي القيامة، ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا[١٦٤] يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦]، ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١].

(١٦٢) أراد: أردت، م ي.
(١٦٣) الإطلاق: الطلاق، م ي.
(١٦٤) في م ي: يقوم كما يقوم. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

وسمى الله تعالى أربعة نفر محاربين: قطاع الطريق ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ [المائدة:٣٣]، المنافقون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا..﴾ إلى قوله: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة:١٠٧]، واليهود ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٦٤]، وأهل الربا ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٩].

وقد ذكر الله تعالى لأهل الربا عشر عقوبات: ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾، المحق ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ﴾، وسمى آكله: كافر نعمة الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، وسماه أثيمًا: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٣، ٤٤]، فمن أكل الربا أكل الزقوم، ولا ينجّيه[١٦٥] الله كما ذكر الخلود في النار قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٧٥]، السابع: سماه حربًا لله ولرسوله ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٩]. فأما[١٦٦] الآثار في ذلك: فروى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «درهم يؤخذ ربا أعظم عند الله من ستة وثلاثين زنية، ومن نبت لحمه من السحت فالنار أولى به».

الحارث، عن علي عليه السلام: لعن عشرة: آكل الربا، ومؤكله، وكاتبه، وشاهديه، والمانع الصدقة، والواشمة، والمؤتشمة، والمحلل، والمحلل له.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الربا سبعون بابًا، أهونها عند الله كالذي نكح أمه».

حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من تاجر ليس بفقيه[١٦٧] إلّا أكل الربا»، «وإن الله يملأ[١٦٨] بطنه نارًا بقدر ما أكل منه».

وقال عليه السلام: «أتاني جبريل فقال: يا محمد بشر آكل الربا من أمتك أن يتبوأ مقعده من النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان لا يبقى أحد إلّا أكل الربا، فإن لم يأكله أصاب من غباره».

---

(١٦٥) ينجّيه: حسبه، م ي.
(١٦٦) فأما: فإنما، م ي.
(١٦٧) بفقيه: نفقته، م ي. كتاب اللطائف والظرائف ص٧١ ونسب القول فيه للضحاك.
(١٦٨) يملأ: ملأ، م ي. البحر الرائق ٦/ ٢١٠.

ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر صاحب الربا فقال: «لم يزل في لعنة الله والملائكة ما دام منه عنده قيراط».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكلة[١٦٩] الربا يبعثون على صورة الخنازير، [و]على صورة الكلاب؛ لأجل حيلتهم[١٧٠] في الربا، كما مسخ قوم داود حين أخذوا الحيتان بالحيلة».

ابن عباس: يأتي على الناس زمان يُستَحَلّ فيه الربا بالبيع، والخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والقتل بالموعظة، يقتل البريء ليتعظ به العامة[١٧١].

مبحث في الغيبة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، والغيبة أن تعيبه بخلقة فيه وهذا[١٧٢] يقرب من الكفر، وقد حكي أن بعض الملوك قال لحكيم: ما أقبح صورتك، فقال: لم تُجعل صورتُك إليك فتُمدح على حسنها، ولا جُعلت صورتي إليّ فأُذم على قُبْحِها، وإن من عاب الصنعة عاب الصانع.

ومن الغيبة: إظهار فسق يكتمه صاحبه، فلا ينبغي أن يفعل، لعله يتوب، فأما من أعلن ولا يبالي ما يقال فيه فلا غيبة عليه، فقد روى أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة [له][١٧٣]»، وقال: «ليس للفاسق غيبة»، رواه بهر بن حكيم، عن أبيه، عن جده.

وكما لا ينبغي أن يُغتاب فلا ينبغي أن يَغتاب أو يرضى أن يدخل[١٧٤] مع القوم في ذلك.

وقد جاء في الغيبة آثار كثيرة ذكرنا طرفًا منها:

علي عليه السلام: ما عمر مجلس بالغيبة إلّا خرب من الدّين، فنزهوا أسماعكم من استماع

---

(١٦٩) أكلة: آكل، م ي.
(١٧٠) حيلتهم: حياتهم، م ي.
(١٧١) شرح السنة للبغوي ٨/ ١٩٣.
(١٧٢) وهذا: وهو ذا، م ي.
(١٧٣) مسند الشهاب ١/ ٢٦٣.
(١٧٤) أو يرضى أن: أن يرضى أن، م ي.

الغيبة، فإن القائل والمستمع له[١٧٥] شريكان في الإثم، ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «الغيبة إدام كلاب أهل النار».

وروى ابن عمر والبراء بن عازب قالا: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة وقال فيها: «يا معشر مَنْ أقرَّ بلسانه ولما يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته»[١٧٦].

عن جابر قال: هاجت ريح منتنة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اغتاب قوم من المنافقين قومًا من المؤمنين، فلذلك هاجت».

وأوحى الله إلى موسى: يا موسى من مات تائبًا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مُصِرًّا عليها فهو أول من يدخل النار.

الفضيل: فاكهة قرائنا[١٧٧] الغيبة.

وقال النبي عليه السلام: «من اغتيب عنده أخوه المسلم، فاستطاع أن ينصره، فنصره، نصره الله تعالى في الدنيا والآخرة، ومن خذله خذله الله في الدنيا والآخرة».

وسئل الثوري عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يبغض أهل بيت اللحم»[١٧٨]، قال: الذين يأكلون لحوم الناس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس»[١٧٩].

عن سعيد قال: يؤتى بالعبد يوم القيامة فيدفع إليه كتاب ولا يرى صلاته ولا صيامه ولا سائر أعماله، فيقول: يا رب هذا كتاب غيري، كان لي حسنات ليست فيه، فيقال[١٨٠] له: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتيابك المسلمين.

نظرت أم الدرداء إلى رجل يغتاب رجلا، فنهاه آخر، فقالت للناهي: قد غبطتك بمكانك.

---

(١٧٥) له: لها، م ي.

(١٧٦) مسند أحمد ٣٣/ ٢٠.

(١٧٧) شعب الإيمان ٩/ ١٢١.

(١٧٨) في شعب الإيمان: (أهل البيت اللحمين) ٧/ ٤٥٩.

(١٧٩) مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ٢٧٢.

(١٨٠) فيقال: فقال، م ي.

سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من ذبَّ عن عِرْض أخيه رد الله عن وجهه لفح النار يوم القيامة».

وكان الفضيل بن عياض في دعوة، فأخذ بعضهم في الغيبة فقال: إن من كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم ابتدأتم باللحم دون الخبز.

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصائمين أحدهم يحجم الآخر ويغتابان، فقال: «أفطر الحاجم والمحجوم».

وفي الحديث: «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا أنهما لم يدعا الغيبة، فجاءتا إلى رسول الله فقالتا: صمنا وجعنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنتما جائعتان ولستما بصائمتين حتى تتركا[١٨١] الغيبة»، [فاستغفرتا][١٨٢] فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنتما جائعتان صائمتان».

مجاهد: خصلتان مَنْ حفظهما في صومه سَلِم له صومُه: الغيبة، والكذب.

سويد بن غفلة، عن النبي عليه السلام قال: «الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل ليزني فيتوب فيتوب الله عليه، وصاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه».

ودخل ابن السماك على المأمون وعنده رجل يغتاب رجلا[١٨٣]، فقال ابن السماك: ما المشتار[١٨٤] الجنيّ ولا الرَّازِقيّ[١٨٥] الشهي، ولا القصر البهي، ولا المركب الوطي، ولا الوجه الرضي، ولا المال السني، بأحب إلى الفاجر الشقي[١٨٦] من غيبته للمؤمن التقي.

وقيل للحسن: إن فلانًا يغتابك. فبعث إليه طبقًا من الطرف وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فأردت أن أكافئك بها.

ابن السماك: لكل شيء ديباج، وديباج القراء ترك الغيبة.

(١٨١) تتركا: تتركان، م ي.
(١٨٢) لم أقف على هذا الأثر، والزيادة من عندنا ليستقيم السياق.
(١٨٣) يغتاب رجلا: لا يغتاب رجل، ي.
(١٨٤) المشتار: العسل. والمشتار الجنيّ: العسل المجتنى حديثا.
(١٨٥) في م ي: (الرار في)، والتصحيح من البصائر والذخائر ٢/ ٣٦١، والرازقي: ثياب كتان بيض، أو الثوب الرقيق. لسان العرب (رزق).
(١٨٦) الشقي: الغني، م ي. البصائر والذخائر ٢/ ٣٦١.

وقال عوف: تناولت من الحجاج عند ابن سيرين فقال: يا عوف، إن الله حَكَمٌ عدلٌ، كما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج، وإنك لو لقيت الله غدًا لكان[١٨٧] أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

ودخل فضيل دعوة فاغتابوا رجلا لم يأتهم[١٨٨]، فقالوا: إنه ثقيل، فقال فضيل: إنما فعل بي هذا بطني إذ شهدت طعامًا يغتاب عليه المسلمون، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

سفيان بن الحسن قال: كنت عند إياس بن معاوية، فمر بي رجل فنلت منه، فقال: اسكت، ثم قال: هل غزوت الروم العام؟ قلت: لا، قال: يسلم منك الروم والترك ولا يسلم منك أخوك المسلم. فما عدت إلى ذلك بعده.

مبحث في النمام

قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١]، وروي أن الوليد بن المغيرة نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجنون، فأجابه الله بعشرة أشياء. وفيها خصائص للنبي، منها أنه تولى الجواب، وفي غيره كان يجيب الرسول كما حكي عن فرعون أنه قال: ﴿لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۞ قَالَ﴾ [الإسراء:١٠١-١٠٢]، ونحوه.

وأجاب بعشرة أشياء: ﴿حَلَّافٍ﴾، ﴿مَّهِينٍ﴾، ﴿هَمَّازٍ﴾ ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾، ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾. ﴿مُعْتَدٍ﴾ ﴿أَثِيمٍ﴾، ﴿عُتُلٍّ﴾ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، والعاشر: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [القلم:٨]. وفي الآية ذم النمام.

وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة قَتَّاتٌ»[١٨٩].

مجاهد في قوله: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد:] قال: كانت تمشي بالنميمة. [وهم] المفسدون بين الأحبة.

وعن عطاء قال: ذكرت للشعبي قول النبي عليه السلام: «لا يسكن مكة سافك دم، ولا مشاء

(١٨٧) لكان: وكان، ي.

(١٨٨) رجلا لم يأتهم: ورجع الساعة لم يأت رجل، ي. انظر الأذكار للنووي ٣٤٠.

(١٨٩) القَتَّات: النمام. العين (قت).

بنميم، ولا تاجر بربا»، فقلت: يا عامر قرن النمام بالقاتل وآكل الربا؟ فقال: وهل تسفك[١٩٠] الدم، وتنتهب الأموال، وتهيج العظائم إلّا لأجل النميمة.

الحسن: من نقل إليك حديث غيرك نقل حديثك إلى غيرك.

كعب الأحبار: أعظم الناس خطيئة يوم القيامة عند الله [المُثَلِّث][١٩١] الذي يسعى بأخيه إلى السلطان، فيهلك نفسه وأخاه وسلطانه، ثال: ونم رجل رجلًا إلى عمر بن عبد العزيز فقال له: إن شئت نظرنا في أمرك إن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم:١١]، وإن شئت عفونا عنك؟ قال: تعفو يا أمير المؤمنين ولا أعود إلى مثل ذلك.

الفضيل: ثلاث تهدم العمل الصالح وتفطر الصيام وتنقض الوضوء: الغيبة، والنميمة، والكذب.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من مشى بين اثنين بالنميمة سلط الله عليه في قبره نارًا تحرقه إلى يوم القيامة».

وقال عليه السلام: «أتاني جبريل فقال: يا محمد بشر المشائين بالنميمة بالنار»، وقال: «من مشى بالنميمة بين المسلمين قطع الله له نعلين[١٩٢] من النار يغلي منهما دماغه، ومن ألجأ أحدًا[١٩٣] إلى السلطان لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان».

ونم رجل رجلًا إلى بعض الخلفاء، فقال: إن كنت صادقًا مقتناك، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن أردت الإقالة أقلناك، فقال: أقلني أقالك الله.

وزار بعضهم حكيمًا وذكر[١٩٤] عنده بعض إخوانه بشيء، فقال الحكيم: يا أخي قد أبطأت في الزيارة، وأتيتني بثلاث: بغضَّتَ إلي الحبيب، وشغلْت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

سفيان بن عيينة قال: دخلت على الرشيد فسلمت، فرد خفيا ونكس رأسه، ثم قال: يا سفيان

(١٩٠) تسفك: سفك، م ي.
(١٩١) المجالسة وجواهر العلم ٢/١٦٦، وسمي بذلك لأنه أهلك نفسه والسلطان وأخاه.
(١٩٢) نعلين: نعلان، ي. انظر ربيع الأبرار ٢/٢٣٩.
(١٩٣) أحدًا: أحد، ي.
(١٩٤) ذكر: ذكره، ي.

تأخذ منا الجوائز وتذكر فينا القبائح، قلت: ما فعلت ذلك، قال: بلى، أخبرني بذلك الثقة. فقلت: حدثني منصور بن إبراهيم عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «القَتَّات[١٩٥] لا يدخل الجنة، فمن حرمت عليه الجنة فكيف يكون ثقة»، فسري عنه.

مبحث في الاحتكار

قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

معاذ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسأله عن الاحتكار ما هو؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا سمع رخصًا ساءه، وإذا سمع بغلاءٍ فرح».

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من تمنى الغلاء على أمتي ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يبعث المحتكرون يوم القيامة وقتلة الأنفس في دركة واحدة في جهنم».

ابن ثوبان[١٩٦] عن النبي عليه السلام قال: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حبس طعامًا لغلائه فهو ملعون، والملعون في النار».

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قل للمحتكرين: افعلوا ما شئتم، فإنكم تدخلون النار، وقل للجالب:[١٩٧] افعل ما شئت فإنك تدخل الجنة».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن النمل كانت أمة مسخت، وكانوا محتكرين، وإن المحتكرين يبعثون يوم القيامة على صدورهم إلى النار في الدرك الأسفل مع المنافقين».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أشفع يوم القيامة للعاق ولا أشفع للمحتكرين، ما هم مني ولا أنا منهم».

---

(١٩٥) القَتَّات: القتاب، ي.

(١٩٦) ثوبان: سنان، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ٧٢٨.

(١٩٧) قل للجالب: قيل للحلاب، م ي.

مبحث في التكبر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣]، وقال: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٨٣].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد سها ولَهَا ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المبتدا والمنتهى، بئس العبد عبد يبيع الدين بالدنيا، بئس العبد عبد يختل الدِّين(١٩٨) بالشبهات، بئس العبد عبد طَمَعٌ يقوده، بئس العبد عبدٌ هوًى يُضِلُّه»، روته أسماء بنت عميس(١٩٩).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عشرة أصناف من أمتي يحشرون يوم القيامة مع اليهود والنصارى: الخيّالون(٢٠٠)، والمتكبرون، والكاذبون، والذين إذا دعوا إلى الله ورسوله كانوا بطاء وإذا دعوا إلى الشيطان وطاعته كانوا سراعًا، والذين إذا أشرفوا على شيء حرام أخذوا، والذين يكثرون في قلوبهم الغل على إخوانهم، فإذا لقوهم صافحوهم وواكلوهم، والذين يبغون البُرَآءَ العَنَتَ(٢٠١)، والذين يفرقون بين الأحبة؛ وهم السحرة، وصنفان من أمتي لم أرهم يكونون في آخر الزمان: ناكح البهيمة، ونابش القبور، يعذبهم الرحمن ويلعنهم فلا يقيم لهم يوم القيامة وزنا»، رواه معاذ بن جبل.

ابن كرثب، عن أبيه قال: كنت أقود ابن عباس في زقاق أبي لهب، فقال: يا كُرَيْب(٢٠٢)، بلغنا موضع كذا؟ فقلت له: أنت عنده، فقال: حدثني عباس بن عبد المطلب قال: أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا كنا بهذا المكان فقال: «يا عباس، بينا رجل يتبختر في هذا المكان عليه برد ينظر في عطفيه مسبلًا، إذا خسف به في هذا المكان، فهو يتجلجل(٢٠٣) في الأرض إلى يوم القيامة».

---

(١٩٨) يختل الدِّين: تحيل، م ي. سنن الترمذي ٤/ ٢١٣.

(١٩٩) عميس: عميش، م ي. سنن الترمذي ٤/ ٢١٣.

(٢٠٠) الخيّالون: القتالون، م ي. فيض القدير ٣/ ٣٣٧.

(٢٠١) البُرَآءَ العَنَتَ: المراه يقينًا، م ي. مسند أحمد ٢٩/ ٥٢١.

(٢٠٢) كُرَيْب: كرثب، م ي. مسند أبي يعلى ١٢/ ٥٧.

(٢٠٣) يتجلجل: يتخلخل، م ي. مسند أبي يعلى ١٢/ ٥٧.

وروي أن موسى ناجى ربه فقال: يا رب مَنْ أبغَضُ خَلْقِك إليك؟ قال: يا موسى من تكبر قلبه، وغلظ لسانه، وضعُف يقينه، وبخلت[٢٠٤] يده، وساء خلقه.

أبو مسلم الخولاني: لا يتكبر إلّا وضيع، ولا يتفاخر إلّا سقيط، ولا يتعصب إلّا دخيل[٢٠٥].

وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها فقال: حرام أنت على كل متكبر.

يحيى بن معاذ: التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضُعٌ.

حاتم الأصم: لو وزن كبراء زهاد زماننا[٢٠٦] وعلمائهم وقرائهم لكان أرجح من كبراء الأمراء والملوك.

أبو هريرة، عن النبي عليه السلام قال: «يقول الله: الكبر ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته النار».

ومر المهلب بمطرف بن عبد الله وهو يتبختر فقال: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله. فقال المهلب: أتعرفني؟ قال: بلى أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وتحمل بين ذلك عذرة.

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا آمركم ما أمر به نوح ابنه، إن نوحًا قال لابنه: يا بني آمرك بأمرين، وأنهاك عن أمرين: آمرك أن تقول: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، فإن السماوات والأرض لو كانتا حلقة لقصمتهما[٢٠٧]، ولو وضعت في كفة لوزنتهما، وآمرك أن تقول: بسم الله وبحمده، فإنها صلاة الخلق، وبها يرزق العبد، وأنهاك عن الشرك بالله، فإنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، وأنهاك عن الكبر فإنه لا[٢٠٨] يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة من خردل مِنْ كِبرٍ»، فقال معاذ بن جبل: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، من الكبر أن يكون لأحدنا الثياب يلبسها، والدابة يركبها، والطعام يجمع عليه أصحابه؟ قال: «لا،

(٢٠٤) ضعُف يقينه، وبخلت: صفق عينيه، وبخل، م ي. تنبيه الغافلين ص١٥٨.
(٢٠٥) كتاب اللطائف من علوم المعارف ٤٠٣.
(٢٠٦) وزن كبراء زهاد زماننا: تكبر رهباننا، م ي. الزهد والرقائق للخطيب البغدادي ص٨٤.
(٢٠٧) لقصمتهما: لقصصتهما، م ي. المنتخب من مسند عبد بن حميد ص٣٤٨.
(٢٠٨) لا: لم، م ي. المنتخب من مسند عبد بن حميد ص٣٤٨.

ولكن الكبر أن تسفه الحق وتغمص[٢٠٩] المؤمنين، [وسأنبئكم بخلالٍ مَن كنّ فيه فليس بمتكبر: اعتقال الشاة، ولبس الصوف، وركوب الحمار، ومجالسة فقراء المؤمنين] ، وأن يأكل الرجل مع عياله»[٢١٠].

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة مستكبر متكبر، ولا شيخٌ زانٍ، ولا منان على الله بعمله».

عقبة بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أيما رجل مات وفي قلبه من الكبر مثقال ذرة لم يحل له أن يريح رائحة الجنة ولا أن يراها».

شعر[٢١١]:

قلت للمعجب لما ... قال مثلي لا يُراجع
يا قريب العهد بالمخـ ... ـرج [لِمَ] لا تتواضع[٢١٢]

آخر:

يا مظهر الكِبر إعجابًا بصورته ... أبصِرْ خلاك فإن النتن[٢١٣] تثريبُ
فلو فكَّر الناسُ فيما في بطونهم ... ما استشعر الكِبرَ شُبانٌ ولا شيبُ
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمةً[٢١٤] ... وهو بخمس من[٢١٥] الأقذار مضروبُ
أنف يسيل[٢١٦] وأذن ريحها سَهَكٌ[٢١٧] ... والعين مرمضة والثغر ملعوبُ
يابن التراب ومأكول التراب غدًا ... أبصر فإنك مأكول ومشروبُ

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨]، ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ..﴾

---

(٢٠٩) وتغمص: وتغمض، م ي. التواضع والخمول لابن أبي الدنيا، ص ٢٦٥، والغَمْصُ: استصغار غيرك. الصحاح (غمص).

(٢١٠) +: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ص ٢٦٥.

(٢١١) انظر الأمالي المطلقة ص ٩٧.

(٢١٢) تتواضع: يتواضع، ي. الأمالي المطلقة ص ٩٧.

(٢١٣) النتن: الذنب، م ي. أدب الدنيا والدين ١/ ٢٣٨.

(٢١٤) مكرمةً: وهو كما، م ي. أدب الدنيا والدين ١/ ٢٣٨.

(٢١٥) وهو بخمس من: تراه بالأربع، م ي. أدب الدنيا والدين ١/ ٢٣٨.

(٢١٦) يسيل: تسيل، م ي. أدب الدنيا والدين ١/ ٢٣٨.

(٢١٧) سهك: سهد، م ي. أدب الدنيا والدين ٢٣٨، السَّهَكُ: ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق. العين (سهك)..

[عبس:١] الآيات، وفي قصة نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧]، ونظيرها.

قيل لبعضهم: ما الكبر؟ قال: حمق لا يدري صاحبه أين يضعه.

الأحنف: عجبت لمن جرى مجرى البول مرتين كيف يتكبر.

مبحث في الحسد

قوله تعالى: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة:١٠٩]، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥]، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:٥٤]، ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ [النساء:٨٩].

وأول من حسد إبليس، لم يسجد لآدن، فلُعن، وتابعه قابيل حتى قَتَلَ هابيل، واختص بالحسد اليهود فوصفهم الله في كتابه.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والحسد، فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب».

الزبير بن العوام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «دب إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد والبغضاء، البغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدِّين، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا [الجنة][٢١٨] حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يثبّت[٢١٩] ذلك لكم، أفشوا السلام بينكم».

أنس: كاد الحسد أن يغلب القدر، وكاد الفقر أن يكون كفرًا.

الأحنف: لا راحة لحسود، ولا مروءة لكذوب، ولا صديق لملول، ولا حيلة لبخيل، ولا وفاء لملول، ولا سؤدد لمسيء الخلق.

وقال عليه السلام: «عليكم لإنجاح الحوائج بكتمانها، فإن كل ذي نعمة محسود».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن لنعم الله أعداء»، قيل: وما أعداء نعم الله؟ قال: «الذين يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله».

ابن السماك: لم أر[٢٢٠] ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد، له نَفَسٌ دائم، وعقل هائم، وغم

---

(٢١٨) مسند أحمد ٣/ ٤٣.

(٢١٩) يثبّت: يبث، م ي. مسند أحمد ٣/ ٤٣.

(٢٢٠) أر: أن، ي.

لازم، إن الله تعالى أنزل سورة جعلها عوذة لخلقه من صنوف الشر، فلما انتهى إلى الإعاذة من الحسد جعلها ختمًا إذ لم يكن في الشر بعده نهاية.

شعر:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهمُ ... ومات أكثرنا غيظًا بما يَجِدُ[٢٢١]

ابن مسعود: لا حسد إلّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا فسلطه على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حِكْمَةً فهو يقضي بها ويعلمها.

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «رفعت البركة عن خمسة: الناكث، والباغي، والحسود، والحقود، والخائن».

شعر[٢٢٢]:

ذُو الفضل في دُنياه مَحسود ... وكلُّ مَن يُحْسَدُ مَقصود
والعُودُ لَولا عَبَقٌ طَيِّبٌ ... مِنْ عَرْفِهِ ما أُحرِقِ العودُ

آخر:

أصحابنا حسدونا في إمارتنا ... تبًا لهم لم ينالوا الخير إذ حسدوا
راموا الذي زعموا[٢٢٣] فيه الصلاح لهم ... لم يصلحوا للذي راموه بل فسدوا

عن النبي عليه السلام: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وعدو يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تغويه».

فرقد السبخي: الحسد داء لا يميته إلّا الزهد في الدنيا، فمن زهد في الدنيا لم يصحبه الحسد إلّا قليلًا، ومن رغب في الدنيا لم يفارقه الحسد إلّا قليلًا.

أوحى الله إلى داود: إياك والحسد فإن الحاسد عدو لنعمتي، راد لقضائي، غير راض بقسمتي، الحاسد جاحد لا يرضى بقضاء الواحد[٢٢٤].

---

(٢٢١) يَجِدُ: يجدوا، ي.
(٢٢٢) البيت ينسب لأبي الفتح البستي.
(٢٢٣) زعموا: رموا، م ي.
(٢٢٤) حلية الأولياء ٣/ ٢٦٥.

بكر بن عبد الله: ذَنْبُكَ إلى الحاسد دوام نعم الله عليك.

وقال عبد الملك بن مروان للحجاج: كل إنسان أعلم بعيب نفسه، فأخبرني بعيبك؟ فقال: إني حسود حقود، فقال: ليس في الشيطان شر مما ذكرت.

مبحث في الملاهي

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان:٦]، وحكى عن أهل النار: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر:٤٥]، وقال: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٩]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥]، ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام:٧٠]، وفي الآخرة قال: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور:٣٧] شتان ما بينهما.

وعن النبي عليه السلام: «كل لهوٍ في[٢٢٥] الدنيا باطل إلّا ثلاثة: ملاعبة الرجل أهله، ومناضلته بقوسه، ورياضته لفرسه».

سهل بن سعد، عن النبي عليه السلام: «يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ»، قيل: يا رسول الله متى؟ قال: «إذا ظهرت المعازف والقيان[٢٢٦]، واستحلت الخمر».

الحسن: ما اجتمع قوم قط - قَلُّوا أو كثروا - على لهوٍ ولعبٍ وباطل إلّا غلقت عنهم أبواب الرحمة، ونزلت اللعنة عليهم.

وروي أن قوله: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ نزلت في الجواري والمغنيات، وروي أنها نزلت في النضر بن الحارث[٢٢٧] لما اشترى كتاب رستم وأسفنديار شغل الناس عن استماع القرآن واتخذ مجلسًا، وقيل: هو اتخاذ المعازف.

وعن علي عليه السلام [عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم][٢٢٨]: «إذا عملت أمتي خمس[٢٢٩]

(٢٢٥) في: على، م ي. مستدرك الوسائل ٨/ ٢٧٢.
(٢٢٦) القيان: القنان، م ي. مسند الروياني ١/ ١٣٦.
(٢٢٧) الحارث: الحرث، م ي. شعب الإيمان ٧/ ١٦٦.
(٢٢٨) سنن الترمذي ٤/ ٦٤.
(٢٢٩) خمس: خمسة، م ي. سنن الترمذي ٤/ ٦٤.

عشرة خصلة نزل البلاء بهم»، قيل: ما هي؟ قال: «إذا أخذ المغنم دولًا، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أرذلهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافة شره، وشُربت الخمور، ولُبس الحرير، واتُّخذت[٢٣٠] القيان والمعازف، ولَعَنَ آخرُ هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحًا حمراء، أو خسفًا، أو مسخًا».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يمسخ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردة وخنازير»، قيل: يا رسول الله، أليس يشهدون أن لا إله إلّا الله وأن محمد رسول الله؟ قال: «بلى، ويصومون، ويصلون، ويحجون»، قيل[٢٣١]: فما بالهم؟ قال: «اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، وباتوا على شربهم ولهوهم، فأصبحوا قردة وخنازير».

واللهو أنواع جميعها حرام:

مطلب في شراء المغنيات

فمنها: شراء المغنية، وروى أبو أمامة أن النبي عليه السلام «نهى عن بيع المغنيات[٢٣٢]، وعن شراهن، وعن كسبهن».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كَسْب المغنية[٢٣٣] سُحْتٌ، وكسب الزانية سُحْتٌ، وكسب المغني سحت، وحق على الله ألاّ يدخل الجنة لحمٌ ينبت من سحت».

مطلب في استماع الغناء

ومنها: استماع الغناء. ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من استمع إلى لهو وغناء حرم الله عليه استماع صوت داود إذا قرأ الزبور في بُطْنان[٢٣٤] الجنة».

نافع سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من استمع إلى لهو وغناء حرم الله عليه مرافقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في الجنان».

---

(٢٣٠) اتُّخذت: اتخذ، م ي. سنن الترمذي ٤/ ٦٤.

(٢٣١) قيل: قال، م ي. حلية الأولياء ٣/ ١١٩.

(٢٣٢) المغنيات: المغيبات، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ٧٣٣.

(٢٣٣) المغنية: المغيبة، ي.

(٢٣٤) بُطْنان: بطبان، م ي. مسند أحمد ٤٣/ ٤٠٩، وبُطْنان الجنة: وسطها.

عن نافع: كنت أمشي مع ابن عمر، فسمع صوت زمارة راعٍ، فوضع أصبعه في أذنيه حتى مر وقال: هكذا رأيت رسول الله فعل.

مطلب في أنواع الغناء حرام

ومنها: أنواع الغناء حرام: الدف، والمزمار، والعود، وغيره. قال النبي عليه السلام: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه خمر أو دف أو طنبور، أو نَرْدٌ[٢٣٥]، ولا يستجاب دعاؤهم، ورفع الله عنهم البركة».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الدف حرام، والمعازف حرام، والكوبة[٢٣٦] حرام، والمزمار حرام».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله بعثني رحمة وهدى للعالمين، بعثني لأمحق المعازف والمزامير، وأمر الجاهلية، والأوثان، وحلف ربي بعزته لا يشرب[٢٣٧] أحد في الدنيا الخمر إلّا سقي مثلها في الحميم يوم القيامة، ولا يدعها أحد في الدنيا إلّا سقاه الله منها في حظيرة القدس»[٢٣٨].

وعن علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أدخل منزله مزمارًا ولهوًا فقد شمت بأبيه آدم؛ لأن إبليس اتخذ المزامير والسرور والطرب حيث وقع آدم في الخطيئة»[٢٣٩].

مطلب في اتخاذ الجواري والمغنيات

ومنها: اتخاذ الجواري والمغنيات. قد روينا عن أبي أمامة، وعن جابر: من مات وله جارية مغنية لم يصل عليه.

وسأل رجل الحسن فقال: أيجوز لي أن أشتري جارية وأعلمها الغناء لزيادة ثمنها؟ فقال:

---

(٢٣٥) أو نَرْدٌ: وترد، ي.

(٢٣٦) الكُوبَةُ: الشطرنجة. لسان العرب (كوب).

(٢٣٧) لا يشرب: ألا شرب، م ي. مسند أبي داود الطيالسي ٢/ ٤٥٤.

(٢٣٨) مسند أبي داود الطيالسي ٢/ ٤٥٤.

(٢٣٩) ينابيع النصيحة ص٥٨٨.

سألتني مسألة ما سئلت عنها قط، ولكني أحدثك ما أثنى الله به على عبد من عباده فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم:٥٥] ولم يقل: وكان يأمرهم باللهو واللعب.

مطلب في اللعب بالنرد

ومنها: اللعب بالنرد. فقد روى بريدة عن النبي عليه السلام: «من لعب بالنرد فكأنما صبغ(٢٤٠) يده في لحم خنزير ودمه».

أبو موسى، عن النبي عليه السلام: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من لعب بالنرد ثم يقوم يصلي لا يقبل الله صلاته».

علي [عليه السلام قال]: لأن أقلب جمرتين أحب إلي من أن أقلب كَعْبَيْن(٢٤١)».

ومر عمر بقوم يلعبون بالنرد فكسره على رأس أحدهم.

عبد الله بن عمرو، عن النبي عليه السلام: «حرم ربي الميسر وهو القمار كله حتى لعب الصبيان بالجوز».

ابن عمر: من لعب بالنرد فكأنما يأكل لحم خنزير، ومن ينظر ولا يلعب كمن ادهن بشحم الخنزير».

مطلب في اللعب بالشطرنج

ومنها: اللعب بالشطرنج: فقد روى واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله تعالى في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة لا ينظر فيها إلى صاحب الشاه(٢٤٢)»؛ يعني الشطرنج.

وروي أنه مر بقول يلعبون بالشطرنج فقال: «ما هذه الصورة؟ ألم أنه عن هذا؟ ألا لعنة الله على من لعب بها».

---

(٢٤٠) صبغ: صنع، م ي. صحيح مسلم ٤/ ١٧٧.

(٢٤١) كَعْبَيْن: كعتين، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٨٧.

(٢٤٢) نصب الراية ٤/ ٢٧٥.

سمرة بن جندب: «كنت ألعب الشطرنج، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يسلم علي».

ومر علي بقوم يلعبون الشطرنج فقال ولم يسلم عليهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢]، ثم أمر رجلًا كان معه فنزل فكسر بعضها على بعض وحرق صحيفتها، فقالوا: لا نعود يا أمير المؤمنين، فقال: إن عدتم عدنا.

وسئل الحسن عن اللعب بالشطرنج؟ فقال: إن الله يزن يوم القيامة الحق والباطل، فهل يضعه في كفة الحق؟ قالوا: لا، قال الحسن: فماذا بعد الحق إلّا الضلال.

مطلب في اللعب بالحمام

ومنها: **اللعب بالحمام**: روى يحيى بن معاذ عن جابر الطائي، عن النبي عليه السلام قال: «اللعب بالكعاب والصفير بالحمام وأكل الربا سواء».

الحسن: حدثني تسعة من أصحاب النبي عليه السلام منهم علي وابن عمر وأبو الدرداء وجابر وأبو هريرة ومعقل بن يسار وعمران بن حصين وعبادة بن الصامت وعبد الرحمن، كلهم يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أنه نهى عن اللعب بالحمام».

ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا يتبع حمامًا فقال: «شيطان يتبع شيطانة[٢٤٣]».

مطلب في المساخرة

ومنها: **المساخرة**: فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل لمن يكذب[٢٤٤] ليضحك الناس، ويل له ويل له»، رواه بهز[٢٤٥] بن حكيم عن أبيه عن جده.

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يريد بها بأسًا إلّا ليضحك القوم، فيزل بها أبعد ما بين السماء والأرض».

---

(٢٤٣) يتبع شيطانة: يبيع شيطانا، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ١٢١٣٨.

(٢٤٤) ويل لمن يكذب: ويل لمن لم يكذب، م ي. سنن الدارمي ٣/ ١٧٧١.

(٢٤٥) بهز: نهر، م ي. سنن الدارمي ٣/ ١٧٧١.

مطلب في التصوير

ومنها: **التصوير**: علي وأبو طلحة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيها صورة».

علي وعائشة عليهما السلام، عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال لي جبريل: إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا تمثال».

نافع، عن القاسم، عن عائشة قالت: اشتريت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تغير ثم قال: «ما هذه يا عائشة»؟ فقلت: نمرقة اشتريتها لك تقعد عليها، فقال: «إنا لا ندخل بيتًا فيها صورة».

أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل الكعبة، فرأى فيها صوراً، فأمرني فأتيته بدلو من ماء، فجعل يضرب به الصور ثم قال: «قاتل الله قومًا يصورون ما لا يخلقون».

ودخل أبو هريرة دار مروان فإذا بتماثيل فقال: [سمعت][٢٤٦] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكي عن الله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خَلْقًا كخلقي[٢٤٧]، فليخلقوا ذرة، وليخلقوا حبة، وليخلقوا شعيرة».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صور صورة فإن الله يعذبه عليها يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ أبدًا».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني جبريل فقال: يا محمد إني جئتك البارحة فلم أستطع أن أدخل البيت، لأنه كان في البيت تماثيل، قال: فَمُرْ بالتمثال فليُقْطَع[٢٤٨] رأسه حتى يكون كالشجرة».

وعنه: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون»، قيل: مَنْ شَبَّه الله، وقيل: من فعل التماثيل.

مطلب في لبس الحرير والديباج

ومنها: **لبس الحرير والديباج**: فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «نهى عن لبس

---

(٢٤٦) مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٠٠.

(٢٤٧) كخلقي: خلقي، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٠٠.

(٢٤٨) فَمُرْ بالتمثال فليُقْطَع: فأمر بالتماثيل فلتقطع، م ي. شرح معاني الآثار ٤/ ٢٨٧.

الحرير إلّا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع»، رواه عمر. عنه: إنما يلبس الحرير مَنْ لا خلاق له في الآخرة.

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من لبس الحرير في [الدنيا] لم يلبسه الله في الآخرة ولو دخل الجنة يلبسه أهل الجنة ولا يلبسه هو»(٢٤٩)، [وعنه]: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة، ومن شرب في آنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة»(٢٥٠).

علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ حريرًا في يمينه وذهبًا في شماله ثم قال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حِلٌ لإناثها».

الإمام أبو الحسين بإسناده عن هشام(٢٥١) أبي رقية اللخمي قال: سمعت مسلم بن مخلد وهو قاعد على المنبر يخطب الناس وهو يقول: أيها الناس إنما لكم في القطن والكتان ما يغنيكم عن الحرير، وهذا رجل فيكم يخبركم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قم يا عقبة بن عامر فحدث الناس بما سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال عقبة وهو يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَنْ كَذَبَ علي فليتبوأ مقعده في النار»، وأشهد أني سمعته يقول: «من لبس الحرير يعني في الدنيا حرام أن يلبسه في الآخرة».

مطلب في اتخاذ أواني الذهب والفضة

ومنها: اتخاذ أواني الذهب والفضة: فروى ابن أبي ليلى قال: استسقى حذيفة بالمدائن فأتاه دهقان بإناء من فضة، فرمى به ثم قال: أنا كنت نهيته عنه فأبى أن ينتهي، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «نهى عن الشرب في آنية الذهب والفضة»(٢٥٢).

أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «[من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة و] من شرب في آنية الذهب والفضة

(٢٤٩) سنن النسائي الكبرى ٦/ ٣٠٠.
(٢٥٠) مسند ابن الجعد ص١٥٣، سنن النسائي الكبرى ٦/ ٣٠٠.
(٢٥١) هشام: عشان، م ي. صحيح ابن حبان ١٢/ ٢٥٢.
(٢٥٢) صحيح مسلم ٣/ ١٦٣٧.

لم يشرب بها في الآخرة»[٢٥٣] ، الخبر ذكرناه، ثم قال في آخر: «لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة».

مبحث في الذنوب

قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥].

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أذنب العبد ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقِلَ قلبُه، فإن عاد زادت[٢٥٤] حتى يسود القلب، فذلك الران[٢٥٥] الذي قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ..﴾ الآية [المطففين:١٤].

وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والدّيان لا يفنى، وكن كما شئت، كما تدين تدان، وكما تعمل تجازى».

أبو سعيد الخدري: إنكم تعملون أعمالًا هي أدق عندكم من الشعر كنا نعدها[٢٥٦] على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الموبقات.

أبو تراب عليه السلام: سوادُ القلب من الذنوب، وآيته[٢٥٧] ثلاثة: لا تجد للذنوب مفرعًا، ولا للطاعة موقعًا، ولا للموعظة منجعًا[٢٥٨]. وكانت رابعة كثيرًا ما تنشد[٢٥٩]:

أيضمن لي فتى ترك المعاصي ... وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع اللهَ قوم فاستراحوا ... ولم يتجرعوا غصص المعاصي

أحمد بن حرب: يا صاحب الذنوب أما آن لك أن تتوب، يا صاحب الذنوب ذنبك في الديوان مكتوب وأنت بها في القبر مكروب، وأنت غدًا بها مطلوب، وإلى النار مسحوب.

وقال رجل لمالك بن دينار: اذكرني في صالح دعائك، قال: اذكر ربك في صالح توبتك.

(٢٥٣) السنن الكبرى للنسائي ٦/ ٣٠٠.
(٢٥٤) زادت: عاد، م ي. انظر المستدرك للحاكم ٢/ ٥٦٢ وغيره.
(٢٥٥) الران: الرين، م ي. انظر المستدرك للحاكم ٢/ ٥٦٢ وغيره.
(٢٥٦) نعدها: نعده، م ي. سنن الدارمي ٣/ ١٨٢١.
(٢٥٧) آيته: آية الثلاثة، م ي.
(٢٥٨) منجعًا: منفعًا، م ي. منهاج العابدين إلى الجنة للطوسي ص٢٤.
(٢٥٩) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ١١٦.

العوام بن حوشب: أربع بعد الذنب أشد من الذنب: الاستصغار، والاعتذار، والاستبشار[٢٦٠]، والإصرار. قوله: الاعتذار؛ إلى غير الله.

وعن حاتم الأصم: إذا عصيت ربك فلا تعتذر إلى الناس، فإن اعتذارك إليهم أشد وأعظم في الوزر من معصيتك.

سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثلها كقوم نزلوا بطن وادٍ فجاء ذا[٢٦١] بعود وهذا بعود حتى انضجوا به خبزهم[٢٦٢]، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها هلك».

مطلب فيمن اشتغل بعيب نفسه

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، ورحم أهل الذل، وخالط أهل الفقه والحكمة».

زيد العمي: قرأت في بعض الكتب: يابن آدم لك مخلاتان، مخلاة خلفك ومخلاة أمامك، ففي التي خلفك عيوبك، وفي التي أمامك عيوب أخيك، لو نظرت في عيوبك شغلتك عن عيوب غيرك، لا تبغض نفسك على اليقين وتبغض أخاك على الظن، ما هذا بإنصاف.

يحيى بن معاذ: أَعْرَفُ الناس بعيوب نفسه أقربهم من ربه، وما سقط الناس إلّا مِنْ فَقْدِ معرفة العيوب.

ولقي حكيم حكيمًا فقال: والله إني لأحبك في الله، فقال الآخر: لو علمت مني ما علمت من نفسي لأبغضتني في الله، فقال الأول: لو علمت فيك ما أعلم في نفسي لكان فيما أعلم من نفسي شغلًا عما أعلم من نفسك.

عيسى عليه السلام: لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب، وانظروا في عيوبكم كالعبيد، يبصر أحدكم القذا في عين أخيه ولا ينظر الجذع في عينه، وإنما الناس رجلان معافى ومبتلى، فاحمدوا الله على العافية، وارحموا المبتلى.

---

(٢٦٠) الاستبشار: الاستشار، م ي.

(٢٦١) فجاء ذا: فجاهدوا، م ي. معجم الأوسط للطبراني ٧/ ٢١٩.

(٢٦٢) انضجوا به خبزهم: اصحوا هم، م ي. معجم الأوسط للطبراني ٧/ ٢١٩.

شعر[٢٦٣]:

لا تُفْشِيَنْ [مِنْ] مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترًا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تُعِبْ أحدًا منهم بما فيكا

آخر:

يمنعني عن عيب غيري[٢٦٤] الذي أعرفه فيّ من العيب
عيبي لهم بالظن مني لهم ولست من عيبي في ريب
إن كان عيبي[٢٦٥] غاب عنهم[٢٦٦] فقد أحصى عيوبي عالم الغيب

مبحث في الكذب

الصدق محمود والكذب مذموم، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧]، وقال: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقال في الكذب: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات:١٠].

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن: من إذا حَدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان، وإذا وعد أخلف».

وقال عليه السلام: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كاذبًا»، رواه ابن مسعود.

قتادة في قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، قال: الصدق في النية، والصدق في العمل، والصدق بالليل والنهار والسر والعلانية.

أبو ذر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الصديقون هم الصادقون عند الله».

الحسن بن علي عليهما السلام قال: حدثني جدي، قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» يعني بجده[٢٦٧]: النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(٢٦٣) شعب الإيمان ١٢/ ١٦٢.

(٢٦٤) غيري: غير، م ي. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١٠/ ١٤٦.

(٢٦٥) إن كان عيبي: إن تك عيني، م ي. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١٠/ ١٤٦.

(٢٦٦) عنهم: منهم، م ي. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ١٠/ ١٤٦.

(٢٦٧) بجده: لجده، ي.

أبو بكر، عن النبي صلى الله عليه قال في الغار: «ألا إن الصدق أمانة والكذب خيانة».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيت من أخيك ثلاث خصال فارجه: الحياء، والصدق، والأمانة، وإذا لم ترها[٢٦٨] لم ترجه».

الحسن، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي ما من أهل بيت كانت فيهم حَبْرة[٢٦٩] إلّا ستتبعها[٢٧٠] بعد ذلك عَبْرة، يا علي كل نعيم يزول إلّا نعيم الجنة، يا علي كل هم ينقطع إلّا هم النار، يا علي إذا قلت فلا تكذب، وعليك بالصدق وإن ضرك في العاجل كان لك فرحًا في الآجل».

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله: أوصيك بتقوى الله فإنه خير لا شر فيه، ونفع لا ضر فيه، وأوصيك أن يرى الله منك ما أمرك به، وإذا حضرت محضرًا فعليك بالصدق، فإن الصدق يزينك، وإن الكذب يشينك، وعليك بالصبر فإن الصبر ينجيك، والهوى يرديك.

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا علي حرم الله الجنة على كل فاحشٍ بذيء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، يا علي لا تمزح فيذهب بهاء وجهك، ولا تكذب فيذهب نورك. وإياك وخصلتين: الضجر والكسل، فإن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقًا».

شعر:

لا يكـذب المـرء إلّا مـن مهانتـه[٢٧١] أو عـادة السـوء أو مـن قلـة الأدب

آخر:

الكـذب عـار وخيـر القـول أصدقـه والحـق مـا مسـه مـن باطـل زهقـا

آخر:

وكـن صادقًـا فـي كل شـيء تقولـه ولا تـك كذابًـا فتدعـى منافقـا

ابن مسعود: الكذب لا يصلح فيه جد ولا هزل، ولا أن يَعِدَ الرجل صبيًا ثم لا ينجزه، وإن

(٢٦٨) ترها: تره، م ي. انظر كنز العمال ٩/ ٢٦.

(٢٦٩) الحبرة: النعمة وسعة العيش. تاج العروس (حبر).

(٢٧٠) ستتبعها: منعتها، ي. انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس ٢/ ١٤٧.

(٢٧١) مهانته: مهابته، ي. والتصحيح من (المستطرف في كل فن مستظرف) ص٢١٩.

محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا أنبئكم ما العِضَةُ؟ قال: هي النميمة، القالة بين الناس»، وإن محمدًا قد قال: «لا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صِدِّيقًا، ولا يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

علي عليه السلام: زين الحديث الصدق.

شعر:

لي حيلةٌ فيمن ينمّ وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يشاء فحيلتي فيهِ قليله

وقيل: من الإيمان أن تؤثر[٢٧٢] الصدق وإن ضرك، وتدع الكذب وإن سرك.

وقيل: من عرف بالصدق جاز كذبه، ومن عرف بالكذب لم يقبل صِدْقُه.

ابن المعتز: لو ميزت الأشياء لكان الصدق مع [الشجاعة][٢٧٣]، والكذب مع الجبن[٢٧٤]، والراحة مع اليأس.

وقيل: من تورع عن الكذب ملك لسانه، وقلَّ كلامه.

نعيم بن نافع: لا يقوم على الكذب دينٌ ولا دنيا.

الأحنف: ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن.

مبحث في قوله: (ظهر الفساد)

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

الفساد في القرآن على ستة أوجه:

السحر ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ..﴾ إلى قوله: ﴿عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:٨١].

الثاني: الهلاك ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون:٧١].

---

(٢٧٢) تؤثر: يؤثر، ي.

(٢٧٣) انظر ميزان الحكمة الريشهري ٢/ ١٤١٢.

(٢٧٤) الجبن: الحيرة، م ي. ميزان الحكمة الريشهري ٢/ ١٤١٢.

الثالث: القتل ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤]، ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٢٧]، ﴿[أَوْ أَن][٢٧٥] يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

الرابع: المعاصي، ﴿وَإِذَا[٢٧٦] قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١]، وفي الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٥٦].

الخامس: الفساد بعينه ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة:٢٠٥]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥].

السادس: ذهاب البركة والحفظ، قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾، قال ابن عباس: نقصان البركة بأعمال العباد، وقيل: قليلة البركة من كثرة الخطيات، ونقصان الخيرات من زيادة الموبقات.

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ قيل: نقصان الزرع والضرع، وقيل: فساد البلاد من اكتساب البلاد.

قال الأصمعي عن حمّاد بن سلمة[٢٧٧] قال: ليست اللعنة سوادًا[٢٧٨] يُرى، هي[٢٧٩] ألّا تخرج من ذنب إلّا وقعت في ذنب. وقيل: ﴿ظَهَرَ﴾ يعني أن الدنيا كانت آمنة مطمئنة خضرة[٢٨٠] نضرة، فظهر الفساد ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١] حتى قال آدم في قتل قابيل هابيل شعر:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعمٍ ... وقل بشاشة الوجه الصبيح
وجاورنا عدو ليس يفنى ... لعين لا[٢٨١] يموت فنستريح[٢٨٢]

ابن المبارك: ما جاء فساد العامة إلّا من قبل الخاصة، وقال ذو النون: إنما دخل الفساد على الناس من ستة أشياء:

(٢٧٥) في م ي: وأن. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٢٧٦) في م ي: إذا. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٢٧٧) حمّاد بن سلمة: حامد بن شلمة، ي. العقوبات لابن أبي الدنيا ١/ ٦٧.
(٢٧٨) سوادًا: يسود، م ي. العقوبات لابن أبي الدنيا ١/ ٦٧.
(٢٧٩) هي: هو، م ي.
(٢٨٠) خضرة: حطره، ي.
(٢٨١) لعين لا: فلا موت، م ي. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١/ ١١٣.
(٢٨٢) فنستريح: فيستريح، م ي. تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ١/ ١١٣.

أولها: ضعف النية لعمل الآخرة.

والثاني: صارت أبدانهم رهينة لشهواتهم.

والثالث: غلبهم[٢٨٣] طول الأمل مع قرب الأجل.

والرابع: آثروا رضى الخلق على رضى الخالق.

والخامس: أنهم اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسوله وراء ظهورهم.

والسادس: جعلوا قليل زلات السلف حجة لأنفسهم ودفنوا كثير مناقبهم.

وقيل: الناس ثلاثة: قوم اشتغلوا بمعادهم عن معاشهم فمقامهم مقام الصديقين، وقوم اشتغلوا بمعاشهم عن معادهم فهم من الهالكين، وقوم اشتغلوا بهما[٢٨٤] فهم من المخلطين ﴿خَلَطُواْ عَمَلاً صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة:١٠٢]، يخرق ويرقع، يدوي ويداوي، يبني ويهدم، يسيء ويحسن[٢٨٥]، كما قال إبراهيم بن أدهم شعر:

نرقع دنيانا بتخريق[٢٨٦] ديننا ... فلا ديننا باق ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع

زين العابدين حديثه[٢٨٧]: فكم ترقع بآخرتك دنياك، وتركب في ذلك هواك، أراك ضعيف اليقين يا راقع الدنيا بالدين، ثم أنشأ يقول: أبهذا أمرك الرحمن، أم على هذا دلك القرآن.

شعر:

أتخرب ما يبقى وتعمر فانيًا ... فلا ذاك موفور ولا ذاك عامر
فهل لك إن وافاك حتفك بغتةً ... ولم تكتسب خيرًا الدى[٢٨٨] الله ناصرُ
أترضى بأن تفنى الحياة وتنقضي ... ودينك منقوص ومالك وافرُ

---

(٢٨٣) غلبهم: عليهم، م ي.
(٢٨٤) بهما: بها، ي.
(٢٨٥) يحسن: يحزن، م ي.
(٢٨٦) بتخريق: بأخلاق،م ي.
(٢٨٧) حديثه: في دينه، م ي.
(٢٨٨) خيرًا لدى: خير الذي، م ي. البداية والنهاية ٩/ ١٣٣.

شعر لابن بسام:

يـا عامـر الدنيـا مخـرب دينـه أسـرفت فـي التخريـب والعمـران
شـمر ودع دار الغـرور لأهلهـا وامهـد لضيـق القبـر والأكفـان
كيـف السـرور لمـن تيقـن أنـه لا بـد معـروض علـى الرحمـن

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ إنما أُتي العباد من كثرة الفساد، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

شعر:

إنـي لأعلـم حيـن أفكـر خاليًـا مـن أيـن آفاتـي وأصـل بليتـي
مـن قلبـي القاسـي البعيـد مـن التقـى وفسـاد نفـس لا تتـوب لقسـوتي

وبكى فضيل فقيل له: ما هذا البكاء؟ قال: ما لي لا أبكي ولو رفعت الكعبة من بين أظهرنا ما استوحش منا أحد، هذه سنة الله وسنة رسوله قد رفعت من بيننا، فهل ترى(٢٨٩) عليها باكيًا؟

عن الثوري: إن بني إسرائيل قحطوا حتى أكلوا الميتة، وكان يخرجون إلى الجبانة ويتضرعون، فأوحى الله إلى نبي من أنبيائهم: قل لهم: لو مشيتم على أقدامكم حتى تحفى(٢٩٠) رُكَبُكُمْ وتبلغ أيديكم عنان السماء، وتكل ألسنتكم من الدعاء، لا أجبت لكم داعيًا، ولا أرحم لكم باكيًا، ولا أنظر إلى خاشعكم، حتى تردوا المظالم. ففعلوا فمطروا.

ابن عمر: كنت عاشر عشرة من المهاجرين عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأقبل علينا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا معشر المهاجرين، خمس خصال وأعوذ بالله أن تدركوهن(٢٩١): ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوا بها إلّا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم من المكيال والميزان إلّا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلّا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر(٢٩٢) قوم العهد إلّا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا(٢٩٣) بعض ما

(٢٨٩) ترى: يرى، م ي.
(٢٩٠) تحفى: تحف، م ي. إحياء علوم الدين ١/ ٣٠٧.
(٢٩١) تدركوهن: تدركونهن، م ي. العقوبات لابن أبي الدنيا ص٢٤.
(٢٩٢) خفر: أخفر، م ي. العقوبات لابن أبي الدنيا ص٢٤.
(٢٩٣) فأخذوا: وأخذوا، م ي. العقوبات لابن أبي الدنيا ص٢٤.

في أيديهم، وما لم يعمل أئمتهم بما أنزل الله ويتخيروا[٢٩٤] في كتاب الله إلّا جعل الله بأسهم بينهم»، والآية دليل للعدلية إذ[٢٩٥] أضاف الفساد إليهم.

عن بعضهم: ابن آدم لو رأيت قليل ما يبقى من أجلك لزهدت في طول أملك، ولقصرت من[٢٩٦] حرصك وحيلك، ولرغبت[٢٩٧] في الزيادة من عملك، وإنما يلقاك غدًا ندمك إذا زلت بك قدمك، وأسلمك أهلك وحشمك، وبان منك الوليد والقريب، ورفضك الوالد والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة.

وقيل: الناس أربعة: عامل[٢٩٨] لعقباه قد عبد مولاه وترك دنياه[٢٩٩] ورفض هواه، [فهو] من الصديقين المقربين. وآخر قد آثر دنياه واتبع هواه، فنال منها مناه، ولم يتفكر في الآخرة، فهو يتلذذ بالنعيم ولا يخاف من الجحيم، فهو الهالك الذي عجلت لذته، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى:٢٠]. ومنهم من تبع دنياه فلم ينل مناه، ولم يعمل صالحًا حتى يرضي مولاه، فهو الذي قال تعالى: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةَ﴾ [الحج:١١]. والرابع: رجل يعمل لدنياه مرة ولعقباه أخرى ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢].

فيما روي: شركم كذا: قال عليه السلام: «خيركم من طال عمره، وحسن عمله، وشركم من طال عمره، وساء عمله»، رواه أبو بكر. وقال: «شراركم عزابكم». وذكر وكيع بن الجراح في زهده[٣٠٠] بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «شرار أمتي الذين ولدوا في النعيم وغذوا به، إنما همهم ألوان الطعام والثياب، يتشدقون في الكلام»، رواه عروة اللخمي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «شرار عباد الله ثلاثة: حامل القرآن مُصِرٌّ على الخمور مدمن لها، وعالم لزم باب سلطان جائر مُعِينٌ له على جوره آكِلٌ من سحته، ومبغض عليًا بقلبه

(٢٩٤) يتخيروا: يتحيروا، م ي. العقوبات لابن أبي الدنيا ص٢٤.

(٢٩٥) إذ: إذا، ي.

(٢٩٦) من: في، م ي. حلية الأولياء ٤/ ٦٩.

(٢٩٧) لرغبت: لو غبت، م ي. حلية الأولياء ٤/ ٦٩.

(٢٩٨) عامل: عاملًا، ي.

(٢٩٩) دنياه: دنيا، ي.

(٣٠٠) زهده: هده، ي. كتاب الزهد لوكيع ٤٠١.

وهو شر الثلاثة؛ لأن من أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني لعنه الله في الدنيا والآخرة»، رواه الصادق عن آبائه.

مبحث في كتمان الشهادة وشهادة الزور

قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ [البقرة:٢٨٣].

وعن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الطير لتقذف ما في حواصلها من هول يوم القيامة، وإن الله لا ينظر شاهد الزور يوم القيامة، ولا تقارّ قدماه [على الأرض][٣٠١] حتى يقذف[٣٠٢] به [في][٣٠٣] النار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعًا لسانه في النار».

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا﴾ [البقرة:١٥٩]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران:١٨٧]، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ[٣٠٤] أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ..﴾ الآية [البقرة:١٤٠].

واستشهد ابن العراب علي بن موسى عند المقتدر فامتنع وكتب إليه: لا تلمني في نكوصي عن نصرتك في شهادة زور فإنه لا بَقَاءَ لاتفاقٍ على نِفَاقٍ، ولا وفاء لذي مَيْنٍ[٣٠٥] واختلاق[٣٠٦] وأحرى بمن تعدّى[٣٠٧] الحق في مسرتك[٣٠٨] إذا رضي أن يتخطى في مساءتك[٣٠٩] إلى الباطل إذا سخط، والسلام.

تمت فصول المعاصي والجرائم بحمد الله ومنه.

---

(٣٠١) معجم ابن المقرئ ٣٩٩.

(٣٠٢) يقذف: تقذف، م ي. معجم ابن المقرئ ٣٩٩.

(٣٠٣) معجم ابن المقرئ ٣٩٩.

(٣٠٤) في م ي: قبل أنت. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(٣٠٥) المَيْنُ: الكذب. جمهرة اللغة (مني).

(٣٠٦) اختلاق: اختلاف، م ي. السمير المهذب ٢/ ٣٩، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ٢٥٤.

(٣٠٧) أحرى بمن تعدّى: اخر من عدي، م ي. السمير المهذب ٢/ ٣٩، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ٢٥٤.

(٣٠٨) مسرتك: مسربك، م ي. السمير المهذب ٢/ ٣٩، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ٢٥٤.

(٣٠٩) مساءتك: مساك، م ي. السمير المهذب ٢/ ٣٩، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ٢٥٤.

فصل في الكراهية

مبحث في استقبال القبلة عند البول

أبو أيوب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تستقبلوا القبلة لغائط ولا لبول، ولكن شرقوا أو غربوا»، قال: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو القبلة فننحرف ونستغفر الله.

عبد الله بن الحارث[٣١٠]: أنا أول من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يبولن أحدكم مستقبل القبلة»، وأنا أول من حدث الناس بذلك.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا لكم مثل الوالد أعلمكم، فإذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها»، يكره ذلك في الصحاري والبنيان عند أبي حنيفة لهذه الأخبار، وعند الشافعي لا يكره في البنيان وحجة أبي حنيفة أنه[٣١١] حُكْمٌ يتعلق بالقبلة[٣١٢]، فيستوي الصحاري والبنيان كالصلاة.

مبحث في أكل الثوم والبصل

عطاء، عن ابن عباس، عن النبي عليه السلام: «من أكل خضراواتكم هذه ذوات الريح فلا يقربنا في مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم».

ابن عمر: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أكل الثوم بخبر معاوية بن قرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أكل من هاتين الشجرتين الخبيثتين فلا يقربنا في مسجدنا، فإن كنتم[٣١٣] لا بد آكليها فأميتوها طبخًا».

حابر بت سمرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أكل من طعام بعث بفضله إلى أبي أيوب، قال: فبعث إليه ذات يوم بقصعة لم يأكل منها، فأتاه أبو أيوب فقال: يا رسول الله أحرام هو؟ قال: «لا، ولكني كرهته لريحه»، قال: فإنا نكره ما كرهت.

---

(٣١٠) الحارث: الحرث، ي. انظر مصنف ابن أبي شيبة ٢/ ١٠٤.

(٣١١) أنه: لأنه، م ي.

(٣١٢) يتعلق بالقبلة: بتعليق القبلة، م ي.

(٣١٣) كنتم: كنت، م ي. جمع الجوامع للسيوطي ٨/ ٦٦٨.

أبو أيوب قلت: يا رسول الله، كنت ترسل بالطعام فأنظر فإذا رأيت أثر أصابعك وضعت يدي فيه حتى كان هذا الطعام الذي أرسلت به، فنظرت فلم أر فيه أثر أصابعك، قال: «أجل إن فيه لبصلًا، فكرهت أن آكله لأجل الملك الذي يليني، وأما أنتم فكلوه».

مبحث في البول قائمًا

عائشة قالت: «ما بال رسول الله قائمًا منذ أنزل عليه القرآن».

وعنها: «من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بال قائمًا فكذبه، فإني رأيته يبول جالسًا».

عمر: ما بلت قائمًا منذ أسلمت.

مبحث في الشرب قائمًا

محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، قال: قال لي علي: ائتني بوضوء، فأتيته به، فتوضأ ثم قام بفضل وضوئه فشربه قائمًا، فعجبت لذلك فقال: «أتعجب، أي بني إني رأيت أباك رسول الله يفعل ذلك».

ابن عباس قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشرب وهو قائم».

أنس: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشرب قائمًا».

وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم «أنه زجر عن الشرب قائمًا»، وهذا أدب[٣١٤] إنما نهى عنه لأنه يضر.

فأما شربه قائمًا فإنه جائز، فروى أنس عن أمه «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها وفي بيتها قربة معلقة فشرب من القربة قائمًا».

وروى ابن عمر قال: كنا نشرب ونحن قيام ونأكل ونحن نسعى على عهد رسول الله.

وعن ابن عباس قال: «ناولت رسول الله دلوًا من ماء زمزم فشرب وهو قائم».

---

(٣١٤) أدب: آداب، م ي.

مبحث في الشِّعر

قال تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٢٢٤]، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة:٤١]، وقالوا ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ﴾ [الطور:٣٠]، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ [يس:٦٩].

عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا»، قيل في تأويله: إنه يعني[٣١٥] الأشعار التي هُجي بها رسول الله والمسلمون، روي عن عائشة أنه قيل لها: إن أبا هريرة يقول: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا»، فقالت: رحم الله أبا هريرة حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخره، إن المشركين كانوا يهجون[٣١٦] رسول الله فقال: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا» مما هُجِي به رسول الله.

وذكر أبو عبيد أن تأويل الخبر أن يغلب عليه الشعر حتى يشتغل به عن غيره من علوم الدين، والذي يدل عليه أن ما هجي به رسول الله لم[٣١٧] يملأ منه بطن[٣١٨]. ولا شبهة أن الشعر كلام منظوم فهو كالمنثور حَسَنُهُ حَسَنٌ وقبيحه قبيح.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن من الشعر لحكمة».

وقيل لعائشة: أكان النبي يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: نعم من شعر ابن رواحة، وربما قال هذا البيت:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من يحمي أعراض المؤمنين»؟ قال كعب: أنا، فقال ابن رواحة: أنا، وقال حسان: أنا، قال: «اهجهم، فإنه سيعينك عليه روح القدس».

وعن عائشة «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضع لحسان بن ثابت منبرًا ينشد عليه الشعر»، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

---

(٣١٥) يعني: من، م ي.

(٣١٦) يهجون: يهاجوا، م ي. شرح معاني الآثار ٤/ ٢٩٦.

(٣١٧) لم: أن، م ي.

(٣١٨) بطنٌ: بطنه، ي.

رواه أبو هريرة.

وقال[٣١٩] مسروق: إنه تمثل ببيت شعر فقطعه، فقيل له لو أتممت البيت؟ فقال: أكره أن أجد في كتابي بيت شعر. وسئل عن قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان:٦]، فقال: الغناء والشعر.

وعن عطاء: أن إبليس قال: يا رب أخرجتني من الجنة فأين بيتي؟ قال: الحمام، قال: فأين مجلسي؟ قال: السوق، قال: فما قراءتي؟ قال: الشعر.

قيل لأبي الدرداء: كل الأنصار[٣٢٠] قال الشعر غيرك، قال: وأنا أقول:

يريد المرء أن يُعطى مناه ويأبى الله إلّا ما أرادا
يقول المرء: فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا

جابر بن سمرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتناشدون الأشعار والنبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس يتبسم.

ومر عمر على حسان وهو ينشد في المسجد فنهاه عن ذلك، فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك، فانطلق معه عمر إلى أبي هريرة، فقال حسان لأبي هريرة: أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يا حسان أجب عن رسول الله، اللهم أيده بروح القدس»؟ قال: نعم.

ما كان حِكْمة فإنه يجوز إنشاد بيت وأبيات في المسجد، فأما أن يجعل المسجد موضعًا لإنشاد الأشعار فلا، وما ليس بحكمة فلا يجوز إنشاده.

مبحث في العدوى، وما يكره فيها

سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، عن النبي عليه السلام: «إذا كان الطاعون بأرض بها فلا تفروا منها، وإذا كان بأرض فلا تهبطوا إليها».

أسامة بن زيد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الوجع والسقم، وروي: إن هذا

(٣١٩) في م ي كتب فوق كلمة: (قال) في النص كلمة: (عن).
(٣٢٠) الأنصار: الأنصر، ي. حلية الأولياء ١/ ٣٢٥.

الطاعون رجز عُذِّب[٣٢١] به بعض الأمم قبلكم، ثم بقي في الأرض، فيذهب المرة ويأتي الأخرى، فمن سمع به في أرض فلا يقدمن عليه، ومتى وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منها».

ابن المسيب، عن سعد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا عدوى ولا طيرة».

علي، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يعدي سقيم صحيحًا».

ابن عباس، عن النبي عليه السلام: «لا طيرة ولا عدوة ولا هامة»، فقال رجل: تطرح الشاة الجربة في الغنم فتخربهن، فقال عليه السلام أو ابن عباس: «فالأُولى مَنْ أجربها؟».

أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يورد[٣٢٢] الممْرِض على المصحّ»، فقال له الحارث بن أبي زباب: قد كنت حدثتنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا عدوى»، فأنكر ذلك، فقال: بلى فيما روى هو وأبو هريرة، حتى اشتد أمرهما وغضب أبو هريرة، قال أبو سلمة: لا أدري أنسي أبو هريرة أم كيف شأنه. قال أبو سلمة: كان أبو هريرة يحدثنا بكليهما، ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله: «لا عدوى»، وأقام على «ألّا يورد[٣٢٣] الممرض على المصح».

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة وقال: «كل بسم الله، ثقة بالله، وتوكلًا على الله».

وروى ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يعدي شيء شيئًا»، فقال أعرابي: يا رسول الله يكون البعير في الإبل العظيمة فتكون النقبة بمشفره[٣٢٤] أو بذنبه فتجرب الإبل كلها، قال: «فَمَنْ[٣٢٥] أجْرَبَ الأول»، ثم قال: «لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر[٣٢٦]، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ومصيبتها ورزقها».

لا شبهة أن العدوى باطل، وإنما نهى رسول الله أن يدخل على الممرض المصح لعله يصيبه الداء، فيرى أنها عدوى فيأثم، أو يخرج منها فلا يصيبه فيظن أنه إنما سلم لأجل الخروج، فعلى هذا يحمل النهي، وبالله التوفيق.

(٣٢١) عُذِّب: عدت، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ١/ ٣٥.
(٣٢٢) يورد: تورد، م ي. الأدب لابن أبي شيبة ٢٢١.
(٣٢٣) ألّا يورد: أن لا تورد، م ي.
(٣٢٤) مشفره: مسفره، م ي.
(٣٢٥) فَمَنْ: فما، م ي.
(٣٢٦) صَفَر: يعتقد العرب قبل الإسلام أنها حيّة تكون في البطن تصيب الماشية والناس. لسان العرب (صفر).

مبحث في التنجيم[٣٢٧]

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خيار أمتي الذين لا يتكهنون، ولا يكتوون[٣٢٨]، ولا يعتافون[٣٢٩]، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون». وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتى كاهنًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد». وقال: «لا يدخل الجنة صاحب خمس: مدمن خمر، ولا مؤمن بسحر ولا بكاهن، ولا قاطع رحم، ولا منان»، رواه أبو سعيد الخدري.

زيد بن خالد الجهني قال: مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ألم تسمعوا ما قال ربكم: ما أنعمت على عبادي نعمة إلّا أصبح بها فريقٌ[٣٣٠] كافرين يقولون: مطرنا بنوء كذا، فمن آمن بي وحمدني على سقياي فذلك الذي آمن بي وكفر بالكواكب».

كتب الصاحب بخطه على ظهر القوايم:

أرى سنتي[٣٣١] قد ضمنت بعجائب وربي يكفيني جميع النوائب
إذا كان مَنْ أجرى الكواكب أمْرُهُ معيني فما[٣٣٢] [أخشى][٣٣٣] صروف الكواكب[٣٣٤]

من قال بأنه يعلم [الغيب] بعد قوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٣٣٥]، فهو كافر، ومن قال: إن الكواكب مؤثرة فهو كافر، فأما من قال: إن الله تعالى أجرى العادة بأنه متى بلغ كوكب كذا مكان كذا فربما يفعل فعلًا وربما لا يفعل لأنه غير موجب وإنما هو عادة، فإن علم تلك العادة بالحساب والتجارب فهذا لا بأس به، أما أنه[٣٣٦] يعلم ذلك فهو كذب وفسق.

(٣٢٧) التنجيم: التحرم، م ي.
(٣٢٨) يكتوون: يكنون، م ي. صحيح مسلم ١/ ١٩٨.
(٣٢٩) يعتافون: من العِيافة، وهي زجر الطير والتفاؤل بأصواتها وممرّها. النهاية لابن الأثير ٣/ ٣٣٠.
(٣٣٠) فريقٌ: فرحة، م ي. جامع معمر بن راشد ١١/ ٤٥٩.
(٣٣١) سنتي: سنة، م ي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢/ ٤٦٢.
(٣٣٢) فما: فيما، م ي. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢/ ٤٦٢.
(٣٣٣) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢/ ٤٦٢.
(٣٣٤) في م ي: الكوكب. معاهد التنصيص ٢/ ٤٦٢.
(٣٣٥) في م ي: (لا يعلم الغيب إلّا الله) وما أثبتناه من المصحف.
(٣٣٦) أما أنه: وأن، م ي.

مبحث في الطب والقول بالطبائع

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]، المرض والشفاء من الله، فمن قال بالطبائع مضافًا إلى الله وذكر أنها مؤثرة فهو بدعة، ومن قال: الطبائع مؤثرة، غير مضافة إلى الله، فهو كفر، ومن قال بتأثير الأدوية فكذلك، وقد روي في ذلك ما يدل على ما قلنا أنه سبب غير موجب، بل على سبيل العادة، ولما كان الشافي هو الله إلّا أنه يفعل بسبب وغير سبب كخلق الولد، وجريان السفينة، والمطر من السحاب، والنبات من الحب، فقد أجرى العادة بأنه يشفى عند الأدوية، وربما لا يشفى عند ذلك، وكذلك الرقى، وقد روي فيه أشياء.

فأما الطب: فقد روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عليكم بالإثمد فإنه مُذْهِبٌ للقذى[٣٣٧]، منبت[٣٣٨] للشعر، مصف للبصر».

وسئل علي عليه السلام عن الطب فقال: ابن آدم بين حالين، إن أفرطه الجوع قعد به[٣٣٩] الضعف، وإن أفرطه الشبع كَظَّتْهُ البِطْنَةُ، فكل تقصير به مضر[٣٤٠]، وكل إفراط فيه مفسد.

وروى ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أيها الناس تداووا فإن الله لم يخلق داء إلّا خلق له شفاء إلّا السام، والسام الموت».

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداءَ[٣٤١] برئ بإذن الله»، وفي رواية[٣٤٢]: «لكل داء دواء إلّا الهرم».

الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «داووا مرضاكم بالصدقة».

وعن الخدري: أن رجلًا قال: يا رسول الله إن أخي قد استطلق بطنه، قال: «اسقه عسلًا»، ثم جاء فقال: سقيته عسلًا فلم يزده إلّا استطلاقًا حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال في الثالثة: «صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلًا»، فسقاه عسلًا فبرئ[٣٤٣].

---

(٣٣٧) القذى: القذر، م ي. حلية الأولياء ٣/ ١٧٨.

(٣٣٨) منبت: منبتة، م ي. حلية الأولياء ٣/ ١٧٨.

(٣٣٩) قعد به: يعذبه، ي. شرح أصول الكافي ١١/ ٢٣١.

(٣٤٠) مضرّ: بصر، م ي. شرح أصول الكافي ١١/ ٢٣١.

(٣٤١) الداءَ: الدواء، م ي. التوحيد لابن مندة ٢٦٧.

(٣٤٢) رواية: روياة، م ي.

(٣٤٣) فبرئ: فبرأ، م ي.

وروي: «المعدة بيت[٣٤٤] الداء، والحمية[٣٤٥] نصف الدواء، وأعط كل نفس ما عودتها».

عن أبي رِمْثَةَ قال: كنت مع أبي، فرأى على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل التفاحة فقال: يا رسول الله إني طبيب أفأبطُها[٣٤٦] لك؟ قال: «طبيبها[٣٤٧] الذي خلقها».

يحيى بن الحسين: إذا أردت ألاَّ تحتاج إلى طبيب فاجعل الحلق ميزان البطن، فإن ما أفسده الجوع يصلح بدانق، وما أفسده الشبع لا يصلح بمائة درهم.

وعن فضيل: خفف الطعام تبتْ[٣٤٨] بسلام.

الربيع بن خثيم: ليس للمريض عندي إلّا العسل، ولا للنفساء إلّا الرطب.

علي عليه السلام: إذا اشتكى أحدكم بطنه فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من مهرها فيشتري به عسلًا ويشربه بماء السماء، فيجمع الله له الهناء، والمراء، والشفاء، والماء المبارك[٣٤٩].

ولقي حامد اللفاف حاتم الأصم فقال: يا حامد، كيف أنت؟ قال: سالم معافى، قال: إن السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة.

ومرض أبو بكر فقيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: قد رآني الطبيب، قيل: فما قال؟ [قال: قال]: إني فعال لما أريد.

وشكى رجل إلى حماد بن زيد وجع بطنه فقال: يا هذا إن هذه دار لا توافقك فالتمس دارًا توافقك[٣٥٠].

حاتم الأصم قال: من وُفِّق في مرضه وأدرك[٣٥١] فضل المرض يعرف أن مرضه من الله، وأنه عدل من الله، وأن نهايته مقدور الله، فإذا عرف أنه من الله لم يشتغل بالمطاعم والمشارب، وإذا عرف أنه عدل رضي بقضاء الله، وإذا عرف أن نهايته مقدور لله استغنى عن العلاج والأطباء

---

(٣٤٤) بيت: بنت، م ي. كشف الخفاء ٢/ ٢١٤.
(٣٤٥) الأزم: الأوم، م ي. كشف الخفاء ٢/ ٢١٤.
(٣٤٦) أفأبطُها: أفأكبها، م ي. مسند أحمد ٢٩/ ٤٠.
(٣٤٧) طبيها: طبيها، م ي. مسند أحمد ٢٩/ ٤٠.
(٣٤٨) تبتْ: تبيت، م ي.
(٣٤٩) الماء المبارك: المبارك، م ي. تفسير الثعلبي ٢/ ٢٣١.
(٣٥٠) دارًا توافقك: دار توفقك، م ي. سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٩٢.
(٣٥١) وُفِّق في مرضه وأدرك: ضبط في مرضه أدرك، م ي.

فأما الرقى: فقد روي عن عائشة «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رخص في رقية الحية والعقرب».

وعن طلق بن علي: لدغتني عقرب «فجعل رسول الله يمسحه ويرقيه»، وقد نزل المعوذتان في ذلك.

ولا شبهة أن الرقى والدعاء بكلام الله والدعاء جائز، فأما ما يقوله أهل الجاهلية فهو لا يجوز القول به، وما نهي عن الرقى فهو المراد بذلك.

وعن جابر أن رجلًا لدغته عقرب، فسأل رسول الله عن أن يرقيه، فقال: «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل».

عائشة: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أسترقي من العين». وفي خبر أسماء بنت عميس قلت: يا رسول الله: إن العين تسرع إلى بني[٣٥٢] جعفر فأسترقي[٣٥٣] لهم؟ قال: «نعم، فلو أن شيئًا يسبق القدر لقلت: إن العين تسبقه».

ورقى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس وعين الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

الحسن: قيل لأبي الدرداء: احترق دارك، قال: لا يحترق، قيل: ولم لا يحترق دارك وإنما احترق ما حولها؟ قال: علمت، قيل: ومم علمت؟ قال: كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قرئت صباحًا كان محفوظًا أهله وماله ونفسه إلى المساء، وإذا قرئت مساء كان محفوظًا إلى الصباح، وهو: «بسم الله، اللهم أنت ربي لا إله إلّا أنت رب العرش الكريم، لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، أشهد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، اللهم إني أعوذ بك من شر كل ذي شر».

مبحث في إخصاء الأنعام

أباحه قوم وكرهه آخرون، ولكلٍّ أثر.

---

(٣٥٢) بني: أبي، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٤٩.
(٣٥٣) أسترقي: استرق، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٤٩.

فعن ابن عمر أنه نهى أن تخصى الإبل والبقر والغنم، وكان يقول: منها نشأة الخلق، ولا تصلح[٣٥٤] الإناث إلّا بالذكور.

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه خصى بغلًا له.

وعن عطاء أن لا بأس بإخصاء الفحل، وهذا هو الصحيح.

فأما الإنسان فإنه محرم، روي في قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩] قيل: الخصاء.

وعن النبي عليه السلام: «لا إخْصَاءَ[٣٥٥] في الإسلام».

مبحث في اقتناء الكلب

عطيّة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتنى كلبًا لا لماشية ولا لصيد نقص [من] أجره كل يوم قيراطان»، قيل: يا عبد الرحمن، كنا نسمع قيراطًا؟ فقال: سمعت أذناي ووعاه قلبي، والذي لا إله إلّا هو يقول: «قيراطان»[٣٥٦]، وروى أبو هريرة غير أنه قال: «قيراطًا»، وروى سالم عن أبيه: «قيراطًا».

وعن وهب: لما أهبط الله آدم إلى الأرض قال إبليس للسباع: إن هذا عدو لكم فأهلكوه، فاجتمعوا وولوا أمرهم الكلب، وقالوا: أنت أشجعنا، وجعلوه أميرًا، فلما رأى ذلك آدم تحير في أمره، فجاءه جبريل وقال: امسح يدك على رأس الكلب، ففعل ذلك فألفه، فلما رأى السباع أنه ألفه تفرقوا، فاستأمنه الكلب فأمّنه آدم، فبقي معه ومع أولاده.

مبحث في الكي

روي إباحته في المعالجات، وروي كراهته إذا لم يكن لعلاج[٣٥٧]، فقد روى عقبة بن عامر «أن النبي عليه السلام نهى عن الكي»، فهذا قبل نزول البلاء.

---

(٣٥٤) تصلح: يصلح، ي.

(٣٥٥) لا إخْصَاءَ: الخصاء، م ي. سنن البيهقي الكبرى ١٠/ ٤١.

(٣٥٦) مصنف ابن أبي شيبة ٤/ ٢٦٤.

(٣٥٧) لعلاج: علاج، م ي.

وروى جابر أن أبي بن كعب اشتكى، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه. وقد روي غير هذا من الآثار.

مبحث في إظهار الزينة

ابن مسعود في قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١] قال: الزينة: القرط، والقلائد، والسوار، والخلخال، والدملج، وما ظهر [من] الثياب[٣٥٨] والجلباب، وعن ابن عباس: هو الكحل والخاتم.

وعن أنس قال: قال عمر: يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر، فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله آية الحجاب.

الحسن والشعبي أنهما كرها أن ينظر العبد إلى شعر مولاته، وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.

مبحث في التكني بأبي القاسم

منهم من كره التسمية به والتكنية بكنيته[٣٥٩]، ومنهم من كره الجَمْعَ، ومنهم من كره الكنية، ومنهم من أباح الجميع وهو الصحيح.

وعن علي عليه السلام قال: قلت: يا رسول الله، إنه وُلِدَ لي ولد أسميه[٣٦٠] باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: «نعم».

وروي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن ولد لك ولد فسمه باسمي وكنه بكنيتي، وهو لك خاصة دون الناس».

وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سَمُّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي، فإني[٣٦١] أنا أبو القاسم، الله يعطي وأنا أقسم».

(٣٥٨) ظهر من الثياب: ظهر الثياب، م ي.

(٣٥٩) بكنيته: تكنيه، ي.

(٣٦٠) أسميه: أسمه، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٥/ ٢٦٣.

(٣٦١) إني: إن، م ي. مسند أحمد ٢٢/ ١٣٣.

وروى البراء «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته».

وعن جابر أن بعض الأنصار سمى ابنه محمدًا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أحسنت الأنصار، تسموا باسمي ولا تكنوا[٣٦٢] بكنيتي، إنما أنا قاسم أقسم بينكم، فسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي».

وممن[٣٦٣] كره التكني بأبي القاسم إبراهيم، وابن سيرين.

مبحث في السلام على أهل الكفر

لا يجوز السلام على أهل الكفر، [و]بعضهم قد[٣٦٤] أجازه.

وروى أبو هريرة، عن النبي عليه السلام قال: «لا تبدأوهم بالسلام» يعني اليهود والنصارى.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا راكب غدًا إلى اليهود فلا تبدأوهم بالسلام، وإذا سلموا فقولوا: وعليكم»، رواه أبو نصر الغفاري.

وما روي «أنه مر بقوم فيهم الكفار والمسلمون فسلم عليهم»، فمحمول على أنه نوى بالسلام على المسلمين.

مبحث في النهبة والنثار

منهم من لا يكرهه[٣٦٥]، ومنهم من يكرهه، وممن أجازه الشعبي، والحسن، وعكرمة.

وأما النهي: فلما روى أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «نهى عن النهبة»، وكان ابن مسعود ينهى صبيانه عن النهبة ويشتري لهم.

فأما الإباحة: فقد ذكر الشعبي أن الكراهية ما أخذ بغير طيب نفس صاحبه.

ومنهم من فرق فقال: يجوز نثر العرس دون نثر الأمراء، ورووا أن رسول الله صلى الله عليه

---

(٣٦٢) تكنوا: يكنوا، م ي. صحيح البخاري ٤/ ٨٤.

(٣٦٣) ممن: من، م ي.

(٣٦٤) قد: من، م ي.

(٣٦٥) يكرهه: يكره، م ي.

وآله وسلم كان في تزويج شاب من الأنصار، فجاءت الجواري بأطباق عليها اللوز والسكر، فقال القوم: ألا تنتهبون؟ فقالوا: يا رسول الله قد كنت نهيت عن النهبة، فقال: «تلك نهبة العساكر، فأما العرس فلا بأس»، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة، ويقول: ما ينثر على الأمراء لا يجوز أخذه، لأنه كالرشوة وهو كالهدية إليهم، وقد قال عليه السلام: «هدايا الأمراء غلول»، فأما في غيره فيجوز.

مبحث في خلف المواعيد

عن النبي عليه السلام: «علامة المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

أعرابي جاهلي: لأن أموت عطشًا أحب إلي من أن أخلف موعدًا.

عمرو بن العاص: الوعد ضمان.

قيل: وعد الكريم نقدٌ وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتسويف.

شعر:

أنت الفتى كل الفتى ... لو كنت تفعل[٣٦٦] ما تقول
لا خير في مطل الجوا ... د وطال ما كذب البخيل

آخر:

يا طالبًا مني الفتوة سائلا[٣٦٧] ... إن الفتوة عندنا أبوابُ

آخر:

إن الفتوة عندنا صدق اللسا ... ن فلا تكن بين الورى كذَّابا[٣٦٨]

مبحث في قص الشارب واللحى

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»، رواه أبو هريرة.

(٣٦٦) تفعل: تعلم، م ي. الصمت لابن أبي الدنيا ٢٤٩.
(٣٦٧) سائلا: جاهلًا، م ي.
(٣٦٨) كذَّابا: كذاب، م ي.

عمر: احذروا[٣٦٩] الفلقتين، وروي «أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بقص الشارب وإعفاء اللحى[٣٧٠]»، وقيل: «إن الله يباهي ملائكته بمن قص شاربه فيقول: أما ترون عبدي اقتدى بخليلي، وعزتي لألبسنه ثوب كرامتي ولأدخلنه جنتي»، روي مرفوعًا.

ابن عمر، عن النبي عليه السلام: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى، ولا تشبهوا باليهود».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خالفوا المشركين، فإن المشركين يقصون اللحى ويعفون الشوارب، فاعفوا اللحى وقصوا الشوارب»، رواه أبو هريرة.

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، والمضمضة، والاستنشاق، وقص الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص[٣٧١] الماء» يعني الاستنجاء، ذكره مسلم في الصحيح.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «وفروا اللحى وخذوا [من][٣٧٢] الشارب»، رواه أنس.

مبحث في اتقاء قتل الحية والعقرب

الضحاك قال: أخذ سليمان بن داود على الحيّات الميثاق لا يظهرن، فإن ظهرن قتلن. وجهادهن كجهاد المشركين، ولا يدع قتلهن إلّا شاكّ.

وروى أبو يوسف بإسناده عن النبي عليه السلام: «من قتل حية فله سبع حسنات، ومن تركها مخافة عاقبتها فليس منا، ومن قتل وزغة فله حسنة».

ابن مسعود: من قتل حية أو عقرب كان كمن قتل كافرًا.

الحسن، عن النبي عليه السلام: «ليس منا من اتقى قتل الحيات».

تمّت فصول الكراهية

(٣٦٩) احدروا: إحدى، ي. مجمع الزوائد ٥/ ١٦٨.
(٣٧٠) إعفاء اللحى: أعفا اللحا، ي.
(٣٧١) سنن النسائي ٨/ ١٢٦.
(٣٧٢) انظر المعجم الأوسط ٥/ ١٩٥.

باب في الموت ومقدماته ولواحقه

فصل في المشيب

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [غافر:٦٧]، وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧] قيل: الشيب، وقيل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقال: الشيب للمؤمن وسيلة مقبولة، وذريعة مأمولة نفعًا ودفعًا، ألا ترى كيف توسل إخوة يوسف بقولهم: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف:٧٨]، وأولاد شعيب قالوا: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣]، وتوسل عمر بشيبة العباس حين استسقى فسقي، وقيل فيه الشعر على ما ذكرناه في أخبار العباس.

أحمد بن الخواص قال: رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: وجدت ربًا كريمًا، أقامني مقام العبد الذليل بين يدي سيده، وقال: يا شيخ السوء أتيتني بتخاليط كثيرة، فتحيرت، ثم قلت: إلهي ما هكذا بلغني عنك، فقال: وكيف بلغك عني؟ فقلت: سمعت معمرًا يقول: سمعت الزهري يقول: سمعت أنسًا يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سمعت جبريل عليه السلام يقول: سمعت رب العزة يقول: من شاب شيبة في الإسلام فأنا أستحي أن أعذبه بنار جهنم»، فقال رب العزة: هو ما بلغك، صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق محمد، وصدق جبريل من شاب شيبة في الإسلام ولقيني وهو يشهد أن لا إله إلّا الله محمد رسول الله فلا أعذبه بنار جهنم، أبشر فإني قد غفرت لك جميع معاصيك.[1]

وروى عثمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا بلغ أحدكم خمسين سنة خفف الله عنه حسابه يوم القيامة، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة، فإذا بلغ سبعين سنة كتب الله حسناته

---

(١) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ١/ ١٠٢.

وألقى عنه سيئاته، فإذا بلغ ثمانين سنة أحبته ملائكة الأرض وملائكة السماء، فإذا بلغ تسعين سنة قالت الملائكة: هذا أسير الله في الأرض، وغفر ذنوبه، وشفعه في سبعين من أهل بيته».

يحيى بن معاذ: إلهي سميتني مؤمنًا فتفاءلت وقلت: أمنت من عذابه، وسميتني مسلمًا فتفاءلت وقلت: سلمت من عقابه، ورزقتني شيبة في الإسلام فتفاءلت وقلت: لا يحرق نوره بناره، فأري في المنام أن يقال له: نعم سميناك مؤمنًا فأمنت من العذاب، وسميناك مسلمًا فسلمت من العقاب، والله أكرم من أن يحرق نوره بناره.

الشعبي قال: دخل سليمان بن عبد الملك بيت المقدس فرأى شيخًا كبيرًا، فقال: يا شيخ أتحب أن تموت؟ قال: لا، قال: لم؟ قال: ذهب الشباب وشره وجاء الكبر وخيره، فإن قمت حمدت الله، وإن قعدت ذكرت الله، فأنا أحب أن تدوم لي هاتان الخصلتان.

شعر:

من كان يبكي الشباب من أسفٍ ... فلست أبكي الشباب من أسفِ
كيف وشرخ الشباب عرضني ... يوم حسابي مواقف التلف
لا صُوحبتْ شرَّة[٢] الشباب ولا ... عدمْتُ ما في المشيب مِنْ خَلَفِ

آخر:

وشباب بان مني[٣] فمضى ... قبل أن أقضي منه أربي
ما أرجي بعده إلّا الفنا ... ضيق الشيب عليّ مطلبي

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله يحب ابن الثمانين، ويبغض ابن الستين إذا كان شبه[٤] ابن عشرين». شعر:

خليلي هَلاَّ تبكيان معي عمري ... تصرم عمري من يدي ولا أدري
إذا ما انقضت عني ثمانون حجة ... ولم أتأهب للمعاد فما عذري

وعن الأوزاعي قال: رأيت قصرًا بعسقلان قد باد أهله وكتب على بابه شعر:

قد شاب رأسي ورأس الحرص لم يشب ... إن الحريص لفي كد وفي تعب

(٢) صُوحبتْ شرَّة: صحبت سره، م ي. معاهد على شواهد التلخيص ٢/ ١٨٩.
(٣) مني: مضى، م ي. كتاب المعارف في أخبار العرب وأنسابهم ص٨٥.
(٤) شبه: في سيرة، م ي. الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ١١٣.

بالله ربك كم بيت مررت به ... قد كان يعمر باللذَّاتِ والطرب
دارت كؤوس المنايا في جوانبه ... فصار من بعدها للويل والخرب

فحتى متى على الدنيا إقبالك، وشهواتها اشتغالك، وقد وخطك القتير[٥]، ووافاك النذير، وأنت عما يراد بك ساهٍ، وبلذة يومك لاهٍ، ثم أنشأ يقول:

وفي ذكر هول الموت والقبر والبلى ... عن اللهو واللذات للمرء زاجرُ
أبعد اقتراب الأربعين تربصٌ ... وشيب قذال[٦] منذر لك داعر
كأنك معني بما هو ضائرٌ ... لنفسك عمدًا أو عن الرشد حائرُ

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا جاوز العبد أربعين سنة ولم يغلب خيرُه شرَّه فليتجهز[٧] إلى النار».

ودخل قتيبة بن مسلم على الحجاج فقال: يا قتيبة إني نظرت في سنك وقد بلغت الخمسين، فقال قتيبة:

إذا كانت الخمسون سنك لم يكن ... لدائك إلّا أن تموت طبيب
وإنَّ امرءًا قد سار خمسين حجة ... إلى منهلٍ من ورده لقريبُ
إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليَّ رقيبُ
إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم ... وخُلِّفت في قرن فأنت غريب

وقيل: لا خير في عمر ذهب منه أطيبه، ولا فيما نفذ منه أعذبه.

سوَّفْتَ بالتوبة إذ لم تشب ... فالآن قد شِبْتَ فما تنتظر
أبعد شيب الرأس لا ترعوي ... وبعد فوت العمر لا تنزجر
يا عجبًا أنك ذو خبرة ... تعلم ما تلقى فلا تعتبر

آخر:

ذهب الشباب فما أراه يروح ... ويد المشيب بعارضيك تلوح
لما انقضى عنك الشباب وظله ... ظل المشيب على الشباب ينوحُ

(٥) وخطك القتير: خالطك الشيب. تاج العروس (وخط).

(٦) شيب قذال: شيب العذار، م ي. البداية والنهاية ٩/ ١١٠.

(٧) فليتجهز: فليجهز، م ي. انظر ربيع الأبرار ٣/ ٢٩.

وقيل: من شاب رأسه هار أساسه، من طعن في الستين حق له أن يحين.

ألا ليت الشباب يعود يومًا فأخبره بما فعل المشيب
بكيت على الشباب بدمع عيني فما نفع البكاء ولا النحيب
عريت من الشباب وكنت غضًا كما يعرى من الورق[٨] القضيب

آخر:

لما رأيت الشيب قد نزلا وبان مني الشباب وارتحلا
أيقنت بالموت فاعتبرت به وكل حي يوافق الأجلا
كم أخ لي كان يؤنسني فصار تحت التراب منجدلا
لا يسمع الصوت إن هتفت به ولا يرد الجواب إن سئلا
لو خلد الله - فاعلموا - أحدًا لخلد الأنبياء والرسلا

أبو عبد الله الدامغاني: من جاوز عمر النبي وصاحبيه حق له أن يكف عن الخنا كَفَّيْهِ، ويغض عن المحارم طرفيه، ويوقف عن الباطل قدميه، ويبكي وينوح عليه، فإن موت الأقران يهد الأركان.

قال: العجب ممن تناولته الدهور كيف لا يعتبر بعواقب الأمور، وأعجب منه مَنْ قَلَّ طعامه، وطالت أسقامه، وذهبت أيامه، وضاعت أعوامه، وكثرت آثامه، يا شيخ ما بقاء الزرع إذا استحصد، كأنك بصاحبه[٩] بالمنجل قد قصده[١٠]. شعر:

قد بلغ الزرع منتهاه لا بد للزرع من حصاد
من خاف من سكرة المنايا لم يدر ما لذة الرقاد

وقيل: ما أحسن الإناب[١١] بالشباب، وما أقبح الخضاب لمن[١٢] قد شاب.

شعر:

ياذا الذي خضب المشيب وليس ينفعه الخضاب
كالقبر يعمر ظاهرًا أبدا وباطنه خراب

(٨) الورق: الورقة، ي. انظر ديوان أبي العتاهية ص٤٥.
(٩) بصاحبه: بصاحبيه، م ي.
(١٠) قصده: قصد، ي.
(١١) الإناب: الآيات، ي.
(١٢) لمن: عمن، م ي.

وقال: يا شيخ ما هذا التسويف، وكم بقاء الورق على الشجر وقت الخريف، إن البياض آخر ما تحلى به العروس، وإن الشيب يؤذن بموت النفوس.

شعر:

قد كان ذاك وكانت دولة الندم ... فالشيب أول مدلول على الهرم

آخر:

إذا رحل الشباب وحل شيب ... فهل بعد المشيب سوى الحمام

وقال: يا شيخ، كم تبقى الشمس في القصر بعد العصر، وكم يخرج الدهن من الجوز بعد العصر.

شعر:

الشيب مثل الشمس عند غروبها ... فمغيبها في وقتها يتوقع
وكذا المنية للشيوخ بمرصدٍ ... عما قليل كأسها يتجرع

شعر:

هذا المشيب قد ارتديت بثوبه ... وخلعت ثوب نضارتي وشبابي
ذهب الشباب فما له من مرجعٍ ... وفجعت بالندماء والأصحاب[١٣]
ماذا أؤمل بعد شيب نازلٍ ... إلا المصير إلى مكان ترابي
ولقد بكيت لوحشتي من فقده ... جزع المحب أصيب بالأحبابِ
فلأبكين على الشباب بمقلةٍ ... منهلة التذراف[١٤] والتسكابِ

آخر:

فكل بيت خراب بعد جِدته[١٥] ... ومن وراء الشبابِ الموتُ والكِبَرُ
لا ينفع الذكر قلبًا قاسيًا أبدًا ... وهل يلين لقول الواعظ الحجرُ

(١٣) الأصحاب: الأصحابي، م ي.
(١٤) التذراف: التذراق، م ي.
(١٥) جِدته: حدته، م ي. التبصرة لابن الجوزي ص١٠٨.

آخر:

قد كنت أنظر قبل اليوم في كتبٍ فيها الحكايات والأشعار والخطبُ
ودفتر الطب فيها لا ألم به إذ لم يكن فيه لي من صحتي أربُ
فجاءت السبع والخمسون تحوجني إلى العلاج فما لي غيره كتبُ

محمد بن حازم:

لا حين صبرٌ فجل الدمع ينهمل فقد الشباب بموت المرء متصلُ
لا تكثرن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدلُ
كفاك بالشيب ذنبًا عند غانيةٍ وبالشباب شفيعًا أيها الرجلُ

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بادر خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وفراغك قبل شغلك، وسعتك قبل فقرك، وصحتك قبل سقمك، وحياتك قبل موتك»، نظر إليه محمود الوراق وقال: شعر:

بادر شبابك أن تهرما وصحة جسمك أن تسقما
وأيام عيشك قبل الممات فما قَضْرٌ[16] من عاش أن يسلما
ووقتَ فراغك بادر به ليالَيَ شُغْلِكَ في بعض ما
وقدِّم فكلُّ امرئ قادمٌ على كل ما كان قد قدَّما

آخر:

بادر شبابك قبل وقت رحيله واعمل ليومك يا أخا الإسرافِ
فكأن يومك قد أتاك بغصة وأزال عنك لذيذ عيش صافي

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله».

شعر لابن عبادة:

أناخ الشيب ضيفًا لم أُرِدْهُ ولكن لا أطيق له مَرَدًّا
رداء للردى فيه دليلٌ تَرَدَّى مَنْ به يومًا تَرَدَّى

(١٦) قَضْرٌ: دهر، م ي. انظر بهجة المجالس ٣/ ٣١٩.

آخر:

وراسُ مال المرء أيّامُه والمرء في إنفاقها[١٧] مسرف
يأسف للفلس إذا فاته وعمره يفنى فلا يأسفُ

آخر:

نذير ولكنه ساكت وضيف ولكنه شامتُ
وأشخاص موت ولكنه إلى أن تشيعه ثابتُ

الصوري:

تفكرت في شيب الفتى وشبابه فأيقنت أن الحق للشيب واجبُ
يصاحبني شرخ الشباب فينقضي وشيبي لي حتى أموت مصاحبُ

آخر:

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ونفى عني الكرى طيف ألَمْ
إن في ثوبي جسمًا باليًا لو توكأت عليه لانهدم

الأصمعي قال: سمعت أعرابيًا يقول: إن الآمال قطعت أعناق الرجال كالسراب غَرَّ من رآه وأخلف من رجاه، ومن كان الليل والنهار مطيته أسرعا به السير والبلى، ثم أنشأ يقول:

المرأ يفرح بالأيام يدفعها وكل يوم مضى يدني من الأجل

حاتم الأصم: أربعة لا يعرف قدرها إلّا أربعة: الشباب لا يعرف قدره إلّا الشيوخ، والعافية لا يعرف قدرها إلّا أهل البلاء، وقدر الصحة لا يعرفها إلّا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفها إلّا الموتى.

الأحنف: ثلاثة لا تدرك بثلاثة: الغنى بالمنى، والشباب بالخضاب، والصحة بالأدوية.

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل قيل: إنه مجنون، فقال: «هذا مصاب، إنما المجنون عبد أو أمة أبليا شبابهما في غير طاعة الله ومرضاته».

ابن أشيم مر بشبان يلعبون فقال: ألا تحدثوني عن قوم أتوا أرضًا فجعلوا ينامون بالليل

(١٧) إنفاقها: إنفاقه، م ي.

ويجورون النهار متى بلغوا؟ قالوا: لا متى، قال: فسلم عليهم ومضى، فقام شاب وقال: يا فتيان إيانا عني ،فلحقه وتعبد معه عمره.

عقبة بن عامر: إن ربك يتعجب من شباب ليست له صبوة.

كعب الأحبار: الشباب المتعبد أحب إلى الله من شيوخ الرجال والنساء، يقول الله: يا شاب كسرت شبابك لي، وعفرت وجهك في التراب من أجلي، فوعزتي وجلالي لأثيبك ثواب تسعة وتسعين صديقًا.

ومر رجل بحذيفة وحوله فتيان فقال: ما هؤلاء الأحداث؟ فقال: وهل الخير إلّا في الشبان. أما سمعت قول الله: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء:٦٠]، وقال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف:١٣]، ﴿[وَإِذْ قَالَ][18] مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف:٦٠]؟ أما علمت أن الله لم يبعث نبيًا قط إلّا وهو شاب.

وروي أنه مكتوب في الزبور: من بلغ السبعين اشتكى من غير علة.

أبو عبيدة: قيل لشيخ: كم بقي منك؟ قال: يسبقني من معي، ويدركني من خلفي، ولا أدرك من قبلي، أنسى الحديث، ولا أذكر القديم، وأنعس في الملأ، وأسهر في الخلاء، وتدنو الأرض مني إذا قمت، وتباعد إذا قعدت، أبصر الواحد اثنين، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض، وابيض مني ما كنت أحب أن يسود، واشتد مني ما كنت أحب أن يلين، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد. ويقال: الشيب أول مراحل الموت.

وكان عيسى عليه السلام إذا مر على الشبان قال: من زرع لا يدرك الحصاد. وإذا مر على الشيوخ قال: ما ينتظر بالزرع إذا أدرك الحصاد.

ووعظ مالك بن دينار شابًا فقال: يا مالك دعنا ندق الدنيا أوان شبابنا دقًا، فلم يلبث أن حضرته الوفاة، فكان في سكراته إذ سمع قائلًا يقول: أنت الذي قلت: دعنا ندق الدنيا دقا، والله لتُدقّن اليوم روحك دقًا.

وعن النبي عليه السلام: «إذا جاوز العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار».

---

(١٨) في م ي: وقال. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

أحمد بن حرب: مثل الشاب مثل الزرع الأخضر أنت منه على خطر، ومثل الشيخ مثل الزرع المدرك لا بد أن يحصد، ومثل الشاب كمثل الغصن إذا عطفته لعله[١٩] ينعطف، ومثل الشيخ مثل الغصن اليابس إذا عطفته انكسر.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أوصيكم في الشباب خيرًا، وسِّعوا لهم في المجالس فإنهم أرأف أفئدة».

وعن وهب قال: إذا مضى من الليل نصفه نادى منادٍ من[٢٠] السماء السابعة: شوقناكم فلم تشتاقوا، وخوفناكم فلم تخافوا، ونحنا لكم فلم تبكوا، أبناء الثلاثين زرع قد دنا حصاده، أبناء الأربعين تزودوا، أبناء الخمسين هلموا إلى الحساب، أبناء الستين الرحيل الرحيل، أبناء السبعين هاتوا أعمالكم وخذوا أجوركم، أبناء الثمانين لا عذر لكم إن لم تتوبوا. فإذا انشق عمود الصبح نادى منادٍ من عند العرش: ألا يا غافل إلى متى تغفل، ألا يا ساهٍ إلى متى تسهو، ألا يا لاهٍ إلى متى تلهو، ألا يا نائم إلى متى تنام، يا بني آدم أما تعلمون أن لله سطوات ونقمات وساعات، فإن خفتم سطواته ونقماته وساعاته فداووا قروحكم، فلولا رجال خُشَّع، وصبيان رُضَّع، وبهائم رُتَّع، لصببت عليكم البلاء صبًا.

منصور النمري:

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزع ... إذا ذكَرتُ شبابًا ليس يُرتجع
ما كنت[٢١] أوفى شبابي كنه عزته ... حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع

آخر:

شيئان لو بكتْ الدماءَ عليهما ... عيناي حتى آذنا بذهاب
لم يقضيا المعشار من حَقَّيْهما: ... شرخ الشباب وفرقة الأحبابِ

أكثم بن صيفي: الشيب عنوان الموت.

مالك بن أنس: الشيب نوم[٢٢] الموت.

---

(١٩) لعله: لعل، م ي.

(٢٠) منادٍ من: منادي منا، ي.

(٢١) كنت: كانت، ي. انظر اللطائف والظرائف ص٢٥٣.

(٢٢) نوم: نوام، م ي. زهر الآداب ٤/ ٩٧٠.

ابن المعتز: الشيب أول مواعيد الفناء.

ابن الرومي:

فكرت في خمسين عامًا مضت ... كانت أمامي ثم خلفتها
لو أن عمري مائة هدني ... تذكُّرتي أني تنصفتها[٢٣]

آخر:

من شاب قد مات وهو حيٌّ ... يمشي على الأرض مشي هالك
لو كان عمر الفتى حسابًا ... لكان في شيبه فذالك[٢٤]

آخر:

الشيب إحدى الموتتين تقدمت ... إحداهما وتأخرت أخراهما[٢٥]
وكأن مَنْ حَلَّتْ به صغراهما ... يومًا فقد حلت به كبراهما

ومن محاسن مسلم بن الوليد:

الشيب كرهٌ وكره أن يفارقني ... أعجب بشيء على البغضاء مودودِ
يمضي الشباب وقد يمضي له خلفٌ ... والشيب يذهب مفقود بمفقودِ[٢٦]

للبستي:

يا شيبتي دومي ولا ترحلي ... وتيقني أني بوصلك مولعُ
قد كنت أجزع من حلولك مرة ... فالآن من خوف ارتحالك أجزعُ

فصل في المرض

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي [كُلِّ] عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [التوبة:١٢٦].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حمى يوم كفارة سنة».

(٢٣) تنصفتها: نصفتها، م ي. لطائف المعارف ص٣٤٥.

(٢٤) الفذالك: جمع فَذْلَكة، يقال: فَذْلَكَ حسابه بمعنى: فرغ منه وأنهاه، وهي كلمة مخترعة من قول الحاسب: أجمل حسابه: فذلك كذا وكذا عددًا، وكذا وكذا قفيزًا. انظر تاج العروس (فذلك).

(٢٥) أخراهما: إحداهما، م ي. انظر (أحسن ما سمعت) للثعالبي ص٨١.

(٢٦) بمفقودِ: فمفقود، م ي. تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٠١.

ابن مسعود في قوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة:١٧٧]، قال: البأساء الفقر، والضراء المرض.

أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمى كِيرٌ[٢٧] من جهنم، فما أصاب المؤمن منها فهو حظه من النار».

وروى أنس أنّ النبي عليه السلام قال: «إذا ابتلى الله العبد ببلاء في جسده قال للملك: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل، فإن شفاه طهره وغسله، وإن قبضه غفر له ورحمه».

أبو هريرة، عن النبي عليه السلام: «قاربوا وسددوا، فكل ما يصيب المسلم فهو كفارة، حتى الشوكة تشوكه، والنكبة تنكبه»، رواه أبو هريرة.

وقال: «من ابتلي فصبر، وأُعطي فشكر، وظُلِم فغفر، وظَلَم فاستغفر»، ثم سكت، قالوا: يا رسول الله ما له؟ قال: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث من كنوز العرش: إخفاء الصدقة، وكتمان الشكوى، وكتمان المصيبة، يقول الله تعالى: إذا ابتليت عبدي فصبر ولم يشكني إلى عواده أبدلته لحمًا خيرًا من لحمه، ودمًا خير من دمه، فإن أبرأته أبرأته ولا[٢٨] ذنب له، وإن توفيته فإلى رحمتي»، رواه أنس.

وقال عليه السلام: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ»، رواه ابن عباس.

وقال عليه السلام: «يود أهل العافية يوم القيامة أن لحومهم قُرِضتْ بالمقارض لما يرون من ثواب الله لأهل البلاء»، رواه جابر.

أبو هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «مَنْ مَرِضَ ليلة فصبر ورضي عن الله، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله إذا أحب عبدًا صب عليه البلاء صبًا، وثَجَّه عليه ثَجًّا»، قال: «ويوضع الميزان يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة[٢٩] فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجوره بالموازين، ويؤتى بأهل الصيام فيوفون أجورهم

(٢٧) كِيرٌ: كر، م ي. مسند أحمد ٣٦/ ٦٠٨.
(٢٨) ولا: وله، م ي. حلية الأولياء ٧/ ١٦٧.
(٢٩) الصلاة: الجنة، م ي. تسلية أهل المصائب للمنبجي ص١٣٩.

بالموازين، ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب لهم الأجر صبًا بغير حساب، حتى يتمنى أهل العافية أنهم كانوا في الدنيا تقرض أجسادهم بالمقاريض لما يذهب به أهل الصبر من الفضل».

أبو هريرة قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بها ضعف فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يشفيني، قال: «إن شئت دعوت الله وإن شئت فاصبري ولا حساب عليك»، قالت: بل أصبر[٣٠] ولا حساب علي.

الحسن، عن النبي عليه السلام: «الصبر عند الصدمة الأولى، والعَبْرة لا يملكها أحد، وعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإذا أحب الله عبدًا ابتلاه».

أنس قال: اشتكى زيد بن أرقم عينه، فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا زيد كيف تصنع[٣١]»؟ قال: أصبر وأحتسب، قال: «لئن كان عيناك لما بهما فصبرت[٣٢] واحتسبت لتلقين[٣٣] الله يوم القيامة بغير ذنب».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصيب بمصيبة من سقم، أو ذهاب[٣٤] مال، فاحتسب[٣٥] ولم يشك إلى الناس إلّا كان حقًا على الله أن يغفر له».

الحسن قال: يمرض الرجل فيقال له: صح الجسم، ويحك ما صح الجسم؟ قيل: فكيف تقول يا أبا سعيد؟ قال: قيل: ليهنك الطهر.

قيل لأعرابي برئ مِنْ علته: الحمد لله الذي سلمك من علتك، فقال: أَوَيَسْلَمُ[٣٦] مَن الموتُ في عقبه[٣٧]؟

معاذ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من مرض يومًا بمكة فصبر واحتسب كتب الله

(٣٠) بل أصبر: بلا صبر، م ي. مسند أحمد ٥/ ٤٣١.
(٣١) تصنع: صبر، م ي. مسند أحمد ٢٠/ ٤٢.
(٣٢) عيناك لما بهما فصبرت: مالك صبرت، م ي. انظر مسند الحارث ١/ ٣٥١.
(٣٣) لتلقين: للين، م ي. مسند أحمد ٢٠/ ٤٢.
(٣٤) ذهاب: ذهب، م ي. علل الحديث لابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥.
(٣٥) فاحتسب: احتسب، م ي. علل الحديث لابن أبي حاتم ٥/ ١٤٥.
(٣٦) أَوَيَسْلَمُ: أوسلم، ي. محاضرات الأدباء ١/ ٥١٨.
(٣٧) عقبه: عنقه، م ي. محاضرات الأدباء ١/ ٥١٨.

له من الأعمال الحسنة التي كان يعملها سبع سنين، وغفر له ذنوب سبع سنين، وإن كان غريبًا ضوعفت أعماله، وتكتب له الحسنات لأربع عشرة سنة، ويغفر له ذنوب أربع عشرة سنة».

ومرض الفضل بن سهل، فعاده الناس، فجلس وقال: إن في المرض[٣٨] لنعمًا لا ينبغي لعاقل أن يجحدها، فيها تمحيص الذنب، وتعرض[٣٩] للثواب بالصبر، وإيقاظ من الغفلة، وادّكار[٤٠] للنعمة[٤١] في الصحة، واستدعاء للتوبة، وحضّ[٤٢] على الطاعة، وفي قضاء الله وقدره من بعد الخيرة.

الأصمعي قال: اشتكى رجل فطالت شكايته وأسقامه، فقال له: كيف تجدك[٤٣]؟ فقال:

تعودت مس الضر حتى ألفته ... وأحوجني طول البلاء إلى الصبر

شعر:

إني وإن كان جمع المال يعجبني ... ما يعدل المال عند صحة الجسد
في المال عز وفي الأولاد مكرمة ... والسقم ينسيك ذِكْر المال والولدِ

آخر:

نعلل بالدواء إذا مرضنا ... وهل يشفي من الموت الدواء
ونختار[٤٤] الطبيب وهل طبيبٌ ... يؤخر ما يقدمه[٤٥] القضاء
وما أنفاسنا إلّا حسابٌ ... وما حركاتنا إلّا فناءُ

شهر بن حوشب، عن الحارث[٤٦] بن عمير قال: وقع الطاعون بالشام، فخطب معاذ بحمص وقال: إن هذا الطاعون رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم. أنس: كفى بالسلامة داء[٤٧].

---

(٣٨) في المرض: المفرض، م ي. تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٨.
(٣٩) تعرض: تعريض، م ي. تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٨.
(٤٠) ادّكار: إذكار، م ي. تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٨.
(٤١) للنعمة: بالنعمة، م ي. تاريخ بغداد ١٤/ ٢٩٨.
(٤٢) حضّ: حظ، م ي. تاريخ بغداد ٦٤/ ٢٩٨.
(٤٣) تجدك: نجدك، م ي.
(٤٤) ونختار: أيحتار، م ي. محاضرات الأدباء ١/ ٥٠٨.
(٤٥) يقدمه: تقدمه، م ي. محاضرات الأدباء ١/ ٥٠٨.
(٤٦) الحارث: الحرث، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٦١
(٤٧) مصنف ابن أبي شيبة ٦/ ١٦١.

كانت قناتي لا تلين لغامز[٤٨] فألانها[٤٩] الإصباح والإمساء
ودعوت ربي بالسلامة جاهدًا ليصحني فإذا السلامة داء

فرقد السبخي: مكتوب في التوراة: يابن آدم أنت في هدم عمرك مذ سقطت في بطن أمك.

وقيل للحسن: إن فلانًا في النزع، فقال: إنه ما يزال في النزع مذ خرج من بطن أمه، ولكنه الآن أشد.

مبحث في كلام الأخيار في المرض

قال الله: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢].

عائشة: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم».

أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو مريض فقال له: «كيف تجدك»[٥٠]؟ قال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي، فقال صلى الله عليه: «إنهما لا يجتمعان في قلب عبد في هذا المرض إلّا أعطاه الله ما يرجو وأمَّنه مما يخاف».

وقيل لحسان بن أبي سنان في مرضه: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، قال: ما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة الطرفين أحيي ما بينهما.

وقيل للربيع بن خثيم في مرضه: ألا ندعو لك طبيبًا؟ قال: أين عاد وثمود وأصحاب الرس وقرون بين ذلك كثير، ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ [الفرقان:٣٩]، علمتم حرصهم على الدنيا ورغبتهم فيها وقد كانت فيهم أطباء، فلا المداوَى بقي ولا المداوِي له، والله لا تدعو لي[٥١] طبيبًا.

شعر:

مات المداوي والمداوى والذي جلب الدواء وباعه ومن اشترى

(٤٨) غامز: عامد، ي. خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٢١٦.
(٤٩) فألانها: فأنها، م ي. خزانة الأدب للبغدادي ٢/ ٢١٦.
(٥٠) تجدك: نجدك، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ١٤٢٣.
(٥١) والله لا تدعو لي: الله لا يدعو له، م ي. التمهيد لابن عبد البر ٥/ ٢٧٠.

ولما مرض وهيب[٥٢] المكي دخل عليه طبيب أمير مكة وهو نصراني يسمى أبا خالد، فقال له: صف مرضك له، فقال: سبحان الله، أين هذه العقول، تأمروني أن أشكو ربي إلى عدو من أعدائه؟ قم[٥٣] عني ويحك.

ودخل سعد بن أبي وقاص إلى سلمان يعوده فبكى، فقال له سعد: ما يبكيك يا أبا عبد الله، توفي رسول الله وهو عنك راض، وترد عليه الحوض؟ فقال سلمان: أما إني لا أبكي جزعًا من الموت، ولا حرصًا على الدنيا، ولكن رسول الله عهد إلينا وقال: «ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب» وحولي هذه الأساود[٥٤]. وإنما حوله إجّانة[٥٥] وجفنة ومطهرة.

وقيل لعمر: ألا ندعو لك طبيبًا؟ فقال: لو علمت شفائي في مسح أنفي ما مسحته، ثم المذهوب إليه ربي.

ودخل يحيى بن معاذ على مريض يعوده فقال: كيف ترى نفسك؟ فقال: خرجت إلى الدنيا وأنا راغم، وعشت فيها وأنا ظالم، وأخرج منها وأنا نادم، قال: فقال يحيى: إني لا أقول هذا، ولكن دخلت الدنيا بقضاء وقدر، وعشت فيها بغرور وخطر، وأخرجت منها إلى جنان أو سقر.

ومرض المأمون فأمر بالرماد ففرش، وتمرغ عليه وقال: يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه، ثم أنشأ يقول:

عز حي وذل من قد يموت ... قد تيقنت أنني سأموت
ليس مُلْكُ الذي يزول بملك ... إنما المُلْكُ مُلْكُ من لا يموتُ

عبد الله بن عبيد قال: عدت مريضًا فقلت: كيف أنت؟ فقال: خرجت من الدنيا وقامت قيامتي.

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداةَ أقَلَّ الحاملون جنازتي
وعَجَّل أهل حفر قبري وصيَّروا ... خروجي وتعجيلي[٥٦] إليه كرامتي
كأني بهم لم يعرفوا قط صورتي ... غداة أتى يومي علي وساعتي

(٥٢) انظر تنبيه المغتربين ص٥١.
(٥٣) قم: ثم، ي. تنبيه المغتربين ص٥١.
(٥٤) الأساود: الأشياء، م ي. صفة الصفوة ١/ ٢١٠.
(٥٥) صفة الصفوة ١/ ٢١٠، والإجَّانَةُ: وعاء يغسل فيه الثياب. انظر الصحاح (ركن).
(٥٦) تعجيلي: تعجيل، م ي. انظر بستان الواعظين ص٢٧٩.

ابن مسعود قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنيسة فإذا بيهود، فإذا بيهودي يقرأ التوراة، فلما أتى على صفته أمسكوا، وفي ناحيتها رجل مريض، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لكم أمسكتم»؟ فقال المريض: لأنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا، ثم جاء المريض يحبو(٥٧) حتى أخذ التوراة وقال: ارفع يدك، وقال: فقرأ(٥٨) حتى أتى على صفته فقال: هذه صفتك وصفة أمتك، أشهد أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله ،ثم مات، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لوا أخاكم» قال أبو علي: معناه أن يلوا دفنه والصلاة عليه، لأنه أسلم.

كان مريض يشكي ويقول:

فإن تعف عني تعف عن ذي جناية ... وإن أنت عاقبت المسيء فبالذنب
رجائي إلهي حسن عفو فأعطني ... رجائي ولا تهلك عبيدك يا ربي

ودخل بقّار لطلحة(٥٩) والي بلخ وخراسان على طلحة وهو مريض فقال: من أنت؟ قال: أنا بقارك(٦٠)، فقال طلحة: ليتني كنت بقارك(٦١).

ولما توفي عبد الملك بن مروان سأل أبو حازم عن قوله في مرضه، فقالوا: سمع دق قصار، فقال: يا ليتني كنت قصارًا، فقال أبو حازم: الحمد لله الذي جعلهم يتمنون منزلتنا ولا نتمنى منزلتهم.

وقال المزني: دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلًا، وللإخوان مفارقًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله واردًا، لا والله أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زالت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته: «فما تنكرون من موت

(٥٧) يحبو: يحثوا، م ي. مصنف ابن أبي شيبة.
(٥٨) فقرأ: إقرء، ي. مصنف ابن أبي شيبة.
(٥٩) بقّار لطلحة: الطلحه، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ص٣٠٦.
(٦٠) بقارك: نقارك، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ص٣٠٦.
(٦١) بقارك: نقارك، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ص٣٠٦.

نبيكم، ألم [أنع لكم وتنع] لكم أنفسكم، هل خلد نبي قبلي فأخلد فيكم، ألا وكأني قد دعيت فأجبت، فعليكم بتقوى الله والتمسك بسنتي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٦٢].

مبحث في عيادة المريض

قال عليه السلام: «ثلاث كلهن حق على كل مسلم: عيادة المريض، وشهود الجنائز، وتشميت العاطس»، رواه أبو هريرة.

وقال عليه السلام: «أربع من جمعهن في يوم واحد غفر الله له ما تقدم من ذنبه: من أصبح صائمًا، وأعطى سائلًا، وعاد مريضًا، وشيع جنازة».

وعاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم سلمان في مرضه فقال: «أما إن لك[٦٣] في مرضك ثلاث خصال: ذكر الله، وتكفير خطاياك، واستجابة دعائك، فإن المبتلى مجاب».

أنس قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شاب وهو مريض يعوده فقال له: «كيف تجدك[٦٤]»؟ قال: أرجو الله يا رسول الله. قد مَرَّ الخبر.

وقال عليه السلام: «عائد المريض على مخارف[٦٥] الجنة».

أبو موسى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكوا العاني».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عودوا المريض، واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة».

علي عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل على مريض قال: «أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شافي[٦٦] إلّا أنت شفاء لا يغادر سقمًا».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «للمؤمن على المؤمن ست خصال: يعوده

(٦٢) انظر إمتاع الأسماع ١٤/ ٤٤٥.
(٦٣) أما إن لك: أمان لك، ي. انظر قناطر الخيرات ٢/ ٢٩٦.
(٦٤) تجدك: نجدك، ي.
(٦٥) المَخْرَفَة: البستان، وجمعها: مخارف. تاج العروس (خرف).
(٦٦) شافي: شفاء، م ي. صحيح البخاري ٧/ ١٣٣.

إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويشمته إذا عطس، وينصح له إذا غاب أو شهد[٦٧]».

وعاد الحسن مريضًا فوافقه وهو في النزع، فرأى تقلبه وكربه وشدته، فلما رجع إلى أهله قالوا: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم، شأنكم به، فإني رأيت مصرعًا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي عليه السلام قال: «يقول الله تعالى: مرضت فلم يعدني ابن آدمن وظمئت فلم يسقني ابن آدم، فقلت: أتمرض يا رب وتظمأ؟ قال: نعم، يمرض العبد من عبيدي فلا يُعاد، ولو عاده كان إنما يعود لي، ويظمأ العبد من عبيدي فلا يسقى، ولو سقاه كان إنما يسقيه لي».

مرض علوي فزاره الصاحب وأنشأ يقول:

يـا سـيدًا أفديـه عنـد شـكاته ... بالنفـس والولـد الأعـز وبـالأب
لـم لا أبيـت[٦٨] علـى الفـراش مسـهدًا ... وقـد اشـتكى عضـو مِـنَ اعْضـاء النبـي

كثير:

ونعـود سـيدنا وسـيد غيرنـا ... ليـت التشـكي كان بالعـواد
لـو كان تقبـل فديـةٌ لفديتـه ... بالمصطفـى مـن طارفـي وتـلادي

آخر:

قالـوا: أبو الفضـل معتـل فقلت لهم ... نفسـي الفـداء لـه مـن كل محـذور
يـا ليـت علّتـه[٦٩] بـي غيـر أن لـه ... أجـر العليـل وأنـي غيـر مأجـورِ

ومرض أحمد بن أبي دؤاد القاضي رحمه الله فعاده أبو تمام وأنشأ يقول:

إنـي لعلـة أحمـد ... ولعلتـي قلـق الوسـاد
مـن ذا يقـوم بعلتيـن ... مقيمتيـن علـى الفـؤاد

(٦٧) شهد: أشهد، ي. سنن الترمذي ٤/ ٣٧٨.
(٦٨) أبيت: أتيت، م ي. يتيمة الدهر للثعالبي ٣/ ٣٢١.
(٦٩) علته: عليته، م ي. وفيات الأعيان ٣/ ٤٧٧.

يا رب أنت جعلت أحـ مد خير خلقك للعباد
فارحم عبادك أجمعـ ين برحمة ابن أبي دؤاد

آخر:

قالوا اعتللت فقلت كَلْـ لا إنما اعتل العباد
والدين والدنيا لعلـ ته وأظلمت البلاد
قالوا: يعاد، فقلت: ذا ك إلى سلامته يعاد

أبو بكر، عن محمد بن عمرو بن حزم[٧٠]، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من عاد مريضًا لا يزال في الرحمة، فإذا قعد عنده استنقع[٧١] فيها، فإذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج، ومن عَزَّى أخاه المؤمن بمصيبته كساه الله حلل الكرامة يوم القيامة».

ابن أبي ليلى قال: دخل أبو موسى على الحسين بن علي عليهما السلام يعوده[٧٢] وكان شاكيًا، فقال له علي عليه السلام: أعائدًا جئت أم[٧٣] شامتًا؟ قال: لا بل عائدًا، فقال علي: أمّا إذا جئت عائدًا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من أتى أخاه المسلم ليعوده مشى في خرافة الجنة حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة[٧٤] صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح».

وروي أن الصاحب كتب إلى أبي هاشم العلوي الطبري[٧٥] وقد اعتل:

أبا هاشم ما لي أراك عليلا ترفق بنفس المكرمات قليلا
لترفع عن قلب النبي حَزَازَةً[٧٦] وترفع عن صدر الوصي غليلا
فلو كان من بعد النبيين معجزٌ لكنت على صدق النبي دليلا

(٧٠) السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٩٨.
(٧١) السنن الكبرى للبيهقي ٤/ ٩٨.
(٧٢) يعوده: يعود، م ي. مسند أحمد ٢/ ٤٧.
(٧٣) أم: أو، م ي. مسند أحمد ٢/ ٤٧.
(٧٤) غدوة: عدوه. مسند أحمد ٢/ ٤٧.
(٧٥) الطبري: الطير، م ي. يتيمة الدهر ٤/ ٦٥.
(٧٦) حَزَازَةً: حرارة، م ي. يتيمة الدهر ٤/ ٦٥.

فكتب أبو هاشم إلى الصاحب:

دعوت إله الناس شهرًا محرمًا ... ليصرف سقم الصاحب المتفضل
إلى بدني أو مهجتي فاستجاب لي ... فها أنا مولانا من السقم ممتلي
فشكرًا لربي حين حول سقمه ... إليّ وعافاه ببرءٍ معجلِ
وأسأل ربي أن يديم علاءه ... فليس سواه مفزع لبني علي

فأجابه الصاحب:

أبا هاشم لم أرض هاتيك دعوة ... وإن صدرت عن مخلص متطول
فلا عيش لي حتى تدوم مسلّمًا ... وصرْفُ الليالي عن ذراك بمعزلِ[٧٧]
فإن نزلتْ يومًا بجسمك علةٌ ... وحاشاك منها يا علاء بني علي
فنادِ بها في الحال غير مؤخرٍ ... إلى جسم إسماعيل دوني تَحَوَّلي[٧٨]

والله أطال بقاء الشريف ما علمت ولو علمت لعدت، أغناه[٧٩] الله بحسن العادة عن العيادة[٨٠]، وهو حسبي.

عاد الحسن مريضًا فقال له: إن الله ذكرك فاذكره، وأقالك فاشكره[٨١].

دخل ذو النون على مريض يعوده وعنده رجل من الصالحين فقال الرجل: لم يصل إلى حبّه من لم يصبر على ضربه، فقال ذو النون: لم يصل إلى حُبِّه من لم يتلذذ بضربه.

محمود الوراق:

صدق مقالك بالعمل ... يا بشر واتهم الأمل
إني أرى رقم البلى ... من فوق رأسك قد نزل
وأراك تعثر دائمًا ... في كل يوم بالعلل
والشيب والعلل الكثيـ ... ـرة من علامات الأجل
فاعمل لنفسك أيها الـ ... ـمغرور في وقت العمل

(٧٧) معزلِ: معولي، م ي. يتيمة الدهر ٤/ ٦٥.
(٧٨) تَحَوَّلي: فحولي، م ي. يتيمة الدهر ٤/ ٦٥.
(٧٩) أغناه: أعناه، م ي. يتيمة الدهر ٤/ ٦٥.
(٨٠) العيادة: العبادة، م ي. يتيمة الدهر ٤/ ٦٥.
(٨١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠/ ٣٠٩.

كتاب عبادة: من كان حظه منك حظي، فحقيق أن شجا شجًا، ويعظم عنده قليل ما عراك.

شعر[٨٢]:

أعـزز علـي بـأن أزورك عائـدًا أو أن أرى بفنائـك العـوّادا

مبحث في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ وكلام المحتضرين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت:٣٠]، وعن زيد بن أسلم: يقال لهم هذا عند الموت، وعن زيد بن أسلم: لا تخافوا ما أمامكم من العذاب، ولا تحزنوا على ما خلفتم من عيالكم[٨٣].

ويقال: من أراد سفرًا شغل نفسه بخمسة أشياء: الطريق آمن أم مخوف، اهتمام العيال، هَمّ الرفيق، هَمّ المنزل [و]المأكول والمشروب، فكذلك سفر القيام، فالله تعالى بشر المؤمنين بأنهم أمنوا من جميع ذلك فقال: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ[٨٤]﴾ العذاب ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من العيال، فأنا خلفك عليهم، ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ منزلًا، والرفقاء ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾، والمأكول ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت:٣١]، ونظيره في الاحتضار ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة:٢٦]، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣].

ويقال: إنه إذا أمن المؤمن عند الموت بقوله: لا تخف، لا يكون عليه خوف بعده كما قال لموسى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه:٦٨]، ولأمه: ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ [القصص:٧]، ولموسى: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ﴾ [القصص:٢٥]، ومريم: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ [مريم:٢٤]، ولأبي بكر: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة:٤٠].

ورأى الحسن بن دينار رجلًا يجود[٨٥] بنفسه، فقال: أمرٌ هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله، وإن أمرا هذا أوله لجدير أن يخاف آخره.

إسماعيل الثقفي قال: شهدت أمية بن أبي الصلت حين حضرته الوفاة فأغمي عليه طويلًا،

(٨٢) العوّادا: العودا، ي. كذا بربيع الأبرار ٥/ ٦٧.
(٨٣) تفسير السمرقندي ٣/ ٢١٥.
(٨٤) في م ي: لا تخافوا. وما أثبتناه من المصحف.
(٨٥) يجود: يكد، م ي. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩/ ١٩٩.

ثم رفع رأسه، ونظر إلى باب البيت وقال: لبيكما لبيكما هأنذا لديكما، لا قوي فأنتصر، ولا [ذو] براءة[٨٦] فأعتذر، ثم أغمي عليه فمكث طويلًا، ثم أفاق ورفع رأسه، ونظر إلى باب البيت، وقال: لبيكما لبيكما، هأنذا لديكما، لا عشيرتي تحميني، ولا مالي يفديني، ثم أغمي عليه، ثم أفاق فرفع رأسه وقال:

كُلُّ عيش وإن تطاول دهرًا ... صائر مرة إلى أن يزولا
ليتني [كنت][٨٧] قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

واحتضر أبو بكر فقيل له: ألا ندعو لك طبيبًا؟ فقال: قد نظر إلي الطبيب، قالوا: فماذا قال؟ قال: [قال]: إني فعال لما أريد، قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ..﴾ الآية [البقرة:١٣٣].

ابن مسعود قال: دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أمنا عائشة حين دنا له الفراق، فنظر إلينا فدمعت عيناه، ثم قال: «مرحبًا بكم، حياكم الله، آواكم الله، نصركم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، إني لكم منه نذير مبين، ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده، وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى، والجنة المأوى، والكأس الأوفى، فأقرئوا أنفسكم مني السلام، ومن دخل في دينكم بعدي من إخواني».

ولما احتضر أبو هريرة بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: قلة الزاد، وبُعْدُ المفازة، وضعف اليقين[٨٨]، والعقبة الكؤود التي المهبط منها[٨٩] إلى الجنة أو إلى النار».

ولما احتضر الحسن بن علي عليهما السلام بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: أقدم على سيد لم أره، وأسلك طريقًا لم أسلكه، أخرجوا سريري إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السماوات.

وقيل لأبي سليمان الداراني وهو في النزع: أبشر فإنك تقدم على رب رحيم، فقال: ألا تقولون: احذر[٩٠] فإنك تقدم على رب يحاسب بالصغير ويعاقب بالكبير.

(٨٦) ذو براءة: راه، م ي. المداوي لعلل الجامع الصغير ٣/ ٣٤.
(٨٧) المداوي لعلل الجامع الصغير ٣/ ٣٤.
(٨٨) ضعف اليقين: صعب النفس، م ي. كتاب العاقبة للإشبيلي ص٦٥.
(٨٩) العقبة الكؤود التي المهبط منها: عقبة الكود، والمهبط، م ي. كتاب العاقبة للإشبيلي ص٦٥.
(٩٠) احذر: أعذر، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٥٨٤.

ولما حضر معاذ الوفاة قال لجاريته: هل أصبحنا؟ قالت: لا، ثم قالت بعد ساعة: نعم، فقال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال: مرحبًا بالموت مرحبًا، اللهم إنك تعلم أني لم أحب البقاء في الدنيا [لكري] الأنهار وغرس الأشجار، ولكني كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأ الهواجر في الحر الشديد، ولمزاحمة العلماء في حلق الذكر.

وكان بلال يقول عند الموت:

غـدًا نلقـى الأحبـه   محمـدًا وحزبـه

ولما احتضر ابن المبارك فتح عينيه ونظر إلى السماء وضحك وقال: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ﴾ [الصافات:٦١].

وكان مكحول الشافعي يبكي دائمًا، فلما حضره الموت دخل عليه جماعة وهو يضحك، فسئل عنه فقال: ولم لا أضحك وقد دنا فراق من كنت أحذره، وسرعة القدوم على من كنت أرجوه وآمله.

ابن السماك: يا أخي إن الموتى لم يبكوا عند الموت من الموت، ولكن بكوا من حسرة الفوت، فاتَهُمْ[٩١] دار لم يتزودوا منها، ودخلوا دارًا لم يتزودوا لها.

ويحكى أن عابدًا بكى عند الموت فقيل له في ذلك، فأنشأ يقول:

وحـق لمثلـي البكا عنـد موتـه   ومـا لـي لا أبكـي وموتـي قـد اقتـرب

ولـي عمـل فـي اللـوح أحصـاه خالقـي   فـإن لـم يَجُدْ بالصفح صِرْتُ إلـى العطب

ابن عباس وعائشة قالا: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»، فما زال يتكلم بها حتى جعل يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه[٩٢].

ثابت: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو يعالج من كرب الموت: «لو لم يعمل ابن آدم إلّا لهذا كان حقًا له أن يعمل».

حذيفة قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الذي قبض فيه فقال: «يا حذيفة، من ختم له عند الموت بشهادة أن لا إله إلّا الله صادقًا دخل الجنة».

(٩١) فاتَهُمْ: فاتهم، ي.

(٩٢) امسند البزار ١٣/ ٣٦٤.

ولما احتضر أبو بكر أنشدت عائشة:

لعمرك ما يغني [الثراء][٩٣] عن الفتى إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فقال أبو بكر: لا تقولي هكذا، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

وكان أبو بكر يُنَضْنِضُ[٩٤] لسانه عند موته ويقول: إن هذا أوردني الموارد، ثم قال: كفنوني في ثوبي هذين، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت، وإنما هما للمُهْلَة يعني: الصديد[٩٥].

ولما احتضر عمر قال لابن عباس: ما يقول الناس في؟ قال: يقولون خيرًا، فتحت الفتوح، ودونت الدواوين، ومصَّرت الأمصار، وجنَّدْت الجنود، وفعلت وفعلت، فقال عمر: ضع رأسي على الأرض، لو أن لي ملء الأرض ذهبًا لافتديت به من هول[٩٦] المطلع، ولوددت أني نجوت منه كفافًا لا لي ولا علي؛ يعني من الخلافة.

ولما احتضر معاذ قال: مرحبًا بالموت مرحبًا. وقد مر الخبر، قال: ثم بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام الليل، وعلى طريق مهبطي لا أدري إلى الجنة يؤخذ بي أم إلى النار، ثم قال[٩٧]:

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر في أي المحلين تنزل

ولما احتضر سلمان دخل عليه سعد فبكى سلمان، فقال: ما يبكيك، توفي رسول الله وهو عنك راضٍ، وترد عليه الحوض، فقال سلمان: أما أنا لا أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الحياة والدنيا، ولكن رسول الله عهد إلينا «ليكن بلغة أحدكم كزاد الراكب»، وحولي هذه الأساود. وإنما حوله إجَّانَة وجَفْنة[٩٨] ومطهرة.

ولما احتضر يزيد الرقاشي قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْ

(٩٣) المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢١٨.

(٩٤) معنى (يُنَضْنِضُ): يحرّك. تاج العروس (نضض).

(٩٥) يعني: الصديد: والصديد، م ي. مصنف عبدالرزاق ٣/ ٤٣٣.

(٩٦) هول: هو، ي.

(٩٧) شعب الإيمان ٢/ ٣٠٨.

(٩٨) إجَّانَة وجَفْنة: إجاحه وحفقة، م ي. صفة الصفوة ١/ ٢١٠.

ٱلْقِيَـٰمَةِ..﴾ الآية [آل عمران:١٨٥]، ألا إن الأعمال محضرة، والأجور مكملة[٩٩]، ولكل ساعٍ ما سعى، وغاية الدنيا وأهلها الموت. ثم بكى وقال: يا من القبر مسكنه، وبين يدي الله موقفه، والنار غدًا مورده، ماذا قدمت لنفسك؟ ماذا أعددت لمصرعك؟ ماذا أعددت لموقفك بين يدي ربك؟[١٠٠]

ولما احتضر الحسن قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا والله منزل صبر واستسلام.

واحتضر يزيد بن حاتم المهلبي فأنشأ يقول:

عش ما بدا لك قَصْرُكَ[١٠١] الموت ... لا مرحل عنه ولا فوت
بينا غنى بيت[١٠٢] وبهجته ... زال الغنى وتقوض البيت
يا ليت شعري ما يراد بنا ... ولَقَلَّما يُجدي غدًا ليت

ولما احتضر المأمون تمثل:

ألان يا دنيا عرفتك فاذهبي ... يا دار كل تشتت وزوال

ولما احتضر المعتصم أمر بالرماد ففرش وتمعك فيه وقال:

أنا ميت وعز من لا يموت ... قد تيقنت أنني سأموت
لبس مُلكٌ يزيله الموت مُلكًا[١٠٣] ... إنما الملك ملك من لا يموت

ومات.

وجزع ابن عطية لما احتضر، فقيل له في ذلك فقال: وما لي لا أجزع وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يسلك بي.

ولما مات يحيى بن خالد وُجدت رقعة تحت فراشه فيها:

وحق الله إن الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الظلومُ

(٩٩) مكملة: مهلكة، م ي. المحتضرين لابن أبي الدنيا ١/ ١٤٥.
(١٠٠) المحتضرين لابن أبي الدنيا ١/ ١٤٥.
(١٠١) قَصْرُكَ: فصارك، م ي. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٩.
(١٠٢) غنى بيت: ترى بيتاص، م ي. مجمع الزوائد ٩/ ١٣٩.
(١٠٣) مُلْكًا: ملك، ي.

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا ... فكم قد رام قبل ما تروم

وفيها:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم مرتعه يدني من الندم
نامت[١٠٤] جفونك والمظلوم مرتقب ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ
حلت مصيبة مظلوم بمظلمة ... إن الظلوم على تَلٍّ[١٠٥] من النقم

ولما احتضر الشبلي كان يردد هذه الأبيات:

إن بيتًا أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح[١٠٦] الله لي فرجًا ... يوم أدعو منك بالفرج

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ الآية [المؤمنون:٩٩].

ولما احتضر معاوية جعل يبكي وينشد هذا البيت:

هو الموت لا منجى من الموت والذي ... أحاذر بعد الموت أدهى وأقطع

ثم قال: اللهم أَقِل العثرة، واعف عن الزلة.

ولما احتضر عمرو بن العاص قال منشدًا:

ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال أرعى الوعولا

ووقع[١٠٧] الحجاج[١٠٨] السلمي ببني عقيل وقتل منهم مقتلة عظيمة، وفعل الأفاعيل، فجاء إلى الحسن يسأله عن حاله، فقال: لا توبة لك بعد وقعة بشر، فلما مرض قال:

(١٠٤) نامت: فاضت، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ١/ ١٧٣.
(١٠٥) تَلٍّ: بال، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ١/ ١٧٣.
(١٠٦) أتاح: أباح، م ي. تاريخ دمشق ٦٦/ ٧٧.
(١٠٧) ووقع: وواقع، ي.
(١٠٨) الحجاج: الحجاف، م ي.

رب إن العبـاد قـد آيسـوني ورجائـي لـك الغَـداة[١٠٩] عظيـم
أنـا عبـد وأنـت رب غفـورٌ إنمـا يغفـر الذنـوب الكريـمُ

واحتضر عبد الملك بن مروان، [فقال]:

ومسـتخبر عنـا يريـد بنـا الـردى ومستخبرات والدموع سـواجم[١١٠]

ثم قال: اسقوني وإن كانت[١١١] نَفْسِي فيها، فسقي بها فمات.

ونظيره ما قال الصاحب في مرضه وقد بلغه عن بعض أصحابه شماتة، فقال:

وكـم شـامت بـي بعـد موتـي جاهـلًا بظلمـي يُسـلّ[١١٢] السـيف بعـد وفاتـي
ولـو علـم المسـكين مـاذا ينالـه مـن الـذل بعـدي مـات قبـل مماتـي

قال تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٢٢]، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٠]، ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ [القيامة:٢٦]، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق:١٩].

عن بعضهم: من سلمت خاتمته حتمت سلامته، ومن حتمت سلامته تمت كرامته، ومن تمت كرامته طابت قيامته.

وقيل: خواتيم الرجال بخواتيم الآجال، وقيل: الدموع السواكب تفريج العواقب.

وكان بعضهم يبكي ويقول: أخشى أن يكون مثلي مثل بِكْرٍ ذهبت بكارتها بالزنا، فإذا زُفت الى الزوج فرح الناس بها وهي حزينة لما تعرف من نفسها، فإن سترها زوجها فالحياء منه أبدًا، وإن فضحها فالويل العظيم.

وعن النبي عليه السلام: «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلّا مقدار شبر فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلّا مقدار شبر، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها».

---

(١٠٩) الغَداة: العذاب، م ي.
(١١٠) سجمت العينُ دمعها: سال منها. الصحاح (سجم).
(١١١) كانت: كان، م ي.
(١١٢) بظلمي يسلّ: بظلم يسيل، م ي. يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٨.

ولما احتضر معاوية دخل عليه عمرو، فقام معاوية وأنشد:

وتجلـدي للشـامتين أريهـمُ أنـي لريـب الدهـر لا أتضعضـعُ

فأنشد عمرو:

وإذا المنيـة أنشـبت أظفارهـا ألفيـت كل تجلـدٍ لا ينفـعُ

قوله: ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة:٢٦] الله تعالى ابتدأ فقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ [فصلت:٥٣]، فلم يتدبروا، فقال: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال:١٢]، فلم يرتدعوا، فقال: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة:٢٦-٢٨]، فراق من الزوجة بغير طلاق، ومن المماليك بغير عتاق، ومن الخيل العتاق، والعمائم الرقاق، ومن القصر والرواق، وعن الدنيا والآفاق ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة:٢٩،٣٠].

احتضر آكل الربا فلقن لا إله إلّا الله فكان يقول: ده يازده ده يازده.[١١٣]

ولقن لاعب الشطرنج فقال: شاه شاه.

ولقن شارب الخمر الشهادة فقال:

يـا رب قائلـة يومًـا وقـد غلطـت كيـف السبيل إلـى حمام منجابِ

ولما احتضر أبو نواس قال:

أنـت ربـي وقـد أتـاك بـي المـوت فريـدًا فكـن أنيـس انفـرادي

ولقن آخر الشهادة فقال[١١٤]:

بطيزنابـاد كـرمٌ مـا مـررت بـه ألا تعجبـت ممـن يشـرب المـاء

(١١٣) العبارة بالفارسية فيها هي «ده يازده» مرتين – أي العشرة من رأس المال بواحد وعشرة مع الربح. والعبارة موجودة في مصنّف عبدالرزاق الصنعاني ٨:٢٣٢ من الطبعة الاولى، بيروت – ١٩٧٠؛ و مصنّف ابن أبي شيبة ٧:٤٣٥-٤٣٧، الرياض – ٢٠٠٤؛ إلّا أنّ العبارة فيهما «ده دوازده» أي كلّ عشرة باثنتين و عشرة (أي بربح عشرين في المائة.

(١١٤) البيت لأبي نواس وطيزناباد قرية بين الكوفة و القادسية على مسافة ميل من القادسية، وفيها كرم و عنب كثير و مصانع للخمر و حارات، و كانت قبلة للبطّالين . ذكرها ياقوت في معجم البلدان وكذلك ابن أبي أصيبعة في عيون الانباء ١: ١٢٩ بأن خمرها كانت مشهورة حيث يقول: «و صببت عليه خمرًا من خمر طيزناباد» وتذكر المصادر أنّ عثمان أقطعها لمحمد بن الاشعث بن قيس (فيا لها من هدية من طيب إلى طيب بن طيب) فكان فيها قصره.

ولما احتضر الحجاج قال:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا أيمانهم أنني من ساكن النار
أيحلفون على عمياء ويلهم ما ظنهم بعظيم العفو غفار

ولقن شارب الشهادة فقال: القدح لي.

واحتضر معاوية فجعل يقول:

إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذابًا لا طوق لي بالعذابِ
أو تجاوز فأنت رب عظيمٌ عن مسيء ذنوبه كالسحابِ

فصل في الوصية

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ [البقرة:١٣٢]، ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ [النساء:١١]، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ [إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ] خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة:١٨٠]، ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة:٢٨٢].

ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سعد بن مالك في مرضه فقال: يا رسول الله إن ورثتي كلالة أفأوصي بجميع مالي؟ قال: «لا»، قال: فبثلثي مالي؟ قال: «لا»، قال: فبنصف مالي؟ قال: «لا»، قال: فبثلث مالي؟ قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكففون الناس».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى جعل ثلث أموالكم في آخر أعماركم زيادة في أعمالكم».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر له مال يريد أن يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلّا ووصيته عند رأسه». وقال: «لا وصية لوارث».

وقال أبو حنيفة: الوصية مستحقة إلّا في شيء واجب. وعن بعض الناس أنها واجبة.

شعر:

إذا ما كنت متخذًا وصيًا فكن فيما ملكت وصي نفسك
ستحصد ما زرعت غدًا وتجني إذا وضع الحساب ثمار غرسك

فصل في الموت

قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩]، و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء:٣٤].

وذكر أبو يحيى البزاز بإسناده عن الوضين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [كان] إذا أحس من الناس بغفلة من [الموت] جاء فأخذ بعضادتي الباب ثم هتف ثلاثًا: «يا أيها الناس، يا أهل الإسلام، أتاكم الموت راتبا(١١٥) لازمًا، جاء الموت بما جاء به، جاء بالروح والراحة، والكَرَّة المباركة لأولياء الرحمن من أهل دار الخلود الذين كان سعيهم ورغبتهم فيها [لها]، وجاء الموت بما جاء به، بالحزن والندامة، والكرة الخاسرة لأولياء الشيطان من أهل دار الغرور، كان سعيهم ورغبتهم فيها [لها]، ألا إن لكل ساعٍ غاية، وغاية كل ساعٍ الموت، فسابق ومسبوق»(١١٦) ، وذكره أبو العباس الأصم بإسناده عن الوضين بن عطاء.

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر على قوم يضحكون ويمرحون، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا ذكر هادم اللذات».

وروى أبو سعيد الخدري قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المسجد فرأى قومًا يكشُرون(١١٧)، فقال: «أما إنكم لو ذكرتم هادم اللذات اشتغلتم عما أرى»، قالوا: يا رسول الله وما ذكر هادم اللذات؟ قال: «الموت، فإنه لم يأت يوم على القبر إلّا تكلم فيه القبر ثلاث مرات، يقول: أنا بيت الوحشة، أنا بيت الفرقة، أنا بيت الدود، أنا بيت التراب»، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار»، ذكره أبو يحيى بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا ذكر هادم اللذات، فإنه لا يكون في كثير إلّا قلله، ولا في قليل إلّا كثره».

شعر:

هـل للفتى مـن بنات(١١٨) الدهـر من واق ... أم هـل لـه مـن حمـام الموت مـن راقي

(١١٥) راتبا: راتا، م ي. شعب الإيمان ١٢/ ١٤٥.

(١١٦) شعب الإيمان ١٢/ ١٤٥.

(١١٧) يكشُرون: يكرون، م ي. شعب الإيمان ٢/ ٢٤٧.

(١١٨) بنات: نبات، م ي.

الأبيات وقد مرت، وفيها:

هـون عليـك ولا تولـع بإشـفاق فإنمـا مالنـا للـوارث الباقـي

آخر:

إذا اختبـر الدنيـا لبيـب تكشـفت لـه عـن عـدو فـي ثيـاب صديـق
ومـا أنـت إلّا هالـك وابـن هالـكٍ وذو نسـب[119] فـي الهالكيـن عريـق

آخر:

ومـا تنفـع[120] الآداب والعلم والنهى وصاحبهـا عنـد الكمـال يمـوتُ
كمـا مـات لقمـان الحكيـم وغيـره وكلهـم تحـت التـراب صمـوتُ

وكان المأمون يقرأ سورة مريم، فانتهى إلى قوله: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم:٨٤]، فالتفت إلى ابن السماك فقال[121]: يا أمير المؤمنين إذا كانت الأنفاس بالعدد وليس لها مدد فما أسرع ما تنفد.

ومر منصور بن عمار بقصر مشيد فيه أقوام جلوس يلعبون بالمعازف والمزامير، فقال:

يا صاحـب القصـر إن[122] القبـر يدعوكا أقصِرْ عـن التيـه إن أصبحْـت مملـوكا
إن تُمْسِ فـي القصر محجوبًـا فأنت غدًا تكـون فـي القبـر منسيًا ومتـروكا
قـد صيـر الله هـذا المـوت غايتنـا ومنهجًـا[123] لجميـع النـاس مسـلوكا
فـلا جيوشـك والغلمـان إن حضـروا هنـاك مـن سـكرات المـوت منجـوكا

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أهل بيت أكثروا من ذكر الموت إلّا كثروا».

علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] قلت: يا رب أتموت الخلائق كلهم حتى الأنبياء؟ فنزلت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]».

---

(١١٩) نسب: نشب، ي. انظر تاريخ بغداد ١/ ١٥.
(١٢٠) تنفع: ينفع، ي. انظر شرح لامية العجم للدميرى ص٣٦.
(١٢١) يعني: ابن السماك.
(١٢٢) القصر إن: القصران، ي.
(١٢٣) منهجًا: منها، ي.

عائشة قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده قدح ماء، يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت».

وكيع بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن البهائم تعلم عن الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا قط».

أبو العتاهية:

نموت وننسى غير أن ذنوبنا ... إذا نحن متنا لا تموت ولا تنسى[١٢٤]

ألا رب ذي عينين لا ينفعانه[١٢٥] ... وهل تنفع[١٢٦] العينان مَنْ قَلبهُ أعمى

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، وكلهم يراه، قال: فيذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]»[١٢٧].

وكان حارثة بن زيد يتمثل:

نراع لذكر الموت ساعة ذكره ... ونحدث[١٢٨] نسيانًا ولم يأتنا أمن

مثله:

وإنا ولا كفران بالله ربنا ... لكالبُدْنِ ما تدري[١٢٩] متى يَومُها البُدْنُ

مثله:

نراع إذا الجنائز أقبلتنا ... ونلهو حين تذهب مدبرات

كروعة ثلة لمغار ذئب ... فلما غاب عادت راتعاتِ

---

(١٢٤) في م ي: لا نموت ولا ننسى. أمالي ابن بشران ص٢/ ١٦١.

(١٢٥) ينفعانه: ينفعنابه، م ي. أمالي ابن بشران ٢/ ١٦١.

(١٢٦) تنفع: ينفع، م ي. أمالي ابن بشران ٢/ ١٦١.

(١٢٧) مسند أحمد ١٧/ ١٢٠.

(١٢٨) نحدث: يحدث، ي.

(١٢٩) لكالبُدْنِ ما تدري: ليدن فلا ندري، ي. انظر البيان والتبيين ٣/ ١٢٥.

آخر:

فإن كنت لا تدري متى أنت ميتٌ ... وقبرك لا تدري بأي مكانِ
فحسبك قول الناس فيما سمعته ... لقد كان هذا أمره لفلانِ

يروى للناصر عليه السلام، ولغيره:

أيا هادم اللذات ما منك مهربٌ ... تحاذر نفسي منك ما سيصيبها
وإني[١٣٠] لممن يكره الموت والبلى ... ويعجبه روح الحياة وطيبها
فحتى متى حبي متى وإلى متى ... يدوم طلوع الشمس لي وغروبها
رأيت[١٣١] المنايا قسمت بين أنفسٍ ... ونفسي سيأتي بعدهن نصيبها

بديع الزمان:

عجبت لمن جد في شأنه ... بِحَرِّ الرجاء ونار[١٣٢] الأمل
يؤمل ما لم يقدر له ... ويضحك منه دنوّ الأجل
يقول: سأفعل هذا غدًا ... ودون غدٍ للمنايا عمل

ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتدرون أي المؤمنين أكيس»؟ قالوا[١٣٣]: الله ورسوله أعلم، قال: «أكثرهم للموت ذكرا، وأحسنهم له استعدادًا قبل أن ينزل به، أولئك هم الأكياس».

وعن عمر قال لكعب: حدثنا عن الموت، قال: كشجرة كثيرة الشوك إذا دخلت في جوف ابن آدم فأخذتْ كلُّ شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى.

شقيق[١٣٤] الزاهد: وافقني الناس في أربعة قولًا وخالفوني فعلًا: وافقوني أنا عبيد لرب واحد ويعملون عمل الأحرار، وقالوا: إن الله بأرزاقنا كفيل، ولا تطمئن قلوبهم إلّا بشيء [من

(١٣٠) وأني: وإنني، م ي. حلية الأولياء ١٠/ ١٤١.
(١٣١) رأيت: ريب، م ي. حلية الأولياء ١٠/ ١٤١.
(١٣٢) بِحَرِّ الرجاء ونار: حن الرحال وبان، م ي. الدر الفريد وبيت القصيد ٧/ ١٧٥.
(١٣٣) قالوا: قال، م ي.
(١٣٤) شقيق: سديد، م ي. تنبيه الغافلين ص ٤٠.

الدنيا] ، وقالوا: الآخرة خير من الأولى، وهم يجمعون المال للدنيا والذنوب للآخرة، وقالوا: لا بد لنا من الموت، ويعملون أعمال قوم لا يموتون(١٣٥).

ونظرت جارية إلى سليمان بن عبد الملك فقالت:

أنت خير المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما علمته فيك عيبٌ كان في الناس غير أنك فاني

داود الطائي:

بين عيني كل حي علم الموت يلوح
لتموتن وإن عَمَّرْ تَ ما عَمَّر نوح

ذهب الموت بكل فرح، ومن استشعر ذكر الموت في ليله ونهاره نغص إليه كل فان، وحبب إليه كل باق.

ونظر أبو العتاهية إلى الناس قد ارتحل بعضهم في منازل البادية، فقال:

تفنى وتبقى الأرض بعدك مثلما يبقى المناخ(١٣٦) وترحل الركبان

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما الموت فيما بعده إلّا كنطحة عنز(١٣٧)». وقيل: يا رسول الله ما أعظم كبر فلان، قال: «أليس بعده الموت؟».

مجاهد في قوله: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ [الواقعة:٦٠]، قال: سوينا بين أهل السماء وأهل الأرض، الشريف والوضيع.

النخعي في قوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم:١٧]، قال: حتى من أطراف الشعر.

ومر الحسن على باب دار بعدما خربت وباد أهلها فقال: ما لي أرى هذا الباب مهجورًا بعد أن كان مزورًا معمورًا؟ فنادته جارية من الدار: هكذا أبواب الأرامل واليتامى. فانصرف باكيًا.

ومر أبو العباس الضبي بباب الصاحب بعد موته فقال:

---

(١٣٥) تنبيه الغافلين ص٤٠.

(١٣٦) يبقى المناخ: تبقى المناح، م ي. نفح الطيب ٤/ ٣١٧.

(١٣٧) كنطحة عنز: كرضة عير، م ي. المعجم الأوسط ٨/ ١٦٨.

أيها الباب لم علاك اكتئاب أين ذاك الحِجَابُ والحُجَّابُ
أين مَنْ كان يفزع الدهرُ منه فهو اليوم في التراب ترابُ

ويحكى أن الحسن مر بباب قد مات صاحبه، فأنشأ يقول:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الموت ما الدار

ويقال: إن جارية أجابته:

الدار جنة خلد إن عملت بما يرضي الإله[١٣٨] وإن خالفت فالنار
هما طريقان ما للناس غيرهما فاختر لنفسك ماذا أنت مختارُ

وعن عبد الله بن شداد بن الهاد أن رجلًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشكو جاره، فقال: «اصبر واكفف»، ثم أتاه فقال: يا رسول الله إن جاري الذي كنت أشكوه هلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كفى بالدهر[١٣٩] واعظًا، وكفى بالموت مفرقًا».

وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل وأثني عليه فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف ذكره للموت؟» فلم يُذْكَر منه، فقال: «ما هو كما تقولون».

الحسن: إن هذا الموت فضح أهل الدنيا فلم يترك لذيلب فيها فرحًا[١٤٠].

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أما تدرون أي الناس أكيس»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم له استعدادًا»، قالوا: يا رسول الله فهل لذلك من علم؟ قال: «نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول الموت، فإذا دخل النور القلب تفسح واستوسع».

شعر:

نحن بنو الدنيا فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل أيدينا[١٤١] بأرواحنا على زمان هنّ من كسبه

(١٣٨) يرضي الإله: يرضي الله الإله، م ي. أدب الدنيا والدين ١٢٦.
(١٣٩) الدهر: الموت، م ي. مسند الحارث ٢/ ٨٥٤.
(١٤٠) حلية الأولياء ٢/ ١٤٩.
(١٤١) تبخل أيدينا: تنحل الدنيا، م ي. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ٢/ ٥١٢.

فهـذه الأرواح مـن جَـوِّه وهـذه الأجسـام مِـنْ تربـه
يمـوت راعـي الضـأن فـي جهلـه ميتـة جالينـوس فـي طِبِّـه

آخر:

وصـف الطبيـب دواءه فهـم بـذاك يعالجونـه
يرجـون صحـة جسـمه هيهـات ممـا يرتجونـه

آخر:

إن الطبيـب بطبـه ودوائـه لا يسـتطيع دفـاع مقـدور أتـى

آخر:

مـا للطبيـب يمـوت بالـداء الـذي قـد كان يبـرئ مثلـه فيمـا مضـى
هلـك المـداوِي والمـداوَى والـذي جلـب الـدواء وباعـه ومَـنْ اشـترى

آخر:

نعلـل بالـدواء إذا مرضنـا وهـل يشـفي مـن المـوت الـدواء
ونختـار الطبيـب وهـل طبيـب يؤخـر مـا يقدمـه(١٤٢) القضـاء
ومـا أنفاسـنا إلّا حسـابٌ ومـا حركاتنـا إلّا فنـاء

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا بني هاشم أنا النذير، والموت المغير، والساعة الموعد».

أُبَيّ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه».

مطرف بن الشّخّير(١٤٣): إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فالتمسوا نعيمًا لا موت فيه.

شعر: المتنبي:

---

(١٤٢) يقدمه: تقدمه، م ي. محاضرات الأدباء ١/ ٥٠٨.

(١٤٣) الشّخّير: السحير، ي. انظر الزهد لابن حنبل ص١٩٥.

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا ... فأعيا دواء الموت كلَّ طبيب
سُبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي[١٤٤] تملك سالبٍ[١٤٥] ... وفارقها الماضي فراق سليب

أخذه من قول بعض الزهاد: إن ما في أيديكم لسلاب الهالكين قبلكم، استخلفها الباقون بعدكم كما تركها الماضون قبلكم. عاد الشعر:

علينا لك الإسعاد[١٤٦] إن كنت نافعًا ... بشق قلوب لا بشق جيوب
فرب كئيب ليس تَنْدَى جفونه ... ورب كثير الدمع غير كئيب

وعن أبي الدرداء أنه قال [يا] رسول[١٤٧] [الله] صلى الله عليه وآله وسلم أوصني؟ قال: «اكسب طيبًا، واعمل صالحًا، واسأل الله رزق يوم بيوم، وأعدد نفسك من الموتى».

وكتب سفيان إلى أخ له: أما بعد، فأحسن القيام على عيالك، وليكن الموت من بالك، والسلام.

الحسن: إن هذا الموت فضح الدنيا فلم يدع لذي لب فيها فرحًا، ابن آدم اليوم حي، وغدًا ميت، يا لها من موعظة ما أبلغها لو وافقت من القلوب حياة، يا لها من موعظة ما أبلغها وأسرع ما تنسى[١٤٨]، أبلغ موعظة وأسرع نسيانًا.

أبو هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما لي لا أحب الموت؟ قال: «هل لك من مال»؟ قال: نعم، قال: «فقدم مالك»، قال: لا أطيق، قال: «فإن قلب المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن أخره أحب أن يتأخر معه».

وتمثل عبد الله بن عبد الأعلى عند موت هشام بن عبد الملك بهذه الأبيات:

وما سالم عما قليل بسالمٍ ... ولو كثرت أحراسه وكتائبه[١٤٩]

(١٤٤) الآتي: اللاتي، م ي. الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٤٣١.
(١٤٥) سالب: سالم، م ي. الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٤٣١.
(١٤٦) الإسعاد: النوح. انظر المحيط في اللغة (نوح).
(١٤٧) أنه قال يا رسول: أنه قال رسول، م ي. أدب الدنيا والدين ص ١٢٠.
(١٤٨) تنسى: ينسى، م ي.
(١٤٩) أحراسه وكتائبه: حراصه ونوائبه، م ي. أنس المسجون وراحة المحزون.

ومن يك ذا باب شديد وحاجبٍ فعما قليل يهجر الباب حاجبه
ويصبح بعد الحجب للناس مبغضا[١٥٠] رهينة رمس لم تسرّ[١٥١] جوانبه
وما كان إلّا الدفن حتى تفرقت إلى غيره أصحابه ومواكبه
وأصبح مسرورًا به كل شامتٍ وأسلمه أحبابه وأقاربه[١٥٢]
فنفسك أكسبها السعادة جاهدًا فكل امرئٍ رهنًا بما هو كاسبه

وكان عرفجة التيمي يخرج إلى المقبرة في ظلمة الليل فينادي: يا أهل القبور من أنتم؟ فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: نحن الآباء والأمهات، نحن الأخوات، ثم يبكي وينادي: يا أهل القبور من أنتم؟ فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: نحن الإخوان والأخدان، نحن الأحباب والجيران، ثم يبكي ويقول: يا أهل القبور من أنتم؟ فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه:

ماتوا فليس يجاب من ناداهم أبدًا وكيف إجابة الأمواتِ

وروى أبو يحيى بإسناده عن أنس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا أيها الناس، كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق على غيرنا وجب، وكأن الذي يشيع من الأموات سَفْرٌ عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن تواضع لله في غير منقصة، وأنفق مما جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن أذل نفسه، وطاب كسبه، وحسن خلقه، وصلحت سريرته، واستقامت خليقته، وعزل عن الناس سره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يتعدها[١٥٣] إلى بدعة».

الحسن: يابن آدم طأ أرضك بقدمك فإنها عن قريب قبرك، وإنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك، ابن آدم لا تعلق قلبك الدنيا فتعلقه بشر مُعلّق، أُغْلِق[١٥٤] عنك أبوابها،

---

(١٥٠) مبغضا: مقصًا، م ي. أنس المسجون وراحة المحزون.

(١٥١) تسرّ: تستر، م ي. أنس المسجون وراحة المحزون.

(١٥٢) أقاربه: حبابه، م ي. أنس المسجون وراحة المحزون.

(١٥٣) يتعدها: يعدها، م ي. البصائر والذخائر ٨/ ١٤٣.

(١٥٤) فتعلقه بشر مُعلّق، أُغْلِق: بعلقة سر تغلق، م ي. التبصرة لابن الجوزي ٣٦٨ وموسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ١/ ٣٧٩.

وقطع عنك حبالها، حسبك[١٥٥] أيها المرء ما بلغك المحل[١٥٦]، يابن آدم عند الموت تلقى بالخبر اليقين.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسك، وإنما[١٥٧] يصير أحدكم إلى أربعة أذرع[١٥٨] وشبر، وإنما الأمر يصير للآخرة[١٥٩]».

أبو سعيد الخدري، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إذا اتبعت جنازة فاجعلها نصب عينك، فإنما هي عظة وعبرة وتذكر، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لأخوك كان ينافسك في دنياك ويشاحك فيها، تضايق[١٦٠] به سهول الأرض، أدخل[١٦١] في حفرة قبره منحرفا على جنبه».

طارق بن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا طارق استعد للموت قبل الموت»[١٦٢].

خطب أعرابي فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: يا أيها الناس، إن في سنة من كان قبلنا العظة، وما أخطأ القائل حيث يقول:

أين الملوك التي عن حظها غفلت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها
النفس تكْلف بالدنيا وقد علمت ... أن السلامة فيها تَرْكُ ما فيها

الأوزاعي: من أكثر [ذكر] الموت كفاه اليسير، ومَنْ عرف أن مَنْطِقه من عمله قَلَّ كلامه[١٦٣].

الحسن يقول في مواعظه: المبادرة المبادرة عباد الله، إنما هي الأنفاس لو حبست عنكم

(١٥٥) حسبك: فتبلغ، م ي. التبصرة لابن الجوزي ٣٦٨، وموسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ١/ ٣٧٩.
(١٥٦) بلغك المحل: بلغ الحل، م ي. التبصرة لابن الجوزي ٣٦٨، وموسوعة رسائل ابن أبي الدنيا ١/ ٣٧٩.
(١٥٧) إنما: إما، ي.
(١٥٨) أربعة أذرع: أربع في ذراع، م ي. الرسالة القشيرية ٢/ ٣٧١.
(١٥٩) الأمر يصير للآخرة: المرء صير الآخرة، م ي. الرسالة القشيرية ٢/ ٣٧١.
(١٦٠) تضايق: يضايق، م ي. مصنف عبدالرزاق ٣/ ٤٤٧.
(١٦١) أدخل: إن دخل، م ي. المطالب العالية ٥/ ٢٧١.
(١٦٢) شعب الإيمان ١٣/ ١٣٢.
(١٦٣) حلية الأولياء ٦/ ١٤٣.

انقطعت عنكم أعمالكم التي تقربون بها إلى الله، رحم الله امرءًا نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم:٨٤]، ويبكي ثم يقول: آخر العدد خروج نَفْسِك، وفراق أهلك، ودخولك في قبرك(١٦٤).

دخل أبو العتاهية على هارون الرشيد فقال: عظني، فقال:

لا تأمن الموت في طرفٍ ولا نفسٍ ... وإن تمنعت بالحجاب والحرسِ
واعلم بأن سهام الموت قاصدة ... لكل مدّرعٍ منا ومتّرسِ
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

آخر:

بقّيت مالك ميراثًا لوارثه ... فليت شعري ما بقى لك المالُ
مَلُّوا(١٦٥) البكاء فيما يبكيك من أحد ... واستحكم القيلُ في الميراث والقالُ
القوم بعدك في حال يسرُّهمُ ... فكيف من بعدهم دارت بك الحالُ
مالت بهم عنك دنيا أقبلت لهمُ ... وأدبرت عنك والأيام أحوالُ

الحريمي:

إن عيشًا إلى الفناء مصيره ... لحقيق ألّا يدوم سروره
وسرور يكون آخره الموت ... سواءٌ طويلةُ وقصيرهُ

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فلو كان لك عُمُر نوح، وملك سليمان، وتُقى إبراهيم، وحِكْمة لقمان، فإن أمامك هول الموت، ومن ورائه داران، إن أخطأتك هذه صرت إلى هذه، والسلام. فبكى عمر.

أبو الدرداء: أعبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلًا يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا ذكر الموت، فإن كثرة [ذكر] الموت تمحص الذنوب، وتزهد في الدنيا».

(١٦٤) شعب الإيمان ٧/ ٤٠٨.
(١٦٥) مَلُّوا: سلوا، ي. انظر المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٢٣٣.

محمد بن واسع: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدًا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى عاملًا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا، فعلام ترجون؟ وما عسى تنتظرون الموت وهو أهول وارد عليكم من الله بخير أو شر؟ فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا.

أعرابي: إن الموت ليقتحم على المشيب كتقحم المشيب على الشباب، ومن عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن فيها على بلاء، ولا طالب أغشم من الموت، ومن عطف عليه الليل والنهار أردياه، ومن وكل به الموت أفناه.[١٦٦]

أعرابي: كيف نفرح بعمر تنقصه الساعات، وبسلامة بدن معرض للآفات، والعجب من المؤمن يفر من الموت وهو سبيله إلى الثواب، ولا أحد يدركه الموت إلّا وهو منه أبق[١٦٧].

ومر عبد الملك بن مروان ومحمد بن جبير بن مطعم بقبر معاوية، فتمثل عبد الملك:

وما الدهر والأيام إلّا كما ترى ... رزية مال أو فراق حبيب
وإن امرءًا قد جرب الدهر لم يخف ... تقلب عصريه لغير لبيب

الحسن بن علي عليهما السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قال لي جبريل: يا محمد أحبب من شئت فإنك مفارقه، وعش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه».

ألا قف بدار المترفين وقل لها ... إذا جئتها أين المنازل والقرى
وأين الملوك الناعمون بغبطة ... ومن عانق[١٦٨] البيض الرعابيب كالدمى
فلو نطقت دار لقالت ديارهم ... لك الويل صاروا للتراب وللبلى[١٦٩]
وأفناهم كر الدهور ومرها ... فلم يبق للأيام كَهْلٌ ولا فتى
فكلهم أمسوا بمنزل غربة ... فريدًا وحيدًا ما يحس ولا يرى

وقال موسى عليه السلام لملك الموت: ما بالك تأخذ الواحدة من أمها وأبيها؟ قال: ما أنا بأعلم بذلك منك، إنما أمرت بذلك.

شعر:

يا موت ما أجفاك من نازلٍ ... ينزل بالمرء على رغمه

(١٦٦) العقد الفريد ٤/ ١١، ربيع الأبرار ٣/ ٣٩.
(١٦٧) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ١٤٥.
(١٦٨) عانق: عاين، ي. موارد الظمآن ٤/ ٢٥٩.
(١٦٩) للبلى: للثرا، م ي. موارد الظمآن ٤/ ٢٥٩.

يستلب[١٧٠] العذراء من بيتها ويأخذ الواحد[١٧١] من أمه
حكم مليك قاهرٍ قادرٍ سبحانه ما جَارَ في حُكْمِه

مبحث في الموت الفجأة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

عن محمد بن سعد الأنصاري قال: أتى ملك الموت داود وهو يرتقي محرابه، فقال: يا داود جئت لقبض روحك، قال: دعني أرتقي وأنزل، قال: ليس إلى ذلك سبيل، نفدت[١٧٢] الشهور والأعوام، ونفدت الليالي والأيام والأرزاق والآثار، فما أنت بمؤثر بعده، فسجد داود على مرقاة فقبض روحه. نظيره قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [يس: ٥٠].

وروي أن امرأة دخلت على عائشة فصلت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسجدت وهي صحيحة فلم ترفع[١٧٣] رأسها حتى ماتت، فقالت عائشة: الحمد لله الذي يحيي ويميت، إن هذا لعبرة لي في أخي عبد الرحمن، وكان قد رقد فلما أوقظ وجدوه قد مات، فدخلت عليها تهمه، ثم ذهبت بهذه.

شعر:

يا واعظ الميت في قبره كلمك القبر فلم[١٧٤] تفهمِ
وربما غُوفِصَ[١٧٥] ذو صحة أصح ما كان ولم يسقمِ

معاذ البستي قال: من مات وهو مستعد للموت لم يكن موته فجأة وإن مات قائمًا، ومن مات غير مستعد له مات فجأة وإن كان صاحب الفراش سنة.[١٧٦]

---

(١٧٠) يستلب: يستخرج، م ي. اللطائف والظرائف ص٢٧٢.
(١٧١) الواحد: الوحد، ي. اللطائف والظرائف ص٢٧٢.
(١٧٢) نفدت: نفذت، ي.
(١٧٣) ترفع: ترتفع، م ي.
(١٧٤) فلم: لم، م ي. التبصرة لابن الجوزي ص٣٥٨.
(١٧٥) غافصه الأمر: فاجأه على غرة منه. انظر اللسان (غفص).
(١٧٦) الفراش سنة: قواين أعرابي، م ي. روح البيان ٦/ ٥١٥.

شعر:

إنمـا النـاس يموتـون مراضًـا وصحاحـا
وغـراب البيـن قـد مـد علـى النـاس جناحـا

وقالت امرأة لعائشة: اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكشفت لها، فما زالت تبكي حتى ماتت.

وروي أن فتى من الأنصار دخلته خشية فكان يبكي عند ذكرها حتى أجلسه ذلك في البيت، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما دخل عليه اعتنقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخر ميتًا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «جهزوا صاحبكم فإن الفَرَقَ من النار فَلَذَ كبده».

وعن النبي عليه السلام قال: «يا علي، الموت فجأة راحة للمؤمن، وحسرة للكافر».

أنس، عن النبي عليه السلام أنه كان يدعو بهذا الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى: «اللهم إني أسألك من فجأة الخير، وأعوذ بك من فجأة الشر فإن [العبد] لا يدري ما يفجأه[١٧٧]».

وذكر القتيبي في غريب الحديث في حديث إبراهيم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن موت الفجأة فقال: «راحة للمؤمن، وأخذة أسف للكافر» الأسف: الغضب، ومنه: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف:٥٥].

وعن إبراهيم: كانوا يكرهون أَخْذَةً كأخذة الأسف، يعني الموت الفجأة.

وعن النبي عليه السلام قيل: يا رسول الله، مات فلان، قال: «أليس كان عندنا آنفًا»؟ قالوا: بلى، قال: «سبحان الله كأنها أخذة على غضب، المحروم مَنْ حُرِم وصيته».

شعر:

تجنـب هجمـة الذنـب ولا تغفـل عـن التوبـه
وراقـب وانزجـر مـن قبـ ـل أن تلحقـك النوبـه

شعر:

الله جـاري كفـى بـالله لـي جـارا كـم مـن عـدو بغـى ضرِّي[١٧٨] فما صـارا

(١٧٧) يدري ما يفجأه: ندري ما نفجاه، م ي. مسند أبي يعلى ٦/ ١٠٦.

(١٧٨) ضرِّي: صبري، ي.

يـا راقـد الليـل مسـرورًا بأولـه إن الحـوادث قـد يطرقـن أسـحارا
لا تأمنـن بليـل طـاب أولـه فـرب آخـر ليـل أجـج النـارا

آخر:

اغتنـم فـي الفـراغ فضـل ركـوع فعسـى أن يكـون موتـك بغتـه
كـم صحيـح رأيـت مـن غيـر سقـمٍ ذهبـت نفسـه الصحيحـة فَلْتَـه[179]

آخر:

رب معافـى علـى تهـوره ومبتلـى مـا ينـام مـن سـهره
وسـالم فـي عشـاء ليلتـه دب إليـه البـلاء فـي سـحره

آخر:

مـا اختلـف الليـل والنهـار ولا دارت نجـوم السـماء فـي الفلـك
إلا لنقـل النعيـم مـن ملـك قـد زال عـن ملكـه إلـى ملـك
وملـك ذي العـرش دائمًـا أبـدًا ليـس بفـانٍ ولا بمشـتركِ

مبحث في الموت في الغربة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]، وقال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس:٥٠].

أبو هريرة وجماعة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة».

شعر:

إذا مـا حمـام المـرء كان ببلـدة دعتـه إليهـا حاجـة فيطيـر

وقيل: الغربة ذلة، فإن أعقبتها قلّة[180] وأردفتها علّة[181] فهي نفس مضمحلة.

(١٧٩) فَلْتَه: فلتله، م ي. قصر الأمل لابن أبي الدنيا ص١٤٦.
(١٨٠) قلّة: ذلة، م ي. المحاسن والمساوئ للبيهقي ص٢٣٥.
(١٨١) علة: قلة، م ي. المحاسن والمساوئ للبيهقي ص٢٣٥.

وقيل: من مات غريبًا مات شهيدًا، نبه على عظم ثوابه.

وقيل لزين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام: ما بالك لا تُرى إلّا حزينًا؟ فقال: إن يعقوب فَقَدَ سبطًا واحدًا من أولاده، وكان لا يعلم بموته، فحزن عليه ما قص الله تعالى ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [يوسف:٨٤]، ولقد نظرت إلى أربعة عشر رجلًا من أهل بيتي يذبحون عشية واحدة، أفترى حزنهم يخرج من قلبي أبدًا؟

شهر بن حوشب قال: كان ملك الموت صديقًا لسليمان عليه السلام، فأتاه يومًا وعنده رجل فنظر إليه، فقال الرجل: من هذا يا نبي الله؟ قال: ملك الموت، قال: يا نبي الله لي إليك حاجة، قال: ما هي؟ قال: إني أخاف فتأمر الريح أن تحملني إلى الهند، فأمر به فحمل إلى الهند، ثم قال بعد ذلك لملك الموت: الرجل الذي كنت تنظر إليه خافك وقد حمل إلى الهند، فقال: كنت أعجب، أمرت أن أقبضه في الهند فرأيته عندك، فلما وصل الهند قبضته يومئذ بالهند.

وعن بعضهم: ما من مولود يولد إلّا وفي سرته من تربة الأرض الذي يموت فيها.

مبحث في ملك الموت

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ [الأنفال:٥٠]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ..﴾ [النساء:٩٧] الآيات، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٣٧].

محمد بن سعد الأنصاري قال: جاء ملك الموت إلى داود وهو يرتقي محرابه، فقال: أمرت أن أقبض روحك، فقال: دعني أصعد وأنزل، فقال: ما إلى ذلك سبيل، فسجد على مرقاه فقبض روحه، وقد مر الحديث من قبل.

وجاء ملك الموت إلى مريم ليقبض روحها وقد خرج عيسى لبعض الحاجات، فقال: يا مريم أمرت بقبض روحك، فقالت: دعني يأتيني قرة عيني عيسى، قال: ما إلى ذلك سبيل، فنامت وقبض روحها، فلما رجع عيسى عليه السلام قعد عند رأسها يظنها نائمة إلى أن غربت الشمس، فناداها، فأتاه جبريل فقال: تنادي الميت، إنها ميتة، فقال عيسى: واوحدتاه واوحشتاه واغربتاه واصغر سناه.

ووصف إنسان ملك الموت فقال: يؤلم الفؤاد، ويحرق الأكباد، ويخرب البلاد، ويميت

العباد، ويفني الحاضر والباد، ويفعل بكم ما فعل بثمود وعاد، وفرعون ذي الأوتاد. وقيل: يفعل بالباقي ما فعل بالماضي.

واثلة بن الأسقع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «احضروا موتاكم ولقنوهم: لا إله إلّا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحليم العليم من الرجال يتحيرون عند[١٨٢] ذلك المصرع[١٨٣]، والذي نفس محمد بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يألم كل عرق منه على حياله[١٨٤]، وإذا حضرتم موتاكم فأمروهم بالوصية».

البراء بن عازب في قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤]، قال: يوم يلقون ملك الموت ليس[١٨٥] من مؤمن يقبض روحه إلّا سلم عليه.

الإمام أبو الحسين الهاروني رحمه الله بإسناده عن عبد الله بن الحسين بن الحسن وزيد بن الحسين ومحمد بن علي كلهم ذكروا أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سمعت ملك الموت يقول: إني لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله، فأقوم في جانب البيت، فأقول: والله ما لي ذنب وإني لمأمور، وإن لي لعودة وعودة وعودة، فالحذر الحذر، وما من أهل بيت مدر ولا شعر في بر أو بحر إلّا أتصفحهم في كل يوم وليلة، حتى لأنا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، ولو أردت أن أقبض بعوضة ما قدرت عليها إلّا أن يأمر الله بقبضها».

ويقال: إن الله تعالى خلق الخلق لعبادته فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وخلق جميع الأشياء لهم، ثم جعل الملائكة أنواعًا موكلين بهم، وجعل شغل كل واحد منهم ذلك، وجعل شغلك في عبادته، فوكل حملة العرش بالاستغفار لك، وهو لم يفعل إلّا وهو يريد أن يغفر لك، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ..﴾ الآية [غافر:٧].

ووكّل السفرة الكرام بكتب أعمالك ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ * كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠، ١١].

ووكل المعقبات بحفظك من طوارق الليل والنهار قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الرعد:١١].

---

(١٨٢) يتحيرون عند: يحير، م ي. حلية الأولياء ٥/ ١٨٦.
(١٨٣) المصرع: المصروع، م ي. حلية الأولياء ٥/ ١٨٦.
(١٨٤) حياله: حاله، م ي. حلية الأولياء ٥/ ١٨٦.
(١٨٥) ليس: لي، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ١٣٤.

ووكل جبريل بإعداد[١٨٦]، المواكب للسلام عليك في كل سنة ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر:٤].

ووكل ميكائيل بالأمطار التي هي سبب الأرزاق وحياة الأجساد لك ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ﴾ [المؤمنون:١٨]، يقال: إنه ينزل بقدر لينفع، ولم ينزل دفعة فيكون فيه الهلاك والبوار، وروي أنه ينزل مع كل قطرة ملك.

ووكل إسرافيل بنفخ الصور للإماتة[١٨٧] ثم الإحياء: ﴿وَنُفِخَ [فِى][١٨٨] ٱلصُّورِ﴾ [الزمر:٦٨]، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر:٦٨].

ووكّل ملك[١٨٩] الموت بقبض الأروح ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١].

ويقال: أليس مرة يقول الله ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام:٦١]، ومرة يقول: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]، ومرة يقول: ﴿[الله] يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢]، فكيف يجمع بين هذه الآيات؟

قلنا: قيل: فيه وجوه:

منها: أن التوفي من جهة الله: الأَمْرُ به، ومن الملائكة يعني: المعالجة والنزع، ومن ملك الموت يعني: قبض الروح.

وقيل: الأرواح ثلاث[١٩٠]: الحياة، والحسن، والنماء، فالله يقبض روح الحياة، والملائكة روح النماء، وملك الموت روح الحسن.

وقيل: الخلق ثلاثة أصناف: ظالم، ومقتصد، وسابق، فيتولى[١٩١] قبض روح الظالم

(١٨٦) بإعداد: عداد، م ي.
(١٨٧) الصور للإماتة: الصورة الإماتة، ي.
(١٨٨) في م ي: (ونفخ الصور) وما أثبتناه من المصحف.
(١٨٩) ووكّل ملك: وكل، ي.
(١٩٠) ثلاث: ثلاثة، ي.
(١٩١) فيتولى: فيتوفى، م ي.

الملائكة ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ الآية [الأنعام:٩٣]، ويتولى[١٩٢] قبض روح المقتصد ملك الموت، ويتولى[١٩٣] قبض روح السابق رب العزة.

وقيل: يخلق الموت الذي هو ضد الحياة ويأمر ملك الموت بقبض الروح، فتقبضه[١٩٤] الملائكة بأمره.

وقيل عن قتادة: إن الرسل يقبضونها فيدفعونها إلى ملك الموت.

وقيل عن معمر عن الكلبي: إن ملك الموت يتوفى ذلك، ثم يدفعه إن كان مؤمنًا إلى ملائكة الرحمة وإن كان كافرًا إلى ملائكة العذاب.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إني مررت[١٩٥] ليلة أسري بي إلى السماء مررت بملك جالس على كرسي، وإذا جميع الدنيا وما فيها بين ركبتيه، وبيده لوح من نور مكتوب ينظر فيه، لا يلتفت يمينًا ولا شمالًا مقبلًا عليه كهيئة الحزين، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك الموت يقبض الأرواح، قلت: يا جبريل ما بعد الموت أطمّ وأعظم».

وقيل: إن في يد ملك الموت صحيفة فيها أسماء من يقبض روحه.

وقيل: بين يديه شجرة عليها أوراق خضر عليها أسماء الناس، فمن حان أجله اصفر ذلك الورق وسقط فيقبض روحه.

وعن جعفر بن محمد في حديث طويل أن الله تعالى أمر جبريل أن يحمل محمدًا إلى ملك الموت ليسأله عن الموت، فحمله، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فإذا بكرسي ملأ السماوات وعليه ملك ملأ الكرسي، إحدى قدميه بالمشرق والأخرى بالمغرب والدنيا كلها بين ركبتيه، والخلائق بين عينيه، وبيده حربة، وبين عينيه لوح من زمردة، وهو قاعد لا يلتفت، وحوله أعوان، لو أن العون فتح فاه لالتقم السماوات والأرض، وهو لا يكلمهم إلا همسًا، فهالني ذلك قلت: من هذا؟ قال جبريل: هذا ملك الموت، قلت: جئتني لتقبض روحي؟ قال: لا

(١٩٢) يتولى: يتوفى، م ي.
(١٩٣) يتولى: يتوفى، م ي.
(١٩٤) تقبضه: يقبضه، م ي.
(١٩٥) مررت: رأيت، م ي.

بل تستوفي[١٩٦] أجلك، ولكن جئتك لتسأله عن صفات الموت فاسأله، فسلمت على ملك الموت فرد، وقلت: يا ملك الموت أنت الذي تقبض الأرواح كلها بإذن الله؟ قال: نعم، قلت: فما الذي بيدك؟ قال: هذه حربة الموت، فقلت: وما تصنع بها؟ قال: أقطع بها الأرواح وأطعن بها القلوب، فبكيت، وقلت: كيف صبر أمتي على شدتك وبأسك؟ قال: معهم ترس يقيهم شر هذه الحربة، قلت: وما ذاك؟ قال: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنك رسول الله، ففرحت، قال: قلت: فما هذا اللوح بين عينيك؟ قال: فيه آجال بني آدم مكتوبة، قلت: وكيف تعلم انقطاع الآجال، وهل لذلك من علامة؟ قال: نعم إن لكل ذي روح في السماء بابين باب رزق وباب عمل، فإذا رأيت أن الرزق لا ينزل والعمل لا يصعد بعثت إلى أعواني يعالجون روحه، قلت: فما الذي بين عينيك؟ قال: الدنيا والخلائق بين عيني أبصر ما في الأرحام، وأقبض روح الجنين في بطن أمه، فذلك قوله: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ..﴾ الآية [النساء:٧٨]، قلت: فصف لي كيف تقبض روح المؤمن والكافر؟ قال: إذا انقضى أجل مؤمن بعثت إليه أعواني وهم يكبرون الله ويحمدونه ويسبحونه، فإذا أتوه رأوا أهله منكفين حوله يمرضونه، وقد ذبلت شفتاه، وارتد شدقه، وثقل لسانه، وأظلمت عيناه، وارتعشت يداه وركبتاه، وذاب كبده، فيبقى مستوحشًا، فيلقنونه[١٩٧]: لا إله إلّا الله أو ما يأتونه، وذلك أني أمرتهم بذلك، وأكون في تلك الحالة ألطف به من الوالدة الشفيقة، فترفق الملائكة بسل روحه، فيسلونه رويدًا رويدًا، ثم يدعونه يستريح، وأما روح الكافر فتنزعن وتغرقن في بحور الحميم، فذلك قوله: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات:١]».

وقيل: إن ملك الموت قال: أعرف انقضاء أجل العبد بأن أرى اسمه مضروبًا عليه بسواد، فأشير إليه بأصبعي فيفارق الروح الجسد.

وقيل: إن ملك الموت لا يعلم انقضاء أجل العبد إلّا في تلك الحال، وقيل: بل يعلم قبل ذلك.

وعن عطاء أن الرجل ليغرس الغرس ويبني البينان وينكح الأزواج وإن اسمه لمنسوخ في صحيفة الموتى، قيل: ما هي؟ قال: صحيفة يعطاها ملك الموت في النصف الآخر من شعبان، فيقال له: اقبض من في هذه الصحيفة.

---

(١٩٦) تستوفي: يستوف، م ي.

(١٩٧) فيلقنونه: فيلقونه، م ي.

وروي أن ملك الموت قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ادع[١٩٨] روحين أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، فإذا هما في كفي لا أجد في ذلك من المس إلّا ما يجد أحدكم إذا رفع تبنة من الأرض»، عن وهب وفيه: «وإن لي حربة مسمومة لو مسيت بها الخلق لماتوا، أطعن بها الذي أريد أن أميته».

مبحث في التمني للموت

قال الله تعالى: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠]، ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ [مريم:٢٣]، ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة:٢٧].

الموت يتمناه المؤمن في الدنيا ليصل إلى الجنة، ويتمناه الكافر ليستريح من النار، ومنهم من يقول: يكره تمني الموت، ومنهم يقول: لا يكره.

وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يتمنين[١٩٩] أحد منكم الموت، فلعله أن يكون محسنًا فيزداد إحسانه أو يكون مسيئًا فلعله يستعتب[٢٠٠]».

ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدعوا بالموت ولا تمنوه، من كان داعيًا لا بد فليقل: اللهم[٢٠١] أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي».

عبد الله بن مهدي قال: كنت كثيرًا ما أسمع سفيان الثوري يتمنى الموت، فقلت له: يا أبا عبد الله، أما بلغك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا يتمنين[٢٠٢] أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»؟ قال: بلى، ولكن هؤلاء القوم أحب أن أموت على السلامة منهم، قال: فمرض مرضه الذي مات فيه، فكنت أدخل عليه فأقول: أنى ما[٢٠٣] كنت تتمنى، قال: فلما حضر كنت عنده فسمعت أذان العصر وصليت عنده وقرأت عنده (يس) حتى توفي.

---

(١٩٨) ادع: ادعو، م ي.

(١٩٩) يتمنين: يتمنى، م ي. سنن النسائي ٤/ ٢.

(٢٠٠) يستعتب: يستعيد، ي. سنن النسائي ٤/ ٢.

(٢٠١) اللهم: الله، م ي. صحيح البخاري ٧/ ١٢١.

(٢٠٢) يتمنين: يتمنى، م ي. صحيح البخاري ٨/ ٧٦.

(٢٠٣) أنى ما: أينما، م ي.

أم الفضل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليهم والعباس عمه يشتكي[٢٠٤]، فتمنى عباس الموت، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يا عم لا تتمن[٢٠٥] الموت، فإن كنت محسنًا فإن تؤخر تزدد[٢٠٦] إحسانًا خير لك، وإن كنت مسيئًا فإن تؤخر تستعتب[٢٠٧] من إساءتك خير لك، فلا تتمنّ[٢٠٨] الموت».

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تحفة المؤمن الموت».

عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في السجن، فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها».

أبو الأزهر الخولاني وزاذان عن عبس الغفاري[٢٠٩] أنه نظر إلى[٢١٠] أناس يفرون من الطاعون بالشام فقال: يا طاعون خذني خذني[٢١١]، فقال ابن عم له كانت له صحبة: لم تمنى الموت وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يتمنين أحدكم الموت فإنه انقطاع عمله، ولا يرد فيستعتب»، فقال: أخاف أشياء سمعت النبي عليه السلام يتخوفهن[٢١٢] على أمته: إمارة السفهاء، وكثرة الشُّرَط، وبيع الحُكْم، وقطيعة الرحم، والاستخفاف بالدم، ونَشْأ يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأفضلهم، ولكن يقدمونه ليغنيهم به غناء.

أبو هريرة: والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى العلماء من الذهب الأحمر، حتى يأتي الرجل قبر أخيه فيقول: يا ليتني مكانك.

أبو الدرداء: ما من مؤمن ولا كافر إلّا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٨]، وقال: ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗا﴾ [آل عمران:١٧٨].

(٢٠٤) يشتكي: فشكى، م ي. مسند أحمد ٤٤/ ٤٤٤.
(٢٠٥) تتمن: تتمنى، م ي. مسند أحمد ٤٤/ ٤٤٤.
(٢٠٦) تزدد: تزداد، ي. مسند أحمد ٤٤/ ٤٤٤.
(٢٠٧) تستعتب: فاستعتب، م ي. مسند أحمد ٤٤/ ٤٤٤.
(٢٠٨) تتمنّ: تتمنى، م ي. مسند أحمد ٤٤/ ٤٤٤.
(٢٠٩) عبس الغفاري: عيسى العفاري، ي. مسند أحمد ٢٥/ ٤٢٧.
(٢١٠) إلى: في، ي. مسند أحمد ٢٥/ ٤٢٧.
(٢١١) خذني خذني: جدني جدني، ي. انظر مسند أحمد ٢٥/ ٤٢٧.
(٢١٢) يتخوفهن: يتخوفهم، م ي.

الثوري: كنت أرى مشايخنا يحبون الموت، فكنت أعجب منهم، حتى صرت الآن أعجب ممن لا يحب الموت.

ابن مسعود: ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها، فالموت تحفة لكل مسلم.

أبو عتبة[٢١٣] الخولاني: ألا أخبركم عن خلال كان عليها أصحاب رسول الله: أولها: لقاء الله كان أحب إليهم من الشهد، والثانية: لم يكونوا يخافون عدوًا قلوا أو كثروا، والثالث: كانوا واثقين[٢١٤] برزق الله، والرابع: إذا نزل بهم الطاعون لم يخرجوا حتى يقضي الله فيهم، وكانوا أخوف ما يكونون[٢١٥] من الموت أصح ما يكونون[٢١٦].

فصل في الجنائز

أبو مسلم الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «زر القبور تذكر بها الآخرة»، قلت: يا رسول الله بالليل؟ قال: «لا، بالنهار أحيانًا ولا تكثر، واغسل[٢١٧] الموتى، فإن في معالجة جسد خاوٍ عظة بليغة، وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك، فإن الحزين في ظل الله، ويُعَوَّض[٢١٨] كل خير، وجالس المساكين وسلم عليهم إذا لقيتهم، وكن مع صاحب البلاء تواضعًا لربك وإيمانًا به، والبس الخشن[٢١٩] الصفيق من الثياب لعل العجب[٢٢٠] والكبرياء لا يكون لهما فيك مساغ[٢٢١]، وتزين أحيانًا لعبادة[٢٢٢] ربك، فإن الموت كذلك يفعل تعففًا وتكرمًا وتجملًا، ولا تعذب شيئًا مِنْ خَلْق الله بالنار».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من ميت وضع على سريره فيخطى به ثلاث خطى

---

(٢١٣) عتبة: عتبة، م ي. انظر الزهد لابن المبارك ١٨٤، والجهاد لابن المبارك ١٠٧، والبحور الزاخرة ١/ ٢٤.

(٢١٤) واثقين: قين، ي. انظر الزهد لابن المبارك ١٨٤، والجهاد لابن المبارك ١٠٧، والبحور الزاخرة ١/ ٢٤.

(٢١٥) يكونون: يكونوا، م ي. اللمع في تاريخ التصوف للطوسي ١١٥.

(٢١٦) يكونون: يكون، م ي. اللمع في تاريخ التصوف للطوسي ١١٥.

(٢١٧) واغسل: غسل، م ي. الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ١٣٦.

(٢١٨) يُعَوَّض: تعرض، ي. الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ١٣٦.

(٢١٩) الخشن: الخسن، ي. الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ص١٣٦.

(٢٢٠) العجب: العز، م ي. الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ١٣٦.

(٢٢١) مساغ: مساغًا، م ي. انظر الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ١٣٦.

(٢٢٢) لعبادة: بالعبادة، م ي. انظر الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ١٣٦.

حتى ينادي نداء يسمعه[٢٢٣] من شاء الله من الخلائق إلّا الجن والإنس: يا إخوتاه[٢٢٤] ويا حملة نعشاه، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، ولا يلعب بكم الزمان كما لعب بي، خلفت ما جمعت لورثتي، ولا يحملون عن[٢٢٥] خطيئتي، والديان في القيامة يخاصمني، وأنتم تشيعوني وتدعونني»، رواه عمر بن الخطاب.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «كأن الذي يشيع من الأموات سفر عما قليل هم راجعون، نبوِّئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم».

علي بن الحسن عليهما السلام قال: كان عمر بن عبد العزيز في جنازة فرأى قومًا قد تلثموا من الغبار وعدلوا إلى الظل، فقال متمثلًا:

مـن كان حيـن تمَسُّ الشمسُ جبهتـه ... أو الغبـارُ يخـاف الشـين والشـعثا
ويألـف الظـل كـي تبقـى بشاشـته ... فسـوف يسـكن راغمًـا جدثـا
فـي قعـر مظلمـة غبـراء موحشـة ... يطيـل فـي قعرهـا تحت الثرى اللبثا

عطاء عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أول ما يجازى به المؤمن عند موته أن يغفر لكل من تبع جنازته».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له».

إبراهيم النخعي: كانوا يشهدون الجنازة ويظلون الأيام محزونين يعرف ذلك فيهم.

ورأى ابن مسعود رجلًا يضحك خلف جنازة فقال: والله لا أكلمك أبدًا.

حاتم الأصم: اتباع الجنازة فضيلة، والصلاة عليها سنة، ومداواة القلب بها فريضة.

ونظر إبراهيم الزيّات[٢٢٦] إلى أناس يترحمون على ميت خلف جنازة، فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرًا لكم، إنما نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت وقد رأى، ومرارة الموت وقد ذاق، وخوف الخاتمة قد أمن.

---

(٢٢٣) يسمعه: يسمع، م ي. انظر مسند الفاروق لابن كثير ١/ ٢٣٥.
(٢٢٤) يا إخوتاه: ياخوتاه، م ي. انظر مسند الفاروق لابن كثير ١/ ٢٣٥.
(٢٢٥) يحملون عن: يحملوني من، م ي. انظر مسند الفاروق لابن كثير ١/ ٢٣٥.
(٢٢٦) الزيات: بن وثار، م ي. انظر إحياء علوم الدين ٢/ ٢١٠.

ميمون بن مهران، عن ابن عمر قال: كبَّرت الملائكة أربعا[٢٢٧]، وكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على النجاشي أربعًا، وكبر أبو بكر على فاطمة أربعًا. قال أبو القاسم البلخي في المسائل الواردة: دفن فاطمة سرًا غلط، وإنما دفنت ليلًا فظنوا أنها دفنت سرًا لأجل هذا.

ونظر الحسن إلى شيخ في جنازة فقال: يا شيخ، هل يود هذا الميت لو رد إلى الدنيا فيزيد وينقص؟ قال: نعم، قال: كن[٢٢٨] أنت هذا الميت.

قيل: لإبراهيم بن أدهم: ألا تشيع الجنازة؟ قال: لست أجد صاحبًا، قال: أليس هؤلاء أصحابك؟ قال: إنما صاحبي من يأخذ عضدي ويقول: انتبه وانظر إلى رأس أخيك كيف يتعبأ عليه[٢٢٩] السرير.

وسمع الحسن صارخة تقول: يا أبتاه، مثل يومك[٢٣٠] هذا لم أره، فقال: وأبوك مثل يومه هذا لم يره[٢٣١].

وسمع أبو الدرداء رجلًا يقول في جنازة: من هذا؟ فقال: هذا أنت، فإن كرهت فأنا، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠].

وكان أبو هريرة إذا رأى جنازة قال: اغدوا[٢٣٢] فإنا رائحون، موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب[٢٣٣] الأول، والآخر لا عقل له.

ونظر الحسن إلى قوم يزدحمون على جنازة فقال: علوج يتنافسون في حمله، ولا يتنافسون في عمله.

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مسؤول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول

(٢٢٧) أربعا: أربعة، م ي.
(٢٢٨) كن: كنت، م ي.
(٢٢٩) يتعبأ عليه: يتعاطا على، م ي. انظر ربيع الأبرار ٥/ ١٣٦.
(٢٣٠) يومك: يوم، م ي. الاعتبار وأعقاب السرور لابن أبي الدنيا ص٣٦.
(٢٣١) الاعتبار وأعقاب السرور لابن أبي الدنيا ص٣٦.
(٢٣٢) اغدوا: أعدوها، م ي. حلية الأولياء ١/ ٢١٧.
(٢٣٣) يذهب: تذهب، ي. حلية الأولياء ١/ ٢١٧.

زيد العمي قال: شهدت جنازة هشام بن عبد الملك فسمعت كاتبه[٢٣٤] يقول:

وما سالم عما قليل بسالمٍ ولو كثرت حراسه وكتائبه
ومن يكن ذا باب[٢٣٥] شديد وحاجبٍ فعما قليل يهجر الباب حاجبه

الأبيات وقد مر.

وقال موسى عليه السلام: يا رب إني لا أتمكن من موعظة قومي، فاجعل لي أعوانًا يعظون؟ قال: إني جعلت لكل[٢٣٦] أربعةمنذرًا ينذرهم وهو الموت يعظ الأربعة الذي يحملونه، كأنه يقول: أنتم حاملون اليوم وتُحملون غدًا.

الأعمش: كنا نحضر الجنازة فلا ندري من نعزي لحزن القوم.

اجتمع الحسن والفرزدق في جنازة امرأة الفرزدق، واجتمع الناس، فقال الحسن له: ما أعددت لهذا اليوم يا أبافراس؟ فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله منذ ثمانين سنة، فقال الحسن: هذا العمود، فأين الطُّنب[٢٣٧]، فأنشأ الفرزدق يقول:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشدَّ من القبر التهابًا وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائدٌ عنيفٌ وسوَّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب مِنْ أولاد آدم مَنْ مشى إلى النار مغلول[٢٣٨] القلادة أزرقا

وعن عائشة أن النبي عليه السلام قال: «أخلاء بني آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه، وواحد يتبعه إلى قبره، وواحد يتبعه إلى المحشر، فأما الذي يتبعه إلى قبض روحه فماله، وذلك أن ملكه [يزول] بالموت، وأما الذي يتبعه إلى قبره فأهله وولده، والذي يتبعه إلى المحشر فأعماله»، فقام عبد الله بن كرز وقال: قد قلت على هذا شعرًا[٢٣٩]، أفتأذن لي يا رسول الله في إنشاده؟ فقال: «هات يابن كرز»، فأنشأ يقول أبياتا أولها:

فأهلي ومالي والذي كسبت يدي كداع إليه صحبه ثم قائل

(٢٣٤) كاتبه: كاينه، م ي. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١٧٩.
(٢٣٥) باب: ناس، م ي. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١٧٩.
(٢٣٦) لكل: لك، ي.
(٢٣٧) الطُّنب: حبل طويل يشد به السرادق. لسان العرب (طنب)، وفي م ي (الطيب)، والتصحيح من ربيع الأبرار ٥/ ١٥١.
(٢٣٨) مغلول: مغلولة، م ي. ربيع الأبرار ٥/ ١٥١.
(٢٣٩) شعرًا: شعر، ي.

فصل في القبور

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:٢١].

الكلام فيه من وجهين:

أحدهما: لطف الله في عباده في القبر.

الثاني: في ذكر القبور وصدمتها وما روي في أهوالها وما جاء في تمهيدها.

وقد جاء في ذلك آثار كثيرة نحن نذكر منها طرفًا.

فمن لطف الله بعبده أنه أقبره، ولم يكن كالجيف تُلقى فتبدو سوأته وتظهر عورته.

ويقال: لابن آدم حالان[٢٤٠]: حال ابتداء، وحال انتهاء، وفي الابتداء كان نطفة قذرة، وعلقة ومضغة وعظامًا ولحمًا، وجعلها في موضع حصين مستور لئلا يراه أحد، ثم أظهره لما خلقه خلقًا آخر حسنًا، وصورة حسنة، وفي الانتهاء تتغير رائحته وصورته، ويهون على الناس، فأمره بستره، فسبحانه ما ألطفه بعباده.

وقيل: إنه إذا وضع في القبر يقول الله: عبدي إن هنت على غيري فإنك عندي عزيز.

وعن يحيى بن معاذ: إذا وضع المؤمن في القبر وانصرف الناس قال الله: ملائكتي غريب نأى عنه الأقربون، ووحيد قد جفاه الأهلون، أصبح مني قريبًا، وفي اللحد أسيرًا غريبًا، وكان في الدنيا لي محبًا داعيًا، ولنظري في هذا البيت راجيًا، لا جرم أني أحسن قِرَاه وضيافته. ثم يأمر حفظته بأن يقفا على رأس قبره، ويستغفرا[٢٤١] له إلى يوم القيامة، فيجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه يستغفران له إلى يوم القيامة، فإذا بعث من قبره صحباه إلى المحشر، فذلك قوله: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:٢١].

هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبل لحيته، وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ [فقال][٢٤٢]: لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم يَنْجُ منه

---

(٢٤٠) حالان: حالين، م ي.

(٢٤١) يستغفرا: يستغفران، م ي.

(٢٤٢) انظر تحفة الأحوذي ٤٨٩/٦.

فما بعده أشد منه»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما رأيت منظرًا قط إلّا القبر أفظع[٢٤٣] منه».

يزيد الرقاشي: أيها المقبور في حفرته، المتخلي[٢٤٤] في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت؟ وبأي إخوانك[٢٤٥] اغتبطت؟ ثم يبكي حتى تبل عمامته، فيقول: استبشروا والله بالأعمال الصالحة، واغتبطوا بالإخوان المتعاونين على الطاعة.

يحيى بن معاذ: كأني بنفسي قد اضطجعتُ في حفرتها[٢٤٦]، وانصرف المشيعون من جيرتها[٢٤٧]، وبكى كل غريب عليها لغربتها، ودمع عليها المشفقون من عشيرتها، وناداها[٢٤٨] من شفير القبر [ذوو][٢٤٩] مودتها، ورحمها المعادي عند صرعتها، ولم يخف على الناظرين عجز حيلتها، فقلتَ ملائكتي فريد قد نأى عنه الأقربون، ووحيد قد جفاه الأهلون، أصبح مني قريبًا، وفي اللحد غريبًا، وكان لي في الدنيا داعيًا، ولنظري[٢٥٠] في هذا البيت راجيًا، فتحسن[٢٥١] هنالك ضيافتي، وتكون[٢٥٢] أشفق عليّ من قرابتي.

وكان الحسن بن صالح إذا صعد الصومعة وأشرف على القبور قال: ما أحسن ظواهرك إنما الدواهي في بواطنك.

شعر:

أبـا غـانـمٍ أمـا ذراك فواسـع[٢٥٣] وقبـرك معمـور الجوانـب محكـمُ
ومـا ينفـع المقبـورَ عمـرانُ قبـرهِ إذا كان فيـه جِسْـمُهُ يتهـدّم

(٢٤٣) منظرًا قط إلّا القبر أفظع: منظر إلى القبر أقطع، م ي. انظر تحفة الأحوذي ٦/ ٤٨٩.
(٢٤٤) المتخلي: المستحلي، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤٨٦.
(٢٤٥) إخوانك: أحوالك، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤٨٦.
(٢٤٦) حفرتها: حقرتها، ي.
(٢٤٧) جيرتها: جنازتها، م ي. الصحيفة السجادية ص٤٢٦.
(٢٤٨) ناداها: نادلها، م ي. الصحيفة السجادية ص٤٢٦.
(٢٤٩) انظر الصحيفة السجادية ص٤٢٦.
(٢٥٠) لنظري: لنصرتي، م ي. الصحيفة السجادية ص٤٢٦.
(٢٥١) فتحسن: فيحسن، م ي. الصحيفة السجادية ص٤٢٦.
(٢٥٢) تكون: يكون، م ي. الصحيفة السجادية ص٤٢٦.
(٢٥٣) ذراك فواسع: ديارك واسع، م ي. البصائر والذخائر ٨/ ٧٩.

أبو حازم: مررت مع أبي هريرة على قبر حديث فقال: ركعتان خفيفتان مما تحقرون أحب إليهم[٢٥٤] من دنياكم هذه، ولكن حيل بينهم وبين ما يشتهون، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من ليلة إلّا ينادي [منادٍ] يا أهل القبور من تغبطون؟ قالوا: نغبط أهل المساجد، لأنهم يصومون ولا نصوم، ويصلون ولا نصلي، ويذكرون الله ولا نذكره»[٢٥٥].

عن بعض السلف: ما من يوم إلّا والأرض تنادي بخمس كلمات فتقول: يابن آدم تمشي على ظهري ومصيرك في بطني، يابن آدم تفرح على ظهري ثم تحزن في بطني، يابن آدم تذنب على ظهري ثم تعذّب في بطني، يابن آدم تضحك على ظهري ثم تبكي في بطني، يابن آدم تأكل الحرام على ظهري ثم تأكلك الدود في بطني.

محمد بن سعيد المدني قال: مر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بمقبرة ومعه أصحابه فنادى: «يا أهل القبور، ألا أخبركم بما يحدث بعدكم، تزوج نساؤكم، وسكنت مساكنكم، واقتسمت أموالكم، فهل أنتم مخبرون عما عاينتم؟ ثم أقبل على أصحابه وقال: إنهم لو أُذن لهم في الجواب لقالوا: وجدنا خير الزاد التقوى».

وروي عن علي عليه السلام أنه مر بمقبرة عند انصرافه من صفين فقال: يا أهل القبور، ألا أخبركم بما حدث بعدكم، أما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما الدور فقد سكنت، فهذا خبركم عندنا، فما خبرنا عندكم؟ ثم قال: لو أُذُن لهم في الجواب لقالوا: خير الزاد التقوى.

شعر:

يموت المرء وهو يعد حيا ... ويخلف ظنه الأمل[٢٥٦] الكذوب
إذا ما مات بعضك فابك بعضًا ... فبعض الشيء مِنْ بعضٍ قريبُ

وكان مالك بن دينار يخرج ليلًا إلى المقابر فيدعو أحباءه الذين ماتوا واحدًا واحدًا بأسمائهم، فيقول: يا فلان، يا فلان، حتى يأتي على آخرهم، فإذ لم يجبه أحد انصرف وهو يقول:

وهل أنا إلّا مثلكم غير أنني ... مقيم ليال بعدكم ثم لاحق

(٢٥٤) إليهم: إليكم، ي.
(٢٥٥) انظر إحياء علوم الدين ٢/ ٢١١.
(٢٥٦) يخلف ظنه الأمل: مري موتها النفس، م ي. المستطرف في كل من مستظرف ٤٩٥ وربيع الأبرار ٥/ ٦٥.

أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أكره لكم العبث[٢٥٧] في الصلاة، والمن في الصدقة، والضحك عند القبور».

وعن بعض الحكماء أنه دفن إنسانًا فوقف على قبره وقال: يا أهل القبور، أصبحتم نادمين على ما خلفتم في البيوت، وأصبحنا نقبل على ما أنتم عليه نادمون، فما أعجبنا وأعجبكم.

شعر:

نادتـك أجـداث وهـن سـكوت   وأجسـامها تحـت التـراب خفـوت
فيـا جامـع الدنيـا لغيـر بلاغهـا   لمـن تجمـع الدنيـا وأنـت تمـوت

البراء بن عازب قال: بينا نحن[٢٥٨] مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ مر بجماعة فقال: «علام اجتمع هؤلاء»؟ قالوا[٢٥٩]: على قبر يحفرونه، ففزع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبدر وأصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر، فحثا عليه، فقال البراء: فاستقبلته لأنظر ما يصنع، قال: فبكى حتى بل التراب، ثم التفت إلينا فقال: «إي إخوتاه لمثل هذا اليوم فأعدُّوا».

أبو هرير قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

جعفر بن سليمان الضبعي قال: خرجنا مع مالك بن دينار، فكان بعضنا في الطريق، فلما أشرفنا على القبور أنشأ يقول بصوت حزين شعر:

ألا حَـيِّ القبـور ومَـنْ بِهِنَّـهْ   وجـوه[٢٦٠] فـي التـراب أحبهنّـه
فلـو أن القبـور أَجَبْـنَ حيًّـا   إذا لأَجَبْنَنـي[٢٦١] إذ زرتهنّـه
ولكـن القبـور صمتـن عنـي   فَرُحْـتُ بحسـرةٍ مـن عندهُنّـه

عبيد بن عمير قال: ليس من ميت يموت إلّا نادته حفرته: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة،

(٢٥٧) العبث: العيب، م ي. انظر مسند الشهاب ٢/ ١٥٥.
(٢٥٨) نحن: محمد، م ي. مسند الروياني ١/ ٢٨٣.
(٢٥٩) قالوا: فقال، م ي. مسند الروياني ١/ ٢٨٣.
(٢٦٠) وجوه: وجوهًا، م ي. حلية الأولياء ٢/ ٣٧٣، والبحور الزاخرة ١/ ٣٨٢.
(٢٦١) لأجَبْنَني: لأحبتي، م ي. حلية الأولياء ٢/ ٣٧٣، والبحور الزاخرة ١/ ٣٨٢.

أنا بيت الانفراد، فإن كنت في حياتك مطيعًا كنت عليك رحمة، وإن كنت في حياتك عاصيًا فأنا اليوم عليك نقمة، أنا البيت الذي من دخلني مطيعًا خرج مني مسرورًا، ومن دخلني عاصيًا خرج مني مثبورًا، وأنشد لأبي العتاهية:

قـل لأهـل القبـور كيـف وجدتـم طعـم مـر البلـى وثقـل التـرابِ
أكل الـدود مـن وجـوه حسـانٍ لـم تـزل فـي غضـارة وشـبابِ

الأصمعي قال: رأيت أعرابية تبكي عند قبر وتقول:

أزور[٢٦٢] وأعتـاد القبـور فـلا أرى سـوى رسـم أحجارعليـه لبـودُ
كواظـم[٢٦٣] أسـرارٍ ضوامـر أعظـمٍ بليـن وباقـي حبهـن جديـد

ووقف بعضهم على قبر ثم أنشأ يقول:

ومـا نحـن إلّا مثلهـم غيـر أننـا أقمنـا قليـلًا بعدهـم وترحلـوا

آخر:

أيهـا الركـب المخبـو ن[٢٦٤] علـى الأرض مجـدون[٢٦٥]
وكمـا كنتـم لقـد كنـا وكمـا نحـن تكونـون

وقوله تعالى: ﴿مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾ [ق:٤] يعني في القبر تُبْشِر[٢٦٦] جلودهم[٢٦٧] وتأكل لحومهم، تفصل أعضاءهم وتأكل أحشاءهم، وتفتت أكبادهم، وتشتت[٢٦٨] أجسادهم.

وقيل: مسكين ابن آدم اليوم يأكُل وغدًا يُؤكَل، اليوم يَحمِل وغدًا يُحمَل، اليوم أمير وغدًا أسير، اليوم يَرحم وغدًا يُرحم، اليوم كبير وغدًا صغير حقير.

(٢٦٢) أزور: أدور، م ي. الأمالي الخميسية ٢/ ٤٣٣.
(٢٦٣) كواظم: كرائم، م ي. الأمالي الخميسية ٢/ ٤٣٣.
(٢٦٤) المخبون: المجدون، م ي. الطيوريات ٤/ ١٠٧.
(٢٦٥) مجدون: المحبون، م ي. الطيوريات ٤/ ١٠٧.
(٢٦٦) أبشرتُ الأديم (الجلد) فهو مُبشَر: إذا ظهرت بشرته التي تلي اللحم. انظر تاج العروس (بشر).
(٢٦٧) جلودهم: لحومهم، م ي.
(٢٦٨) تشتت: شتت، م ي.

شعر:

تفكـرت فـي ليلـي فأسـهرت مقلتـي ... وهيجـت أحزانـي وأسـبلت دمعتـي
غداة سمعت المـوت صـاح(٢٦٩) مناديًا ... فأيقنـت أن لا بـد مـن يـوم دعوتـي
فمـن لـي إذا غضـت وإن قيل قـد مضى ... وأطفـوا سـراجي واسـتخفوا بحرمتي
فمـن لـي إذا شـدوا إلـى الـرأس لحيتي ... ولففـت فـي ثوبـي وقامـت قيامتـي
ومـن لـي إذا أدرجـت في الثـوب والرِّدا ... ودليـت فـي قبـري وعـزوا قرابتـي
وحولـي كريمـات(٢٧٠) علـي بواكيـا ... علـي بترجيـع إلـى جنـب حفرتـي
ينـادون حـول القبـر مـن لا يجيبهـم ... وقـد كنت فـي الدنيـا سـريعًا إجابتـي
فيـا رب بعـد المـوت لا تفضحَنَّنـي ... أناديـك يـا ربـي بفقـري(٢٧١) وفاقتـي

وقيل: كم من شاب طري أذهب القبر طراوته، وكم من فتى سخي نهب التراب فتوته وسخاوته.

وقيل: كم من وجه كالثريا في الثرى بال، وكم من جفن عن السواد والبياض خال، كم من وجه كالبدر درست محاسنه في القبر، وكم من صورة كالشمس تغيرت في ظلمة الرمس، وكم من حُرَّة مقصورة في خدرها أمست محصورة في قبرها، كم واعظ وخطيب في المقابر تبكي عليه المنابر، وكم من فقيه مضيء تبكي عليه المحابر والدفاتر.

وروي أنه كان ثلاثة إخوة، فمات اثنان وقعد الثالث على رأس قبرهما أيامًا ثم قال:

خليلـي هبـا طـال مـا قـد رقدتمـا ... أجدكمـا مـا تقضيـان كراكمـا
ألـم ترحمانـي أننـي صـرت مفـردًا ... وأنـي مشـتاق إلـى أن أراكمـا
أمـن طـول نـوم لا تجيبـان دعوتـي ... كأن الـذي يسـقي العُقّـار سـقاكما

المعلى الطائي:

نفسـي فـداؤك مـن رهيـن ثـرى ... لا شـك أنـك مـن غـدٍ تخفـى
والصبـر تشـفيني عواقبـه ... لكـن قبـض مدامعـي أشـفى

(٢٦٩) صاح: نادى، م ي.
(٢٧٠) كريمات: كريمان، م ي.
(٢٧١) فقري: صبري، م ي.

منها في القبر:

[بيتا إذا ما زاره أحدٌ][٢٧٢] عصفت به أيدي البلى عصفا

وروى مجاهد عن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما الميت في قبره إلّا كالغريق ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق، فإن لحقته كانت خيرًا له من الدنيا وما فيها، وإن هدية الأحياء للأموات الاستغفار لهم».

وعن أبي عاصم قال: مر محمد بن واسع بمقبرة فقال: يا أبا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم [فكأنك بهم قد وثبوا من هذه الأجداث] فمن بين مسرور ومغموم[٢٧٣].

عبد الرحمن العمري: يا أصحاب القصور المشيدة، اذكروا ظلمة القبور الموحشة، يا أهل النعم والتلذذ اذكروا الدود والصديد وبلى الأجساد في التراب.

كأني بأصحابي على حافتي قبري يهيلون من فوقي وأدمعهم تجري
ستنسون أيامي إذا ما رجعتم وغادرتموني تحت دَوِيَّةٍ[٢٧٤] قَفْرِ[٢٧٥]
عفا الله عني يوم أصبح ثاويًا أُزَارُ فلا أدري وأُجْفَى فلا أدري

وقيل لإنسان عند لحد: ما هذا؟ قال: كَنْدُوجُ[٢٧٦] العمل؛ يعني خزانته.

شعر:

يا من بدنياه اشتغل وغره طول الأمل
والموت[٢٧٧] يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

الحسن: لا تلهينك منازل وإن اتسعت، وقصور وإن شيدت، فإنك عن قليل مفارقها، وصائر إلى دار الخلود، فما بنيت لنفسك هناك سكنته، وما مهدت لنفسك صرت إليه.

(٢٧٢) بيتا إذا ما زاره أحدٌ: إذا ما رأى واحد عصفت، م ي. انظر العقد الفريد ٣/ ٢٣٤.
(٢٧٣) القبور لابن أبي الدنيا ص٤٦.
(٢٧٤) الدَّوِيَّة: الفلاة الواسعة. لسان العرب (دوا)، وفي م ي (دور به) الاعتبار وسلوة العارفين ٢٨٠.
(٢٧٥) قَفْر: فقري، ي.
(٢٧٦) انظر (القبور) لابن أبي الدنيا ص١٠٤، وفي الأصل (كيدوح). والكندوج: شبه المخزن، كذا قال صاحب تاج العروس (كندج).
(٢٧٧) الموت: والموت، م ي. صيد الخاطر ٥١٣.

شعر:

بـادر شـبابك قبـل وقـت رحيلـه واعمـل ليـوم يـا أخـا الإسـراف
فـكأن يومـك قـد أتـاك بغصـة وأزال عنـك لذيـذ عيـش صـاف

مبحث في زيارة القبور

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور وقد أُذن لمحمد في زيارة قبر أمه، ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا».

أبو ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «زر القبور تذكر بها الآخرة»، قال: قلت: يا رسول الله بالليل؟ قال: «لا، بالنهار أحيانًا ولا تكثر»، وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبر أبويه أو أحدهما كانت كحجة مبرورة وعمرة متقبلة».

وذكر الأصمعي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ...﴾ الآية [التوبة:١١٣]، ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبر أمه فوقف دونه، ثم مضى إليه فقعد عند رأسها ثم بكى، فلما رجع قام إليه عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، نهيتنا عن زيارة القبور وزرت قبر أمك، ونهيتنا عن البكاء وبكيت، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور لأن الله نهاكم، واستأذنت ربي في الدنو من قبر أمي فأذن لي، فلما علمت ما صارت إليه من عذاب الله ولا أغني عنها شيئًا بكيت رحمة مني لها، وإنما نهيتكم أن تقولوا في الأموات ما ليس فيهم».

سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع جنازة فمال علي إلى قبر فاطمة وانصرف الناس، فبكى وأنشأ يقول:

لـكل اجتمـاع مـن خليليـن فرقـة وإن الـذي دون الفـراق قليـل
أرى علـل الدنيـا علـي كثيـرة وصاحبهـا حتـى الممـات عليـل
إذا انقطعـت يومًـا مـن العيش مدتـي فـإن عنـاء الباكيـات قليـل
وإن افتقـادي فاطمًـا بعـد أحمـد دليـل علـى ألّا يـدوم خليـل

وروي:

وإن افتقـادي واحـدًا بعـد واحـد

ثم نادى: يا أهل القبور تخبرونا بأخباركم، أما تريدون أن نخبركم، أم عن الجواب مُنعتم؟ يا معشر الإخوان السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال: فسمعنا صوتًا يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين أخبرنا أخبارك ما عندك؟ فقال عليه السلام: أما أزواجكم فقد تزوجن[٢٧٨]، وأما أموالكم فقد قسمت، وقد حشر في زمرة اليتامى أولادكم، والمنازل التي شيدتم وبنيتم قد سكنها أعداؤكم، فهذه أخبار ما[٢٧٩] عندنا، فما أخبار ما[٢٨٠] عندكم؟ قال: فأجابه مجيب وهو يقول: تخرقت[٢٨١] الأكفان، وتناثرت الشعور، وتقطعَت[٢٨٢] الجلود، وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر والأفواه بالقيح والصديد، وما قدمنا وجدناه، وما خلفناه[٢٨٣] خسرناه، ونهن مرتهنون بالأعمال.

وخرج عمر بن عبد العزيز مع جنازة، فلما دفنها قال لأصحابه: قفوا حتى آتي قبور الأحبة، فأتاهم فجعل يبكي ويدعو إذ هتف به هاتف: يا عمر أما تسألني عما فعلت في الأحبة؟ فقال: وما فعلت بهم؟ قال: مزقت الأكفان، وأكلت اللحم، وشدخت المقلتين، وأكلت الحدقتين، ونزعت الكفين من الساعدين، والساعدين من العضدين[٢٨٤]، والمنكبين من القلب، والقدمين من الساقين، والساقين من الفخذين، والفخذين من الورك، والورك من الصلب، وعمر يبكي، ثم قال: ألا أدلك على أكفان[٢٨٥] لا تبلى يا عمر؟ قال: وما هو؟ قال: تقوى الله والعمل الصالح.

مبحث في عذاب القبر

اعلم أن عذاب القبر يكون لأهل النار، فأما أهل الجنة فيكون لهم الثواب.

وقد وردت في عذاب القبر آيات وآثار، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، قيل: هو في القبر، وسنذكره في باب منكر ونكير.

(٢٧٨) تزوجن: زوجوا، م ي. شرح إحقاق الحق للمرعشي ٣١/ ٤٢٧.
(٢٧٩) أخبار ما: أخباركم، ي. انظر شرح إحقاق الحق للمرعشي ٣١/ ٤٢٧.
(٢٨٠) أخبار ما: أخبارنا، م ي. شرح إحقاق الحق للمرعشي ٣١/ ٤٢٧.
(٢٨١) تخرقت: تحرقت، م ي. شرح إحقاق الحق للمرعشي ٣١/ ٤٢٧.
(٢٨٢) تقطعَت: تمعطت، م ي. شرح إحقاق الحق للمرعشي ٣١/ ٤٢٧.
(٢٨٣) خلفناه: أنفقناه، م ي. شرح إحقاق الحق للمرعشي ٣١/ ٤٢٧.
(٢٨٤) العضدين: العصدين، م ي. انظر هواتف الجنان ٥١ والبحور الزاخرة ١/ ٣٨١
(٢٨٥) أكفان: الأكفان، م ي. انظر البحور الزاخرة ١/ ٣٨١.

ومنها: قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، قيل: هو عذاب القبر، عن ابن عباس، وقيل: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلّا أظلم عليه وقتُه وتشوَّش[٢٨٦] عليه رزقه.

وعن بعضهم: لو عرفوني ما أعرضوا عن ذكري.

وعن أبي حازم أنه شهد بعض الجنائز فقعد على شفير القبر ونظر فيه، ثم رفع رأسه فقال لبعض أصحابه: ما ترى؟ فقال: حفرة يابسة، وجنادل صم، قال أبو حازم: أما والله لتمهدنّه[٢٨٧] لنفسك أو لتكونن[٢٨٨] معيشتك[٢٨٩] [فيه معيشة] ضنكًا، فبكى الناس[٢٩٠].

ومنها: قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة:١٠١]، فالمرة الأولى القتل، والعذاب العظيم: نار جهنم، نعوذ بالله منها.

ومنها: قوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر:١١].

ومنها في الثواب: قوله: ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦].

ومنها: قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران:١٦٩]، تعجب أن يحيي الله الموتى وهو الذي أنشأها أول مرة. وقد ذكرنا[٢٩١] قصة أصحاب الكهف، والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف، والذين اختارهم موسى فأخذتهم الصيحة، والذي مر على قرية وهي خاوية.

قوله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ [البقرة:٢٦٠].

والآثار: فروى عبد الرحمن بن أبي حسين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عذاب القبر في الغيبة والنميمة والبول».

عمرو بن ميمون قال: سمعت عمر يقول في جمع: ألا إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتعوذ ممن عذاب القبر.

---

(٢٨٦) وقتُه وتشوَّش: وفيه وسيوس، م ي. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص٢١٥.

(٢٨٧) لتمهدنّه: ليمهدنه، ي. تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٧.

(٢٨٨) لتكونن: ليكونن، ي. تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٧.

(٢٨٩) في م ي: معشيتك. تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٧.

(٢٩٠) تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٧.

(٢٩١) ذكرنا: ذكره، ي.

مصعب بن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «اللهم إني أعوذ بك من القبر». وفي رواية ابن عباس: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر».

وعن أنس: دخل النبي عليه السلام خربة لبني النجار كأنه يقضي حاجة، فبال وخرج إلينا وهو مذعور فقال: «لولا ألّا تدفنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني».

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «عذاب القبر حق»، قالت: قلت: يا رسول الله، هل يسمعه [أحد]؟ قال: لا يسمعه الجن والإنس، وتسمعه البهائم»(٢٩٢).

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «المعيشة الضنك: عذاب القبر».

عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقي فتنة القبر».

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقبرين وقال: «إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يتنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يكسى الكافر لوحين في قبره من نار، فذلك قوله تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]»، رواه البراء عنه.

ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس من يوم إلّا تعرض على أهل القبور مقاعدهم من الجنة والنار غدوة وعشية».

ابن عمر قال: مررت بقبر من قبور الجاهلية ومعي إداوة، فإذا رجل قد خرج من قبر يلتهب نارًا، قال: يا عبد الله اسقني، قلت: عرفني(٢٩٣)، فدعاني باسمي أو كلمة تقولها العرب، إذ خرج من القبر رجل فقال: يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر، ثم أخذ بالسلسة فاجتذبه فأدخله القبر(٢٩٤).

قال ابن عمر: آواني الليل إلى بيت عجوز إلى جانب بيتها قبر، فسمعت من القبر بول وما بول شن وما شن؟ فسألتها من ذلك؟ فقالت: هذا زوجي وكان لا يتنزه من البول، فمنذ مات إلى يومنا هذا ينادي: بول وما بول؟ وأتاه رجل فقالك اسقني فقال: دونك الشن، فإذا شن

(٢٩٢) ترتيب الأمالي الخميسية للشجري ٢/ ٤٢٣.
(٢٩٣) عرفني: أوتعرفني، م ي. (من عاش بعد الموت) لابن أبي الدنيا ص ٣٢.
(٢٩٤) (من عاش بعد الموت) لابن أبي الدنيا ص ٣٢.

يابس، فخر الرجل ميتًا، فهو ينادي: شن وما شن؟ فلما قدمت على رسول الله أخبرته بذلك «فنهى أن يسافر الرجل وحده»[٢٩٥].

أبو هريرة أن رجلًا كان يلتقط الأذى من المسجد، ففُقِد[٢٩٦]، فسأل النبي عليه السلام عنه، فقيل: مات، فقال: «أفلا آذنتموني[٢٩٧]» فكأنهم استخفوا بشأنه، فقال لأصحابه: «دلوني على قبره»، فذهب فصلى عليه ثم قال: «إن القبور مملوءة ظُلْمَةً على أهلها، وإن الله ينورها عليهم بصلاتي».

أبو أيوب، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه سمع صوتًا حين غربت الشمس [فقال][٢٩٨]: فهذه أصوات اليهود تعذب في قبورها».

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «القبر روضة من رياض الجنة أو حُفرة مِنْ حفر النار».

وقيل: القبر للمطيعين روضة، والحشر للمتقين نزهة، والحساب للعارفين متعة، والحساب للمحسنين حظوة.

ورئي الثوري في المنام فقيل: ما فعل بك ربك؟ قال: وضعت أول قدم على الصراط والثاني في الجنة.

شعر:

ما أحدٌ أكرم من مفرد ... في قبره أعماله تؤنسه

ينعم في القبر لدى روضةٍ ... زينها الله فهي مجلسه

وقيل: القبر للمؤمن دار وللمجرم نار. روضة للمتقين ونار للمجرمين.

وأما قوله في حديث سعد بن معاذ: «ضمه القبر ضمة فدعوت الله فكشف عنه» وروي: «لو نجا أحد من عذاب القبر لنجا سعد»، وفي حديث زينب ابنته صلى الله عليه وآله وسلم: «لو

(٢٩٥) (من عاش بعد الموت) لابن أبي الدنيا ص ٣٢.
(٢٩٦) ففُقِد: فقعد، م ي.
(٢٩٧) أفلا آذنتموني: ألاذنتموني، م ي. مسند أبي يعلى الموصلي ١١/ ٣١٤.
(٢٩٨) انظر صحيح ابن حبان ٧/ ٣٩٥.

نجا[٢٩٩] أحد من عذاب القبر لنجت هي، ولقد ضمها[٣٠٠] ضمة كادت أضلاعها تختلف»، فقد قيل في تأويلها أنه ليس ضمة العذاب، وإنما هي ضمة المشاهدة.

وقيل: إن الأرض لابن آدم كالأم، قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ...﴾ الآية [طه:٥٥]، ثم غاب عنها غيبة طوية فإذا عاد إليها ضمته كضمة الوالدة لولدها، فمن كان مؤمنًا ضمته برفق، ومن كان كافرًا ضمته[٣٠١] بعنف.

وعن الشعبي أن رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: مررت ببدر فرأيت رجلًا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الأرض ثم يخرج فيفعل مثل ذلك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذلك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة».

وعن منصور بن عمار قال: بعثني الرشيد إلى الروم فلقيت راهبًا في الطريق، فقلت: أخبرني بأعجب شيء رأيت، قال: رأيت طيرًا أعظم من البختي [خرج] من البحر، ورفرف على صومعتي ثم سقط على الأرض، ورمى من رأسه رأس إنسان ونفسه ورجله ويده، ثم ابتلعه ودخل البحرن، فعل ذلك ثلاث مرات، وكنت أهابه، فسألته[٣٠٢] في اليوم الثالث بالله أن تخبرني من أنت؟ فقال: أنا عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب، وكَّل الله بي هذا الطير يعذبني هكذا إلى يوم القيامة، فذلك قوله: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم:٢٧]، الإضلال هاهنا بمعنى العذاب.

مبحث في سؤال القبر

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم:٢٧]، روى البراء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «هذه في القبر إذا سئل: من ربك؟ وما دينك[٣٠٣]؟ ومن نبيك».

ويقال: إن الله تعالى كافأ المؤمنين بخمس وعشرين خصلة، في الدنيا بخمس، وعند الموت

(٢٩٩) لو نجا: لو نجت، م ي.
(٣٠٠) ضمها: ضمته، م ي.
(٣٠١) ضمته: ضمتع، م ي.
(٣٠٢) سألته: سألت، م ي.
(٣٠٣) وما دينك: وما ذنبك، م ي.

بخمس، وفي القبر بخمس، وفي القيامة بخمس، وفي الجنة بخمس، وكافأ الكافرين بخمس وعشرين خصلة على أضدادها.

أما في الدنيا: فيضاعف حسناته: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، ﴿[مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ](٣٠٤) كَمَثَلِ حَبَّةٍ...﴾ الآية [البقرة:٢٦١]، ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...﴾ الآية [البقرة:٢٤٥].

والثاني: يهديهم سبل الخير: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

والثالث: يحبهم: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦]، عن الحسن: يحبهم ويحببهم إلى الناس.

ويعصمهم من كيد الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر:٤٢].

ويجيب دعوتهم ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ..﴾ الآية [البقرة:١٨٦].

فأما عند الموت:

فالأمن: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ [فصلت:٣٠].

والبشارة: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت:٣٠].

وتسليم الملائكة: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ [النحل:٣٢].

والتثبيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم:٢٧].

وأما التي في القبر: فالروح، قوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾ في القبر ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ في القيامة ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٩].

والتمهيد: قوله: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم:٤٤].

وتلقين الصواب في جواب الملكين: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم:٢٧].

وتصيير قبره روضة: «القبر روضة من رياض الجنة»، وتوسعة(٣٠٥) القبر.

(٣٠٤) في م ي: مثل ما ينفقو.. وما أثبتناه من المصحف.

(٣٠٥) وتوسعة: ووسعة، م ي.

فأما في القيامة: فيبيض الوجوه، ويثقل الميزان، ويعطى الكتاب باليمين، وتيسير الحساب، والسرور ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ [الانشقاق:٩].

فأما في الجنة:

فسلام الملائكة: ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ[سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم]﴾ [الرعد:٢٣،٢٤].

ومرافقة الأنبياء: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء:٦٩].

ونيل المنى: ﴿وَلَكُمۡ[٣٠٦] فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ[أَنفُسُكُمۡ]﴾ [فصلت:٣١].

ورضا الله: ﴿رَّضِيَ[٣٠٧] ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [المجادلة:٢٢].

وسلامه عليهم: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا﴾ [يس:٥٨].

قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فانتهى إلى القبر ولما يلحد، فحدث القوم، وقال: «إن المؤمن إذا دخل في قبره أتاه ملكان منكر ونكير فقالا له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، وديني الإسلام، ونبيي محمد، فيقولان له: صدقت هكذا كنت في الدنيا، يقول: ثم يفتحان له بابًا من النار ويقولان: هذه النار التي لو كنت[٣٠٨] كذبت بها أدخلت هذه النار، ثم يفتحان له بابًا من الجنة ويقولان: إن مصيرك إلى هذه، فيقول: دعوني أبشر أهلي، فيقولان له: أنت كما أنت، ثم يضرب على أذنيه فيكون كرقدة العروس، ويفسح له في قبره، وأما الكافر فإن الملكين يدخلان عليه بغلظة ويسألانه فيقول: لا أدري، فيقولان له: لا دريت، ثم يضربانه بمرزبة من حديد، ويفتحان له بابًا من الجنة، ويقولان: لو صدقت لكان مصيرك إليها، ويفتحان له بابًا من النار فيرى مقعده فيها، ثم يضيق عليه قبره»، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بلا إله إلّا الله ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧] أي في القبر إذا سئل عنها، وقيل: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: في القبر، عن ابن عباس، وقتادة، والأصم، وعن البراء بن عازب، وعكرمة، وأبي سعيد الخدري، والمسيب بن رافع، والربيع بن أنس، وطاوس.

وعن عكرمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر عذاب القبر فقال أصحابه:

---

(٣٠٦) في م ي: ولهم. وما أثبتناه من المصحف.

(٣٠٧) في م ي: ورضي. وما أثبتناه من المصحف.

(٣٠٨) هذه النار التي لو كنت: لو مصيرك إلى هذه، فيقول، م ي.

هلكنا، فقال: «كلا إنكم تبعثون على ما تموتون عليه، ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾ الآية [إبراهيم:٢٧]».

وقال أبو علي الجبائي: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في الثواب والكرامة لأجل قولهم الثابت الذي هو التوحيد والطاعة جزاء [لهم]. كذلك قال القاضي عبدالجبار، وهذا هو الصحيح لوجهين: أحدهما: أن سؤال القبر لا في الدنيا ولا في الآخرة(٣٠٩)، والثاني: لو يريد به ذلك(٣١٠) لكان يقول: يثبت الله الذين آمنوا على القول، قال: ولسنا ننكر ما روي في الخبر، ولكننا ننكر أن يكون هو المراد بالآية.

وقال أبو مسلم: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ والتثبيت في الآخرة: إسكان الجنة، والقول يعني جزاء لهم على التمسك بالإيمان.

قال القاضي: فإن قيل: أليس قد روى علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه(٣١١) تمثل بالآية عند ذكر عذاب القبر؟ قيل له: أراد بذلك أن يذكر ما القول الثابت وذلك صحيح، فيجب حمل الآية إما على ما قاله أبو علي، أو على ما قاله أبو مسلم.

وقال غيره: الآية محتملة لعذاب القبر، وتقديره: يثبت الله المؤمنين على إيمانهم بألطاف، ثوابًا لهم لقولهم الثابت، وفي الآخرة عند سؤال منكر ونكير فيهديه لأجل إيمانه، والاعتراض الأوّل ليس بصحيح؛ لأن القبر أول منزل(٣١٢) للآخرة، لأن [الموت أول] أحكام الآخرة، ولهذا روي في الخبر «أول منزل من منازل [الآخرة](٣١٣)»، والاعتراض الثاني لا يصح لوجهين: أحدهما: أن تكون الباء بمعنى (على)، والثاني: أن يكون تقدير الكلام: يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا على إيمانهم، وفي القبر على جوابهم جزاء لإيمانهم وقولهم الثابت، مع ما تظاهر الخبر به عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أنه في القبر.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا دفن المقبور أو أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا

(٣٠٩) لا في الدنيا ولا في الآخرة: في الدنيا والآخرة، م ي.
(٣١٠) به ذلك: بذلم، م ي.
(٣١١) أنه: أن، ي.
(٣١٢) أول منزل: يبنى، م ي.
(٣١٣) انظر سنن الترمذي ٤/ ١٣٠.

الرجل؟ فيقول: عبد الله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلّا الله، فيقولان: لقد كنا نعلم أنك تقول هذا، فيفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلّا أحب أهل بيته إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال[٣١٤]: لا أدري سمعت الناس قالوا شيئًا فقلته، فيقولان: لقد كنا نعلم أنك تقول هذا، فيقال للأرض: التئمي[٣١٥] عليه، فتلتئم[٣١٦] عليه فتختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

أمية بن الوليد، عن صفوان قال: حدثنا راشد قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «تعلموا حجتكم فإنكم مسؤولون»، حتى إنه[٣١٧] كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل منهم الموت فيوصونه، والغلام إذا عقل فيقولون له إذا سألوك: من ربك؟ فقل: الله ربي، وإذا قالوا: ما دينك؟ فقل: الإسلام ديني، فإذا قالوا: من نبيك؟ فقل: محمد عليه السلام.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمر بن الخطاب: «كيف بك يا عمر إذا رأيت منكرًا ونكيرًا يقولان لك: من ربك، وما دينك»؟ فقال: يا رسول الله أوعقلي معي؟ قال: «نعم»، قال: إذن لا أبالي.

وعن الحسن بن المثنى: رأيت زيد بن هارون في النوم بعد موته فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب، فقال: هكذا بأبناء الثلاث والثمانين، وقال: لم كتبت عن جرير[٣١٨] بن عثمان؟ قلت: كان ثقة، قال: بلى ولكن يبغض علي بن أبي طالب فأبغضه، فقلت: يا أبا خالد منكر ونكير حق؟ قال: إي ورب الكعبة، أتياني وأجلساني وقالا: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فقلت لهما: أما تستحيان مني تسألاني فأنا أعلّم الناس منذ خمسين سنة شهادة[٣١٩] أن لا إله إلّا الله، فقالا: صدقت، نمْ نومة[٣٢٠] العروس فلا هم عليك ولا بؤس.

---

(٣١٤) قال: فقال، م ي.

(٣١٥) التئمي: التامي، م ي.

(٣١٦) فتلتئم: فلتام، م ي.

(٣١٧) إنه: إن، م ي.

(٣١٨) جرير: حدير، م ي. بحار الأنوار للمجلسي ٣٩/ ٢٦١.

(٣١٩) شهادة: بشهادة، م ي.

(٣٢٠) نمْ نومة: ثم نومة، م ي.

أبو يزيد البسطامي[٣٢١] قال: إذا قال لي الملكان: من ربك؟ قلت لهما: سلا ربي من عبدك.

وعن الصادق عليه السلام: يسأل المؤمنَ مبشرٌ وبشير، ويسأل الكافرَ منكرٌ ونكير.

فصل في الصبر على المصيبة

هاهنا ثلاثة فصول:

أحدها: الصبر على المصيبة وفضله.

وثانيها: البكاء على الميت وشرائطه.

وثالثها الجزع وما جاء في ذلك.

مبحث في الصبر على المصيبة وفضله

أما الصبر على المصيبة: فقد قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ..﴾ الآية [البقرة:١٥٥].

ويقال: لله مع عبده خمسة أشياء، فينبغي أن يقابل العبد تلك الخمسة بخمسة حتى يجازيه الله على ذلك بخمسة.

أما الخمسة الأولى: فالأمر، والنهي، والنعمة، والمحبة، والقضاء.

فأما الخمسة التي يجب أن يقابل بها: فيقابل الأمرَ بالامتثال والإقدام، والنهيَ بالانتهاء والإحجام، والنعمةَ بالشكر والثناء، والمحبةَ بالصبر والدعاء، ويقابل القضاء بالاستسلام والرضا.

فأما الخمسة التي يجازي الله تعالى بها: فعلى الامتثال[٣٢٢] الجنة ﴿[إِنَّ] ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧].

وفي الانتهاء: يقيهم الله ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان:١١]، ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الدخان:٥٦].

(٣٢١) البسطامي: السبطاني، ي.
(٣٢٢) الامتثال: امتثال، ي.

وفي الشكر: زيادة النعمة ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

وفي الصبر: الهداية، والصلاة، والرحمة.

وفي الرضا بالقضاء: الرضا عنهم.

وروى أبو هريرة عن النبي عليه السلام: «أربع من كن فيه [بنى الله له بيتا في الجنة: المعتصم بالله لا يشك فيه] ، ومن إذا عمل حسنة سرته، وإذا عمل سيئة ساءته واستغفر الله منها، فإذا إصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون».

الحسن: ما من جرعتين أحب إلى الله من جرعة مصيبة ردها صاحبها بحسن عزاء وصبر، وجرعة غيظ ردها بحلم.

علي قال للأشعث: إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور.

حميد عن أنس قال: مرض ابن لأبي طلحة فراح إلى المسجد وتوفي الغلام، ورجع أبو طلحة ومعه أناس من أهل المسجد، فقال: ما فعل الغلام؟ فقالت أم سليم: خير مما كان، فتعشى هو وأصحابه، فلما آوى إلى فراشه قامت إلى ما تقوم المرأة، فلما كان آخر الليل قالت: يا أبا طلحة ألم تر إلى فلان استعار عارية فتمتعوا بها فلما طلبت منهم شق عليهم ذلك؟ فقال أبو طلحة: ما أنصفوا، فقالت: إن ابنك كان من الله عارية فقبضها، فاسترجع أبو طلحة ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحدثه بحديثه، فقال: «بارك الله في ليلتكما هذه». قالت: فحملت بعبد[٣٢٣] الله بن أبي طلحة.

وروى أبو يحيى البزّاز بإسناده عن حماد بن سلمة، عن أبي سنان قال: دفنت ابني سنانًا وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر جالس، فلما أخذت الخروج أخذ بيدي وقال: ألا أبشرك؟ فقلت: بلى، قال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك وشكرك واسترجع، فقال: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسموه بيت الحمد».

(٣٢٣) بعبد: بعد، ي.

أنس قال: يقول الله تعالى: إني إذا وجهت إلى عبد من عبادي مصيبة في أهله وبدنه وولده فاستقبل ذلك بصبر جميل، استحيت منه يوم القيامة أن أنشر له ديوانًا أو أنصب له ميزانًا.

يحيى بن أبي كثير: رأيت رجلًا بالبادية دفن في يوم واحد ثلاثة من ولده وجلس(٣٢٤) في نادي قومه كأنه(٣٢٥) افتقد ثلاثة أعنُز، فقيل له في ذلك، فقال: ليسوا في الموت ببدع(٣٢٦)، ولا أنا في المصيبة بأوحد، ولا جدوى في الجزع، فعلام تلومونني(٣٢٧).

ونعى رجل إلى صلة بن أشيم(٣٢٨) أخاه وهو يأكل، فقال: اقترب من الطعام، فقال: مات أخوك، فقال: قد نعي إلي أخي منذ حين، قال: كيف وأنا أول ناع؟ قال: قد نعاه إلي ربي حيث يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وأصيب عبد الله بن المبارك بمصيبة، فعزاه مجوسي فقال: ينبغي للعاقل أن يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابن المبارك: اكتبوا هذا عنه.

حاتم الأصم: إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه(٣٢٩) فعزيته فقد أشركته(٣٣٠) في الإثم، وإنما هو [صاحب](٣٣١) منكر يحتاج أن يُنْهَى.

قال: وجاءت امرأة ببعير يوم أحد فأناخته وحملته ثلاثة رجال، فمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «من هؤلاء»؟ فقالت: ابني وزوجي وأخي، فما لي يا رسول الله إن صبرت؟ فقال: «إن صبرت فلك الجنة»، قالت: إذًا لا أبالي.

ونعي إلى ابن عباس بنت له فقال وهو في سفر: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر قد ساقه الله، ثم نزل فصلى ركعتين، قال: صنعنا ما أمرنا الله به: استعينوا بالصبر والصلاة.

أنس قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها:

---

(٣٢٤) جلس: هو، م ي.
(٣٢٥) كأنه: لأنه، م ي.
(٣٢٦) ببدع: ببديع، ي.
(٣٢٧) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ٢/ ١٧٢، والذخائر والعبقريات ٢/ ٤١.
(٣٢٨) أشيم: أسيم، ي. حلية الأولياء ٢/ ٢٣٨.
(٣٢٩) خرق ثوبه: تحرق، م ي. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ٣٣٩.
(٣٣٠) أشركته: شركته، م ي. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ٣٣٩.
(٣٣١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ٣٣٩.

«اتقي الله واصبري»، فقالت ما تبالي[٣٣٢] أنت مصيبتي، فلما قيل: إنه رسول الله، فأخذها مثل الموت، فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت: لم أعرفك يا رسول الله، فقال: «إن الصبر عند الصدمة»، أو قال: «عند أول صدمة».

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «قال ربكم: ما من عبد أذهبت كريمته فصبر واحتسب إلّا جعلت ثوابه الجنة».

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أخبرني جبريل أن الله تعالى يقول: إذا وجهت إلى عبد...» الخبر وقد مر.

وعن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الصبر ثلاثة: صبر على المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن[٣٣٣] المعصية، [فمن صبر على المصيبة][٣٣٤] حتى يردها[٣٣٥] بحسن عزاء كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة ما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم[٣٣٦] الأرض إلى منتهى العرش، ومن صبر عن المصيبة كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم[٣٣٧] الأرض إلى منتهى العرش مرتين».

ثوبان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بخٍ بخٍ لخمس، ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلّا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أتى أحدكم وفاة أخيه فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلف عقبه في الغابرين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده».

وروت أم سلمة قالت: قال أبو مسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، اللهم أبدلني

---

(٣٣٢) تبالي: يبالي، م ي. انظر صحيح مسلم ٢/ ٦٣٧ .
(٣٣٣) عن: على، م ي. انظر كنز العمال ٣/ ٢٧٣.
(٣٣٤) +: كنز العمال ٣/ ٢٧٣.
(٣٣٥) يردها: يرده، م ي. اكنز العمال ٣/ ٢٧٣.
(٣٣٦) تخوم: نجوم، ي. كنز العمال ٣/ ٢٧٣.
(٣٣٧) تخوم: نجوم، ي. كنز العمال ٣/ ٢٧٣.

بها ما هو خير لي منها، إلّا أعطاه الله ذلك»، قالت أم سلمة: فحفظتها، فلم يلبث أن مرض أبو سلمة وعاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما مات جعلت أسترجع وأقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أحتسب مصيبتي هذه، اللهم أبدلني خيرًا من أبي سلمة، فأردت أن أقول وأبدلني[٣٣٨] بأبي سلمة من هو خير منه فلم ينشرح[٣٣٩] صدري وكنت أقول[٣٤٠]: ومن خير [من] أبي سلمة، وجعلت[٣٤١] أرددها، ثم قلتها رجائي تصديق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما انقضت عدتي خطبني وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان فيهم أبو بكر،/فرددتهم حتى بعث إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطبني، فقلت: مرحبًا برسول الله ورسول رسوله، إن رسول الله لا يقرع أنفه.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاد أبا سلمة، فوافق ذلك خروج نفسه، فبكى النساء، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تدعن على أنفسكم إلّا بخير، فإن الملائكة يحضرون الميت فيؤمّنون على ما قالوا»، ثم قال: «اللهم افتح له في قبره، وعظم نوره، واغفر لنا وله يا رب العالمين».

وعن أسامة بن زيد قال: كنا قعودًا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتاه رسول من [إحدى][٣٤٢] بناته وقال: إن فلانة تزعم أن صبيًا لها يموت، فقال عليه السلام: «اذهب فقل لها: إن لله تعالى ما أَخَذَ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب[٣٤٣]».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من مسلم تصيبه مصيبة وإن قدم عهدها فيحدث لها استرجاعًا إلّا أعطاه الله تعالى ثواب مصيبته يوم أصيب بها»، رواه سعيد بن المسيب، «[وإن] استرجع بعد أربعين سنة أعطاه الله ثواب مصيبته[٣٤٤] يوم أصيب بها»، رواه سعيد بن المسيب.

وبكت فاطمة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تبكي يا بنية وقولي: إنا لله وإنا إليه راجعون، فإن لكل إنسان بها من كل مصيبته عوضًا»، قالت: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني».

(٣٣٨) وأبدلني: فأبدلي، م ي.
(٣٣٩) فلم ينشرح: فلا تشرح، م ي.
(٣٤٠) وكنت أقول: فأقول، م ي.
(٣٤١) فجعلت: وجعلت، م ي.
(٣٤٢) انظر البخاري في الصحيح ٨/ ١٢٣، ٩/ ١٣٣، ٩/ ١١٥.
(٣٤٣) فلتصبر ولتحتسب: فليصبر وليحتسب، ي. انظر البخاري في الصحيح ٨/ ١٢٣، ٩/ ١٣٣، ٩/ ١١٥.
(٣٤٤) مصيبته: مصيبة، م ي. مسند الحارث ١/ ٣٦٣.

أبو بكر بن أبي مريم قال: سمعت أشياخًا يقولون: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أهل المصيبة لتنزل بهم المصيبة فيجزعون، فيمرّ[٣٤٥] بهم مارٌّ من الناس فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فيكون فيها أعظم أجرًا من أهلها».

مبحث في الجزع عند المصيبة وما جاء في ذلك

فأما الجزع: فقد قال الله تعالى: ﴿[إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا][٣٤٦]..﴾ إلى قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج: ١٩، ٢٠].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أصابته مصيبة فخرّق[٣٤٧] عليها جيبا[٣٤٨] خرّق[٣٤٩] الله عليه دينه، ومزقه كل ممزق، ومن لطم خدًا حرم الله عليه النظر إلى وجهه، فإن دعا ويلًا حجب الله دعاءه، فلا يسمع دعاءه، ولا ينظر إليه في المرحومين حيًا ولا ميتًا، فإن أقام عليها مأتمًا كان حقًا على الله أن يسوقه والنائحة وأهل المصيبة أجمعين إلى النار».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى، وعظم الأجر على قدر المصيبة، ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها».

يحيى بن جابر قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما يحبط الأجر على المصيبة؟ قال: «أن يصفق[٣٥٠] الرجل بيمينه[٣٥١] على شماله، والصبر عند الصدمة الأولى».

عن أم سلمة قالت: لما مات أبو سلمة قلت: غريب في أرض غريبة لأبكين عليه بكاء يتحدث به، فلما تهيأت للبكاء إذ امرأة تريد أن تأتيني، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أتريدين أن تدخلي الشيطان بيتًا قد أخرجه الله عنه»، قالت: فكففت عن البكاء.

(٣٤٥) فيمرّ: فتمر، م ي. الزهد والرقائق لابن المبارك ٢/ ٢٨.
(٣٤٦) في م ي: خلق الإنسان هلوعا. وما أثبتناه من المصحف.
(٣٤٧) فخرّق: فحرق، م ي. انظر أنس المنقطعين لعبادة رب العالمين ٢/ ٧٢.
(٣٤٨) جيبا: جا، ي. انظر أنس المنقطعين لعبادة رب العالمين ٢/ ٧٢.
(٣٤٩) خرّق: حرق، ي.
(٣٥٠) أن يصفق: صفق، م ي. المراسيل لأبي داود ص٢٩٦.
(٣٥١) بيمينه: يمينه، م ي. المراسيل لأبي داود ص٢٩٦.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعاء الجاهلية».

ابن عمر قال: إذا قبض ملك الموت روح العبد قام على عتبة الباب ولأهل البيت[٣٥٢] ضجة، فمنهم الصاكة وجهها، ومنهم الناشرة شعرها، ومنهم الداعية بويلها[٣٥٣]، فيقول ملك الموت: فيم[٣٥٤] هذا الجزع؟ فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمرًا، ولا أذهبت لأحد منكم رزقًا، ولا ظلمت لأحد منكم شيئًا، فإن كان شكايتكم من سخطكم علي فإني والله مأمور في ذلك، وإن كانت شكايتكم من ميتكم فإنه مقهور[٣٥٥]، وإن كان ذلك على ربكم [فأنتم][٣٥٦] به كفرة، وإن لي فيكم عودة، ثم عودة. قال: فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم.

مبحث في البكاء على الميت

فأما البكاء: فهو على ضربين: مذموم، وممدوح.

روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «النايحة ومن[٣٥٧] حولها من مستمعيها عليهم[٣٥٨] لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

ولما مات الحسن بن الحسن اعتكفت امرأته فاطمة بنت الحسين على قبره سنة، فلما حال الحول أمرت برفع الفسطاط وأنشأت تقول:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

فسمع صوت من جانب: هل وجدوا ما طلبوا؟ فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا.

وعن النبي عليه السلام: «لما مات إبراهيم دمعت عيناه»، فقال عبد الرحمن بن عوف: يا

---

(٣٥٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٥٨.

(٣٥٣) بويلها: ويلها، م ي. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٥٨.

(٣٥٤) فيم: فيهم، ي. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٥٨.

(٣٥٥) مقهور: مغمور، م ي. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٥٨.

(٣٥٦) انظر التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص٢٥٨.

(٣٥٧) من: ما، م ي. معجم الطبراني الكبير ٢/ ٤٢٦، ومسند الشهاب ١/ ٢٠٥.

(٣٥٨) عليهم: فعليهم، م ي. معجم الطبراني الكبير ٢/ ٤٢٦، ومسند الشهاب ١/ ٢٠٥.

رسول الله، أليس قد نهيتنا عن البكاء؟ فقال: «إنما كنت نهيتكم عن صوتين أحمقين فاجرين: [صوت عند نغمة] ، فإنه لهو ولعب، ومزامير الشيطان، وعن خمش الوجوه، وشق الجيوب، ورنة الشيطان، ولكن هذه رحمة جعلها الله في قلوب الرحماء»، ثم قال: «القلب يحزن، والعين تدمع، ولا نفعل ما يسخط الرب»[٣٥٩].

أبو هريرة قال: نظر عمر بن الخطاب امرأة تبكي على ميت، فنهاها، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «دعها يا أبا حفص، فإن العين باكية، والنفس مصابة».

ومر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببني الأشهل وهم يندبون قتلاهم بعد أحد فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن حمزة لا بواكي له»، فلما سمعن بذلك جئن إلى باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهن يبكين حمزة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في البيت «يبكي حتى سمع نشيجه».

وما روي عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الميت يعذب ببكاء أهله». فقد روى القاسم بن محمد أن عائشة روت لنا هذا الخبر فقالت: إن السمع يخطئ ويصيب. وروي عنها في الحديث قالت: وهم أبو عبد الرحمن، إنما قال: «أهل الميت يبكون عليه، وإنه ليعذب».

وتأويل آخر: أنهم كانوا يوصون بالنوح فيعذب[٣٦٠] لأجل ذلك، وأشعارهم تدل على ذلك. قال طرفة:

فـإن مـت فانعيـنـي بمـا أنـا أهلـه ... وشـقِّي علـي الجيـب يـا أم معبـد

وقال بشر بن أبي حازم:

فمـن يـك سـائلًا عـن بيـت بِشْـرٍ ... فـإن لـه بجنـب الـرَّدْه[٣٦١] بابـا
ثـوى فـي ملحـدٍ لا بـد منـه ... كفـى بالمـوت نأيـا واغترابـا
رهيـن بِلًـى وكلُّ فتًـى سـبيلى ... فـأذري الدمـع وانتحبـي انتحابـا

(٣٥٩) شعب الإيمان ١٢/ ٤٣٠.
(٣٦٠) فيعذب: يعذب، ي.
(٣٦١) الرَّدْه: الود، م ي. لسان العرب (بوب) والرَّدَه: نقرة في صخرة أو في جبل يجتمع فيها الماء. انظر جمهرة اللغة (رده).

وتأويل آخر: أنه مر بقبر يهودي يبكون عليه فقال: «إنهم ليبكون عليه وهو يعذب»، فظن الراوي أنه يعذب ببكائهم.

تأويل آخر: أنهم كانوا يبكون عليه ويذكرون صنيعه[٣٦٢] من الغارات والقتل وما أشبهها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هم يبكونه بخصاله وهو يعذب بها».

فصل في المصيبة بموت النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وروى جماعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا أصيب أحدكم بالمصيبة فليذكر مصيبته فيّ، فإنها من أعظم المصيبة».

معاوية بن قرة قال: كان أبو الدرداء إذا أتى قومًا يعزيهم قال: السلام عليكم، صلى الله على محمد وسلم، كان أعز مفقود، عظم الله أجركم.

ثابت، عن أنس قال: لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة[٣٦٣]، فقالوا: قتل محمد، حتى كثر الصراخ، فخرجت امرأة من الأنصار فاسْتقبلت بأبيها وابنها وزوجها وأخيها لا أدري بأيهم[٣٦٤] اسْتقبلت أولًا، فلما مرت على آخرهم قالت: من هؤلاء؟ قالوا: أخوك وأبوك وابنك وزوجك، قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قالوا: أمامك، فمضت حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي إذا سلمْتَ من عطب[٣٦٥].

وخرجت السمراء بنت قيس أخت أبي حازم وقد أصيب ابناها، فعزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: كل مصيبة بعدك جلل، والله لهذا النقع الذي أرى في وجهك أشد علي من مصابهما[٣٦٦].

---

(٣٦٢) صنيعه: رضيعه. م ي.

(٣٦٣) معنى (حاص الناس حيصة): جالوا جولة يطلبون الفرار. تاج العروس (حيص).

(٣٦٤) بأيهم: بأيهما، م ي.

(٣٦٥) معجم الطبراني الأوسط ٧/ ٢٨٠.

(٣٦٦) الكشكول ٢/ ٢٩٠.

وعن علي عليه السلام: لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم هتف هاتف من ناحية البيت يُسمع صوته ولا يُرى شخصه: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم أهل البيت، فردوا عليه السلام، فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، إن في الله خلفًا من كل شيء، وعزاء من كل مصيبة، ودركًا من كل فائت، فبه فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب مَنْ حُرم الثواب.

الأوزاعي قال: دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد نزل به الموت، فتمثلت ببيت أبي طالب:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقولي هكذا، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩]».

الصادق: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرجت صفية متمثلة وهي تقول:

قد كان بعدك أنباء وهَنْبَثَةٌ[٣٦٧] ... لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطبُ
إنا فقدناك فَقْدَ الأرض وابلها ... فاغتيل أهلك لما غالك النوبُ

أبو العتاهية:

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابًا بالنبي محمدِ

البحتري:

إذا شئت أن تستصغر الخطب فالتفت ... إلى سلف بالقاع أهمل نائمه
وفيه النبي المصطفى وعليُّه ... وعباسه والجعفران وهاشمه

وعن الأصمعي قال: لما مات محمد بن سليمان الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن عليه حزنًا شديدًا ولم يطعم مليا، فأنشدته لابن المبارك الثقفي:

لعمري لئن أتبعت طرفك ما مضى ... من الدهر أو ساق الحمام إلى القبر

(٣٦٧) هَنْبَثَةٌ: هنهنة، م ي. البيان والتبيين ٣/ ٢٣٦، والهنبثة: الأمر الشديد. انظر تاج العروس (هنبث).

لتستنفدن[٣٦٨] ماء الشؤون بأسره ولو كنت تمريهن من [ثبج][٣٦٩] البحر
فقلت لعبد الله إذ جدّ[٣٧٠] باكيًا تعز وماء العين منهمر يجري
تبين فلو أن البكا رد هالكًا على أحد فاجهد بكاك[٣٧١] على عمرو
ولا تبك ميتًا بعد ميت أجنه[٣٧٢] علي وعباس وآل أبي بكر

وقال بعضهم:

محن الزمان سحائب مترادفه هي بالقوادح والفواجع ساجمه[٣٧٣]
وإذا الهموم تعاورتك فسلها بمصاب أولاد البتولة فاطمه

فصل في موت الأنبياء

عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كان سليمان نبي الله إذا قام في مصلاه رأى شجرة قائمة فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول كذا، فيقول: لأي شيء أنت؟ فتقول لكذا، فإن كانت لدواء كتبت، وإن كانت لغرس غرست، فبينا هو يصلي يومًا إذ رأى شجرة فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب أهل هذا البيت، فقال سليمان: اللهم غَمِّ على الجن موتي حتى يعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب. ثم مات».

ولما جاء ملك الموت إلى إبراهيم قال: يا ملك الموت ارجع إلى ربي فقل: رأيت خليلًا يقبض روح خليله؟ فقال: يقول الله: هل رأيت خليلًا يكره لقاء خليله؟

ولما توفي موسى كليم الله انحازت الملائكة في السماوات بعضها إلى بعض واضعي أيديهم على خدودهم وقالوا: مات موسى كليم الله، فأين خلق لا يموت.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن داود عليه السلام كان ذا غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فاطلعت امرأته يومًا إلى الدار فإذا برجل وسط الدار،

(٣٦٨) لتستفدن: لتستقدن، م ي. أمالي الزجاجي ١/ ٩.
(٣٦٩) انظر أمالي الزجاجي ١/ ٩.
(٣٧٠) جدّ: خر، م ي. أمالي الزجاجي ١/ ٩.
(٣٧١) فاجهد بكاك: بكاك فاجهد، م ي. أمالي الزجاجي ١/ ٩.
(٣٧٢) أجنه: أحبه، م ي. أمالي الزجاجي ١/ ٩.
(٣٧٣) ساجمه: ساحمه، م ي. بحار الأنوار للمجلسي ٤٥/ ٢٩١.

فقالت: من أين[٣٧٤] دخل هذا؟ والله لنفضحن عند داود، فجاء داود وقال: من أنت؟ قال: أنا الذي لا يهاب الملوك ولا يمنع منه الحجاب، قال: فأنت والله أمين الله ملك الموت. فقبض روحه في موضعه، وطلعت عليه الشمس، فأمر سليمان عليه السلام الطير أن تظله بأجنحتها ففعلت، فأظلمت عليهم الأرض، فأمرها أن تقبض جناحًا وتبسط جناحًا ففعلت»[٣٧٥].

فصل فيما نقش على القبور

عبد الله بن صدقة بن مرداس الكندي قال: نظرت إلى ثلاثة أقبر على شرف من الأرض لثلاثة إخوة ببلاد طرابلس[٣٧٦]، على أحدها مكتوب:

وكيف يلذ العيش من كان عالمًا ... بأن إله الخلق لا بد سائله
فيأخذ منه ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعله

وإذا على القبر الثاني مكتوب:

وكيف يلذ العيش من كان موقنًا ... بأن المنايا بغتة ستعاجله
فيسلبه ملكًا عظيمًا ونخوة[٣٧٧] ... وتسكنه[٣٧٨] البيت الذي هو آهله

وإذا على القبر الثالث مكتوب:

وكيف يلذ العيش من كان صائرًا ... إلى جدثٍ تبلي[٣٧٩] التراب مباهله
فيذهب رسم[٣٨٠] الوجه من بعد نضرةٍ ... ويوهن منه جسمه ومفاصله

فلما نزلت القرية سألت شيخًا جلست إليه عن[٣٨١] قصة القبور، فقال: كان هؤلاء إخوة ثلاثة:

---

(٣٧٤) أين: أنت، م ي. محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٣١٩.

(٣٧٥) انظر محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٣١٩.

(٣٧٦) انظر القصة في شرح كتاب سر الروح للبقاعي ص٧٩، وكتاب التوابين لابن قدامة ص١٤٤، وكتاب إتحاف السادة المتقين ١٤/ ٢٦١.

(٣٧٧) نخوةً: نحوه، م ي. كتاب التوابين لابن قدامة ١٣٩.

(٣٧٨) تسكنه: يسكنه، م ي. كتاب التوابين لابن قدامة ١٣٩.

(٣٧٩) تبلي: يبلي، م ي. كتاب التوابين لابن قدامة ١٣٩.

(٣٨٠) رسم: دسم، ي. كتاب التوابين لابن قدامة ١٣٩.

(٣٨١) عن: من، م ي.

أمير، وتاجر، وزاهد، فحضر أخاهم الزاهد الموت، فاجتمع عنده أخواه وكان الذي يصحب السلطان يلي بلادنا، أمره علينا عبد الملك بن مروان، وكان ظلومًا غشومًا، فقالا: يا أخانا ألا توصي؟ قال: ما لي مال فأوصي فيه، ولا لي دين على أحد، ولا أخلف شيئًا من الدنيا، فبماذا أوصي؟ فقالا: إن لنا مالًا ومالنا بين يديك، فاحكم فيه بما أحببت، فأقبل عليهما وقال: لا حاجة لي في أموالكما، ولكنني سأعهد إليكما عهدًا فلا تخالفاني، إذا مت فادفناني واكتبا على قبري:

وكيف يلذ العيش من كان عالمًا: البيتين ثم ائتياني ثلاثًا في كل يوم لعلكما تتعظان، ومات، ففعلا ذلك، فلما مات كان أخوه يركب في جنوده حتى يقف على القبر فيقرأ(٣٨٢) عليه ويبكي، فلما كان اليوم الثالث جاء أخوه كما كان يجيء مع الجنود وبكى، فلما هم بالانصراف سمع هدة من القبر كاد أن يتصدع [لها] قلبه، فانصرف مذعورًا، فرأى أخاه في المنام ليلته فقال له: يا أخي، ما الذي سمعت من قبرك؟ قال: تلك هدة المقمعة، قيل لي: رأيت مظلومًا فلم تنصره، فأصبح مغمومًا، فدعا بخاصته وقال: ما أرى أخي أراد بما أوصى أن يكتب على قبره غيري، وأنا لا أقيم بين ظهرانيكم، فترك الإمارة وتاب ولزم العبادة، وكتب إلى عبد الملك، فكتب: أن خلوه وما أراد، فكان يأوي الجبال والبراري، فحضرته الوفاة، وبلغ أخاه التاجر، فأتاه وقال: يا أخي ألا توصي؟ قال: وبم أوصي وليس لي مال، ولكن أعهد إليك عهدًا، إذا مت فادفني إلى جنب أخي واكتب على قبري:

فكيف يلذ العيش من كان موقنًا .. البيتين.

ثم تعاهدني وادع الله لي لعل الله يرحمني، فمات، ففعل أخوه ذلك، فلما أراد الانصراف سمع وَجْبَةً(٣٨٣) من قبره كاد يذهب [لها] عقله، فرجع مذعورًا، فلما كان تلك الليلة رأى أخاه في منامه فقال له: أتيت زائرًا؟ قال: هيهات بعد الموت فلا مزار، واطمأنت بنا الدار، قلت: كيف أنت؟ قال: بخير(٣٨٤) ما أجمع التوبة لكل خير، قلت: وكيف أخي؟ قال: ذاك مع الأئمة الأبرار، قال: قلت: فما أمرنا قبلكم؟ قال: من قدم خيرًا وجده، فاغتنم وجدك قبل فقرك. فأصبح أخوه معتزلًا للدنيا، قد انخلع عنها، ففرق ماله وضياعه، وأقبل على العبادة، ونشأ له

---

(٣٨٢) فيقرأ: يتعرى، ي.

(٣٨٣) الوجبة: السقطة مع الهدة. لسان العرب (وجب).

(٣٨٤) بخير: فخير، ي.

ابن كأحسن الشبان وجهًا وجمالًا وكمالًا، وأقبل على التجارة، وحضرت أباه الوفاة، فقال: يا أبة، ألا توصني، فقال: يا بني ما لأبيك مال فيوصي، ولكن سأعهد إليك عهدًا، إذا مت فادفني مع عميك، واكتب على قبري:

وكيف يلذ العيش من كان صابرًا .. البيتين.

ثم تعاهدني بنفسك ثلاثًا، وادع الله لي، ففعل الشاب، فلما كان اليوم الثالث سمع صوتًا اقشعر منه بدنه وتغير لونه، فرجع، فلما كانت الليلة تلك رأى أباه في المنام فقال: يا بني إنك عندنا عن قريب، والأمر جدٌّ(٣٨٥)، والموت أقرب من ذلك، فاستعد لسفرك، وتأهب لرحلتك، وحول متاعك من المنزل التي تظعن عنه إلى المنزل الذي تقيم فيه، ولا تغتر بالذي اغتر به البطالون، فتلك من طول آمالهم وسوء أعمالهم، فندموا عند الموت، فلا الندامة تنفعهم، ولا الأسف أنقذهم، يا بني فبادر ثم بادر.

قال الشيخ: فدخلت على الفتى صبيحة الرؤيا هذه فقص ذلك علينا، وقال: الأمر(٣٨٦) كما قال أبي، فجعل يتصدق بماله ويستحل من الناس ويودعهم كهيئة رجل قد أُنذر بأمر يتوقعه، وكان يقول: قال أبي: بادر ثم بادر [ثم بادر]، فهذه ثلاث، فهي [إما] ثلاث ساعات وقد مضت فليست بها(٣٨٧)، [أو] ثلاثة أيام وأنى(٣٨٨) لي بها؟ [أو] ثلاثة أشهر(٣٨٩) وما أراني(٣٩٠) أدركها، فلم يزل يعطي ثلاثة أيام، فلما كان آخر اليوم الثالث دعا أهله وولده، فسلم عليهم ثم استقبل القبلة وغمض عينيه وشهد شهادة الحق ومات، وكان مكتوبًا على قبره:

ليعتبر الذين رأوا شبابي ... فإن الموت لم يك في حسابي
يزورني الحبيب فلا يراني ... ويدعوني فلا يرجو جوابي
تناساني الأحبة إذا رأوني ... رهين جنادلٍ تحت الترابِ
فمن ير مضجعي فليعتبر بي ... ولا يغتر بعدي بالشبابِ

---

(٣٨٥) الأمر جدٌّ: الأمير تاجر، ي.
(٣٨٦) الأمر: الأمن، م ي.
(٣٨٧) بها: به، ي.
(٣٨٨) أنى: ليت، ي.
(٣٨٩) أشهر: أشهار، ي.
(٣٩٠) أراني: أدري، ي.

وكتب على قبر [بالفارسية]:

بگـو هـر کـو ببینـد گـور مـا را ... مده گو [ش ای] دل [ایـن] دار فنـا را
کـه مـن مهـر از دلـم بیـرون فکنـدم ... نجُسـتم مـن خطـا و ناسـزا را
شـبیخون کـرد بـر مـن مـرگ نـاگاه ... چنـان چـون کـرد بـر کسـری و دارا
مشـو غـرّه بـه خوبـی و جوانـی ... بـه نادانـی مـرو ر[اه] بـلا را

[آخر]:

تمتـع مـن الدنيـا فإنـك لا تبقـى ... وخـذ صفوهـا إن صفـت ودع الرنقـا
ولا تأمنـن الدهـر إنـي أمنتـه ... فلـم يبـق لـي خـلًا ولـم يـرع لـي حقـا
قتلـت صناديـد الرجـال فلـم أدع ... عـدوًا ولـم أمهـل علـى ظهرهـا خلقـا
وأخليـت دار الملـك مـن كل نـازع[391] ... فغربتهـم غربًـا وشـرقتهم شـرقا
فلمـا لمسـت النجـم عـزًا ورفعـةً ... وصـارت رقـاب الخلـق لـي أجمـع رقا
رمانـي الـردى سـهمًا فأخمـد جمرتـي ... فهـا أنـا فـي حفـرة عاجـلا مُلْقـى[392]
ولـم يغـن عنـي مـا جمعـت ولـم أجـد ... لـدى قابـض الأرواح فـي مصرعـي رفقا
فأفسـدت دنيـاي ودينـي سـفاهة ... فمـن ذا الـذي منـي بمصرعـه أشـقى

وكتب على قبر يعقوب بن الليث:

تفكـر بنـا يـا زائـر القبـر واعتبـر ... ولا تـك فـي الدنيـا هديـت بآنـس
ملكـت خراسـانًا وأكنـاف فـارس ... ومـا كنـت عـن ملـك العـراق بآيـس
سـلام علـى الدنيـا وطيـب نسـيمها ... كأن لـم يكـن يعقـوب فيهـا بجالـس

ابن حميد العابد قال: رأيت قبرًا في طريق الشام مكتوبًا عليه:

أيهـا الركـب قفـوا واعتبـروا ... ثـم ارحلـوا إن شـئتم فاذكـروا
كـم رأيتـم ورأينـا مـن أنـا ... س عمـروا بعـد نعيـم قبـروا

وكتب على قبر:

أنـا فـي القبـر وحيـد ... قـد تبـرا الأهـل منـي
أسـلموني بذنوبـي ... خبـت إن لـم تعـف عنـي

---

(٣٩١) نازع: بارع، ي. انظر البداية والنهاية ١١/ ١٠٦.
(٣٩٢) مُلْقى: ملقا، ي.

وكان مكتوبًا على قبر الموفق:

فلا يشمت الأعداء منا بموتنا ... فإن المنايا قد أصبن محمدا
وقل للعداة الشامتين بموتنا ... تهيئوا[٣٩٣] فإن الموت يأتيكم غدا

وكتب على جدار قبره:

الموت أفنى من مضى ... والموت يفني من بقي
والموت يجمع في الثرى ... بين المنعم والشقي

وكتب على قبر ابن عباس رضي الله عنه:

هذا منازل أقوام عهدتهم ... في ظلِّ عيشٍ أنيق ما له خطرْ
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا ... إلى القبور فلا عين ولا أثرْ

وكتب على قبر:

إذا ما الدهر جر على أناس ... حوادثه أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

مالك بن دينار: قرأت على قبر بالشام:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال[٣٩٤] فلم تنفعهم القلل
فاستنزلوا بعد عزٍّ من معاقلهم ... وأُسكنوا حفرًا يا بئس ما نزلوا[٣٩٥]
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طال ما أكلوا دهرًا وما نعموا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا[٣٩٦]

ورئي مكتوب على قبر: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ۞ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص:٦٧، ٦٨]، ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٨].

---

(٣٩٣) تهيئوا: تهيون، م ي.

(٣٩٤) الرجال: الرقاب، م ي. انظر مستدرك سفينة البحار ٥/ ٤٨٧.

(٣٩٥) نزلوا: نزل، م ي. البداية والنهاية ١١/ ١٥.

(٣٩٦) أكلوا: أُكِلُ، ي. انظر البداية والنهاية ١١/ ١٥.

وكتب على قبر:

عشت دهرًا في سرور ونعيم واعتباط
ثم صار القبر بيتي وثرى الأرض بساطي

وكتب على القبر:

يا واحدًا لست بناسيه نعى إلي الدهر ناعيه
والله ما كنت أرى أنني أقوم في الناس أبكيه
والله لو تقبل لي فدية لكنت بالمهجة أفديه
عاذلتي في جزعي(٣٩٧) أقصري قد غلق(٣٩٨) الرهن بما فيه

ورثي على قبر بالأهواز:

دفنتك في القبور فلم أزرها كأني قد دفنت بها عدوا
وأعجب منك أنك كل يوم تزيد بلى أزيد به سلوا

فصل فيما وجد على الأحجار وغيرها

ابن عباس في قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢]، قال: لوح من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبًا لمن يعرف الموت كيف يفرح، عجبًا لمن يعرف النار كيف يضحك(٣٩٩)، عجبًا لمن عرف الدنيا وتحولها بأهلها كيف يطمئن إليها، عجبًا لمن يؤمن بالقضاء والقدر كيف ينصب في طلب الرزق، عجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يعمل الخطايا، لا إله إلّا الله محمد رسول الله. وعن أبي سلمة والحسن نحو(٤٠٠) ذلك.

وكان مكتوبًا في بلاد الشام على عمود:

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل النعيم من ملك قد انقضى ملكه إلى ملك
وملك ذي العرش دائم أبدًا ليس بفانٍ ولا بمشترك

(٣٩٧) جزعي: جزع، م ي. بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/ ١٩٣٦.
(٣٩٨) غلق: علق، م ي. بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/ ١٩٣٦.
(٣٩٩) يضحك: يضحكن، م ي.
(٤٠٠) نحو: بنحو، م ي.

إبراهيم بن أدهم:

كل حـي إن بقـي فمـن المـوت يستقي
فاعمـل اليـوم واجتهـد واحـذر المـوت يـا شـقي

وقرأت على محراب:

إنمـا الفـوز والغنـى طاعـة الله والتقـى

ورئي مكتوبًا على قصر بالحجاز:

بـالله ربـك كـم بيـت مـررت بـه قـد كان يعمـر باللـذات والطرب
طـارت عقـاب المنايـا فـي جوانبه فصـار مـن بعدهم للويـل والخرب

وكتب أبو العباس الضبي على باب الصاحب:

أيهـا البـاب لـم عـلاك اكتئـاب أيـن ذاك الحِجَـابُ والحُجّـاب؟
أيـن مـن كان يفـزع الدهـر منـه فهـو اليـوم فـي التـراب تـرابُ

وكتب على حائط:

عجبـت لأرض علـى ظهرهـا قصـور وفـي البطـن منهـا قبـور
أميـر علـى منبـر فاخـرٍ[٤٠١] وكأس المنايـا عليـه يـدور[٤٠٢]

قال محمد بن الحسن: رأيت على صخرة في طريق مكة:

قـل للـذي يرجـو البقـاء وقـد يـرى أحـوال هـذا الركـب كيـف يصيـرُ
تـزود مـن الدنيـا فإنـك ظاعـنٌ وإنـك مثـل الركـب سـوف تسير

مكتوب على قبر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام:

المـوت بحـرٌ غالـب موجـه تذبـح فيـه حيلـة السابح
يـا نفـس إنـي قائـلٌ فاسـمعي نصيحـة مـن مشـفق ناصح
مـا ينفـع الإنسـان فـي قبـره سـوى التقـى والعمـل الصالح

(٤٠١) فاخرٍ: فاجرٌ، م ي. انظر الاعتبار وسلوة العارفين ١/ ١٥٥.
(٤٠٢) يدور: تدور، م ي. انظر الاعتبار وسلوة العارفين ١/ ١٥٥.

ولم يسمع أحسن من بيتين كتبا على قبر عبد الله بن جعفر عليهما السلام:

مقيم إلى أن يبعث الله خلقه — لقاؤك لا يُرجى وأنت قريب
تزيد بِلًى في كل يوم وليلةٍ — وتُنسى كما تبلى وأنت حبيبُ

وقرئ على حائط في طريق مكة:

كأني بأصحابي على حافتي قبري — يهيلون من فوقي وأدمعهم تجري
ستنسون أيامي إذا ما رجعتمُ — وغادرتموني تحت زاوية قَفْرِ[٤٠٣]

فزيد فيه:

ألا أيها المذري علي دموعه — ستقصر في يومين عني وعن ذكري
عفا الله عني يوم أصبح ثاويًا — أزار فلا أدري وأُجْفَى فلا أدري

وقرئ على حائط بعض الأكاسرة[٤٠٤]:

اصبر لدهر نال منـ — ـك فهكذا مضت الدهور
فرحًا وحزنًا مرة — لا الحزن دام ولا السرور

فصل في المراثي

أبو تمام:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر — وليس لعين لم يفض[٤٠٥] ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد — وأصبح في شغل عن السفر السفْرُ
كأن بني نبهان يوم وفاته — نجوم سماء خر من بينها البدرُ

عبيد الله:

العين مسفوحة تذري مآقيها — والنفس تنهض مني في تراقيها
لبقعةٍ ما رأت عيني كقلتها — ولا ككثرة أحباب ثووا فيها

(٤٠٣) زاوية قَفْرٍ: روبة قفري، ي. انظر مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ص٥٠٢.
(٤٠٤) العقد الفريد ٢/ ٢٧٩.
(٤٠٥) يفض: يعض، ي. انظر التذكرة الحمدونية ٤/ ٢٤٣.

آخر:

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرقٌ ولا مغرب إلّا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفه على الناس حتى غَيَّبَتْه الصفائح
كأن لم يمت حيًّا سواك ولم يقم على أحد إلّا عليك النوائح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تَغِضْ[٤٠٦] فحسبك مني ما تجن الجوانح
لئن حسُنتْ فيك المراثي وذِكْرُها لقد حسُنتْ من قبل فيك المدائح

آخر:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحِمَام أصابكم عتبتُ ولكن ما على الموت معتب

آخر:

إذا ما دعوتُ الصبر بعدك والبكا أجاب البكا طوعًا ولم يجب الصبر
فلا ينقطع مني الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

آخر:

أنعي فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعي بموجود
أنعي فتى مَصَّ الثرى بعده بقية الماء من العود

آخر:

وقد كنت أرجو أن أملاك حقبة[٤٠٧] فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا ليمت من شاء بعدك إنما عليك من الأقدار كان حذاريا

آخر:

إخوتي لا تبعدوا أبدًا وبلى والله قد بعدوا
كل من يمشي على قدمٍ يرد الحوض الذي وردوا

---

(٤٠٦) تَغِضْ: تغص، ي.

(٤٠٧) أملاك حقبة: أمليك خفية، م ي. انظر الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٩٤.

آخر:

نفسي فداؤك من رهين ثرى لا شك أنك من غد تخفى
فالصبر يشفيني عواقبه لكن فيض مدامعي أشفى

الميكالي يرثي أبا بكر البخاري:

يا بؤس للدهر أي خطبٍ دها به الناس في ابن حامد
قد استوى الناس إذ تولى فما يُرى موقف لحامد
يبكي على فقْدِهِ ثلاثٌ العلم والزهد والمحامد

آخر[٤٠٨]:

عمت فواضله فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
والناس مأتمهم عليه واحد في كل دارٍ رنة وزفيرُ

آخر:

كنا كأنجم ليل وسطنا قمر يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

الرضي:

ولو أن حيًّا كان قبرًا لميت لصيَّرْتُ أحشائي لأعظُمه قبرا
ولو أن دهري كان طَوْعَ مشيئتي وساعدني المقدورُ قاسَمْتُه العمرا
بنفسي ثرىً ضاجعْتَ في تُرْبِهِ البِلَى لقد ضَمَّ منك الغيثَ والليثَ والبدرا

آخر:

أصلي وفرعي فارقاني معًا واجتث من حبلهما حبلي
فما بقاء الغصن في ساقه بعد ذهاب الفرع والأصلِ

آخر:

كفى حزنًا بدفنك ثم إني نفضت تراب قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظاتٌ وأنت اليوم أوعظ منك حيا

---

(٤٠٨) الكامل في اللغة والأدب ٤/ ٢٥.

آخر:

أخ طال ما سرني ذكره فأصبحت أشجى لدى ذكره
وقد كنت أغدو إلى قصره فأصبحت أغدو إلى قبرهِ

المتنبي(٤٠٩):

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعْتُ منه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أَمَلًا شرقْتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي

وله:

سالمُ أهلِ الوداد بعدهم يَسْلَمُ(٤١٠) للحزن لا لتَخْليدِ
فما تُرَجِّي النفوس من زمن أحمدُ حَالَيْهِ غير محمود

أبو تمام:

كأن الذي خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا
أمسى المرجّى أبو علي موسدًا في الثرى دفينا
حين(٤١١) استوى وانتهى شبابًا وصدق الرأي والظنونا
أُصِبْتُ(٤١٢) فيه وكان حيًا على المصيبات لي معينا

آخر:

وفتى كأن جبينه قمر الدجى قامت عليه نوادب(٤١٣) وروامسُ(٤١٤)
غرس الفسيل مؤمِّلًا(٤١٥) لبقائه فنجا الفسيل ومات عليه الغارس

---

(٤٠٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ١/ ١٥٣.
(٤١٠) يَسْلَمْ: تسلم، م ي. شرح شعر المتنبي للإقليلي ١/ ٢٨٦.
(٤١١) حين: حتى، م ي. نهاية الأرب في فنون الأدب ٥/ ٢١٥.
(٤١٢) أُصِبْتُ: أصيب، م ي. نهاية الأرب في فنون الأدب ٥/ ٢١٥.
(٤١٣) نوادب: روائح، م ي. العقد الفريد ٣/ ٢٤٣.
(٤١٤) الروامس: الرياح الدوافن للآثار. انظر لسان العرب (رمس).
(٤١٥) مؤمل: مؤمِّلًا، م ي. انظر العقد الفريد ٣/ ٢٤٣.

أبو الفتح(٤١٦):

لا در در نوازل الأحداث نقلت أحبتنا إلى الأجداث
فغدت مآنسنا وهن مقابرٌ وغدت مدائحنا وهن مراثي

منصور الفقيه:

ماذا أرتْنا(٤١٧) الليالي ما ذا [أتين](٤١٨) إلينا
في كل يوم نعزَّى بِمَنْ يَعِزُّ علينا

أبو فراس(٤١٩):

قولا لهذا السيد الماجد قَوْلَ حزينٍ مثله فاقد
كن المعزَّى لا المعزَّى به(٤٢٠) إن كان لا بد من الواحد

آخر:

ألامُ إذا ذكرْتُك فاستهلّتْ(٤٢١) غروب الدمع يتبعها الغروب
ولو أن الجبال فَقَدْن إلْفًا لأوشك جامد منها يذوب

آخر:

وإني لفي الدنيا إذا ما ذكرته لأحسد نفسي أن أمتع بالعمرِ
وأستحسن الحسن الذي ليس نافعي عليه وأستحيي لنفسي من الصبر

ابن المعتز:

ياذا الذي دفن الأحبه وهو مكتئب عميد
أتريد أن تبقى ويبقى من تحب(٤٢٢) فذا خلود

(٤١٦) يتيمة الدهر ٤/ ٣٧٨.
(٤١٧) أرتْنا: يزين، م ي. الدر الفريد وبيت القصيد ٨/ ٢١٢.
(٤١٨) الدر الفريد وبيت القصيد ٨/ ٢١٢.
(٤١٩) نهاية الأرب في فنون الأدب ٥/ ١٦٧.
(٤٢٠) به: له، ي. نهاية الأرب في فنون الأدب ٥/ ١٦٧.
(٤٢١) استهلّتْ: استقلت، م ي. الموازنة بين أبي تمام والبحتري ٣/ ٤٧٩.
(٤٢٢) تحب: يحب، ي.

وتوفي المهلب بخراسان بمرو الروذ[٤٢٣]، فقال نهار بن توسعة[٤٢٤]:

ألا ذهب الغزو[٤٢٥] المقرب للغنى ومات الندى والحزم بعد المهلب
أقام بمرو الروذ[٤٢٦] رهن ترابه[٤٢٧] وقد غيبا عن كل شرق ومغرب

فلما ولي قتيبة بن مسلم الباهلي دخل عليه نهار فقال: أنت القائل: ألا ذهب الغزو[٤٢٨]؟ فقال: أنا الذي أقول:

ما كان مُذْ كُنَّا ولا كان قبلنا ولا هو فينا كائن كابن مُسْلِمِ
أعم لأهل الشرك قتلًا بسيفه وأقسم فينا مغنمًا بعد مغنم

فقال: إن شئت فأقلّ، وإن شئت فأكثر، فلا خير لك عندي.

فلما ولي يزيد بن المهلب خراسان أتاه نهار وقال:

فإن يك ذنبي يا قتيبة أنني بكيت امرءًا قد كان في المجد أوحدا
أبا كلِّ مظلوم ومن لا أبًا له وغيث مغياث أطلن التلددا
فشأنك إن الله إن سُؤْتَ[٤٢٩] محسنٌ إليَّ إذا أبقى يزيد ومخلدا

فقال: احتكم[٤٣٠]. فاختار مائة ألف فأعطاه.

روى ابن دريد بإسناده عن عمر أنه مر بأعرابي في بعض طرق المدينة فقال: من أين؟ قال: من عند وديعة لي في هذا الجبل، قال: وما وديعتك؟ قال: بني لي دفنته منذ سنين، ففي كل يوم أزوره وأندبه، فقال عمر: أسمعني بعض ذلك، فقال:

يا غائبًا لا يؤب من سفره عاجله موته على صغره
يا قرة العين كنت لي أنسًا في طول ليلي نعم وفي قصره

(٤٢٣) بمرو الروذ: بمور والرود، م ي. لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص٣١.
(٤٢٤) توسعة: موسعة، م ي. لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص٣١.
(٤٢٥) الغزو: العز، ي. انظر لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص٣١.
(٤٢٦) الروذ: الرود، ي. انظر لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص٣١.
(٤٢٧) ترابه: ثوابه، ي.
(٤٢٨) الغزو: العز، ي.
(٤٢٩) إن سُؤْتَ: سوف، ي. انظر أمالي القالي ٢/ ١٩٩.
(٤٣٠) احتكم: حكم، ي. انظر أمالي القالي ٢/ ١٩٩.

ما وقع العين أينما وقعت ... في الحي مني إلّا على أثره
شربت كأسًا أبوك شاربها ... لا بد من شربها على كبره
يشربها والأنام كلهم ... من كان في بدوه وفي حشره
فالحمد لله لا شريك له ... في علمه كان ذا وفي قدره
قد قسم الموت في العباد فما ... يقدر خلق يزيد في عمره

فبكى عمر رضي الله عنه.

آخر:

أحسن عزاك عن أخيك فإنما ... سلك الزمان به سبيل الناس

العياني:

وعُوِّضتَ أجرًا من فقيدٍ فلا يكن ... فقيدُك لا يأتي وأجْرُك يَذْهَبُ

علي بن الجهم:

انظروا هل ترون إلّا دموعًا ... شاهداتٍ على قلوبٍ دوامي
من يداوي الدنيا ومن يكلأ الـ ... ـملك ومن للمشيبات العظامِ
نحن متنا بموته وأجلُ الخطـ ... ـب موت السادات والأعلام

آخر في ابن له:

غمضته ومددته ... بيدي ألا بانت يميني
كفنته ودفنته ... بأبي وأمي من دفيني

المتنبي:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبالِ
فصِرْتُ إذا أصابتني سهامٌ ... تكسرت النصال على النصال

آخر:

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت ... حميمك فاعلم أنها ستعود

آخر:

أيّ خير يرجو[٤٣١] بنو الدهر من الدهر وما زال قاتلًا لبنيه

مَنْ يعمر يفجع بفقد الأخلا ء ومن مات فالمصيبة فيه

البحتري:

ولا عجبٌ للأسدِ إن ظفرتْ بها كلابُ الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشي سقتْ حمزة الردى وموت علي مِنْ حسام ابن ملجم

آخر:

هو الدهر قد جربته وعرفته فصبرًا على مكروهه وتجلدا

وما الناس إلّا سابق ثم لاحق وآبِقٌ[٤٣٢] موت سوف يلحقه غدا

آخر:

أستغفر الله من دمعي غداة نعى النـ ـناعي أبا قاسم هلا بكيت دما

ما كان أكثر[٤٣٣] ما كنا نقول له نفديك وابْقَ وعِشْ[٤٣٤] واسلم فما سلما

آخر:

وكنت أرى كالموت مِنْ بَيْنِ ليلةٍ فكيف بِبَيْنٍ كان ميعادَه الحشرُ

الأصمعي قال: رأيت امرأة على قبر قائمة بالبادية تبكي وتقول: هذا والله الحق لا ما نعلل به أنفسنا، يا أبة[٤٣٥] فسح الله ضريحك وألحقك بنبيه، وأنشأت تقول:

يا ليت شعري كيف غيرك البلى أم كيف صار جمال[٤٣٦] وجهك في الثرى

لله درك أيّ كَهْلٍ غيبوا تحت الجنادي ما تحس ولا ترى

---

(٤٣١) يرجو: ترجوا، ي.

(٤٣٢) وآبِقٌ: واق، ي. انظر مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي ص٢٨٦.

(٤٣٣) أكثر: ماكان، ي. انظر ديوان شعر ابن المعتز ٣/ ٨٨.

(٤٣٤) وابْقَ وعِشْ: عشر واق، ي. انظر ديوان شعر ابن المعتز ٣/ ٨٨.

(٤٣٥) في الأصل: يابه. والصواب ما أثبتناه.

(٤٣٦) جمال: حماك، ي. انظر بحار الانوار للمجلسي ٧٩/ ١٧٨.

لُبٌّ وفهمٌ[٤٣٧] بعد عقل زانه حلم وجود حين يُطْرَقُ للقِرَى[٤٣٨]
لما نقلت إلى الجنادل والثرى دنت الهموم فغاب عن عينيى الكرى

المعري:

هنيئًا لك البيت الجديد موسدًا مبيتك فيه بالسعادة واليمن
مجاور سكنٍ في ديار بعيدة عن الحي سقيا للديار وللسكن

من مراثي الصاحب الموسوي:

لا رُزْءَ[٤٣٩] أعظم من مُصابك إنه وَصَلَ الدموع وقطَّع الأوصالا
ألا أقالتك الليالي عثرة يا من إذا عثر الزمان أقالا
أنفًا من الدنيا تَبتَّ حبالها[٤٤٠] ونزعْتَ عنك قميصها الأسمالا
وأرى الكمال جنى عليك لأنه غرض[٤٤١] النوائب مَنْ أُعير كمالا
يا طالبًا من ذا الزمان شبيهه هيهات كلفت الزمان محالا
صلى الإله عليك من متوسد بعد المهاد جنادلًا ورمالا

لبعض العلوية:

مات الموالي والمحب لأهل بيت أبي تراب
قد كان كالحصن المنيـ ـع لهم فصار مع التراب

المأمون:

لست أقيل[٤٤٢] الزمان عثرته فليس يدري الزمان ما صنعا

أبو القاسم الأصفهاني:

يا كافي الملك ما وفيت حظك من وصفٍ وإن طال تمجيد وتأبين[٤٤٣]

---

(٤٣٧) لُبٌّ وفهمٌ: لنا وفهما، ي. انظر بحار الانوار للمجلسي ٧٩/ ١٧٨.
(٤٣٨) يُطْرَقُ للقِرَى: تتطرق بالكرى، ي. انظر بحار الانوار للمجلسي ٧٩/ ١٧٨.
(٤٣٩) رُزْءَ: زره، ي.
(٤٤٠) تَبتَّ حبالها: ت حالها، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٣٣.
(٤٤١) غرض: عرض، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٣٤.
(٤٤٢) أقيل: أقبل، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٢٥٩.
(٤٤٣) تأبين: تأنين، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.

فُقْتَ[٤٤٤] الصفات فما بطريك من أحد إلا [وتزيينه][٤٤٥] إياك تهجين
تبكي عليك العطايا والصلات كما تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم واستيقظوا بعدما نام الملاعين
لا يعجب[٤٤٦] الناس منهم إن هم[٤٤٧] انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطين

[الضَّبِّي]: أيها الباب[٤٤٨]، قد مر.

الرستمي[٤٤٩]:

أَبْعَدَ ابن عباد يَهَشُّ إلى السُّرى أخو أملٍ أو يُستماح جوادُ
أبى الله إلى أن نموت[٤٥٠] بموته فما لهما حتى المعاد معاد

القاضي الجرجاني:

أبا قاسم ما للعلى عنك معدل ولا للعلى إلّا عليك معوّل
عهدتك لا يثني اعتزامك حادث ملم ولا يحتاج صَبْرَكَ مُعْضِلُ[٤٥١]

ابن ميسرة:

ولو قُبِلَ الفداءُ لكان يُفدى وإن جلَّ المصابُ عن التفادي
ولكن المنون لها عيونٌ تكد لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر[٤٥٢] أنت أصبت فالبس برغمك دوننا ثوبي حداد
إذا قدمت خاتمة المنايا فقد عرضت سوقك للكساد

(٤٤٤) فُقْتَ: قت، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.
(٤٤٥) انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.
(٤٤٦) يعجب: تعجب، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.
(٤٤٧) إن هم: إنهمْ، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.
(٤٤٨) يقصد قول أبي العباس الضبّي: أيها الباب لِمَ علاك اكتئاباً أين ذاك الحِجاب والحجّاب وقد مرّ في هذا الجزء مرتين.
(٤٤٩) الرستمي: الرسمي، ي. انظر الدر الفريد وبيت القصيد ٢/ ٩٦.
(٤٥٠) نموت: يموتا، ي. انظر الدر الفريد وبيت القصيد ٢/ ٩٦.
(٤٥١) صَبْرَكَ مُعْضِلُ: مهرك أعزل، ي.
(٤٥٢) فقل للدهر: فقلت الدهر، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٣٢٩.

أبو الفتح:

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده كريم يروي الأرض فيض غمامه
فقدناه لما تم واغتم بالعلا كذاك كسوف البدر عند تمامه

في ابن أبي دؤاد

ترك المنابر والسرير تواضعًا وله منابر لو يشا وسريرُ
ولغيره يجبى الخراج وإنما يجبى إليه محامدٌ[٤٥٣] وأجور

فصل في المعمرين

قال الله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]، وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ [الشعراء:٢٠٥]، وقال: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر:٣٧]، وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [آل عمران:١٧٨]، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم:٥٤]، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ [غافر:٦٧]، وقال: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل:٧٠].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»، وعن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما بعث الله نوحًا إلى قومه بعثه وهو ابن خمسين ومائتي[٤٥٤] سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلّا خمسين عامًا، وبقي بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة، فلما أتاه ملك الموت قال: يا نوح كيف رأيت الدنيا؟ قال: مثل رجل بُني له بابان، فدخل من واحد، وجلس هنيهة، ثم خرج من الباب الآخر».

شعر:

بين عيني كل حي علم الموت يلوح
لتموتن وإن عمّـ ـرت ما عمّر نوح

(٤٥٣) محامدٌ: مجاهد، ي. انظر الذخائر والعبقريات ١/ ٩٥.
(٤٥٤) مائتي: مائتين، ي.

شعر:

نـذوب ولكننـا لا نتـوب ... ومـا فـات مـن عمرنـا لا يـؤوب[٤٥٥]
ونرجـو البقـاء مُنًـى باطـلًا ... وكيـف البقـاء لجسـم يـذوب
نضيـف الزمـان[٤٥٦] بأعمارنـا ... وضيـف الزمـان أكـول شـروب

ومن المعمرين لبيد بن ربيعة، ومن قوله:

ولقـد سئمت مـن[٤٥٧] الحياة وطولها ... وسؤال هـذي[٤٥٨] النـاس كيـف لبيدُ

وذكر أبو حاتم في كتاب المعمرين أن أبا وجزة[٤٥٩] الأموي[٤٦٠] عاش مائتين وثمانين سنة وأقعد فقال:

كبـرت وأبلتنـي الليالـي ومـن يعـش ... كمـا عشـت يصبـح ذا وسـاوس مقعـدا
رهينـة بيـت كان مـدرة أهلـه ... جـوادًا علـى علاتـه متسـددا
فـإن شـمت الأعـداء بـي ويروننـي ... أخـا مينـة همًـا فقـد كنـت أمـردا
ونلـت العـلا عـزًا وجاريـت ذا الصبـا ... زمانًـا إلـى الحانـوت أطلـب ألـددا

من أبيات كثيرة.

قال: وعاش عبد يغوث بن كعب سبعين ومائة سنة، فقال:

بليـتُ وقـد كنـتُ دهـرًا جديـدا ... وقـد عشـت دهـرًا أبِيًـا جليـدا
أبعـد ثمانيـن أنضيتهـا ... وتسـعين يـا سَـلْمَ أرجـو الخلـودا
ومـات أبـي وأبـو والـدي ... وذهـل[٤٦١] فأصبحـت منهـم وحيدا

وعاش ذويد بن نهد أربعمائة سنة وستا[٤٦٢] وخمسين سنة، فلما حضره الموت قال:

---

(٤٥٥) يؤوب: يوب، ي.
(٤٥٦) نضيف الزمان: نصف الزمار، ي.
(٤٥٧) ولقد سئمت من: سئمت تكاليف، ي. انظر شرح مقامات الحريري للشريشي ٣/ ١٨٥.
(٤٥٨) هذي: هذا، ي. انظر شرح مقامات الحريري للشريشي ٣/ ١٨٥.
(٤٥٩) وجزة: وجدة، ي. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٦٩٩.
(٤٦٠) الأموي: الأودي، ي. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ٦٩٩.
(٤٦١) ذهل: أصبحت، ي. انظر كتاب (المعمرون من العرب) ص١٣١.
(٤٦٢) ستا: ست، ي. انظر كتاب (المعمرون من العرب) ص٨.

ألقـى علـيّ الدهـر رجـلًا ويـدا والدهـر مـا أصلـح يومًـا أفسـدا
يفسـد مـا أصلحـه اليـوم غـدا

وقال:

يـا رب نهـدٍ صالـح حويتـه ورب عبـل حسـنٍ لويتـه
واليـوم يبنـى لذويـد بيتـه لـو كان للدهـر بلـىً أبليتـه
أو كان قرنـي[٤٦٣] واحـدًا كفيتـه

وعاش بن حمحة الدوسي زمانًا، قيل: أربعمائة غير [عشر][٤٦٤] سنين، وقال:

كبـرت وطـال العمـر حتـى كأنني سـليم أفـاعٍ[٤٦٥] ليلـة غيـر مـودع
فمـا المـوت أفناني ولكـن تتابعـت علـي سـنون مـن مصيـف ومربـع
ثـلاث مئيـن قـد مـررن[٤٦٦] كوامـلًا فهـا أنـا هـذا أرتجـي مـر أربـع
وأصبحت مثـل النسـر طـارت فراخـه إذا رام تطيـارًا يقلـن لـه قـعِ
أخبّـر أخبـار القـرون التـي مضـت ولا بـد يومًـا أن يطـار بمصرعـي

وعاش مصاد بن جناب[٤٦٧] زمانًا، قيل: أربعين ومائتي سنة، وقال:

ومـا رغبتـي فـي آخـر العيـش بعدمـا أكـون رقيـب البيـت لا أتغيـب[٤٦٨]
إذا مـا أردنـا أن نقـوم لحاجـة يقـول رقيـب حافـظ: أيـن تذهـبُ
فيرجعـه المرمـى بـه عـن سـبيله كمـا رد فـرخ الطائـر المتربـب

وله:

فللمـوت مـا نُغْـذى[٤٦٩] وللمـوت قَصْرنا ولا بـد مِـنْ مـوتٍ وإن نفّـس العمـر

(٤٦٣) قرني: قوتي، ي. انظر كتاب (المعمرون من العرب) ص٨.
(٤٦٤) انظر كتاب (المعمرون من العرب) ص٨.
(٤٦٥) أفاعٍ: أفاعي، ي.
(٤٦٦) مررن: مررت، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٩.
(٤٦٧) جناب: حاب، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٩.
(٤٦٨) أتغيب: أتعتبُ، م ي.
(٤٦٩) نُغْذى: يعدوا، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٩.

فمـن كان مغـرورًا[٤٧٠] بطـول حياتـه فإنـي عليـم أن سـيصرعه الدهـر
فليـس ببـاقٍ إن سـألت ابـن مالـكٍ علـى الدهـر إلّا مَـنْ لـه الدهـرُ والأمـرُ

وعاش أنس الختعمي مائة وأربعًا وخمسين سنة، وأسلم، وقال:

إذا مـا امـرء عـاش الهُنَيْدَةَ[٤٧١] سـالمًا وخمسـين عامًـا بعـد ذاك وأربعـا[٤٧٢]
تبـدّل[٤٧٣] مـر العيـش مـن بعـد حلـوه وأوشـك أن يبلـى وأن يتسعسـعا[٤٧٤]
ويـأذى بـه الأدنـى ويرضـى بـه العـدا إذا صـار مثل الدال أحـدب[٤٧٥] أخضعا

وعاش الحارث[٤٧٦] بن مضاض الجرهمي، من جرهم بن قحطان الأكبر أربعمائة سنة. ومن قوله:

كأن لـم يكـن بيـن الحجـون إلـى الصفا [أنيـسٌ، ولـم يسـمر بمكـة سـامر][٤٧٧]

وعاش كعب بن رداة[٤٧٨] النخعي ثلاثمائة سنة، وقال:

لقـد ملنـي الأدنـى وأبغـض رؤيتـي وأبنانـي ألاّ يحـل كلامـي
علـى الكـف منـي مـرة وعلـى العصـا أنـوء ثلاثًـا بعدهـن قيامـي
فيـا ليتنـي قـد سـخت فـي الأرض قامة وليـت طعامـي كان فيـه حمامـي

وعاش المسجاح بن خالد بن الحارث[٤٧٩] الذهلي حتى هرم ومل الحياة، وأنشأ يقول:

لقـد طوفـت فـي الآفـاق حتـى بليـت وقـد أبـى لـي لـو أبيـد
وأفنانـي ومـا يفنـى نهـارٌ وليـل كلمـا يمضـي يعـود

(٤٧٠) كان مغرورًا: مغرور، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٩.
(٤٧١) انظر كتاب (المعمرون) ١٣، والهُنَيْدَةُ: مائة سنة. تاج العروس (هند).
(٤٧٢) ذاك وأربعا: ذلك أربعا، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص١٣.
(٤٧٣) تبدّل: متدل، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص١٣.
(٤٧٤) انظر كتاب (المعمرون) ١٣، وتَسَعْسَعَ الرجل: كبر حتى هرم. تاج العروس (سعع).
(٤٧٥) الدال أحدب: الدار أحدر، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص١٣.
(٤٧٦) الحارث: الحرث، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٢.
(٤٧٧) أنيسٌ، ولم يسمر بمكة سامر: وقد مر، م ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٢.
(٤٧٨) رداة: زراه، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٢٩.
(٤٧٩) المسجاح بن خالد بن الحارث: المساح بن الخلد بن الحرث، م ي. كتاب (المعمرون) ص٣٠.

وشهر مستهل بعد شهر وحَوْلٌ بعده حول جديد
ومفقودٌ عزيز الفقد تأتي منيته ومأمول وليد

وعاش الحارث(٤٨٠) بن حبيب الباهلي مائة وستين سنة، وقال:

كم من أسير تائه فديته وكم كَمِيٍّ(٤٨١) معلم أرديته
ومسرع بسروره جازيته(٤٨٢) ومبطئ برفده(٤٨٣) كفيته
ومعلنٍ(٤٨٤) بضغنه كويته لو كان يشرى الموت لاشتريته

وله:

ألا هل شباب يشترى برغيب يدل عليه الحارث بن حبيب
ومن بسواد الرأس بعد ابيضاضه ومن بقيام الصلب(٤٨٥) بعد دبيب

وللبيد:

أليس ورائي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي مضت أدبّ كأني كلما قمت راكع

فصل في الهواتف

صالح المري قال: دخلت المقابر نصف النهار، ونظرت(٤٨٦) إلى القبور كأنهم قوم صموت، فقلت: سبحان من ينشركم من بعد طول البلى، فهتف بي هاتف: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٥]. فغشي عليّ(٤٨٧).

مالك بن دينار قال: خرجت يومًا إلى المقابر وأنا أقول:

(٤٨٠) الحارث: الحرث، م ي. كتاب (المعمرون) ص٣٠.
(٤٨١) الكَمِيُّ: الشجاع المتكمي في سلاحه. لسان العرب (كمي).
(٤٨٢) بسروره جازيته: بسوقه جاريته، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٣٠.
(٤٨٣) رفده: رقده، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٣٠.
(٤٨٤) معلن: مضعن، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٣٠.
(٤٨٥) الصلب: الصليب، ي. انظر كتاب (المعمرون) ص٣٠.
(٤٨٦) ونظرت: ونصرت، م ي.
(٤٨٧) عليّ: عليه، ي.

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
فأين[٤٨٨] المدل بسلطانه وأين المزكي إذا ما افتخر

فهتف بي هاتف:

تفانوا جميعًا فما مخبر وماتوا جميعًا ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من يوم إلّا وملك يهتف في المقابر بأعلى صوته: يا أهل المقابر، من تغبطون اليوم؟ قالوا: نغبط أهل المساجد، الذين يصلون ولا نصلي، ويصومون ولا نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويذكرون الله ولا نذكره».

ونام المهدي فانتبه باكيًا، فسئل، فقال: رأيت شيخًا لو كان في مائة ألف لما خفي علي أنشأ يقول:

كأني بهذا القصر قد باد أهله[٤٨٩] وأوحش منه ركنه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة ومُلْكٍ إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلّا ذكره وحديثه ينادى بليل معولات حلائله

فما أتت عليه عشرة أيام حتى مات.

ومرض أبو جعفر المنصور وأدخل عليه سبعون من المنجمين والأطباء لينظروا في أمره، فهتف به هاتف:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من وقع المنية دافعُ

عن منصور بن عمار قال: خرجت إلى المقابر ونظرت إلى القبور كأنهم قوم صموت.

أهل[٤٩٠] المقابر قد تساوى بينكم أين الوضيع من الكريم السيد
أين الملوك بنو الملوك وأين من قد كان ذا فقر وجهد مجهد

---

(٤٨٨) فأين: وإن، م ي.
(٤٨٩) أهله: بأهله، م ي. انظر بستان الواعظين ورياض السامعين ص٢٠٩.
(٤٩٠) أهل: ياهل، م ي.

الأبيات وقد مرت في باب الهواتف قبل هذا، قال: فهتف به هاتف:

إن المنايـا عاصفتهـم[٤٩١] بغتـة ... فهـم خمـود جـوف قبـر ملحـد[٤٩٢]

ولما توفي أمير المؤمنين هتف هاتف من ناحية البيت: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].

الأصمعي قال: كان ببغداد موسر شريف، وكان له ابن يسمى أبا[٤٩٣] نصر، فزوج ابنة أخيه منه، ووزن مهرها مائة ألف دينار، وبنى دارًا[٤٩٤] أنفق عليها مائة ألف دينار، وفرش في الدار بمائة ألف دينار، واتخذ عماريات[٤٩٥] مرصعة[٤٩٦] بالذهب، وذهب كل من كان في البلد من المشايخ والسلطان إلى باب العروس، وكان الشاب ركب فرسًا مكللا باللؤلؤ[٤٩٧]، فلما كان ببعض الطريق سمع صوتًا من الهواء هاتف يقول:

يـا مـن بنـى دارًا ليسـكن داره ... سـكن القبـور وداره لـم تسـكن

فاقشعر جلد الشاب واغتم وخاف، فقيل له: لا تغتم فليس بشيء، فلما قرب من الدار سمع صوتًا آخر:

يـا بانـي الـدار جهـلًا ليـس تسـكنها ... أرجـع فـإن إلـه الخلـق يدعـوكا

فاقشعر جلد الشاب وسقط من الدابة واندقت عنقه ومات، ورجعت العروس إلى منزلها، ودفن الشاب.

وبنى رجل دارًا فنمقها وزخرفها وجلس فيها مع ندمائه، فهتف به هاتف:

أتعمـى عـن الدنيـا وأنـت بصيـر ... وتجهـل مـا فيهـا وأنـت خبيـر

وتصبـح تبنيهـا كأنـك خالـد ... وأنـت غـدًا فيمـا بنيـت تسـير

---

(٤٩١) عاصفتهم: غافصتهم، م ي. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ص٥٠٣.

(٤٩٢) قبر ملحد: لحد نضد، م ي. مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ص٥٠٣.

(٤٩٣) أبا: أبو، م ي.

(٤٩٤) دارًا: دار، م ي.

(٤٩٥) العماريات: الهوادج.

(٤٩٦) مرصعة: عماريا معرفا، م ي.

(٤٩٧) مكللا باللؤلؤ: حليلًا بالعروس، م ي.

فلـو كان ينهـاك الـذي أنـت عالـمٌ لقـد كان فيمـا بلـوت نذيـر
متى أبصـرت عينـاك شيئًا فلم يكـن لهـا مخبـرا أن البقـاء يسـير
أترفـع فـي الدنيـا البنـاء مفاخـرًا ومثـواك بيت بالعـراء(٤٩٨) صغيـر(٤٩٩)
فدونـك فاصنـع كل مـا أنـت صانـع فـإن بيـوت الميتيـن قبـورُ

فدهش الرجل واضطرب، ثم تزهد حتى مات.

ودخل عمر بن الخطاب بقيع الغرقد فقال: السلام عليكم يا أهل القبور، أخباركم عندنا أن نساءكم قد تزوجت، ودوركم قد سكنت، وأموالكم قد قسمت. فأجابه هاتف: أما ما قدمنا فقد وجدناه، وما أنفقنا فقد ربحنا، وما خلفنا فقد خسرنا.

فصل فيمن مات وعليه دين لا يجد ما يقضيه

العباس بن مرداس قال: «دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمته عشية عرفة بالمغفرة والرحمة فأكثر الدعاء، فأجابه: بأني قد فعلت إلّا ظلم(٥٠٠) بعضهم بعضًا، فأما ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها، فقال: أي رب، إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيرًا من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم. فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه: بأني قد غفرت لهم»، قال: ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له بعض أصحابه: تبسمت في ساعة لم تكن(٥٠١) تبسم فيها؟ فقال: «تبسمت من عدو الله إبليس، إنه لما علم أن الله قد استجاب لي [في] أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه»(٥٠٢)، رواه أبو يحيى بإسناده عنه. وهذا محمول على من مات تائبًا ولم يجد ما يقضي مظلمته.

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة واجتمع الخلاق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ من أهل العرش: يا معشر أهل الجمع، تواهبوا المظالم بينكم، وثوابكم على الله».

(٤٩٨) بيت بالعراء: بيك بالعزاء، ي.
(٤٩٩) صغير: قصير، ي. نوادر القليوبي ص٤٤.
(٥٠٠) إلا ظلم: إلّا هلم، ي. انظر شعب الإيمان ١/ ٥٢٤، والسنن الكبرى للبيهقي ٥/ ١٩٣.
(٥٠١) في الأصل: يكن. الصواب ما أثبتناه. انظر مسند أبي يعلى ٣/ ١٤٩.
(٥٠٢) انظر مسند أبي يعلى ٣/ ١٤٩.

أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دعا الرجل من أمتي على الآخر بمظلمة يقول الله: عبدي تظل تدعو[٥٠٣] على عبدي من أجل أنه ظلمك، وإن آخر يدعو عليك من أجل أنك ظلمته، فإن شئت استجبت لك وعليك، وإن شئت أخرتكما إلى يوم القيامة، فتختصمان إلي، ووسعكما[٥٠٤] عفوي».

أبو بكر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يؤخذ العبد يوم القيامة بالدَّين فيقول الطالب: يا رب حقي، فيقول الله: أنا أحق من قضى عن عبدي. فيعطي الطالب من عنده ويعدي لهذا الذي كان عليه الدين»، وكل ذلك محمول على من يموت تائبًا وعليه دين لا يجد ما يقضيه، فالله يرضي خصمه.

عائشة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من حمل من أمتي، ثم جهد في قضائه فمات قبل أن يقضيه فأنا وليه».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من تداين بدين ومِنْ نِيَّتِهِ وفاؤه تجاوز الله عنه وأرضى غريمه من عنده».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات وعليه دين علم الله أنه كان يريد قضاءه، لم يعذبه الله به ولم يسأله».

أبو هريرة قال: كان الميت إذا مات على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «هل ترك وفاء من دينه»؟ فإن قالوا: نعم، صلى عليه، وإن قالوا: لا، قال: «صلوا على صاحبكم»، فلما فتح عليه الفتوح قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من ترك دينًا فهو علي، ومن ترك مالًا فهو للوارث».

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من ترك مالًا فلأهله، ومن ترك دينًا فعلى الله وعلى رسوله».

(٥٠٣) تظل تدعو: يظل يدعو، ي.
(٥٠٤) ووسعكما: وسيعكما، م ي. حلية الأولياء ٥/ ٢٣٩.

فصل فيما يبقى لابن آدم بعد الموت

قال: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ [يس:١٢]، قال: ﴿[وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا](٥٠٥) مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ﴾ [العنكبوت:١٣]، فما يتركه المرء على وجوه: منها: المال، ومنها: أثر صالح، ومنها: أثر سيئ.

فأما المال: فما أنفقته في سبيل الخير نفعك، وما خلفته فهو للوارث، قال الله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان:٢٨]، ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ﴾ [الدخان:٢٥]، وقال: ﴿نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ [المؤمنون:٥٥، ٥٦] الآيات ونظائرها.

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله»؟ قالوا: ما من أحد منا إلّا وماله أحب إليه من مال وارثه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منكم إلّا ومال وارثه أحب إليه من ماله، مالك ما قدمْتَ، ومال وارثك ما أخرت».

الحسن: لا يغرنك من حولك من هذه السباع العادية؛ ابنك، وحليلتك، وكلالتك، وخادمك، أما ابنك فمثل الأسد ينازعك فيما في يديك، وأما حليلتك فمثل الكلبة في الهرير والبصبصة، وأما كلالتك فوالله لدرهم يصل إليهم بعد موتك أحب إليهم من أن لو أعتقت رقبة، وأما خادمك فمثل الثعلب في الحيل والسرقة، فأقول: لا توقر ظهرك بصلاحهم فإنما لك أيام قلائل، وإذا وضعوك في بيت أربعة أذرع في ذراعين انصرفوا عنك [وصرفوا النبات](٥٠٦) وصفروا الثياب، وضربوا(٥٠٧) الدفوف، وضحكوا بالقهقهة، وأنت محاسب بما في أيديهم.

وعن يزيد الرقاشي قال: لما فتحت الرّقة(٥٠٨) وجد مكتوبا(٥٠٩) على بابه بالرومية: ويل لمن جمع المال من غير حقه(٥١٠)، وويلان لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على ما لا يعذره، والويل كله لمن قدم على الله وهو عليه ساخط. وإذا مكتوب على باب آخر: يابن آدم ما أنت سابق

---

(٥٠٥) في م ي: وليحملن أثقالًا.. وما أثبتناه من المصحف.

(٥٠٦) +: تفسير التستري ص١٦٩.

(٥٠٧) ضربوا: لبسوا، م ي. تفسير التستري ص١٦٩.

(٥٠٨) الرقة: دقه، م ي. انظر المستطرف ٢٩٩، وربيع الأبرار ٥/ ٨٨.

(٥٠٩) مكتوبا: مكتوب، م ي.

(٥١٠) غير حقه: حله، م ي. انظر المستطرف ٢٩٩، وربيع الأبرار ٥/ ٨٨.

أجلك، ولا بالغ أملك، ولا مغلوب على رزقك، ولا مرزوق ما ليس لك، فلم تقتل نفسك، إن لكل أجل كتابًا، ولكل خير ثوابًا، ولكل ذنب عقابًا، فاذكر يوم الحساب.

وقال أبو حازم لأبي جعفر المدني: لا تختر ولدك على نفسك، فإن كانوا لله أولياء فلا تخش عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء فلا تبالِ ما لقوا بعدك.

وكان سالم بن أبي الجعد يكثر العطاء، فلامته امرأته، فقال: لأن أذهب بخير وأترككم بشرٍّ أحبُّ إلي من أن أذهب بِشَرٍّ وأترككم بخير.

حاتم الأصم: في نقصان المال خسران الورثة، وفي نقصان اللحم خسران الدود، وفي نقصان الخيرات خسرانك، فلذلك فاغتم.

أبو ذر الغفاري قال: ألا أخبرك بيوم حاجتك إلى مالك، إن يوم حاجتك إلى مالك يوم توضع في حفرتك، واعلم أن في المال ثلاثة شركاء: الوارث ينتظر أن تضع[511] رأسك، والقدر يذهب بخيره وشره، وأنت الثالث، فإن استطعت ألاّ تكون أعجز الثلاثة فافعل، مع أن الله تعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ[512] ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

الحسن: قدم ما تقدم فإنك قادم عليه، وأخر ما تؤخر فإنك غير راجع إليه.

وكان عبد الله بن عون يقول: أما مالي فأقدمه لنفسي، وأما ربي فأدخره لعيالي.

وقيل لحاتم: إنك لا ترى الكسب، فقال: إني أرى الكسب، ولكن لا أرى البيكار بالفارسية وهو جمع المال لورثته.

وعن النبي عليه السلام عندما قرأ (ألهاكم التكاثر): «يقول ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟».

وعن يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته، قيل: وما هما؟ قال: يؤخذ منه كله، ويسأل عنه كله.

علي بن أبي طالب عليه السلام: ألا أنبئكم بأخسر الخاسرين؟ قالوا: بلى، قال: فإن أخسر الخاسرين رجل جمع درهمًا إلى درهمٍ، وقيراطًا إلى قيراطٍ، وورثه غيره فوضعه في حقه، وكان أمسكه من حقه.

---

(٥١١) أن تضع: رفع، ي. انظر حلية الأولياء ١/ ١٦٣.

(٥١٢) في م ي: تنال. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

يحيى بن معاذ: خَوَّفُنا من فضيحة الدنيا وفقرها أوقعنا في فضيحة الآخرة.

وبعث بعض التجار ببلخ إلى أهله أنواع الأطعمة، فهيأها أهله وصنعوها طيبات الألوان، وأكلوها مع الولد والخدم، فلما أمسى التاجر إلى منزله دعا بالعشاء وظن أنهم ادخروها له. فقالوا: إنا نسيناك ولم يبق شيء، فجاء بالصندوق ففتحه وتصدق بعشرة آلاف درهم وقال: نسيتموني حيًا فكيف تذكرونني ميتًا. وفي المأثور: «إذا مات ابن آدم قالت الملائكة: ما قدم. وقال الناس: ما خلف».

شعر:

بقيت مالك ميراثًا لوارثه ... يا ليت شعري ما بقى لك المالُ
القوم بعدك في حال يسرُّهم ... فكيف من بعدهم دارت بك الحالُ

آخر[٥١٣]:

امهد لنفسك يا أبا الفياض ... واعلم بأنك عن قليل ماضِ
ويحوز[٥١٤] مالك وارثٌ للمال أو ... موصى إليه[٥١٥] أو وكيل القاضي
إن الكبير إذا تناهت سنه ... أعيت رياضته عن الروَّاض

الفارسية:

دينار و درم اجل نيافزود و نكاست ... فردا بگذارى و ندانى [كه] كه راست
هر چ آن[٥١٦] نه فزونست اگر نيست رواست ... كان در دو جهان بر تو وبال است و بلاست
چون عافيت و قوت و درستى پيداست ... آن روز چنان دان كه جهان جمله تو راست

مأخوذ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصبح معافى في بدنه، آمنًا في سربه، وعنده قُوتُ يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها».

فأما الآثار الحسنة: فقد قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَرَهُمْ﴾ [يس:١٢].

---

(٥١٣) يتيمة الدهر ٥/ ١٠٤.

(٥١٤) يحوز: يجوز، م ي. يتيمة الدهر ٥/ ١٠٤.

(٥١٥) إليه: له، م ي. يتيمة الدهر ٥/ ١٠٤.

(٥١٦) چ آن = چه آن. چ آن في أول السطر الثاني كانت أسلوب كتابة عصر التحرير لكلمة چه آن في عصرنا الحاضر.

مجاهد: إذا مات المؤمن بكى عليه مصلاه وآثاره في الأرض[٥١٧]، وبابه الذي يصعد [منه][٥١٨] عمله [إلى السماء][٥١٩] أربعين صباحًا.

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سبع تجرى للعبد بعد موته وهو[٥٢٠] في قبره: من عَلَّم علمًا، أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته».

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا عن ثلاث: ولدٍ صالح يدعو له بخير، وصدقة جارية، وعِلْمٍ ينتفع به».

وقال عليه السلام: «يتبع الميت ثلاث: أهله، وماله، وعمله»، رواه أنس.

شداد بن أوس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الكَيِّس مَنْ دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع هواها وتمنى على الله».

شعبة، عن قتادة، عن مطرف، عن أبيه أنه انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر:١] يقول ابن آدم: مالي مالي..»الخبر وقد مضى، رواه أبو يحيى.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول العبد: مالي مالي. إنما له من ماله ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبقى[٥٢١]، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول [الله] صلى الله عليه وآله وسلم: «مالك أحب إليك أم مال مواليك»؟ قال: مالي، قال: «فإنما[٥٢٢] لك من مالك ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو أعطيت فأمضيت، وإن لك في مالك ثلاثة: أنت، ووارثك، والثرى[٥٢٣]، فإن استطعت ألّا تكون أشر الثلاثة فافعل».

(٥١٧) الأرض: المسجد، م ي. شعب الإيمان ٤/ ٥٥٩.
(٥١٨) شعب الإيمان ٤/ ٥٥٩.
(٥١٩) شعب الإيمان ٤/ ٥٥٩.
(٥٢٠) هو: هي، م ي. الترغيب والترهيب ٢/ ٤١.
(٥٢١) أبقى: أفنى، م ي. صحيح ابن حبان ٨/ ٣٦.
(٥٢٢) فإنما: أما، م ي. الأدب المفرد ص٣٢٨.
(٥٢٣) الثرى: الواو، م ي. الأموال لابن زنجويه ٢/ ٧٨٥.

مجاهد، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما الميت في قبره إلّا كالغريق المتغوّث[٥٢٤] ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق، فإن لحقته كانت له خيرًا من الدنيا وما فيها، وإن الله تعالى ليدخل[٥٢٥] على أهل القبور في قبورهم [من دعاء أهل الأرض] مثل أمثال الجبال، وإن هدية الأحياء للأموات الاستغفار لهم»[٥٢٦].

شعر:

نحن في دار يخبّرنا[٥٢٧] عن بلاها[٥٢٨] ناطق لَسِنُ
دارُ سوءٍ لم يدم فرح لامرئ فيها ولا حزنُ
إن مال المرء ليس له منه إلّا ذكره الحسنُ
كل حي بعد ميتته حظه من ماله الكفن

جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاثة يدركن الميت بعد موته: رجل عمل بسنة هدي يعمل بها مَنْ بَعْدَهُ فأجرها يدخل عليه، ورجل تصدق بصدقة فعمل بها من بعده فأجرها يدخل عليه، ورجل ترك ولدًا يدعو له بعد موته فأجره يدخل عليه».

فأما الآثار السيئة: قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

فصل في التعازي

مبحث في التعزية وما ندب إليها

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤].

علقمة، عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من عزى مصابًا فله مثل أجره».

---

(٥٢٤) المتغوّث: المبعوث، م ي. شعب الإيمان ١٠/ ٣٠٠.
(٥٢٥) +: أهل الدور، ي م. شعب الإيمان ١٠/ ٣٠٠.
(٥٢٦) انظر شعب الإيمان ١٠/ ٣٠٠.
(٥٢٧) يخبّرنا: تخبرنا، م ي. بهجة المجالس وأنس المجالس ٣/ ٢٨٥.
(٥٢٨) عن بلاها: ببلاها، ي. انظر بهجة المجالس وأنس المجالس ٣/ ٢٨٥.

أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من مسلم يعزي أخاه المسلم بمصيبته إلّا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»[٥٢٩].

وروى أبو بردة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من عزّى ثكلى كسي بردًا من برد الجنة»[٥٣٠]. ورحل أبو معاوية الأسود من طرسوس إلى مكة يعزي الفضيل بابنه.

وروي أن داود عليه السلام قال: يا رب ما جزاء من يعزي الحزين ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن تشيع ملائكتي جنازته، وأن تصلي على روحه الأرواح.

وعن قتادة في قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦] قال: كان إحسانه أنه كان يعزي حزينهم، ويداوي مريضهم.

وعزى أعرابي قوما فقال: أعظم الله لكم الأجر، وألهمكم الصبر، فإن الصبر محمود العاقبة، وليس في الجزع عصمة من النائبة، فاستعينوا بالصبر على مصيبتكم، ولا تبخسوا[٥٣١] مصيبتكم بالجزع الذي لا يجدي عليكم ولا يغني عنكم، فإن في ثواب الله عوضًا مما أصبتم، وفيما استقر عندكم من إفناء الدنيا عزاء مما فجعتم به.

وعزى علي بن أبي طالب عليه السلام الأشعث بن قيس بابن له فقال: يا أشعث إنك إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جزعت جرى القدر وأنت مأزور[٥٣٢].

شعر[٥٣٣]:

إنـي أعزيـك لا أنـي علـى ثقـة ... مـن الخلـود ولكـن سـنّة الديـنِ
فـلا المعـزّى بيـاقٍ بعـد صاحبـه ... ولا المعـزّي وإن عاشـا[٥٣٤] إلـى حيـنِ

لمنصور الفقيه يعزي بعضهم ويرثيه:

(٥٢٩) المنتخب من مسند عبد بن حميد ص١١٩.
(٥٣٠) سنن الترمذي ٢/ ٣٧٨، وشعب الإيمان ١١/ ٤٦٣.
(٥٣١) تبخسوا: تحسوا، م ي. التعازي لأبي الحسن المدائني ٧٦.
(٥٣٢) التعازي لأبي الحسن المدائني ٨٣.
(٥٣٣) العقد الفريد ٣/ ٢٦٣.
(٥٣٤) عاشا: عاش، م ي. انظر العقد الفريد ٣/ ٢٦٣.

سود المقابر مذ جاورتها بيض وناظر العين مذ ودعت مغموض
قالوا هو الموت مفروضًا فقلت لهم والحزن أيضًا على الأحرار مفروضُ

أبو فراس:

قولا لهذا السيد الماجد قَوْلَ حزينٍ مثلِهِ فاقدِ
كن المعزَّى لا المعزِّي به إن كان لا بد من الواحد

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حق المسلم على المسلم أن يعزيه إذا أصابته مصيبة».

وعن معاوية أن رجلًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غاب، فسأل عنه، فقالوا: مات له ابن، فقال: «قوموا بنا نعزيه»، فقمنا فعزيناه.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة جلس في المسجد والناس يأتونه يعزونه، وهذا دليل على أن الجلوس في المسجد سنة، ويكره القعود على باب الدار لأنه فعل الجاهلية.

ودخل الفضيل بن سهل ذو الرياستين على الرضى عليه السلام يعزيه بولد له مات فقال: إني لم آتك معزيًا، وإنما أتيتك متأسيًا، فالحمد لله الذي جعل حياتكم أهل البيت رحمة ووفاتكم أسوة.

لفظ تعزية

زفرات تقيم حواني الضلوع، وعبرات تسيل جوامد الدموع، زفرات تقد عقد الأحشاء، وحسرات يبسق لها سعف السويداء.

كتاب تعزية

لله تعالى في ودائعه وعواريه ونعمه ومنائحه حكم لا تُدافَع[٥٣٥] وقضاء لا يغالب، وأمر لا يُعارَض، وهو محسن فيما يهب، عادل فيما سلب، معلوم منه الاختيار لعباده الأصلح فيما يدبرهم به.

(٥٣٥) تُدافَع: تدافعن، م ي.

[كتاب تعزية] آخر

من كان لأهله كهفًا انسدّ، وجبلًا انهدّ، ونجمًا انقض، وعزًّا تقوّض.

[كتاب تعزية] آخر

وهذه مصيبة تستدعي إطالة مدتها، والدوام على التوجع من إخفارها[٥٣٦]، وفيما يحضرني من ذلك مُعْجِم من الإكثار، وباعث على الاقتصار، وإلى الله المرجع والمشتكى، وإلى مأدبته التوجه والملتجا، أن يجمع بيننا وبينه حيث لا زوال لمقيم، ولا انقطاع لنعيم.

[كتاب تعزية] آخر

حق الله على خلقه فيما يوليهم الشكر، وفينا يبتليهم الصبر، لأنه متفضل في الحالين، حسن النظر في الموضعين، مختار الأصلح في الأمرين، لما تعرض به الأوّل بالشكر بالثواب الآجل والنعيم العاجل، والثاني بالصبر من العوض على مصابه والأجر على احتسابه، فسبحانه حكيمًا تظاهرت بدائع حكمته، ورحيمًا تكاثرت[٥٣٧] فوائد نعمته، وقديرًا استسلمت الأشياء لقدرته، وتصاغرت العظماء لعظمته.

لأحمد بن سعد: المصائب وإن كانت محنًا لذوي الألباب، وفجيعة بالذخائر والأحباب، فإنها ضامنة بحظ من الأجر، ودالة على فضل من العمل[٥٣٨].

آخر: يكسيان المناهل فيها صبرًا على وداد ألمها ومنايا عند التنازع مضضها.

آخر: الحمد لله الذي أعقب العبرة بالحبرة[٥٣٩]، وأبدل الترحة بالفرحة[٥٤٠]، ووصل المصيبة بالموهبة[٥٤١]، وجبر[٥٤٢] الرزية بالعطية.

(٥٣٦) إخفارها: خفرتها، م ي.

(٥٣٧) تكاثرت: تناصرت، م ي.

(٥٣٨) العمل: العمر، ي.

(٥٣٩) بالحبرة: الحبرة، م ي. انظر البصائر والذخائر ٢/ ٣٧٠.

(٥٤٠) الترحة بالفرحة: الوحه الفرحة، م ي. انظر البصائر والذخائر ٢/ ٣٧٠.

(٥٤١) بالموهبة: الموهبة، م ي. انظر البصائر والذخائر ٢/ ٣٧٠.

(٥٤٢) جبر: خبر، م ي. انظر البصائر والذخائر ٢/ ٣٧٠.

آخر: إن الله تعالى قد وهب وسلب، فوجب له في مواهبه الشكر، وفيما[٥٤٣] سلبه التعزي والصبر؛ لأنه لم يهب واجبًا، ولم يسلب حارمًا، وإنما أعطى فضلًا، وأخذ عدلًا، وتفرق الناس فرقًا، وتميزوا أطوارًا، فمِنْ صابرٍ مأجور، وجازع مغبون.

لأحمد بن إسماعيل الأنباري: الموت عظة، والتعزية سنة، والذكرى منفعة، والمصيبة إذا احتسبت نعمة، والنعمة إذا كفرت مصيبة، والمحن بالمحبوب والمكروه عامة، ولبعض الناس في بعض أسوة، وأعلاق الدنيا مستودعة، وعواريها مرتجعة، وأمور الأحياء والأموات متقاربة، ومن مضى لاحق ملحوق، ومن بقي بمثل ما طرق به الماضي مطروق، والمتوقع واقع، والآتي قريب، والباقي قصير، والدنيا ممر، والآخرة مقر.

مبحث في التعزية بموت البنين

أنس قال: جيء بإبراهيم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في النزع حتى وضع في حجره فدمعت عيناه، فقال له أصحابه: ألم تنه عن البكاء؟ فقال: «لم أنه عن البكاء، ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: النوح، والغناء، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

ابن عمر قال: [كان][٥٤٤] بمكة مقعدان لهما ابنٌ يخرجهما كل غداة إلى المسجد ويكسب لهما، فَفُقِد[٥٤٥]، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [عنه] ، فقيل: مات، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن تُرِكَ أحدٌ لأحد لتُرك ابن المقعدين[٥٤٦] لهما»، وروي أن اسمه كان الهذيل فقال: «لو ترك أحد لأحد لترك الهذيل لأبويه»[٥٤٧].

زرارة بن أوفى قال: عزى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلًا بابنه فقال: «آجرك الله، وعظم لك الأجر».

وعزى علي عليه السلام الأشعث بن قيس عن ابن له فقال: يا أشعث، إن تحزن على ابنك فقد استحق ذلك منك بالرحم، وإن تصبر ففي الله خلف، يا أشعث، إنك إن صبرت جرت

(٥٤٣) وفيما: وعما، م ي.
(٥٤٤) انظر المعجم الأوسط ٦/ ١١٥، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١١٠.
(٥٤٥) فُقِد: فقد، م ي. المعجم الأوسط ٦/ ١١٥، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١١٠.
(٥٤٦) المقعدين: القعد، ي. المعجم الأوسط ٦/ ١١٥، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١١٠.
(٥٤٧) المعجم الأوسط ٦/ ١١٥، والسنن الكبرى للبيهقي ٤/ ١١٠.

عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت موزور.

وعزى أيوب بن بشير سليمان بن عبد الملك بابن له فقال: إن أباك كان أصلك، وإن ابنك كان فرعك، وإن امرءًا ذهب أصله وفرعه لحري أن يقل بقاؤه.

ومات ابن لسليمان بن علي، فحزن عليه حزنًا شديدًا، فعزاه شبيب بن شيبة وأنشده:

وهــوَّنَ وجــدي عــن حبيبــي أننــي ... أجــاوره فــي رمســه اليــوم أو غــدا

فاستعاده ثلاث مرات ثم قال: يا غلام، هات الغداء.

وعزى الشعبي عبد الملك بن مروان بابن له فقال: أعظم الله أجرك في الماضي، وبارك لك في الباقي، فقال: صدقت يا شعبي، ما عندنا ينفد وما عند الله باق، ثم قال:

ولــو شــئت أن أبكــي دمًــا لبكيتــه ... عليــك ولــن ســاحة الصبــر أوســعُ

وقال رجل لعبد الله بن أبي بكرة: ما تقول في موت الوالد؟ قال: ملك حادث، قال: فموت الأخ؟ قال: كسر الجناح، قال: فموت الولد؟ قال: صدع في القلب لا ينجبر.

قال: وتوفي ابن لأعرابي[٥٤٨]، فحسن عزاؤه، فقيل له: ما كانت علّة ابنك؟ قال: كانت علّته [يوم خُلق]، فيوم خلق مات.

وعزى أبو حنيفة أبا جعفر المنصور عن ابنه جعفر فقال: يا أمير المؤمنين إن اللهَ لجعفر خيرٌ منك لجعفر، وثوابَ الله في جعفر خيرٌ لك من جعفر.

وكتب عمر [بن] عبد العزيز إلى إنسان يعزيه[٥٤٩] بابن: أما بعد فإنا ناسٌ من أهل الآخرة سكنًا في هذه الدنيا، وإنا أموات[٥٥٠] وأبناء أموات وإخوة أموات وآباء أموات، فالعجب من ميت يعزي ميتًا في ميت. والسلام.

وعزى عبد الله بن داود رجلًا فقال: اعلم أن الحرمان مِنْ أَجْرِ المصيبة أعظم من المصيبة، وقد فاتك [ما رزئت فلا يفتك ما عوضت]، [فلبس] أحسن ثيابه وجلس في مجلسه، فقيل: أيها الشيخ لبست أحسن ثيابك في المصيبة؟ فقال: حق لمن يخلع عليه أن يلبس أحسن

(٥٤٨) ابن لأعرابي: ابن الأعرابي، م ي.
(٥٤٩) إنسان يعزيه: إنساني عزيه، م ي. شعب الإيمان ١٢/ ٤٣٨.
(٥٥٠) أموات: أموت، م ي. انظر شعب الإيمان ١٢/ ٤٣٨.

ثيابه، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ..﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٦-١٥٧][٥٥١].

إسماعيل بن الحرث قال: مات ابنان لامرأة فدفنتهما ثم قالت:

فللّه ابناي اللذان كلاهما قريبان مني والمزار بعيدُ
مقيمان بالبيداء لا يبرحانها ولا يسألان الركب أين يريدُ
هما تركا عَيْنَيَّ لا ماء فيهما وشكا سواد القلب فهو عميدُ
أدور وأستقري القبور فلا أرى سوى رمس أحجار لهن لبودُ

ومات ابن لسهل بن أرطأة، فأقام على قبره حولًا، ثم انقلب وتمثل ببيت لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

وترك قبره ومضى، وقال[٥٥٢]:

وقفت على [قبر] ابن ليلى فلم يكن وقوفي عليه مبكي ومجزع
هل أنت ابن ليلى - إن نظرتك - رائح مع القوم أو غاد غداتئذٍ[٥٥٣] معي
على الدهر فاعتب إنه غير معتب وفي غير من قد وارت الأرض فاطمع

ومات ابن لسليمان بن عبد الملك، فكثرت الخطب، فقام رجل وقال: من طال عمره فقد الأحبة، ومن قصر عمره فمصيبته في نفسه أعظم. وقام آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعجّل ما أخّره العاجز فترضي ربك وتريح نفسك.

عنبسة العابد قال: لما مات إسماعيل بن جعفر وفرغنا من جهازه، جلس الصادق عليه السلام وجلسنا حوله وهو مطرق، ثم رفع رأسه وقال: أيها الناس إن الدنيا دار فراق لا دار قرار، ودار التواء لا دار استواء، وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع، ولوعة لا ترد، وإنما تتفاضل الناس بحسن العزاء، وصحة الفكر، فمن لم يثكل أخاه ثكله أخوه، ومن لم يقدم ولدًا كان هو المقدم دون ولده، ثم تمثل بقول أبي حراش الهذلي يرثي أخاه:

فلا يحسبن أني تناسيت عهده ولكن صبري يا أُمَيْمَ[٥٥٤] جميل

---

(٥٥١) الفاضل في صفة الأدب الكامل ص١٣٠.
(٥٥٢) أمالي الزجاجي ٦٣.
(٥٥٣) غداتئذٍ: غدًا بيد، م ي. أمالي الزجاجي ٦٣.
(٥٥٤) يا أُمَيْمَ: يا ميم، ي. انظر الكامل في اللغة والأدب ٤/ ١٤.

ومات ابن لعمر بن عبد العزيز يسمى عبد الملك، فعزاه الناس، فقال أعرابي[٥٥٥]:

تعز أمير المؤمنين فإنه ... لما قد ترى يغذى الصبي ويولد
هل ابنك إلّا من سلالة آدم ... لكلٍّ على حوض المنية موردُ

لأعرابي في ابن له[٥٥٦]:

ألا لِيَمُتْ من شاء بعدك إنما ... عليك من الأقدار كان حذاريا
و[قد] كنت أرجي أن أملّاك[٥٥٧] حقبة ... فحال قضاء الله دون رجائيا
ولو أن نفسًا قد فدت نفس ميت ... فديتك مسرورًا بأهلي وماليا
وإني لا أزداد إلّا صبابة ... عليك[٥٥٨] ولا تزداد إلّا تنائيا

وكتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى معاذ يعزيه بابن له وقد مر.

ومرض ابن لشريح فمات ليلًا، فدفنه في ليلته، ثم أصبح غاديًا على قضائه، فكان الناس يقولون له: كيف أصبح الفتى؟ فيقول: سكن النفس وبرد الجلد وذهب الأنين، وإني لأرجو أن يكون أمثل ما كان، فكانوا يقولون: عجل الله عافيته. وهو يخبرهم بموته.

ومات ابن لابن عائشة، فعزاه الناس، فتمثل:

يُعزي المعزِّي ثم يمضي لباله ... ويبقى المعزَّى في أحر من الجمر
لأن المعزِّي إلْفُهُ في حياته ... وإِلْفُ المعزَّى في ضريحٍ من القبر

لبعضهم يرثي ابنًا له:

أنت السواد لمقلتي ... وعليك يبكي الناظرُ
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذرُ

وعزى ابن جريج رجلًا من مكة بابن له فقال: إنه [من] لم يَسْلُ إيمانًا واحتسابًا، سلا كما تسلو البهائم.

---

(٥٥٥) انظر عيون الأخبار ٣/ ٦٢.
(٥٥٦) انظر الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٩٤.
(٥٥٧) أملّاك: ملاك، م ي. الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٩٤.
(٥٥٨) عليك: إليك، م ي. الدر الفريد وبيت القصيد ٥/ ٩٤.

ومات لبعضهم ابن صغير فقال:

يـا غائبًـا مـا يـؤوب مـن سـفره عَاجَلَـهُ موتُـه علـى صغـره
يـا قـرة العيـن كنـت لـي أنسًـا فـي طـول ليلـي نعـم وفـي قصـره
شـربت كأسًـا أبـوك شـاربها لا بـد مـن شـربها علـى كبـره

ومات ابن لسليمان بن علي، فجزع عليه جزعًا شديدًا وامتنع من الطعام، فعزى له الناس. وقام يحيى بن منصور الذهلي [معزيًا] فقال: أصلح الله الأمير، عليكم بكتاب الله فأنتم أعلم بتأويله، ومنكم كان النبي عليه السلام، فأنتم أعلم بسنته، ولسنا نعلمك شيئًا تراك تجهله، ولا نذكرك شيئًا نظنك تنساه، ولكني أعزيك ببيت من الشعر قلته وهو:

وهـوّن مـا ألقـى مـن الوجـد أننـي أجـاوره فـي داره اليـوم أو غـدا

فاستعاده وقال: يا غلام هات الغداء.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عون بن عبد الله يعزيه بابن له: أما بعد، فإنا أموات، أبناء أموات، وإخوان أموات، فكيف يعزي ميت ميتًا عن ميت، والسلام. وكتب إليه عون: أما بعد فما أَنْزَلَ الموتَ كُنْهَ منزلتِهِ مَنْ عَدَّ غدًا مِنْ أَجَلِهِ، فكم من مستقبل يومًا لا يستكمله، وكم من مؤمل لغدٍ لا يدركه، إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم(٥٥٩) الأمل وغروره، والسلام.

وكتب يزيد الرَّقَاشي إلى صديق له يعزيه بابن له: أما بعد فقد بلغني وفاة فلان، فإنا(٥٦٠) لله وإنا إليه راجعون، صبرًا على بلائه، وتسليمًا لقضائه، وإن فجعتْنا المصائب، وأوجعتنا النوائب، بالألفة(٥٦١) المحبوبين وبالأحبة المألوفين، فأصبحوا في عساكر المقابر لا يتزاورون مع قرب(٥٦٢) جوارهم، ولا يستأنسون بعمارة دارهم، خمد فيها أربابها، وذل بالخشوع سكانها، لأنها بالخراب موصوفة، وبالفناء محفوفة، وقد أصبح فلان من أهل تلك الدار، وعزائي عليه أنه ليس بأكرم على الله ممن مضى(٥٦٣) من أنبيائه ورسله وأوليائه، نسأل الله لنا ولكم عوضًا من صلاته ورحمته.

---

(٥٥٩) لأبغضتم: لأعضهم، م ي. انظر المختار من مناقب الأخيار ص٤٩٨.
(٥٦٠) فإنا: فإن، م ي. الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات والبنين ص٢٥٧.
(٥٦١) بالألفة: بإلفة، م ي. الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات والبنين ص٢٥٧.
(٥٦٢) مع قرب: لقرب، م ي. انظر الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات والبنين ص٢٥٧.
(٥٦٣) مضى: مشى، م ي. انظر الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات والبنين ص٢٥٧.

وكتب بعضهم: إن الولد ما عاش فهو لوالده حزن وفتنة، وإذا قدَّمه فصلاة ورحمة، ولا تجزعن على ما فاتك من حزن وفتنة[٥٦٤]، ولا تضيعن ما عوضك الله من صلاته ورحمته.

المتنبي:

فإن تكُ في قبرٍ فإنك في الحشا ... وإن تك طفلًا فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يُبكى على قَدْرِ سِنِّه ... ولكن على قدر المخيلة والأصل

ابن الرومي:

مصائب دنيا تفوت من العدد ... وأوجعُها أن يُفجع المرء بالولد
ورُزْءُ الفتى بالأم والأب دارسٌ ... قديم ورزء الابن باقٍ على الأبد
وذاك لأن المرء يحيا بلا يَدٍ ... ورِجْلٍ ولا تلقاه يحيا بلا كَبِدِ

مبحث في التعزية بموت البنات

ابن عباس قال: لما عزي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابنته رقية امرأة عثمان قال[٥٦٥] صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله، دفن البنات من المكرمات».

وعن عثمان قال: بكت النساء على رقية فجاء عمر فضربهن، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال: «دعهن يبكين»، وقال لهن: «ابكين، وإياكن ونعيق الشيطان، فإنه مهما يكن من العين والقلب فمن الله والرحمة، ومهما يكن من اليد واللسان فمن الشيطان، فبكت فاطمة على شفير القبر، فجعل النبي يمسح الدموع عن عينيها بطرف ثوبه».

ونعي إلى ابن عباس بنت له فقال: الحمد لله، أجرٌ ساقه الله، ومؤنة كفاها الله، وعورة سترها الله.

ولبعضهم:

تعز إذا رزئت فخير درع ... تسربل للمصيبة درع صبر
ولم أر نعمة شملت كريمًا ... كنعمة عورة سُترت بقبر

(٥٦٤) حزن وفتنة: حربه وفتنته، م ي.

(٥٦٥) قال: فقال، م ي.

وماتت لبعضهم ابنة، ووُلِدَ له ابنٌ، فعُزِّي وهنِّيَ، فقال بعض الشعراء:

جعلت فداك من النائبات ... ومتعت ما عشت بالمكرمات
فقد نلت حظك من ذا وذا ... فلا تكفر النعم السابغات
وقد قال خير الورى كلهم ... دفن البنات من المكرماتِ

وعزى رجل عبد الله بن طاهر في[٥٦٦] بنته فقال:

أيها الأمير، مِمَّ[٥٦٧] تجزع؟ أمن الموت؟

[تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا] [والموتُ] أكرم نزَّال على [الحُرَمِ][٥٦٨]

آخر:

لكل أبي أنثى إذا ما ترعرعت ... ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهرْ
فأم تربيها وبعل يصونها ... وقبر يواريها وخيرهما القبرُ

وعزي بعضهم فقال:

وما الموت والأهلون إلّا وديعة ... ولا بد يومًا أن تُرَدَّ الودائع
وما المرء إلّا كالشهاب وضوئه ... يصير رمادًا بعد إذ هو ساطع

مبحث في التعزية بموت الزوجين

لما دفن علي عليه السلام فاطمة رضي الله عنها، كان يزورها، فأقبل ذات يوم وقال:

ما لي مررت على القبور مسلمًا ... قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيب ما لك لا تجيب مناديًا ... أنسيت بعدي خلة الأحباب

فهتف به هاتف:

قال الحبيب وكيف لي بجوابكم ... وأنا رهين جنادل وتراب

(٥٦٦) في: عن، م ي.
(٥٦٧) مِمَّ: بم، م ي.
(٥٦٨) تكملة شطر البيت وتمامه: تهوى حياتي وأهوى موتها شفقًا .. والموتُ أكرم نزَّال على الحُرَمِ، انظر عيون الأخبار ٣/ ١٠٧، ٦٣.

أكل التراب محاسني فنسيتكم وحجبت عن أهلي وعن أترابِ
فعليكم [مني] السلام تقطعت عني وعنكم خلة الأحباب

ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحد استقبلته حمنة بنت جحش فنعي إليها أخوها عبد الله، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي خالها حمزة، فاسترجعت، ثم نعي زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن زوج المرأة منه لبمكان»، قال ذلك لما رأى من تثبتها عند نعي أخيها وخالها، وصياحها على زوجها.

لأمير المؤمنين يرثي فاطمة عليهما السلام:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وإن الذي بعد الفراق قليل
وإن افتقادي واحدًا بعد واحد دليل على ألاّ يدوم خليلُ

وماتت نوار امرأة الفرزدق، فخرج الحسن في جنازتها، قد مر الخبر وشعر الفرزدق: (أخاف وراء القبر) في باب القبر.

حميد بن سعيد قال: كان رجل من العرب يقال له سعيد، وكانت له ابنة عم امرأة وكان معجبًا بها، فبينا هما [يومًا] إذ نظر إليها وبكى ونظرت إليه وبكت، فقالت: ما يبكيك؟ وقال مثل ذلك، فقالت: ذكرت فَقْدَكَ إياي واستبدالك بي فذاك أبكاني، فقال: وذاك أيضًا أبكاني، فتحالفا ألاّ يغدر أحدهما بصاحبه، ومات سعيد، فلم تزل هذه المرأة والهة، وأشار الناس بتزويجها، فأبت، فلم يزالوا بها حتى أجابت، فلما كانت ليلة البناء أغفت الجارية فرأت[٥٦٩] سعيدًا في المنام آخذًا بعضادتي الباب يقول:

حييتُ ساكن هذا البيت كلهم إلا الرباب فإني لا أحييها
أمست عروسًا وأمسى مسكني جدثًا بين القبور وإني لا ألاقيها

فانتبهت فزعة وقالت لأمها: رأيت ابن عمي كذا، فقالت لها: خيرًا رأيت يكون، فأغفت فرأت ابن عمها ثانية يقول:

استبدلت بدلًا بعدي وقد علمت أن القبور تواري من ثوى فيها

(٥٦٩) فرأت: فرأيت، م ي.

قد[٥٧٠] كنت أحسبها بالعهد راعية ... حتى الممات وما جفّت مآقيها[٥٧١]

فانتبهت فزعة وقالت لأمها ما رأت[٥٧٢]، فقالت: خيرًا ما رأيت وخيرًا يكون، فعادت إلى نومها، فرأت ابن عمها يقول:

كانت لها حلة ترضى مودتها ... في النائبات ولا تخشى تعديها
الله يعلم أني لم أقل كذبًا ... فيما زعمت وإني لا أزكيها

فانتبهت فزعة وقالت: والله لا يجتمع رأسي ورأس هذا الرجل أبدًا ولا أتزوج.

ولما مات الحسن بن الحسن أقامت فاطمة بنت الحسن على رأس قبره سنة، ثم أمرت بقلع الفسطاط وأنشأت تقول:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولًا كاملًا فقد اعتذر

فسمع صوت من جانب البقيع: هل وجدوا ما طلبوا؟ فسمع من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا.

ولما نظرت إلى جنازته قالت:

وكانوا غياثًا[٥٧٣] ثم أضحوا رزية ... ألا عظُمتْ تلك الرزايا وجلت

والبيت لسليمان بن [قَتّة العدوي][٥٧٤] من أبيات:

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها حين حلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
ألا إن قَتْلَى الطف[٥٧٥] من آل هاشمٍ ... أذلتْ رقاب المسلمين فذلت

وللرشيد يبكي امرأته:

مَلِكٌ بكاكِ وطال بعدَكِ حزنُهُ ... لو يستطيع بِمُلكِهِ لفداكِ
عمي الفؤاد عن النساء حفيظة ... إذ لا يريد من النساء سواكِ

---

(٥٧٠) قد: وقد، م ي. الهفوات النادرة ص ٤٨.

(٥٧١) جفّت مآقيها: إن حفت ما فيها، م ي. الهفوات النادرة ص ٤٨.

(٥٧٢) ما رأت: رأت، ي.

(٥٧٣) غياثًا: عيانًا، م ي. شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص٣٩٩.

(٥٧٤) انظر شرح ديوان الحماسة للتبريزي ص ٣٩٩.

(٥٧٥) الطف: موضع قرب الفرات قتل فيه الحسين عليه السلام.

يـا مـن تباشـرت القبـور بموتهـا ... قَصَـدَ الزمـانُ لمقلتـي فرمـاكِ
أبغـي الأنيـس فـلا أرى لـي مؤنسًـا ... إلا التـردد حيـث كنـت أراكِ

المدائني قال: احتضر أعرابي فنظر إلى ابنه يدب واسمه معمر وأم الصبي جالسة عند رأسه، فقال:

وإنـي لأخشـى أن أمـوت فتنكحـي ... ويُقـذفَ فـي أيـدي المراضـع معمـرُ
وتُرخـى سـتورٌ دونـه وقلائـد ... ويشـغلكم عنـه خَلُـوقٌ ومِجْمَـرُ(٥٧٦)

فما لبث أن مات وتزوجت وصار معمر إلى ما ذكر.

قال أبو حيان: رأيت امرأة تبكي بين قبرين وتقول:

تفـرغ لـي ريـب الزمـان فكلمـا ... سـررت أتـى منـه إلـي خليـل
ومـن كان خصمًـا للزمـان فمـا لـه ... إلـى غيـر مـا يهـوي الزمـان سـبيل
ومـن كان ذا صبـر علـى فَقْـدِ إِلْفِـهِ ... فصبـري علـى فقـد الأليـف قليـل
أتسـأل عمـا بـي مـن الصبـر والأذى ... ففـي ضـر جسـمي شـاهد ودليـل

قلت: من هذا؟ قالت: هذا زوجي وأبواي، قلت: فأيهم كان أحب إليك أن يعيش؟ قالت: زوجي.

مبحث في التعزية بموت الوالدين

سهل بن أسلم العدوي قال: عزى عوف الأعرابي رجلًا عن أبيه فقال: اعلم أن بعد هذا التفرق اجتماعًا، فإن استطعت أن تلقى أباك وأنت لا تستحي منه فافعل، إن كان له وصية فأنفذها، وأمانة فأدها، أو دين فاقضه، أو رحم فصلها، واعلم أن بعد ذلك الاجتماع تفرقًا، ثم اجتماعًا لا تفرق بعده، أو تفرقًا لا اجتماع بعده.

وروى حماد بن سلمة، عن حميد، لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى، فقيل: ما يبكيك يا أبا واثلة(٥٧٧)؟ قال: [كان لي](٥٧٨) بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما.

(٥٧٦) انظر عيون الأخبار ٤/ ١١٣، وفي م ي (حلوف ومحمر). والخلوق: نوع من الطيب، والمجمر: العود أو الشيء الذي يوضع فيه الجمر. انظر تاج العروس (جمر) و(خلق).

(٥٧٧) أبا واثلة: وابلة، م ي. انظر حلية الأولياء ٣/ ١٢٣.

(٥٧٨) انظر حلية الأولياء ٣/ ١٢٣.

وعن ابن عبد الله المزني أنه عزى إياسًا على[٥٧٩] أمه فقال: أما[٥٨٠] أحد بابيك فقد أغلق عنك، فانظر كيف تكون[٥٨١] في الباب المفتوح، فبكى إياس.

الأصمعي قال: مررت ببعض القبائل فإذا أنا بجارية والله ما أتت عليها عشر سنين وهي تقول:

عدمتُ الحياة ولا نلتُها إذا كنتَ في القبر قد ألحدوك
وكيف أذوق لذيذ[٥٨٢] الكرى وأنت بمثواك قد وسدوك

فسألت عنها، فقيل: مات أبوها.

وعزى إياس بن معاوية خالد الحذاء عن أمه فقال: لو كان الناس لا تموت أمهاتهم لألفيت حواء حية.

وعزى صالح المزني عبد الله بن الحسن عن أمه فقال: إن لم تكن مصيبتك أحدثت لك موعظة في نفسك فمصيبتك في نفسك أعظم من هذه المصيبة.

ودخل عبد الله بن المعتز على القاسم بن عبد الله وقد أصيب بأبيه فقال: إني معزّيك لا أني[٥٨٣] على ثقة.. البيتين وقد مرا[٥٨٤]، فلما درج في كفنه قال:

قد استوى الناس ومات الكمال وقال صرف الدهر: أين الرجال؟
هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

فلما حمل قال:

وما كان ريح المسك ريح حنوطه ولكنه هذا البناء المخلف
وليس صرير النعش ما تسمعونه ولكنه أصلاب قوم تقصف

---

(٥٧٩) على: عن، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/ ٣٣.
(٥٨٠) أما: ما، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/ ٣٣.
(٥٨١) تكون: يكون، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/ ٣٣.
(٥٨٢) وكيف أذوق لذيذ: ولا ذقت لذيذ طعم، م ي. عيون الأخبار ٢/ ٣٢٥.
(٥٨٣) معزّيك لا أني: لأعزيك، ي.
(٥٨٤) يقصد قوله:
إني معزّيك لا أني على ثقة من الخلود ولكن سنة الدين
فما المعزّ بباقٍ بعد صاحبه ولا المعزي وإن عاشا إلى حين
وقد مرّا في هذا الجزء قبل صفحات.

فلما وضع للصلاة أنشأ يقول:

قضوا ما قضوا من أمرهم ثم قدموا إمامًا له والنعش بين يديه
وصلُّوا جميعًا خاشعين كأنهم وقوفٌ خضوع للسلام عليه

عن ابن عمر قال: خرجت امرأة منا تريد قبر أبيها، فاتبعتها حتى انتهت إلى المقبرة، ثم قالت بصوت ضعيف: هذا والله المنزل الحق، والمسكن الذي ليس لأهل الدنيا عنه محيص، هذا والله المفرق بين الأحباب، والمقرب من الحساب، وبه يعرف الفريقان منازلهم، أهل السعادة وأهل الشقاوة، أما إني لا أقول هجرًا عند الله، أحتسب مصابي فيك يا أبه، كان والله علمي فيك أنت كنت جودًا، إن أتيت أتيت رشدًا، وإن اعتمدت وجدت عمادا(٥٨٥)، ثم أنشأت تقول تندبه:

يا ليت شعري كيف غيرك البلى أم كيف صار جمال وجهك في الثرى
لله دركَ أيَّ كهل غيبوا تحت الجنادل ما يُحَسُّ ولا يُرى
لُبٌّ وحزمٌ(٥٨٦) بعد علم زانه بأس وجود حين يطرق للقِرى
لما نقلت إلى المقابر والبلى دنت الهموم فغاب عن عيني الكرى

فلم تزل تبكي حتى ماتت، فجئت الحي فأخبرتهم، فدفنوها بجنبه.

وعزى ابن عباس رجلًا عن أمه فقال: يا هذا مات عنك من كان يحبك مجانا.

ولأم حكيم تندب أباها من أبيات:

أيا ساكن القبر الجديد بناؤه أتيتك محزونًا دموعي ترقرق
أناديك من تحت التراب وإنني إليك لمشتاق براني التشوق
فلو جاوب الموتى حزينًا بشجوه لكنت حريًا أن تجيب وتنطقُ
وتخبرني عما لقيت من البلى وتسألني عما أقول فأصدقُ
بليت بأحزان علي تتابعت تقلقل أحشائي وللقلب تحرقُ
فكيف وقد أمسيت يومًا بحفرة بها أعظمي تبلى وجسمي يمزق

(٥٨٥) وجدت عمادا: قعدت عمارا، م ي.
(٥٨٦) لُبٌّ وحزمٌ: لبا وحزمًا، م ي. بحار الأنوار للمجلسي ٧٩/ ١٧٨.

ولما توفي هارون وقعد الأمين بالخلافة أشكل على الناس التعزية والتهنئة، فقال الحسن بن هاني[٥٨٧]:

جـرت جـواري السـعود والنحـس فالنـاس فـي مأتـمٍ وفـي عـرس
فالعيـن تبكـي والسـن ضاحكـةٌ فنحـن فـي وحشـة وفـي أنـس
يضحكنـا القائـم الأميـن ويُبـ كينـا وفـاة الإمـام بالأمـسِ
بـدران بـدر أضحـى ببغـداد [فـي الـ خلـد] وبـدر بطـوس فـي الرمـسِ

ويروى مثله:

هـلال بـدا وهـلال أفـل كـذاك اختـلاف صـروف الـدول
لئـن سـاءنا أن جيشًـا مضـى لقـد سـرنا أن جيشًـا قفـل

ومات العباس فجزع ابنه عبد الله بن العباس بن عبد المطلب جزعًا شديدًا، فدخل أعرابي وأنشده:

اصبـر نكـن بـك[٥٨٨] صابريـن فإنمـا صبـر الجميـع معـا بصبـر الـراسِ
خيـر مـن العبـاس أجـرك بعـده والله خيـر منـك للعبـاس

شعر:

أُسـرة المـرء والـداه وفيمـا بيـن حضنيهمـا الحيـاة تطيـب
فـإذا ولَّيـا عـن المـرء يومًـا فهـو فـي النـاس أجنبـي غريـبُ

والشريف الرضي[٥٨٩] يرثي أمه من قصيدة:

أبكيـك لـو نفـع الغليـل بكائـي وأقـول لـو ذهـب المقـال بدائـي
طـورًا تكاثرنـي الدمـوع وتـارة آوي إلـى مكرومتـي وحيائـي
كـم عبـرة موهتهـا بأناملـي وسـترتها متجمـلًا بردائـي
أُبـدي التجلـد للعـدو ولـو درى بتململـي لقـد اشـتفى أعدائـي

---

(٥٨٧) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٨٣٢.

(٥٨٨) نكن بك: تكن، ي. انظر الدر الفريد وبيت القصيد ٣/ ٤٠٣.

(٥٨٩) الشريف الرضي: للمرسوم، م ي. مرآة الزمان ١/ ٤٢.

قد كنت آمل أن أكون[٥٩٠] لكِ الفدا ... مما أَلَمَّ فكنتِ أنت فدائي
كيف السلو وكل موضع لحظة ... أثر لفضلك[٥٩١] خالد بإزائي

مبحث في التعزية بموت الإخوان

سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الموت فزع، فإذا بلغ أحد وفاة أخيه فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه عندك في المحسنين، واجعل كتابه في عليين، واخلف على عقبه في الغابرين، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده».

قتادة: موت الأخ قص الجناح.

شعر:

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناحِ

وقيل[٥٩٢] لأعرابي: كيف تجدون فيكم فَقْدَ الأخ؟ قال: قَصُّ الجناح، وفتُّ العضد.

وهب بن منبه: فَقْدُ الرجل أخاه أعظم من فقد جميع أهله؛ لأن أخاه عضده ووزيره، ألم تسمع إلى قول موسى حيث يقول: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي..﴾ الآية [طه:٢٩]، واستشهد زيد بن الخطاب باليمامة وحضره رجل من بني عدي بن كعب ورجع إلى المدينة، فلما رآه عمر بن الخطاب دمعت عيناه ثم قال:

وخلفت[٥٩٣] زيدًا ثاويًا وأتيتني ... كأن لم يكن بالأمس حيًا مكرمًا

وكان يقول: رحم الله زيدًا، هاجر قبلي، واستشهد قبلي، ما هبت الريح من تلقاء اليمامة إلّا أتتني برئاه، ولا ذكرت قول متمم بن نويرة إلّا ذكرته وإلا هاج لي شجنًا، وهو:

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكًا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(٥٩٠) أكون: نكون، ي. انظر مرآة الزمان ١/ ٤٢.
(٥٩١) أثر لفضلك: أقر لفظك، ي. مرآة الزمان ١/ ٤٢.
(٥٩٢) قيل: قال، ي.
(٥٩٣) خلفت: خلف، م ي. العقد الفريد ٣/ ١٩١.

وقال عمر لمتمم بن نويرة: لو كنت شاعرًا الأثنيت[٥٩٤] على أخي كما [أثنيت على][٥٩٥] أخيك؟ فقال متمم: لو كان مهلك أخي كمهلك[٥٩٦] أخيك لتعزيت عنه، فقال عمر: ما رأيت تعزية أحسن من هذه، وقال عمر: ما بلغ جزعك على أخيك مالك؟ قال: بكيته سنة حتى استعدت العين الذاهبة العين الصحيحة، فقال عمر: ثم مه؟ قال: ثم صبرت. ولمتمم يبكي أخاه:

فهون وجدي بعد ما كدت أنتحي[٥٩٧] على السيف حتى أبلغ الجوف والحشا
رجال أراهم من ملوك وسوقة خَبَوا[٥٩٨] بعدما نالوا السلامة والغنى
وأن كل شيء باطل ما علمته وأن كل شيء ما خلا الله لا يبقى
وكل امرئ يؤتى وإن عاش حقبة إلى غاية يجري [إليها] ومنتهى

وهو سلمة بن كهيل.

قال ابن مسعود لرجل يعزيه بأخيه عتبة بن مسعود فقال: أما والله إن عتبة كان أخي في النسب وأخي في الهجرة، وما أصابتني مصيبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعظم علي منها إلّا أن يكون مصابي بعمر، فإن أهل بيت من العرب لم يدخل عليهم مصاب عمر لأهل بيت سوء.

ورأى عمر الخنساء تطوف بالبيت وقد علقت نعل صخر بخمارها محلوقة الرأس تبكي وتقرع وجهها بالنعل، فقال: من هذه؟ فقيل: الخنساء، فقال: إن في الناس من هو أعظم رزية منك، وإن الإسلام غطى على ما كان قبله، وإنه لا يحل لك قرع وجهك ولا حلق رأسك، قال: فكفت عن ذلك وقالت:

هريقي من دموعك واستفيقي وصبرًا إن أطقت ولن تطيقي
لعاقبة فإن الصبر خير من النعلين والرأس الحليقِ
وقولي إن خير بني سليم وأكرمهم بصحراء العقيق[٥٩٩]

(٥٩٤) شاعرًا الأثنيت: شاعر ألا بيبت، م ي. شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٥٦٩.
(٥٩٥) شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٥٦٩.
(٥٩٦) كمهلك: لمهلك، م ي. شرح شواهد المغني للسيوطي ٢/ ٥٦٩.
(٥٩٧) كدت أنتحي: كانت أنحي، ي.
(٥٩٨) خَبَوا: ضحوا، م ي.
(٥٩٩) بصحراء العقيق: بصحر العيقي، ي. انظر شرح مقامات الحريري للشريشي.

وقيل للخنساء: مم عمشت؟ فقالت: من طول بكائي على سادات مضر، قيل: فإنهم قد صاروا إلى النار، قالت: فذلك أطول لعويلي عليهم، ثم كنت أبكي صخرًا من الحياة فأنا اليوم أبكي له من النار.

ودخلت الخنساء على عائشة وعليها خمار مشقوق وصَدَار[٦٠٠] من شعر، فقالت عائشة: يا خنساء ألا تلقين هذا المشقوق وهذا الصدار؟ فقالت: إني أحدثك عنه، كان لي زوج قامر بماله حتى قمر، فقال: ائتي أخاك فاستعينيه، فأتيته، فأعطاني ثلاثين ناقة، فعشنا بها زمانًا، ثم قامر فقمر، ثم قال: ائتي أخاك، فأتيت وكنت أستحيي، ورأيته في حجر امرأته، فرأتني قبل أن يراني فقالت: إن يك هذا دأب هذه لم تدع لك مالًا، قالت: فرآني وسمع ما قالته امرأته، فقام إلى إبله ففرقها ويقول:

وكيف لا أمنحها خيارها وإن هلكت مزقت خمارها
واتخذت من شعر صدارها

وأعطاني شطر إبله، فلا والله لا أدع ما سمعته يقول أبدًا.

وقال عمر للخنساء وقد سقط حاجباها من الكبر على عينيها: ما بقي من حزنك على أخيك؟ فقالت[٦٠١]:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكل مغيب شمس
ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
ولا يكون مثل أخي ولكن أعزي النفس منه بالتأسّي
ألا يا صخر لا أنساك حتى أفارق مهجتي وأزور رمسي

فقال: يا خنساء أرى وجدك جديدًا، قالت: هو ذاك يا أمير المؤمنين.

يونس بن عبيد قال: نعي إلى الحسن أخوه، فاسترجع وبكى، فقال بعضهم: يا أبا سعيد، تبكي؟ فقال: قد بكى يعقوب على يوسف فلم يُعَبْ عليه.

الصادق قال: سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه فقال: لا تلوموني، فإن يعقوب فَقَدَ سبطًا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم يعلم أنه مات، ولقد نظرت إلى أربعة عشر

(٦٠٠) الصُّدَارُ: قميص تلبسه النساء. العين (صدر).
(٦٠١) انظر الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٦.

رجلًا من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي أبدًا؟

كنا كزوج حمامة في أيكة[٦٠٢] متنعمين بصحة وشباب
فغدا الزمان عليهما فتفرقا إن الزمان مفرق الأحباب

لبعضهم يرثي أخًا له[٦٠٣]:

لا يبعد الله إخوانًا لنا ذهبوا أفناهم حدثان الدهر والأبدُ
نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يؤوب إلينا منهم أحد

مبحث في التعزية بموت الأقارب

جابر بن عبد الله قال: «لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبة حمزة بكى، فلما رأى ما مثل به شهق»، وروي أنه قال لوحشي بعد أن أسلم: «ما تستطيع أن تغيب عني وجهك»، فخرج إلى الشام، وقُتل حمزة يوم أحد.

وعن سعيد بن المسيب: كنت أعجب كيف ينجو قاتل حمزة، حتى أنه مات غريقًا في الخمر.

وعن وحشي قال: شققت بطن حمزة وأخرجت كبده فجئت بها إلى هند بنت عتبة، فقلت لها: ماذا لي إن قتلت قاتل أبيك؟ فقالت: سلبي[٦٠٤]، فقلت: هذه كبد حمزة، فمضغتها ثم لفظتها، ونزعت ثيابها وحلتها ودفعت إلي، وقالت: إذا جئت مكة فلك عشرة دنانير، ثم قالت: أرني مصرعه؟ فأريتها، فقطعتُ مذاكيره، وجدعتُ أنفه، وقطعت أذنيه.

وعن صفية بنت عبد المطلب قالت: انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: «ما فعل عمي، ما فعل حمزة»، ثم خرج يمشي حتى وقف على حمزة ثم قال: «ما وقفت موقفًا أغيظ لي من هذا».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «دخلت الجنة البارحة فنظرت فإذا جعفر يطير مع الملائكة، وإذا حمزة متكئ على سرير».

(٦٠٢) أيكة: أيلة، م ي. المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ٤/ ٦٣٠.

(٦٠٣) انظر عيون الأخبار ٣/ ٧٦.

(٦٠٤) سلبي: سلني، ي. مغازي الواقدي ١/ ٢٨٦.

ابن مسعود قال: تذاكرنا بيننا مَنْ أفضل الشهداء، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله على ذلك».

ولحسان يرثي حمزة(٦٠٥):

دع عنك دارًا قد عفا رَسْمُها(٦٠٦) وابك على حمزة ذي النايل
مال(٦٠٧) شهيدًا بين أسيافكم شَلَّت يدا وحشيه القاتل
كنا نرى حمزة حرزًا لنا من كل أمر [نابنا] نازل
أظلمت الأرض لفقدانه واسود نور(٦٠٨) القمر الناصل

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم المدينة من أحد، فوجد الأنصار يبكون قتلاهم، فقال: «لكن الحمزة لا بواكي له»، فسمع الأنصار ذلك فجاءوا بأجمعهم إلى باب حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكوا حمزة، فنام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم استيقظ فوجدهم يبكون كذلك، فقال: «ما زال هذا صنيعكم؟ قالوا: نعم، فدعا لهم وأمرهم أن ينصرفوا»، وروي أنه صار سنّة في أهل المدينة إلى يومنا هذا، لا يموت ميت إلّا بكوا الحمزة قبل بكائهم لميتهم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم للعباس: «إنه عمي وبقية آبائي»، وقال لعمر: «أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه».

ولما مات أبو طالب قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وصلت رحمي يا عماه، ما أسرع ما وجدت فقدك يا عماه»، وقال: «ما زالت قريش عني كافة إلى أن مات عمي فتواثبوا علي من كل جانب».

البحتري:

ولا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى وموت علي من حسام ابن ملجم

(٦٠٥) سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٦، والروض الأنف ٦/ ١٠٥.

(٦٠٦) هل تعرف الدار عفاريتها: دع عنك دارًا قد عفا رَسْمُها، م ي. انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٦، والروض الأنف ٦/ ١٠٥.

(٦٠٧) مال: مات، م ي. سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٦، والروض الأنف ٦/ ١٠٥.

(٦٠٨) نور: لون، ي. انظر سيرة ابن هشام ٢/ ١٥٦، والروض الأنف ٦/ ١٠٥.

مبحث في التعزية بموت المملوك

الأصمعي قال: مات مملوك لبعضهم فعزي فقال: لئن كان ملك الموت دخل[٦٠٩] داري وقرب مني، ثم تخطاني إلى بعض مالي، ثم أصبحت جزوعًا، إني إذًا لقليل الشكر.

وعن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من عزى مصابًا فله مثل أجره».

وقال عبد الله بن طاهر يعزي جارية له[٦١٠]:

جاءت تزور وسادي بعدما قبرت ... فبتُّ ألثم خدًا زانه الجيدُ
فقلت قرة عيني قد نعيتِ لنا ... فكيف ذا وطريق القبر مسدود
قالت هناك عظامي فيه ملحدة ... تنهش فيها هوام[٦١١] الأرض والدود
وهذه النفس قد جاءتك زائرة ... هذي زيارة من في القبر ملحود

ولعمر الهريدي يعزي بجواد:

بنحسِ أعاديك دار الفلك ... وما دار منها بسَعْدٍ[٦١٢] فلك
وإن هم دهرٌ بما لا أقول ... فنفسي الفدا وعليَّ الدرك
بقيت جوادًا[٦١٣] فلا تحزنن ... بفَقْدِ الجواد الذي قد هلك
وإن أذنب الدهرُ في أخذه ... فخير من الطرف ما قد ترك

وكان وهب الصاحب رحمه الله لأبي عيسى المنجم برذونا أصفر[٦١٤] فنفق فأوعز إلى[٦١٥] شعرائه بأن يعزوه ففعلوا، ومدحوا الصاحب بقصائد كثيرة، فمن قيل القاضي الجرجاني:

جل والله ما دهاك فعزًّا ... فعزاءً أن الكريم مُعَزَّى[٦١٦]
ذهب الطرف فاحتسب وتصبر ... للرزايا فالحُرُّ مَنْ يتعزى
وصروف الزمان تقصد فيما ... يستفيد الفتى الأعز الأعزى

---

(٦٠٩) دخل: داخل، ي.

(٦١٠) انظر العقد الفريد ٣/ ٢٣٦.

(٦١١) هوام: نبات، ي. انظر العقد الفريد ٣/ ٢٣٦.

(٦١٢) بسَعْدٍ: سعد، ي.

(٦١٣) جوادًا: جواد، م ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٤٨٠.

(٦١٤) أصفر: أصدى، ي.

(٦١٥) إلى: على، ي.

(٦١٦) مُعَزَّى: يعزى، م ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٢٥٦.

ولأبي القاسم بن أبي العلاء:

عـزاءً وإن كان المُصـابُ جليـلا   وصبـرًا وإن لـم يغـن عنـك فتيـلا
وإن نفق الطـرف(٦١٧) الـذي لـو بكيته   دمًـا كان فـي حكـم الوفـاء قليـلا
ففـي كل إصطبـل أنيـن وزفـرة(٦١٨)   تـردد فيـه بكـرة وأصيـلا
فقـدت أبـا عيسـى بطرفـك مركبًـا   جليـلًا وخِـلًّا مـا علمـت نبيـلا
علـي إنهـا الأيـام شتى(٦١٩) صروفهـا   تـذل عزيـزًا أو تعـزّ(٦٢٠) ذليـلا

ولأبي سعيد الرسيمي(٦٢١):

لهفـي علـى ذاك الجـواد وهـل   يفـك رهـن المنـون نادبـه
لـو كان غيـر الممات حاولـه   لقللـت دونـه مخالبـه
لهفـي علـى ذلـك الجـواد مضـى   فـي سـفر لا يـؤوب غائبـه
صبـرًا جميـلًا وإن سـلبت أبـا   عيسـى جليـلا فالمـوت سـالبه
فـي الصاحـب المرتجـى لنـا خلـفٌ   مـن كل(٦٢٢) مـاضٍ خفـت ركائبـه
إن نفـق الطـرف أو أصيـب بـه   مـا نفقـت عندنـا مواهبـه

مبحث في تعازي أهل الذمة

عزى عثمان بن أبي زائدة رجلًا من أهل الذمة فقال: أعطاك الله على مصيبتك أفضل ما أعطى أهل دينك على مصيبتهم.

وعزى شبيب بن شبة ذميًا فقال: أثابك الله أفضل ما أثاب أحدًا من أهل ملتك، فقد أحْزننا ما أحزنك لانقطاعك إلينا ومودتك لنا.

وعزى بشر بن الحارث ذميًا فقال: أعقبك الله الإيمان والهدى.

(٦١٧) نفق الطرف: يقف الطريق، ي.
(٦١٨) زفرة: رنة، م ي. يتيمة الدهر ٣/ ٢٥٧.
(٦١٩) شتى: تبني، ي. يتيمة الدهر ٣/ ٢٥٧.
(٦٢٠) تذل عزيزًا أو تعز: بذل عزيز وتعز، ي. يتيمة الدهر ٣/ ٢٥٧.
(٦٢١) انظر يتيمة الدهر ٣/ ٢٦٢.
(٦٢٢) من كل: وكل، ي. انظر يتيمة الدهر ٣/ ٢٦٢.

يونس بن عبيد عزى ذميًا فقال: لقد شق علينا الذي أصابك، ولا بد من الموت، وكل حي ميت.

ومر أحدهم بذمي فعزاه وقال: عليك بتقوى الله والصبر.

وعزى سفيان الثوري ذميًا فقال: عافانا الله وإياك.

تمّت فصول التعازي بحمد الله تعالى ومنه

باب الفتن

فصل في طلوع الشمس من المغرب

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] قيل: طلوع الشمس من المغرب.

وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: طلوع الشمس من مغربها، ولا تقبل التوبة بعد ذلك».

وفي ذلك عشر إشارات:

أولها: لنعلم قدرته، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس:٣٨]، ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس:٣٩].

وثانيها: أن كل شيء يهلك ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، والشمس والقمر كلاهما ذهاب ضوئهما عند الطلوع من المغرب.

وثالثها: ليعلم خسارة عابديها؛ لأن مَنْ عَبَدَ ما يهلك ويذهب بهاؤه فهو خاسر، ونحن نحمد الله نعبد حيًا لا يموت، وعزيزًا لا يذل[1]، ملكًا لا يعزل، عالمًا لا يجهل، قادرًا لا يعجز، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ..﴾ إلى قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت:٣٧].

ورابعها: ليعلم أن النور الذي لهما أعطاهما الله تعالى، وأن الأمر له دون أحد ودونهما ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ..﴾ الآية [الإسراء:١٢]، ولو كان الأمر إليهما ما اسودا، قال: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١].

وخامسها: تنبيه على إحياء الموتى؛ لأن للشمس موتًا وهو غروبها، كما أن الإنسان في القبر، فكما أنه قادر على إخراج الناس من القبر ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا﴾ [طه:٥٥].

(١) يذل: يذلك، ي.

وسادسها: إشارة إلى أنه تعالى خلقها لمنافع الخلق لا لنفسه، وأنه غني، فلما أراد إفناء الخلق أفناها ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ [يونس:٦٨]، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨].

وسابعها: الرد على أصحاب الطبائع والمنجمين أنه لا يجوز طلوعها من المغرب البتة، ليعلم أنها[٢] [تسير] بالصانع لا بالطبائع ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

وثامنها: إشارة إلى أنه تعالى كما يغير الشمس والقمر فهو قادر على تغيير قلوب المكلفين بالألطاف عند الاختيار وبالأخبار، والله ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ..﴾ الآية [الأنفال:٢٤]، «يا مقلب القلوب..» الخبر.

وتاسعها: تصديق إبراهيم في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وعاشرها: ليعلم أن القيامة قد قامت ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر:١]، وليعلم أن أبواب التوبة انسدت ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ..﴾ الآية [النساء:١٨].

وروى أبو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتدرون أين تذهب الشمس»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي فأصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها»، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتدرون متى ذلك؟ حين لا ينفع نفسًا إيمانها».

وروي أن مروان قعد في نفر بالمدينة، فتذاكروا الآيات، فقال مروان: أول الآيات خروج الدجال، فقال ابن عمر: إن مروان لم يقل شيئًا، حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثًا لم أنسه بعد، سمعته يقول: «إن أولَ الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريب».

أبي بن كعب قلت: يا رسول الله، كيف بالشمس والقمر بعد طلوعهما من مغربهما؟ وكيف الناس؟ قال: «يكسيان النور بعد ذلك ويصيران كما كانا يطلعان ويغربان، والناس يلحون على الدنيا، فأجروا[٣] الأنهار، وبنوا البنيان»، قال أبي: فما بين طلوعها من الغرب إلى نفخ الصور؟ قال: «أقل من أن يركب المهر بعد النتاج»[٤].

---

(٢) أنها: أنه، م ي.

(٣) فأجروا: فخرجوا، ي. انظر تاريخ الطبري ١/ ٧٤.

(٤) تاريخ الطبري ١/ ٧٤.

وروي أنهما إذا طلعا من المغرب أسودين يستبقان حتى يبلغا[٥] وسط السماء ثم يردهما الملك إلى المغرب وتطلع إلى المشرق بعد ذلك.

كعب: تطلع الشمس وما في الأرض أحد يعمل بالحق.

أنس قال: صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير قوم من هذه الأمة قردة وخنازير، وتجف الأقلام، وتطوى الدواوين، ولا يزداد في الحسنات، ولا ينقص من السيئات.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دنت الشمس بغروبها صاحت ثلاث مرات: السلام عليكم يا أمة محمد، لعلي لا أطلع ولا ألقاكم أبدا[٦]، وكذلك الليل إذا أدبر، والنهار إذا تولى»، قيل: ولماذا يكون؟ قال: «لما يرون من المنكر والمعاصي».

وفي الأخبار: إذا اقترب ذلك الوقت تحتبس الشمس مقدار ثلاث ليال وليلتين للقمر، ولا يعرف طول تلك الليلة إلّا المتهجدون، وهم عصابة قليلة في كل بلد، في هوان من الناس وذلة من أنفسهم، فينام أحدهم قدر ما ينام في الليالي، ويقوم ويصلي ورده، ثم يخرج فلا يرى الصبح، فيظن فيه الظنون وينكر ويقول: لعلي قصرت صلاتي أو قمت قبل قيامي كل ليلة، ثم يقوم ويصلي ورده، ثم يخرج فلا يرى الصبح، فيزيده ذلك إنكارًا ويخاف، ويعود ويصلي ورده، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه وبالنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل، فيشفق عند ذلك ويعلم بالأمر ويبكي، وينادي بعضهم بعضًا فيجتمعون في مسجد ويصلون ويبكون ويتضرعون، والناس في غفلاتهم، [فبينا] الناس ينظرون طلوعها من المشرق بضياء ونور إذ[٧] طلعا من المغرب [أسودين]، فيتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهن.

فصل في حديث الدجال

الكلام في ذكر الدجال من سبعة أوجه: إثباته، صفته، موضعه الذي يخرج منه، الموضع الذي يدخل فيه أول بلدة يدخلها، مقتله، تفاريق من أخباره.

(٥) يبلغا: بلغا، ي.
(٦) أبدا: عجبًا، ي.
(٧) إذ: إذا، ي.

مبحث في إثبات الدجال

أما إثباته: فروى الحسن بن عبد الله بن مغفل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس فتنة أعظم من فتنة الدجال، وإنه آدم جعد، ممسوح العين اليسرى، يقول: أنا ربك، فمن قال: ربي الله، فلا فتنة عليه، ومن قال: أنت ربي، افتتن، ثم ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الدجال».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أعوذ بك من المسيح الدجال».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بادروا بالأعمال ستًا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من المغرب، وأمر[8] العامة، وخاصة[9] أحدكم».

هاشم بن عامر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر هو أكبر من الدجال».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يتبع الدجال سبعون ألفًا من يهود أصفهان، عليهم الطيالسة».

مبحث في صفة الدجال

أما صفته: فقد روى سفينة عن[10] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لم يكن قبلي نبي إلّا وقد حذر أمته الدجال، إنه أعور عينه اليسرى، لعينه اليمنى ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر»[11].

وعن أبي أمامة قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا أيها الناس إنه لم تكن فتنة على وجه الأرض أعظم من فتنة الدجال، إن الله لم يبعث نبيًا إلّا حذّر[12] أمته، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر [الأمم][13] وهو خارج فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيج

(٨) أمر: إمارة، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٦٧.
(٩) خاصة: خواصة، ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٦٧.
(١٠) عن: أن، ي.
(١١) مسند أحمد ٣٦/ ٣٥٧.
(١٢) حذّر: حذره، ي. معجم الطبراني الكبير ٨/ ١٤٦.
(١٣) معجم الطبراني الكبير ٨/ ١٤٦.

كل مسلم، وإن يخرج بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي عليكم وعلى كل مسلم، إنه يخرج ما بين الشام والعراق، فيعيث يمينًا ويعيث شمالًا، يا عباد الله اثبتوا[١٤] فإنه سيبدأ فيقول: أنا نبي. ولا نبي بعدي، فيقول: أنا ربكم. ولن تروا[١٥] ربكم حتى تموتوا، فإنه أعور وليس ربكم بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن، فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه..» في حديث طويل في ذكر فتنه.

وفي رواية الخدري عنه: «ألا إن كل نبي قد أنذر قومه قبلي، ألا عينه اليمنى ممسوحة الحدقة، ألا وإن عينه اليسرى كأنها كوكب دري، ألا وإن بين يديه رجلين[١٦] ينذران أهل القرى، كلما دخلا قرية أنذرا أهلها، فإذا خرجا دخلها أول أصحاب الدجال، والمؤمنون متفرقون، فيجمعهم الله، فيقول رجل من المؤمنين: لأنظرن إلى هذا الرجل، فيقولون له: نخاف أن يفتنك، فيأتي حتى يأتي مَسْلَحَةً من مسالحه[١٧] فيقولون: من أنت؟ وأين تريد؟ قال: أريد هذا الدجال الكذاب، فيأخذونه ويجرونه إلى الدجال، فيعرفه بنعت النبي إياه له، فيقول[١٨] له: ما شأنك؟ فيقول المؤمن: أنت أنت الدجال الكذاب الذي أنذرنا رسول الله، فيقول له: إما أن تطيعني أو لأشقنك نصفين، فينادي المؤمن: أيها الناس هذا المسيح الكذاب، من عصاه فهو في الجنة، ومن أطاعه فهو في النار، فيقولها مرتين ويقتل»، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحسبون ذلك الرجل عمر حتى مضى لسبيله.

مبحث في الموضع الذي يخرج منه الدجال

أما الموضع الذي يخرج منه: فاختلفت الرواية، ففي رواية أنس عنه «أنه يخرج من يهودية أصفهان».

وفي رواية أبي بكر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطروقة».

وفي رواية أبي أمامة: «يخرج من بين الشام والعراق»، وقيل: إنه يخرج من سجستان.

(١٤) اثبتوا: أثبوا، ي. معجم الطبراني الكبير ٨/ ١٤٦.
(١٥) تروا: ترون، م ي.
(١٦) رجلين: رجلان، م ي.
(١٧) مسالحه: مسانحه، م ي.
(١٨) فيقول: فيقولون، م ي.

مبحث في أول بلدة يدخلها الدجال

فأما أول بلدة يدخلها: ففي رواية ابن عمر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «أول مصر يدخلها الدجال من أمصار العراق مصر [البصرة](١٩)».

مبحث في المواضع التي لا يدخلها الدجال

وأما المواضع التي لا يدخلها: فأربعة على ما قال، جاء في الأخبار: مسجد المدينة، ومسجد مكة، ومسجد الطور، ومسجد الأقصى.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مكة والمدينة محفوفتان [بالملائكة](٢٠) لا يدخلهما الدجال، ولا الطاعون».

مبحث في مقتل الدجال

فأما مقتله: فروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يقتل ابن مريم الدجال بباب لدّ»، قال ابن عدي الحافظ: لدّ بلدة طيبة بقرب الرملة من بلاد الشام، وقيل: إنه بني هناك مسجد بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وروي أنه يقتل ببيت المقدس، وروي أنه يقتل بجبل بالشام، واتفقت الأخبار أنه يقتله عيسى.

وروي أنه يحاربه المهدي ثم يبشر أصحابه بالفرج من السماء، فينزل عيسى فيقتله.

مبحث في الأخبار في حديث الدجال

فأما تفاريق الأخبار: فاعلم أن الأخبار في حديث الدجال كثير ذكرنا لمعًا:

فروى أبو هريرة أن الدجال ذكر عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلده(٢١) أمه وهي مقبورة، فإذا ولدته حمل النساء بالخطائين.

---

(١٩) انظر السنن الواردة في الفتن للداني ٦/ ١١٤٤.

(٢٠) مسند أحمد ١٦/ ١٨٤.

(٢١) تلده: بلدة، ي. انظر حلية الأولياء ٤/ ٢٢.

وروى أبو هريرة عنه عليه السلام قال: «هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ لا تقوم الساعة حتى يغزوها[٢٢] سبعون [ألفا][٢٣] من ولد إسحاق فلا يضربون بسيف[٢٤] ولا يطعنون برمح، يقولون: لا إله إلّا الله والله أكبر [فيدخلونها فيغنمون][٢٥]، فبيناهم يقسمون إذ جاءهم الصريخ أن الدجال قد خرج في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون».

وذكروا الدجال عنده صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «[بين يدي الساعة][٢٦] ثلاث سنوات[٢٧] تمسك السماء أول سنة[٢٨] ثلث قَطْرِها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية: تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة: تمسك السماء قطرها، والأرض نباتها، حتى لا تبقى ذوات حافر ولا خف».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة فترجف ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق».

وسئل علي عليه السلام عن الدجال فقال: ليس يخفى على مؤمن، وعيناه مطموسة، بين عينيه كافر. قلنا: ومتى ذلك؟ قال: حين يغير الجار على جاره، ويأكل الشديد الضعيف، وتقطع الأرحام، ويختلفون اختلاف أصبعي هذه، وشبك بين أصابعه ورفع يديه حتى رآها الناس».

فصل في حديث المهدي

قيل: إن المهدي رجل من الفاطمية، يخرج آخر الزمان، وهو الصحيح.
وقيل: إنه عيسى.
وقيل: إنه ابن الحنفية. وهم الكيسانية، وقالوا: هو في جبال رضوى، وفيه يقول شاعرهم:

ألا قـل للرضـي فدتـك نفسـي ... أطلـت بذلـك الجبـل المقامـا

(٢٢) يغزوها: يعبرها، ي. انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢٣٨.
(٢٣) انظر صحيح مسلم ٤/ ٢٢٣٨.
(٢٤) بسيف: سيف، ي.
(٢٥) في جامع الأصول ١٠/ ٣٨٠.
(٢٦) جمع الجوامع للسيوطي ٢/ ٥٠٦.
(٢٧) سنوات: سنون خمس، وأن، م ي. جمع الجوامع للسيوطي ٢/ ٥٠٦.
(٢٨) سنة: السنة، م ي. انظر جمع الجوامع للسيوطي ٢/ ٥٠٦.

وقيل: هو علي بن أبي طالب، عن السبائية.

وقيل: الحي المنتظر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر. وهم فرقة من الكيسانية.

وقيل: المهدي محمد بن عبد الله بن الحسن. وهم المغيرية.

وقيل: المهدي هو الصادق جعفر بن محمد. وهم الناووسية.

وقيل: هو محمد بن إسماعيل بن جعفر. وهم المباركية.

وقيل: المنتظر عيسى بن جعفر. وهم الواقفية.

وقيل: إنه ابن الحسن. وهم القطعية.

ومنهم من قال: إنه يجوز أن يكون، ويجوز ألاَّ يكون.

مبحث في الدليل على بطلان القول بالغيبة

فأما الدليل على بطلان القول بالغيبة: أنه لا يخلو إما أن يحتاج إليه أم لا، فإن احتيج إلـ فوجب أن يظهر، وإن لم يحتج إليه بطل أصلهم، ولأنه وجب طاعته فوجب أن يكون إلـ طريق، ولأنه إنما تتعلق به مصلحة فوجب أن يعصمه الله، ولأنه لا يخلو إما أن يكون الدي محفوظًا مع غيبته فوجوده وعدمه سواء، أو لا يكون محفوظًا ففيه هدم الدين، ولأن الخو على إيابه أكثر ولذا[٢٩] استتر فما باله استتر؟ ولأن هذه الأقوال اختلفت وليس بعضها أو من بعض، بل قول الإمامية أشد فسادًا؛ لأن صاحب أولئك شوهد مولودًا ويافعًا وكهلًا دو صاحبهم، ولأنه لو كان لنُقلت غيبته[٣٠] وولادته، ولأنه لم يرو ولادته ولا ذكره أحد. وما الحسن ولم يعقب وأخذ ميراثه أخوه جعفر، ولا يلزم حصار الشِّعْب والغار، لأن هناك كذ إليه طريق، ولأنه لم تتعلق به مصلحة، ولا يلزم حصار به غاب قليلًا ثم ظهر فهو بمنزلة الحا والنوم.

والآثار في ذلك مختلفة، ونذكر لمعًا منها:

فروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه ذكر بلاء يصيب هد الأمة حتى لا يجد ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلًا من عترة أهل بيته فيملأ الأر قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، ويرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء، يقسم الما

---

(٢٩) ولذا: وما، م ي.

(٣٠) لنُقلت غيبته: لتقلب عينه، م ي.

صحاحًا[٣١] قال: بالسوية، فيملأ الله قلوب أمة محمد غنى، ويسعهم عدله حتى أنه ليأتي مناديه فينادي: من له إلى مال حاجة، فما يأتيه إلّا رجل واحد فيسأله، فيقول: انطلق حتى نعطيك، فيأتيه فيقول: خذ، فلا يستطيع أن يحمله، فيخرج به بعد الجهد، ثم يندم فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد إلى هذا المال، فيرده عليه، فلا يقبل منه.

فصل في نزول عيسى عليه السلام

قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران:٤٦]، قيل: كهلًا وقت نزوله.

وقيل في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ﴾ [مريم:٥٧] يعني إلى السماء.

وقيل في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران:٥٩]، قيل: إنه خلقه من غير أب، وقيل: إنه خلقه من أصل طيب، أما التراب فطيب لقوله: ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء:٤٣]، وأما الريح ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس:٢٢]، وقيل: لأن آدم رفع إلى السماء وأهبط، كذلك عيسى.

وروى أبو هريرة عن النبي عليه السلام: «ينزل عيسى بن مريم حكمًا مقسطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض[٣٢] المال حتى لا يقبله[٣٣] أحد».

وقال عليه السلام: «إن[٣٤] خليفتي في أمتي عيسى بن مريم، فإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويُفيض[٣٥] المال ويقاتل الناس على الإسلام[٣٦] حتى يهلك الله على يده الدجال والملوك كلها، ويقع في الأرض الأمن حتى يرتع الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، ويلعب الصبيان مع الحيات، فيلبث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى[٣٧] ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه».

(٣١) صحاحًا: صحصاحًا، م ي. مسند أحمد ١٧/ ٤٢٧.
(٣٢) يفيض: يقبض، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٣.
(٣٣) يقبله: يقبضه، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ١٣٦٣.
(٣٤) إن: إنه، ي.
(٣٥) يُفيض: يقبل، م ي. انظر الشريعة للآجري ٣/ ١٣٢١.
(٣٦) الناس على الإسلام: على عليه السلام، م ي. الشريعة للآجري ٣/ ١٣٢١.
(٣٧) يتوفى: يتوضى، م ي. الشريعة للآجري ٣/ ١٣٢١.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سيدرك رجال من أمتي عيسى بن مريم ويشهدون الدجال».

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى بن مريم».

كيسان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء في شرقي دمشق».

وعن وهب: عشر آيات قبل يوم القيامة: خروج الروم على المسلمين، ثم الدجال، ثم نزول عيسى، ثم الدابة تكلم الناس، ثم يأجوج ومأجوج، ثم الدخان، ثم الملائكة تطير بين السماء والأرض على خيل بلق ينعون إلى أهل الأرض باقتراب الساعة، ثم طلوع الشمس من المغرب.

وقد ذكر القاضي في الطرميّات: أنه كيف نزول عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين، ولا يجوز أن يكون عيسى على دينه متعبدًا بشريعته؟ وأجاب بأنه يظهر عند زوال التكليف، أو يظهر بحيث لا يدرى أنه عيسى، وقيل: إنه يذب عن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكون خليفة له.

فصل في دابة الأرض

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٨٢]، قيل: حق العذاب عليهم، عن قتادة، وقيل: إذا جاء وقت النفخة.

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بئس الشِّعْبُ شِعْبُ جِيَاد - مرتين أو ثلاثًا»، قالوا: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين».

وعن قتادة: هي دابة ذات زغب وريش، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة.

عن أبي هريرة، عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بعصا موسى، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا: أنا مؤمن، وهذا: أنا كافر».

---

(٣٨) جِيَاد: حياد، م ي. معجم الطبراني الأوسط ٤/ ٣١٩.

عبد الله بن عمرو قال: إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه، وتمسح جبين المؤمن حتى يبيض وجهه، وإنها تخرج من شعب فيمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض.

وفي رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الدابة تخرج من مكة»، قال: ذكر عنده الدابة فقيل: من أي موضع تخرج؟ فقال: «من أعظم المساجد حرمة على الله، فبينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم، فيتحرك القنديل وينشق الصفا، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو رأسها، ذات وبر وريش، لن يدركها طالب، ولا يفوتها هارب، وتسمي الناس مؤمنًا وكافرًا، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأما الكافر فتنكت[٣٩] بين عينيه نكتة سوداء [وتكتب بين عينيه][٤٠] كافر».

وعن ابن عباس: الدابة رأسها رأس رجل وسائرها خَلْقُ طائر.

وعن كعب: صورتها صورة الحمار.

وعن سلمان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الدابة لا يفر منها أحد إلا مثلت بين عينيه، إنها تخرج لسلطان عظيم من ربها، وذلك أحد أشراط الساعة».

فصل في حديث يأجوج

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء:٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ..﴾ [الكهف:٩٤] القصة، جنود الله كثيرة وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]، وجميعهم في ملكه ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:٥٦].

ويأجوج ومأجوج روي مرفوعًا «أنه ولد لنوح ثلاثة بنين: سام، وحام، ويافث، فولد سام: العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافث: يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام: القبط والبربر والسودان».

عن ابن عباس: يأجوج رجل، ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح.

(٣٩) فتنكت: فتكتب، م ي. السنن الواردة في الفتن للداني ٥/ ١٠٨٩.
(٤٠) انظر السنن الواردة في الفتن للداني ٥/ ١٠٨٩.

السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج، خرجت تغير، فجاء ذو القرنين فضرب السد، فبقيت خارج السد، فقال ذو القرنين: اتركوهم، فسموهم تركًا لهذا.

حذيفة: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن يأجوج ومأجوج؟ فقال: «يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف، لا يموت رجل منهم حتى ينظر إلى ألف ولد ذكر بين يديه من صلبه كلهم يحمل السلاح»، قالوا: يا رسول الله صفهم لنا، قال: «هم ثلاثة أصناف: فصنف[٤١] منهم أمثال الأرز وهي شجرة طولها مائة وعشرون ذراعًا، وصنف منهم يفترشون إحدى أيديهم ويلتحفون الأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلّا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية».

أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس، فيغشون الأرض والمسلمون يهربون إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، ثم يبعث الله عليهم دودًا في أعناقهم كالنغف[٤٢]، فيخرج في[٤٣] أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل[٤٤] يشري لنا نفسه فينظر ما فعل العدو، فيتجرد لهم رجل محتسبا[٤٥] بنفسه قد وطّنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمون أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون ويسرحون مواشيهم[٤٦]، فما يكون لها رعي إلّا لحومهم».

وفي رواية أبي حازم عن أبي حذيفة: «فيبعث الله قرحة في حلوقهم فلا يبقى منهم بشر فيؤذي ريحهم المسلمين، فيدعو عيسى ربه، فيرسل الله عليهم ريحًا فيقذفهم في البحر أجمعين». ويروى: «يرسل الله مطرًا فيغسل الأرض، ثم يقبض روح كل مسلم، ويبقى[٤٧] [شرار][٤٨] الناس يتهارجون تهارج الحمر، وعليهم تقوم الساعة».

---

(٤١) فصنف: وصنف، م ي.

(٤٢) كالنغف: كالبعق، م ي. المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٣٥.

(٤٣) فيخرج في: فتخرج، م ي. المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٣٥.

(٤٤) رجل: رجلًا، م ي. المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٣٥.

(٤٥) محتسبا: محتسب، م ي. المستدرك على الصحيحين ٤/ ٥٣٥.

(٤٦) مواشيهم: من أنفسهم، م ي. المستدرك للحاكم ٤/ ٥٣٥.

(٤٧) يبقى: بقي، م ي. صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٠.

(٤٨) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٥٠.

وعن ابن مسعود: لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فتذاكروا الساعة متى هي؟ فلم يكن عند إبراهيم وموسى علم، فقال عيسى: لا يعلمها إلّا الله، ولكن عهد الله إلي [دون وجْبتها](٤٩)، وذكر [من] بعض أشراط الساعة الدجال، ثم قال: فأهبط فأقتله ويرجع الناس إلّا بلادهم، فيخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، لا يمرون بماء(٥٠) إلّا شربوه، ولا بشيء إلّا أفسدوه، فيجأرون إلي، فأدعو ربي فيميتهم، فتمتلئ الأرض من نتن ريحهم، فيجأرون إليّ، فأدعو ربي فيرسل عليهم الماء فيحملهم فيقذف أجسامهم في البحر(٥١).

وفي حديث سلام الترجمان(٥٢): لما بعثه الواثق ليتفقد السد أنه رأى مدنًا خرابًا، قيل له: إنها كانت ممر يأجوج ومأجوج فخربوها، قال: فانتهيت إلى قرب السد وهناك قوم مسلمون، فقالوا: من أنت؟ قلت: رسول أمير المؤمنين، فتعجبوا وقالوا: من أمير المؤمنين، كأنه شيء لم يسمعوا به، ثم وجدت بابًا من حديد مقفلًا، وذكر الطول والعرض.

وقيل: سموا يأجوج [ومأجوج] لأن بعضهم يموج في بعض.

قوله: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦]، قيل: يسرعون، كقوله: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١].

وفي رواية السدي عن علي عليه السلام قال: حين يخرج يأجوج ومأجوج فيمرون بالطبرية وهي ملأى ماء، فيشربونه كله، فيمر أحدهم فيقول: كان هنا مرة ماء. ويشربون ماء البحار، ويأكلون دواب البحر وورق الشجر، ويهرب الناس، فيقتلون من قدروا عليه، ولا يدخلون أربعة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، وبيت المقدس، ومسجد طور سيناء، حتى يقولوا: قتلنا أهل الأرض، لا يرون أحدًا، ثم يرسل الله عليهم دودًا فيقتلهم، فتمتلئ الأرض من جيفتهم، فيرسل الله عليهم السيل فيحملهم إلى البحر. وفي غير الرواية: قيل: إنه يرسل عليهم طيرًا يشبه البخت فيحملهم ويقذفهم في البحر.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنزل الله من الجنة أربعة أنهار: سيحون وهو

(٤٩) مصنف ابن أبي شيبة ١/ ٢٠٥.
(٥٠) لا يمرون بماء: لا يمرون لما يمرون، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ١/ ٢٠٥.
(٥١) مصنف ابن أبي شيبة ١/ ٢٠٥.
(٥٢) انظر البداية والنهاية ٧/ ١٤١.

نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، والدجلة والفرات وهما نهرا العراق، ونيلا وهو نهر مصر. أنزلها من عين واحدة، من أسفل درجة من درجاتها على جناحي [جبريل] فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون:١٨]، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فيرفع من الأرض القرآن والعلم والحجر الأسود ومقام إبراهيم والركن اليماني وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع ذلك كله إلى السماء. فذلك قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨]، فإذا رفعت هذه الأشياء فقد أهلها خير الدنيا والدين»[٥٣].

فصل فيما روي من الفتن عن اقتراب الساعة

قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨]، قال ابن عباس: بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعد والناس حوله إذ جاء رجل يتخطى رقاب الناس حتى وضع يده على ركبتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا رسول الله»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: «نعم». قال: يا رسول الله فما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، والحساب، والميزان، والموت، والحياة، والقدر خيره وشره[٥٤]»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «نعم»، قال: فمتى الساعة يا رسول الله؟ قال: «هي من خمس لا يعلمهن إلّا الله. إن الغيب لا يعلمه إلّا الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ...﴾ [لقمان:٣٤] وتلا إلى آخر السورة. غير أني [إن شئت][٥٥] أخبرك لتعلم، أو قال: تعلم، إذا رأيت الأم ولدت ربتها، ورأيت الجياع العراة على رؤوس الناس[٥٦]، ورأيت أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان»، فانطلق الرجل، فقال عليه السلام: «عليّ به»، فطلب فلم يوجد، فقال: «هذا جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم، وما أتاني في صورته إلّا عرفته غير مرته هذه».

(٥٣) انظر السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني ٦/ ١٢١٧.

(٥٤) وشره: وشدة، م ي.

(٥٥) مسند أحمد ٥/ ٩٤.

(٥٦) الناس: الجبال، م ي. مسند أحمد ٥/ ٩٤.

وذكر أبو عبيد عن زاذان عن عايش الغفاري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر أشراط الساعة فقال: «بيع الحكم، وقطيعة الرحم، والاستخفاف بالدم، وكثرة الشرط، وأن يتخذوا القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بأقرنهم[٥٧] ولا أفضلهم [لايقدمونه] إلّا ليغنيهم به غناء[٥٨]».

وروى عمرو[٥٩] بن غزية[٦٠] الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من اقتراب الساعة كثرة المطر وقلة النبات، وكثرة القراء، وقلة الفقهاء، وكثرة الأمراء وقلة الأمناء».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي في آخر الزمان قوم يعرفون بالعبادة بثيابهم، هم بمنزلة المنافقين، كلما نظر الله إليهم مقتهم»، قيل: يا رسول الله وكيف يعرفون بالعبادة بثيابهم؟ قال: «يكون نسكهم في ثيابهم لا يعرف لما ظهر منهم حقيقة في أعمالهم، قلوبهم خربة كخراب البيت من سكانه، يتعجب إبليس لما يرى من طاعتهم له»، رواه الحسن.

وروى أبو هريرة أن النبي عليه السلام قال: «بادروا بالأعمال فتنًا[٦١] كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل».

وروى عطاء بإسناده عن النبي عليه السلام: «بين يدي الساعة مطر ولا نبات، وعلو أصوات الفساق في[٦٢] المساجد [و][٦٣]ظهور أولاد الزنا، وموت الفجاءة».

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بادروا بالأعمال ستا ما تنتظرون إلّا فقرًا منسيًا، أو غنى مطبقًا، أو موتًا مجهزًا، أو المسيح وهو أشر منتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر».

وفي مسند قتيبة بن سعيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا اتخذ

(٥٧) بأقرنهم: بأقرابهم، ي
(٥٨) انظر مسند عابس الغفاري ص١٧.
(٥٩) عمرو: عمر، م ي. جامع المسانيد والسنن ٥/ ٥٣٤.
(٦٠) غزية: محض، م ي. جامع المسانيد والسنن ٥/ ٥٣٤.
(٦١) مسند أحمد ١٦/ ٤٥٠.
(٦٢) في: وفي، م ي.
(٦٣) مصنف عبدالرزاق الصنعاني ٣/ ١٥٥، والفتن لنعيم بن حماد ٢/ ٦٤٢.

الفيء دولا[٦٤]، والأمانة مغنمًا، والزكاة مغرمًا [وتُعُلِّم][٦٥] لغير الدين، وأطاع الرجل امرأته [وعق أمه][٦٦]».

عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ستغربلون حتى تكونوا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم، وخربت أماناتهم»، قال: قلت: كيف بنا يا رسول الله؟ قال: «تعملون ما تعرفون، وتتركون ما تنكرون، وتقولون: أَحَدٌ أحد، انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا»[٦٧].

نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكون عليهم أمراء كذبة، ووزراء فجرة، وأعوان خونة، وعرفاء ظلمة، وقراء فسقة، سيماهم سيما الرهبان وقلوبهم أنتن من الجيف».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في قلوبهم، يتهافت تهافتًا»، قيل: يا رسول الله وما تهافته؟ قال: «يقرأه أحدهم فلا يجد لذة ولا حلاوة، [يبدأ أحدهم بالسورة][٦٨] وإنما نهمته[٦٩] آخرها، فإن عملوا بالمعاصي قال: ربنا اغفر[٧٠] لنا، وإن تركوا الفرائض قالوا: لا يعذبنا الله ونحن لا نشرك بالله شيئًا، أمرهم رجاء لا خوف فيه، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم»، رواه ابن عباس.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلّا رسمه، مساجدهم يومئذ عامرة من البناء[٧١]، وهي خراب من الهدى، فقهاؤهم شر مَنْ تحت أديم السماء، منهم خرجت الفتنة، وفيهم[٧٢] تعود»، رواه علي عليه السلام.

ابن مسعود قال لرجل: إنك اليوم في قوم كثير علماؤهم، قليل خطباؤهم، كثير معطوهم،

(٦٤) دولا: خولا، م ي. سنن الترمذي ٤/ ٦٥.

(٦٥) سنن الترمذي ٤/ ٦٥.

(٦٦) سنن الترمذي ٤/ ٦٥.

(٦٧) معجم الطبراني الأوسط ٦/ ٢٢٥.

(٦٨) كنز العمال ١٠/ ٢٧٣.

(٦٩) وإنما نهمته: فإنما بهمته، م ي. كنز العمال ١٠/ ٢٧٣.

(٧٠) ربنا اغفر: استغفر، م ي. كنز العمال ١٠/ ٢٧٣.

(٧١) البناء: أيديهم، م ي.

(٧٢) فيهم: منهم، م ي.

قليل سائلوهم، يحفظون العهود(٧٣)، ولا يضيّعون(٧٤) الحدود، أهواؤهم تبع لأعمالهم، وإن أخرت إلى قريب بقيت في قوم كثير خطباؤهم، قليل علماؤهم، كثير سائلوهم، قليل معطوهم، يحفظون(٧٥) الحروف، ويضيعون الحدود، أعمالهم تبع لأهوائهم. قيل: متى ذلك يا عبد الله؟ قال: إذا أخذوا الرشا، وأكلوا الربا، وشيدوا(٧٦) البناء، ومرجت عهودهم وأماناتهم، قيل: فأي أهل ذلك الزمان خير؟ قال: كل غني مستخف(٧٧)، قيل: فإن لم يكن؟ قال: فكن فيها كابن اللبون لا ظهر فيركب(٧٨) ولا نتاج فيطلب، ولا لبن فيحلب.

ورئي سفيان الثوري باكيًا فقيل له: علام تبكي؟ قال: بكينا على الذنوب زمانًا فصارت الذنوب حرفتنا، فالآن أبكي على الإسلام.

عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر الفتنة فقال: «إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم، وخفّت أماناتهم، وكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه»، قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل(٧٩) عند ذلك جعلني الله فداك؟ فقال: «الزم بيتك، واملك عليك [لسانك، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع] أمر العامة»(٨٠)، وفي رواية: «ذر عنك أمر العامة».

ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا رأيت السيوف قد عريت، والدماء قد أهريقت، فاعلموا أن حكم الله قد ضيع، فانتقم الله من بعضهم لبعض، وإذا رأيتم الوباء قد فشا فاعلموا أن الربا قد فشا، وإذا رأيتم القطر قد منع فاعلموا أن الصدقة قد منعت فمنع الله ما عنده»(٨١).

وعن النبي صلوات الله عليه: «تكون فتن(٨٢)، ثم تكون فتنة المضطجع فيها خير من القاعد،

(٧٣) يحفظون العهود: يصنعون الحروف، م ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٩٠.
(٧٤) ولا يضيّعون: ويحافظون، م ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٩٠.
(٧٥) يحفظون: يحافون، م ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٩٠.
(٧٦) شيدوا: شرفوا، م ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٩٠.
(٧٧) مستخف: حفي، م ي. الإبانة الكبرى لابن بطة ٢/ ٥٩٠.
(٧٨) فيركب: فتركب، م ي.
(٧٩) أفعل: يجعل، م ي.
(٨٠) جمع الجوامع للسيوطي ١/ ٣٩١.
(٨١) انظر حلية الأولياء ٥/ ٣٧٩.
(٨٢) فتن: فتنة، ي.

والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الساعي، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، ومن كانت له غنم فليحلق بغنمه، ومن كانت له إبل فليلحق بإبله»، فقال رجل: يا رسول الله من لم [يكن] له شيء من ذلك كيف يصنع؟ قال: «يأخذ سيفه فيذهب به إلى الصفا فيضعه بين حجرتين فيثلمه»، قال: أرأيت إن أُخذتُ فذهبت فأقمت بين الصَّفَّين فخذفني رجل بسيفه أو طعنني برمحه فقتلني؟ فقال: «إذن يبوء بإثمك وإثمه فيكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين».

وقال عليه السلام: «الناس بخير ما لم يُجهل حق العالم، ويرفض حق حملة القرآن، ويتكالب على الدنيا، ويباع الدين بالدنيا، فإذا عمل ذلك رماهم الله بقحط من الزمان، وجور من السلطان، وخيانة من ولاة الأحكام، وشوكة من العدو».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يصير العلم إلى الأرذال، والملك إلى الأنذال، والدنيا إلى السفل».

وعن سلمان قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أشراط الساعة، قال: «إذا رأيتهم ضيعوا الحق، وأماتوا الصلاة، وأكثروا القذف، واستحلوا الكذب، وأخذوا الرشوة، وشيدوا البنيان، وعظموا أرباب الأموال، واستعملوا السفهاء، واستحلوا الدماء، وصار الكذب ظرفًا، والعلم ضعيفًا، والظلم فخرًا، والمساجد طرقًا، وكثرة الشرطة، وخليت المساجد، وخربت القلوب، وشربت الخمور، وكثر الطلاق وموت الفجاءة، وفشا الفجور وقول البهتان، وحلفوا بغير اسم الله، وائتمن الخائن، وخون الأمين، ولبسوا جلود[٨٣] الضأن على قلوب الذئاب، فعندها قيام الساعة»[٨٤].

ابن مسعود: يأتي على الناس زمان المؤمن أذل من الأمة، وأكيسهم في ذلك الزمان الذي يروغ بدينه روغان الثعلب.

علي عليه السلام: لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقول أحد: الله.

ابن عباس: لما كانت حجة الوداع أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحلقة الكعبة وأقبل بوجهه على الناس فقال: «إني محدثكم بأشراط القيامة فاسمعوا وعوا، ثم بكى حتى

---

(٨٣) جلود: قلوب، م ي. انظر جمع الجوامع للسيوطي ١٧/ ٧٦٩.

(٨٤) انظر جمع الجوامع للسيوطي ١٧/ ٧٦٩.

علا انتحابه، ثم قال: إن من شرائط الساعة إماتة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل مع الهوى، ويكون أمراء خونة، ووزراء فسقة»، فوثب سلمان فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: «نعم يا سلمان، عندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذوب الملح في الماء، ولا يستطيع أن يغير»، قال: أويكون ذلك؟ قال: «نعم يا سلمان، إن أذل الناس يومئذ المؤمن يمشي بين أظهرهم بالمخافة، إن تكلم أكلوه، وإن سكت مات بغيظه، يا سلمان لا قدست أمة لا ينتصر لضعيفها من قويها غير متعتع»، قال: أويكون ذلك؟ قال: «نعم يا سلمان، عندها يكون المطر قيظًا(٨٥)، والولد غيظًا، ويفيض(٨٦) اللئام فيضا(٨٧)، ويغيض الكرام غيضًا، يتهاونون بالدين، وتظهر القينات، ويتغنى بكتاب الله، ويتكلم الرويبضة، قال: يتكلم في أمر العامة من لم يتكلم عندها، تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع، وتحلّى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف، والقلوب متباغضة، والألسنة مختلفة، ودين أحدهم لعقة على لسانه، إذا أُعطي شكر، وإذا مُنع كفر»، قال سلمان: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم يا سلمان، إن عند ذلك يكون الكذب طرفًا، والزكاة مغرمًا، والفيء مغنمًا، والمال دولًا، ويعظم رب المال، ويباع الدين بالدنيا، ويلتمس سرور الدنيا بنعيم الآخرة، وتكفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وتركب ذات الفروج السروج، فعليهم(٨٨) من أمتي(٨٩) لعنة الله، عندها(٩٠) يلي أمتي قوم صورهم صور الناس وقلوبهم قلوب الشياطين، إن تكلموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم، لا يرحمون صغيرًا، ولا يوقرون كبيرًا، عند ذلك [تكون] إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، فويل للضعفاء منهم».

وخطب أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فقام صعصعة بن صوحان فقال: يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن له علامات وهيئات يتلو بعضها بعضًا أقرب من حذو النعل بالنعل: إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكذب، وأكلوا

(٨٥) قيظًا: قيضًا، م ي. حلية الأولياء ٣/ ٣٥٨.
(٨٦) يفيض: يقبض، م ي. حلية الأولياء ٣/ ٣٥٨.
(٨٧) : قيضًا، م ي. حلية الأولياء ٣/ ٣٥٨.
عليهم، م ي.
: أمة، م ي.
عندما، م ي.

الربا، وأخذوا الرشا، وشيد البنيان، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستحقروا الدماء، وقطعت الأرحام، وكان[٩١] الحلم ضعفًا، والظلم فخرًا، ويكون أمراء فجرة، ووزراء كذبة، وأمناؤهم خونة، وعرفاؤهم ظلمة، وقراؤهم فسقة، وظهر الفسوق، وكثر الخلع والطلاق، وكثر موت الفجاءة، وفشا فيهم القذف، وكثر فيهم البهتان، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنارات، وقست القلوب، ونقضت العهود، وشربت الخمور، واستحلت المعازف، ونقصت الموازين، وجلست المرأة مع زوجها في الدكاكين، وحرص على الدنيا، وركبت النساء السروج، وتشبهت المرأة بالرجل، وتشبه الرجل بالنساء، ويسلم بعضهم على بعض بالمعرفة، ويشهدون من غير أن يستشهدوا، واتخذوا القرآن مزامير، ولبسوا الحرير، وظهر الجور، وقل النبات، وكتم الحق، فويل لأهل ذلك الزمان حيث فشت فيهم هذه الأشياء من غضب الله.

وروى قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد يقول: سمعت المزني يقول: سمعت الشافعي يقول: قال بعض العلماء يومًا: ليأتين على الناس زمان لو تمسي الأرض مفروشة دنانير، مكتوب على كل دينار: لا إله إلّا الله من أخذ هذا الدينار دخل النار، لأصبحت الأرض وما عليها دينار.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الفاقة لأصحابي سعادة، وإن الغنى للمؤمن في آخر الزمان سعادة، قال: لأنه يصير المال عند بخلائهم ويسود شرارهم، ومن سعادة المؤمن ألّا يحتاج في ذلك الزمان إلى بخيل، فإن استطعتم أن تكونوا أغنياء فكونوا».

وروى قاضي القضاة رحمه الله بإسناده عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يوشك أن يأتي على الناس زمان يكون خيرهم أن يكون الرجل في شعب جبل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد الله لا يشرك به شيئًا حتى يأتيه اليقين».

الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قلت يومًا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم لا تحوجني إلى خلقك، فقال: «يا علي، لا تقول هكذا، فإنه ليس أحد إلّا وهو محتاج إلى الناس»، فقلت: فكيف أقول؟ قال: «قل: اللهم لا تحوجني إلى شرار خلقك»، فقلت: يا رسول الله ومن شرار خلقه؟ قال: «الذين إذا أعطوا منعوا، وإذا منعوا عابوا»[٩٢].

---

(٩١) وكان: فكان، م ي.

(٩٢) كشف الخفاء ١/ ١٨٩.

هلال بن العلاء الرقي: دخلت دار الرشيد فسمعت أعرابيًا ينشد:

هــذا الزمــان الــذي كنــا نُحَــذَّرُهُ ... فيمــا يحــدث كعــب وابــن مســعود
إن دام هــذا ولــم يحــدث لــه بــدل[٩٣] ... لــم يُبــك ميتٌ ولــم يُفــرح بمولــودِ

علي بن الليث الدار الحردي:

مــا فــي زمانــك مــن تأمــن خيانتــه ... ولا صديــق إذا خــان الثقــات وفَــى
ولا أخ ماجــد حلــو شــمائله ... إذا جنــى صاحــب يومًــا عليــه[٩٤] عفــا
فعــش وحيــدًا ولا تركــن إلــى أحــد ... فليــس فــي النــاس حــر يرتجــي وكفــى

ابن لنكك البصري[٩٥]:

زمــان رأينافيــه كل العجائــب ... وأصبحــت الأذناب فــوق الذوائــب[٩٦]
لَــوَ انّ علــى الأفــلاك مــا فــي قلوبنــا ... تهافتــت الأفــلاك مــن كل جانــب

---

(٩٣) بدل: بدلًا، ي.
(٩٤) عليه: غلبت، م ي.
(٩٥) المتحل للثعالبي ص١٨٤.
(٩٦) المتحل للثعالبي ص١٨٤.

باب في الحشر والنشور

فصل في النفخ في الصور

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كيف أنعم وصاحب الصور التقم القرن وأصغى سمعه وحنى جبهته[1] ينتظر متى يؤمر بنفخ فينفخ»، قالوا: يا رسول الله فما نقول؟ قال: «حسبنا الله ونعم الوكيل».

وروى سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن القيامة فقال: يأمر الله نافخ الصور فينفخ فيه، فقلنا لابن عباس: وما الصور؟ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «هو قصبة لها أربع شعب تدوار فم القصبة كتدوار الدنيا كلها، شعبة منها في أقصى مشارق الأرض، وشعبة في أقصى مغاربها، وشعبة في أقصى تخوم الأرض السابعة السفلى، وشعبة أخرى فوق السماء السابعة»، قال ابن عباس: وسأل إسرافيل أن يعطيه الله قوة سبع سماوات فأعطاه، وسأله أن يعطيه قوة الثقلين فأعطاه، وسأله أن يعطيه قوة الدواب فأعطاه، وسأله أن يعطيه قوة البحار فأعطاه، وله أجنحة الله أعلم بعددها وعدد كل ريشه وزغبه.

وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم في صفة القيامة: «إن الله خلق الصور حين فرغ من خلق السماوات والأرض، فأمر إسرافيل بالتقامه، فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر بالنفخ»، فقال أبو هريرة: قلت: يا رسول الله وما الصور؟ قال: «القرن»، قلت: كيف هو؟ قال: «هو عظيم، والذي بعث محمدًا بالنبوة إن عظم دواره فيه كعظم ما بين السماء والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين».

عاد حديث ابن عباس: قال: إذا بلغ الوقت الذي يريده الله، أمر إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الأولى، فتهبط النفخة إلى السماوات فيصعق سكان السماوات بحذافيرها وسكان البحار، وتهبط إلى الأرض فيصعق سكان الأرض بحذافيرها وجميع عالم الله وبريته الجن

(١) جبهته: جبينه، م ي. صحيح ابن حبان ٢/ ١٠٥.

والإنس والبهائم والأنعام والهوام، فإذا صعقوا جميعا قال الله: يا إسرافيل من بقي وهو أعلم فيقول: بقي إسرافيل عبدك الضعيف، فيقول: مت، فيموت، فيقول عنده ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]، والصحيح أنه يقوله(٢) يوم القيامة.

عاد الحديث: ثم يحيي الله إسرافيل وحملة العرش بعد ذلك في أسرع من طرفة عين فيأمر الله إسرافيل بعد النفخة بأربعين، كذلك في التوراة بين النفختين أربعون لا يدرى ما هو، فإذا انقضت الأربعون نظر الله إلى أهل السماء صرعى على خدودهم وإلى أهل الأرض منكسين على وجوههم، فقال: بعزتي لأعيدنكم كما بدأتكم، ولأحيينكم كما أمتكم، فيأمر إسرافيل فينفخ النفخة الثانية فيجمع الله بين الأرواح والأجساد ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٤].

وروي عن ابن عباس أن إسرافيل ينادي: يا أيتها الأعضاء المتهشمة، ويا أيتها العظام البالية، ويا أيتها الأجساد المتفتتة، ويا أيتها الشعور المتفرقة، قوموا إلى موقف الحساب والعرض الأكبر.

وروي في بعض الأخبار أن النفخة تمتد أربعين سنة، ثم تنقطع أربعين سنة، وذلك نفخة الفزع، ثم ينفخ نفخة الصعق ليموتوا(٣) عن آخرهم، [و]يرسل ريحًا فتقتلع الجبال فيدك بعضها بعضًا دكًا، ثم تكبس البحار فتصير أرضًا مستوية، ويأمر الله أن ينفخ نفخة البعث فتنشق القبور، ويقوم الناس لرب العالمين.

وفي بعض الروايات: إذا نفخ نفخة الصعق مات الخلائق، فيقول الله تعالى: يا إسرافيل من بقي وهو أعلم فيقول: يا رب من استثنيت في قولك: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل:٨٧] وهو جبريل وإسرافيل وميكائيل وملك الموت، فيقول الله: يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل، فيأخذها، فيقول: [من بقي] يا ملك الموت، فيقول جبريل وإسرافيل وعبدك ملك الموت فيقول: خذ نفس إسرافيل، فيقبض روحه، فيقول: من بقي، فيقول: جبريل وملك الموت، فيقول: خذ نفس جبريل، فيخر جبريل ساجدًا يخفق جناحيه ويقول: سبحانك أنت الباقي الدائم وجبريل الفاني الهالك، فيقبض روحه ثم يقول: يا ملك الموت لا بد من الموت، فمت(٤)، فيخفق

(٢) يقوله: يقول، م ي.
(٣) ليموتوا: فماتوا، م ي.
(٤) فمت: فيمت، م ي.

بجناحيه فيموت، ثم يحيي الله إسرافيل في أسرع من طرفة عين فينفخ في الصور نفخة يمتد صوتها أربعين سنة، فذلك قوله: ﴿وَمَا يَنظُرُ[5] هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص:١٥]، يعني انقطاع، فإذا تمت النفخة خرج كل جسد من قبره، فعند ذلك يقول الكافر: من بعثنا من مرقدنا، لأنهم لا يعذبون بين النفختين، فيقول المؤمن: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:٥٢]، ثم يأتون[6] المحشر فوجًا فوجًا[7].

فصل في حديث القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا﴾ [الكهف:٤٧].

وروى أنس أن عائشة قالت: يا رسول الله كيف يحشر الناس؟ قال: «حفاة عراة»، فغضت وجهها بدرعها وقالت: وا سوأتاه من يوم القيامة، قال: «إنه لا ينظر والد[8] [إلى] ولده ولا ولد إلى والده ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس:٣٧]».

وروي أن الخلق يستاقون إلى المحشر فيقومون ألف عام في الحر ولا ظل إلّا ظل العرش يظلل الله فيه من يشاء، ويحشرون على أقدامهم ثم يساقون إلى الظلمة، فمن كان سعيدًا مشى معه نوره، وإلا بقي في الظلمة ألف عام، ثم يخرج مسود الوجه، ثم يساقون إلى الحساب، ثم إلى الكتب، ويقامون لقراءتها، ويسألون، ثم يساقون إلى الميزان والصراط ﴿يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا﴾ [الزلزلة:٦].

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صفة القيامة: «فإذا نفخ في الصور يقوم الناس لرب العالمين، ثم تسير الجبال فتكون سرابًا، ثم تمر مر السحاب، وترجف الأرض بأهلها، وهو قوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:٦]، فتميل كالسفينة، وتضع الحوامل، وتذهل المراضع، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة، [فبينما هم] كذلك إذ تصعدت الأرض، ونظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم تشققت وتفرقت، فرأوا سلطانًا عظيمًا فإذا بهم عند ذلك من الكرب والجهد ما الله به عليم، ثم انتثرت النجوم، وكسفت

(٥) في م ي: ما ينتظر. وما أثبتناه من المصحف.
(٦) يأتون: تأتون، م ي.
(٧) تفسير البغوي ٦/ ٢٦٧٠.
(٨) والد: والده، م ي.

الشمس والقمر، ثم كشطت فوقهم سماء من سماء، والخلق يقومون في ذلك الموقف أربعين سنة لا ينظر إليهم ولا يقضى بينهم، فيبكي الخلق حتى تنفد دموعهم، فإذا طال ذلك أموا من يشفع لهم»[٩].

وفي حديث ابن عباس أنه تعالى يحشر جميع الخلق فيقومون على أرجلهم في صعيد واحد الإنس جماعة واحدة، والجن قد أحاطوا بهم صفًا واحدًا مستديرين كما تقوم الصفوف بمكة حول الكعبة، وحشر الخلائق حتى أحاطوا بهم صفوفًا كل أمة منها في صف، فتقوم الخيل في صف، والبغال في صف، والحمير في صف، وكذلك سائر الحيوان حتى يجمع جميع الخلق من المشرق إلى المغرب والبر والبحر صفوفًا قيامًا، فبيناهم كذلك قيام ينظرون لا يدرون ما يراد بهم والدنيا على حالها، فتجيء صيحة ودمدمة من عند الله، فتساقط النجوم والخلائق قيام ينظرون، وتكوّر الشمس، ويطمس القمر وهم ينظرون، وتسير الجبال كالسحاب كما قال: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨]، ثم تجيء دمدمة أخرى فتصير كثيبًا مهيلا، ثم تجيء صيحة فتصير سرابًا، ثم تقطع أصول الأرضين من تحتها وتبدلت فصارت كالهباء. وبنو آدم ينظرون لا يدرون ما يراد بهم إذ تشققت السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا، فلما تقطعت السماء من أصلها وانفطرت نزل سكانها فأحاطوا بالخلائق صفًا واحدًا كالصف بمكة مستديرًا فغمروهم بعظم أجسادهم، وتدافعت الأمم وانحطم بعضهم على بعض، فَرَقًا مما سمعوا من شقيق السماء الدنيا وما نزل من كثرة الملائكة، أصواتهم كالرعد، بل أعظم منه، فقاموا خلف الصفوف منكسين رؤوسهم يبكون من فَرَق الله تعالى، ثم إن السماء الثانية تفطرت بأكنافها وتقطعت من أطرافها، ونزل سكانها وأحاطوا بالخلائق من رواء ملائكة السماء الدنيا صفًا واحدًا، فغمروهم لعظم أجسادهم ولهم أصوات، حتى إنَّ أصوات ملائكة سماء الدنيا عندها كنغمة الصبي الصغير الرضيع في جنب دوي الإرعاد، فلما نظرت ملائكة سماء الدنيا إليهم انحطم بعضهم على بعض فرقًا منهم، ومخافة أن يكونوا أمروا بأخذهم، فألصقوا خدودهم بالأرض يبكون فرقًا من الله وترتعد فرائصهم، وضموا الأمم وأحرجوهم إلى أضيق من مكانهم ودفع كلٌّ ما يليه حتى وصل الضيق إلى بني آدم فصار من هؤلاء على رجلين على رجل واحدة من ضيق المكان، ثم كذلك صفة سبع سماوات وسكانها، فلما[١٠] برز حملة العرش للملائكة الذين دونهم لقوا من خوفهم ورعبهم ودوي أصواتهم وعظم

(٩) البعث والنشور للبيهقي ص٢٣٦.

(١٠) فلما: فلم، م ي.

أجسادهم رعبًا أشد مما كانوا فيه، وتدافعوا وحطم بعضهم بعضًا وحتى صاروا وبني[١١] آدم في أضيق ضيق وأشده، ومع ذلك أحاط بهم النيران تتوقد[١٢]، ثم نادى منادٍ: يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا. وهم قيام يبكون من شدة ما هم فيه يصبرون على طول الجهد، وقد أخذهم العرق، حتى إن منهم من ألجمه العرق، ثم يبدأ الله تعالى بالخلائق ما خلا الثقلين فيحاسبهم، حتى إن الجمّاء تقتص من القرناء، فإذا فرغ من حساب الأمم قال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا، ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه:١٠٨]، يعني تحريك الشفاه، وقد اختلعت الأفئدة وبلغت القلوب الحناجر، وشخصت الأبصار فتراهم[١٣] مبهوتين حيارى سكارى من غير شراب ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ[١٤]﴾ [القمر:٨] لا تلتفت الوالدة إلى ولدها، ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج:٢]، ويشيب الصغير، وذلك قوله: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل:١٧، ١٨]، ﴿فَذَٰلِكَ [يَوْمَئِذٍ] يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر:٩]، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:٦] يعني اضطراب الجسور على جهنم تحتهم وهو ينادي: يا رب ائتني ما وعدتني، فوعزتك لأنتقمن ممن عصاك، وقد قربت ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشعراء:٩١].

وقال ابن عباس: فبعث الله إليها سبعين صفًا من الملائكة، كل صف مثل الثقلين سبعين ألف مرة، بيد كل ملك مقمعة حتى يجاء بجهنم ولهم فيها زفير وشهيق وسطيع ودخان، يغشى الخلائق ظلمة دخانها فما يبصر بعضهم بعضًا من شدة الظلمة إلّا من جعل الله له نورًا من محاسن عمله، ثم ثارت ثورة شديدة كادت تميز من الغيض، فرمت بشرر كعدد النجوم، كل شرارة[١٥] كالسحابة، فتقع على رؤوس الخلائق، فعندها تطايرت الأفئدة وارتعدت الفرائص واشتد البكاء، ثم تزفر الثانية فلو كان لكل آدمي عمل اثنين وسبعين نبيًا لظن أنه مواقعها، وجثت الملائكة على الركب، فبينماهم صفوف إذ أتي بالصحف والميزان، ونصب الميزان، ووضعت الصحف والميزان متعلق ببعض قوائم العرش في إحدى كفتين نور وفي الأخرى ظلمة، ونشرت الدواوين فيها أعمال العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فقد جهدهم

---

(١١) وبني: بني، م ي.
(١٢) تتوقد: يتوقد، م ي.
(١٣) فتراهم: فتراضهم، م ي.
(١٤) في م ي: الداعي. وما أثبتناه من المصحف.
(١٥) شرارة: شرة، م ي.

طول القيام، وشدة الجوع والعطش والكرب، وختمت الألسن، وطمست القبور، وتشوهت الوجوه، وتشهد الجوارح، فما أغنى عنك يابن آدم إرخاء الستور، وإغلاق الأبواب، وقد شهد عليك جوارحك، وشهدت عيناك ما نظرتا، وأذناك ما سمعتا، ويداك ما بطشتا، ورجلاك إلى ما مشتا، وبطنك إلى ما أطعمته، وجلدك ما ألبسته، وذلك قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس:٦٥].

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الكافر يلجم يوم القيامة بعرقه حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار».

وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال حاكيًا عن ربه تعالى: «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي أَمْنَين، ولا أجمع عليه خَوْفَيْن، من خافني في الدنيا أمَّنته يوم القيامة، ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، قال: فذلك حين يشيب الصغير ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ..﴾ الآية [الحج:٢]، قال: فاشتد ذلك عليهم، قالوا: يا رسول الله أينا ذلك الرجل؟ قال: أبشروا، فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجلا، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة»، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث الجنة»، فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود»(١٦). رواه أبو هريرة، وخرجه مسلم في الصحيح.

حاتم الأصم: ليس في القيامة من الحسرات أشد من ثلاث: رجل ملك عبدًا وعلمه الإسلام والشرائع وأطاع الله وسيده تُوُجِّه به إلى الجنة وسيده تُوُجِّه به إلى النار، ورجل كسب مالًا من كل وجه فلم يقدِّمه، وورثه غيره فعمل به وقدمه لنفسه فهو به ناج وصاحبه مأخوذ، ورجل علّم الناس علمًا فعملوا به ولم يعمل به، ففازوا بسببه وهلك هو».

المقداد بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قيد ميل أو ميلين»، قال المقداد: لا أدري أي الميلين: ميل مسافة الأرض

(١٦) صحيح البخاري ٤/ ١٣٨.

[أم][١٧] الذي تكتحل به العين، قال: «فتصهرهم الشمس فيكونون[١٨] في العرق قدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عنقه، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجامًا»، قال المقداد: فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير بيده إلى فيه[١٩] يقول: «يلجمه إلجامًا، وما من أحد يموت إلّا ويندم»، قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنًا ندم ألاّ يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم ألاّ يكون نزع».

فصل في أسماء يوم القيامة

[يوم الحسرة] وقيل: سمي بذلك لأنها تحسر عن السرائر أي تكشف عنها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق:٩]، وجعل ما في الصدور ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر:١٦].

ومنها: يوم التلاق؛ قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ إلى قوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ الآية [غافر:١٥، ١٦]، قيل: سمي بذلك لأن أهل الجمع يتلاقون فيه، يلقى بعضهم بعضًا، وقيل: لأنه يلقى كل إنسان ما عمل سمي بذلك.

ومنها: يوم النشور؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:٩]، قيل: سمي بذلك لأن الصحف تنشر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:١٠]، ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]، وقيل: سمي بذلك لنشر الأموات بعد الموت؛ قال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة:٢٥٩] أي نحييها.

ومنها: يوم الحشر؛ قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الصافات:٢٢]، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء:٩٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الأنعام:٢٢]، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٧]، سمي به لأنه يحشر فيه الخلائق؛ يعني: جمعناهم، وأصل الحشر الخروج، قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الصافات:٢٢]، [و] في بني نضير: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر:٢] هو الجلاء إلى الشام، والثاني إلى[٢٠] حشر القيامة، وقال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النازعات:٢٣]، يعني جمع، ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ [النمل:١٧].

(١٧) انظر تفسير البغوي ٥/ ٢٢٢.
(١٨) فيكونون: فيكونوا، م ي. انظر تفسير البغوي ٥/ ٢٢٢.
(١٩) فيه: فوه، م ي. تفسير البغوي ٥/ ٢٢٢.
(٢٠) إلى: إليه، م ي.

ومنها: يوم الزلزلة؛ قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، وقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الحج:١]، وأصله الحركة العظيمة.

ومنها: يوم التبديل، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، قيل: تفنى ثم توجد أرض ملساء، وقيل: تغير صفتها من غير فناء.

ومنها: يوم العرض، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨]، والعرض على وجوه: عرض الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب:٧٢]، وعرض سليمان: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ [ص:٣١]، وعرض جهنم: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ [الكهف:١٠] يعني خلقناها للمذنب يراه كل أحد، وعرض الخلق: ﴿وَعُرِضُوا﴾ [الكهف:٤٨]، وعرض الأشياء على الملائكة وآدم: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣١]، ونظائرها.

ومنها: يوم عظيم؛ قال: ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٤-٦] يعني عظيم ما فيه، وقيل: عظيم طوله وأموره.

ومنها: يوم الآخر ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ(٢١) ٱلْأَخِرِ﴾ [البقرة:٨]، وقال: ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤] لأنه يتأخر عن الدنيا.

ومنها: يوم الدين.

ومنها: يوم الراجفة والرادفة، يجمعها قوله تعالى: ﴿تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات:٦، ٧]، فأما الراجفة والرادفة فقيل: الأرض تتحرك حركة شديدة، كقوله تعالى: ﴿تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ [المزمل:١٤]، وقيل: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: الثانية، من ردفه(٢٢) أي تبعه(٢٣)، ومنه: الرديف، ومنه: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

ومنها: يوم الرجة؛ قال تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة:٤] يعني تحركت وزلزلت.

ومنها: يوم الدين ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة:٤]، ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار:١٥]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار:١٧] قيل: معناه يوم الجزاء، وقيل: معناه إن ذلك يروح في الدين، وقيل: معناه يوم الحساب.

---

(٢١) في م ي: اليوم. والصواب ما أثبتناه من نص المصحف.

(٢٢) ردفه: ردف، م ي.

(٢٣) تبعه: يتبعه، م ي.

ومنها: يوم الفصل؛ لما يكون من فصل الأمر بين الخلائق، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ [النبأ:١٧]، ﴿هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات:٢١].

ومنها: يوم التذكير؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ [النازعات:٣٥]، ﴿يَوْمَئِذٍ (٢٤) يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر:٢٣].

ومنها: يوم الجمع، فيه [تجتمع] الخلائق، قال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ [الشورى:٧]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن:٩]، ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ﴾ [هود:١٠٣].

ومنها: يوم المشهود: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣]، قيل: القيامة تشهده الخلائق.

ومنها: يوم التفرق: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤]، ونظيره: ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٩].

ومنها: يوم الجزاء: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر:١٧].

ومنها: يوم الحساب: ﴿هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:٥٣].

[ومنها]: يوم التشقق؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ [الفرقان:٢٥]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق:٤٤].

ومنها: يوم العذاب: ﴿وَأَنذِرِ [ٱلنَّاسَ] يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [إبراهيم:٤٤].

ومنها: المسألة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢].

ومنها: ﴿يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [إبراهيم:٤٢].

ومنها: يوم النفخ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ [طه:١٠٢].

ومنها: يوم الفزع: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [سبأ:٥١].

ومنها: يوم اتباع الداعي.

ومنها: يوم الصيحة: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق:٤٢].

ومنها: يوم الخروج: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق:٤٢].

---

(٢٤) في م ي: يوم. وما أثبتناه من المصحف.

ومنها: يوم الرجوع: ﴿وَٱتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١].

ومنها: يوم الفرار: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس:٣٤].

ومنها: يوم المجادلة: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل:١١١].

ومنها: يوم الاختصام: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣١].

ويوم التشتت: ﴿يَوْمَئِذٍ(٢٥) يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة:٦].

فصل في أهوالها وأحوالها التي نطق به القرآن الكريم

فأما أهوالها وأحوالها بما نطق به القرآن الكريم:

فمنها: صفة الخلائق: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ [إبراهيم:٢١] يعني من القبور، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس:٥١]، ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر:٧]، ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار:٤]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق:٤٤].

ومنها: صفة الأرض: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [الفجر:٢١].

صفة السماء: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان:٢٥]، يوم الطي: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، التبديل: ﴿تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:٤٨]، الإذابة: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج:٨]، التلون: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧].

وصفة الجبال: ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل:١٤]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:٥]، ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة:١٤]، كان الربيع بن خثيم إذا قرأ هذه الآية أخذ يجلد ذراعيه ويقول: بالحيماه يا دمياه، أين أنت يومئذ؟ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات:١٠]، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير:٣].

صفة الشمس والقمر: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١]، ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة:٩].

---

(٢٥) في م ي: يوم. وما أثبتناه من المصحف.

صفة النجوم: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير:٢]، ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:٢].

صفة البحار: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣] و﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦].

صفة الوحوش: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥].

صفة الملائكة: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ [الحاقة:١٧]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

صفة الموقف: ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ [الصافات:٢٤]، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

صفة الكتب: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء:١٤]، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الكهف:٤٩].

صفة الحساب: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤].

صفة الميزان: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

صفة الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء:٩٠].

صفة النار: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩١].

صفة العدل: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩].

صفة الشهود: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر:٦٩]، ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل:٨٤].

وصف الصراط: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، طول ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤] ونظائر ذلك مما يكثر.

فصل في صفة الخلق ومواقعهم ومقاماتهم

فأما صفة الخلق ومواقعهم ومقاماتهم:

فأولها: قيامهم من القبور: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

يوم الحشر: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ...﴾ الآية [مريم:٨٥].

ثم الوجوه: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦].

ومنها: الموقف: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤].

ومنها: يجيبون الداعي: ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ [طه:١٠٨].

ومنها: يجتمعون: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة:٤٩، ٥٠].

ثم السؤال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ [الحجر:٩٢].

ثم الكتب: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحاقة:١٩]. ويساره: الآيات.

ثم الحساب: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٨].

ثم الميزان: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف:٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الأعراف:٩] الآيات.

ثم النور: ﴿يَوْمَ [تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ] يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد:١٢].

ثم كلامهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا﴾ [الأعراف:٤٣] من كلام أهل الجنة. وكلام أهل النار: ﴿رَبَّنَا [أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا] فَارْجِعْنَا﴾ [السجدة:١٢].

صفتهم: ﴿سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ﴾ [الحج:٢].

ممرهم: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ [مريم:٦٨].

مالهم: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٨]، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء:٨٨].

جموعه: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٩].

أحباؤه: ﴿[يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي](٢٦) لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨]، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف:٦٧].

قرناؤه: ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨]، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ...﴾ [ق:٢٧] الآيات.

التفرق: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم:١٤]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة:٦]، ﴿وَامْتَازُوا(٢٧) الْيَوْمَ﴾ [يس:٥٩]، قيل: امتازوا فإن أهل الجنة قد فازوا، والصراط قد جازوا.

---

(٢٦) في م ي: ياليتني. وما أثبتناه من المصحف.

(٢٧) في م ي: وامتاز. وما أثبتناه من المصحف.

الجزء: ﴿فَمَن[٢٨] يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧، ٨]، ونظائر ما ذكرنا كثيرة، غير أنا أشرنا إلى الآيات منها[٢٩] النداء عليهم بالسعادة والشقاوة ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ..﴾ الآية [هود:١٠٨].

قول الملائكة لهم: ﴿[سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ][٣٠] أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك:٨]، ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الزمر:٧٣].

تمنيهم: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ۝ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٤، ٣٥].

فصل في الآثار في صفة القيامة وأحوالها وأهوالها

فأما الآثار في صفة القيامة وأحوالها وأهوالها فكثيرة ذكرنا منها يسيرًا منها مما[٣١] قيل في حديث القيامة وسنذكر بقايا منها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد يُسمعهم الداعي ويبعدهم[٣٢] البصر، ثم يقوم منادٍ فينادي يقول: سيعلم أهل[٣٣] الجمع من أولى بالكرم، ثم يقول: أين الذين يحمدون الله في السراء والضراء؟ [فيقومون][٣٤] وهم قليلون فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ فيقومون وهم قليلون فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادي: أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يؤمر سائر الناس فيحاسبون»، روته أسماء ابنة يزيد العبسمية[٣٥].

(٢٨) في م ي: من. وما أثبتناه من المصحف.
(٢٩) منها: بينها، ي.
(٣٠) في ي: وقال لهم خزنتها. والآية التي في سورة الزمر رقم ٧١ وردت هكذا: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾، ولعل الصواب ما أثبتناه من سورة الملك.
(٣١) مما: ما، ي.
(٣٢) يبعدهم: ينفذهم، ي. انظر مسند إسحاق بن راهويه ٥/ ١٧٩.
(٣٣) سيعلم أهل: لأهل، م ي. مسند إسحاق بن راهويه ٥/ ١٧٩.
(٣٤) انظر مسند إسحاق بن راهويه ٥/ ١٧٩.
(٣٥) العبسمية: العميشية، م ي. مسند إسحاق بن راهويه ٥/ ١٧٩.

أبو عمران الخولاني: إذا رأت البهائم يوم القيامة بني آدم تصدعوا من بين يدي الله صفين قالوا: الحمد لله يا بني آدم الذي لم يجعلنا مثلكم، فلا جنة نرجو ولا نارًا نخاف.

حاتم الأصم: ليس في القيامة من الحسرات أشد من ثلاثة.. الخبر بتمامه قد مر.

وروي أنه قيل لعيسى عليه السلام: أَحْيِ لنا سام بن نوح، فقال: أروني قبره، فأروه، فقال: يا سام احي بإذن الله، فحيي فقام فإذا رأسه ولحيته بيضاء، فقال: ما هذا؟ قال: سمعت النداء فظننت[٣٦] أنها القيامة فشاب رأسي، فقال عيسى: مذ كم مت؟ قال: مذ أربعة آلاف سنة فما ذهب عني سكرة الموت.

المقداد بن عمرو، عن النبي عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العبد حتى تكون قدر ميل أو اثنين» الخبر بالتمام قد مر قبل.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي ذر: «يا أبا ذر لو أردت سفرًا أعددت له عدة، فكيف سفر طريق القيامة؟ ألا أنبئك يا أبا ذر ما ينفعك ذلك اليوم؟»، قال: نعم بأبي أنت وأمي، قال: «صم يومًا شديد الحر ليوم النشور، وصل ركعتين لوحشة القبر، وحج حجة لعظائم الأمور، وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها، أو كلمة شر تسكت عنها».

وهيب المكي قال: عجبت للعالم كيف يجيب دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن الله في القيامة له حالات ووقفات. ثم غشي عليه.

فصل في العرض في القرآن

العرض في القرآن على وجوه:

عرض آدم: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة:٣١].

وعرض سليمان: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ [ص:٣١].

وعرض الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأحزاب:٧٢].

وعرض جهنم: [﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ [الكهف:١٠٠]].

(٣٦) فظننت: ظننت، م ي.

وعرض الخلق: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان(٣٧) فجدال ومعاذير(٣٨)، وأما الثالثة فعندها تطاير الصحف في الأيدي فآخذٌ بيمينه وآخذ بشماله».

فصل في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ [البروج:٢]

قيل: يوم القيامة، ويقال: الأيام ستة: مفقود، وموجود، ومورود، وموعود، ومشهود، وممدود:

فالمفقود: أمس لا تدري أعليك أم لك، فإنك [تندم] على ما فرطت فيه وقد صحبك ثم فارقك، وهو شهيد على ما فعلت، ذهبت الشهوات وبقيت التبعات، ذهبت الليالي والأيام وبقيت الآثام العظام، فيا لها من حسرة يعض عليها الساعد، وتذاب لها الدموع الجوامد.

فأما اليوم الموجود: فانظر كيف تصحبه، وكيف تفارقه، وتذكر وتفكر، واعتبر وانزجر، نعما قليل يفوتك رأس مالك وهو العمر بفراقه.

والمورود: هو الغد لا تدري أيأتيك أم لا، فرب من نام صحيحًا قام(٣٩) على الجنازة صريحًا، ورب رجل أصبح كالشمع وأمسى وهو في النزع، وكيف تهتم له ولعله ليس من أيامك وأعوامك، إن كان لك أتاك برزقك، وإن لم يكن لك أتاك بأجلك(٤٠)، فيا حسرة تهتم لما [لا] تعلم ولا تهتم لما تعلم.

فأما الموعود: فهو يوم موتك، فاجعله من بالك، واذكره في جميع أحوالك، وأعدّ له الزاد، وادخر له كل الادخار، فإنه آخر أيامك من الدنيا وأول أيامك من الآخرة، إن نجوت نجوت، وإن هلكت هلكت.

---

(٣٧) عرضتان: عرضان، م ي. انظر سنن الترمذي ٤/ ١٩٥.

(٣٨) معاذير: معاذير، م ي. انظر سنن الترمذي ٤/ ١٩٥.

(٣٩) قام: وقام، م ي.

(٤٠) بأجلك: أجلك، م ي.

فأما اليوم(٤١) المشهود: فيوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦]، ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٩٠، ٩١]، فشمر له واجتنب الغفلة، وتزود قبل النقلة، وتجهز للرحلة قبل انقطاع المدة.

فأما الممدود: فإما الجنة وإما النار خلود فلا موت، وهي الطامة الكبرى، فلا أدري أي الأمرين: أأسرح(٤٢) فوق الجنان أم [في] درك النيران.

فصل في الكتب وأنواعها

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣]، فيه للمؤمن بشارات أنه قال: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾، وسماه: منشورًا، ثم جعل إليه حسابه.

قال الحسن: لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك، وإنما قال: اقرأ أنت لا تعلمه غيرك، لئلا تهتك الأستار.

وفي خبر ابن عمران: أن الله تعالى يحاسب المؤمن بينه وبينه فيقول: يا عبدي ألم تفعل كذا، فيقول: بلى، يا رب، فيقول: قد سترتها في الدنيا وغفرتها في الآخرة. فأما الكافر والمنافق فينادى عليهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود:١٨] والآيات في الكتب كثيرة: الكهف ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الكهف:٤٩]، والمؤمن: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الزمر:٦٩]، الحاقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة:١٩]، انشقت: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الانشقاق:٧]، حم: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ [الجاثية:٢٩] بعد قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ [الجاثية:٢٩]، ونظائرها.

الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يعرض الناس ثلاث عرضات، في الثالثة تطاير الصحف في الأكف».

عمرو بن ذر: ألا إن للخلائق جولة(٤٣) لا يفوز بالسلامة من شرها والانقلاب بسرورها

(٤١) اليوم: يوم، م ي.

(٤٢) أأسرح: أفضح، م ي.

(٤٣) جولة: حمولة، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ٢٥.

وخيرها إلّا من أوتي كتابه بيمينه فإنه ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا..﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۞ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق:٨-١٥].

يحيى بن معاذ: اقرأ كتابك فإنك كنت المملي له.

علي عليه السلام: «إذا قال الله للعبد يوم القيامة: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤] خرس لسانه، فيقول الله: عبدي اقرأ كتابك، فتأخذه الرعدة فيقول: يا رب عذاب جهنم أحب إلي من قراءة كتابي، فيقول الله: اذهب إلى الجنة فقد غفرت لك»، رواه علي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن عائشة قالت: يا رسول الله أتذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «أما عند ثلاثة[٤٤] مواطن فلا: الكتاب، والميزان، والصراط».

أبو موسى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

شعر:

تذكر يوم تأتي الله فردا وقد نصبت موازين القضاء
وقيل: اقرأ كتابك سوف تُجْزَى بسعيك إن ذا يوم الجزاء
وهتكت الستور عن المعاصي وجاء الذنب مكشوف الغطاء
وقال الله كيف عصيتَ عبدي؟ أما إن خفت عبدي من بلاء

الحسن: ليس ميت يموت إلّا دخل عليه في قبره [ملك] ومعه صحيفة ودواة وناوله صاحب القبر ويقول: اكتب كل عمل عملته من خير أو شرّ[٤٥]، فيكتب، ثم يطوي الكتاب فيضعه عند رأسه، فإذا جاء يوم القيامة وخرج من قبره جاء ذلك الملك فيدفع إليه ذلك الكتاب، فيقول: تعرف هذا؟ فيقول: نعم، فيقول: اقرأ، فذلك قوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ [الإسراء:١٤]، ثم قال الحسن: أنصفك يابن آدم من[٤٦] جعلك حسيب[٤٧] نفسك.

(٤٤) ثلاثة: ثلاث، م ي.
(٤٥) شرّ: شرك، م ي.
(٤٦) من: أن، م ي. النهاية في الفتنت والملاحم ٢/ ٤٥.
(٤٧) حسيب: حسيبا، م ي. النهاية في الفتن والملاحم ٢/ ٤٥.

وفي خبر أبي هريرة في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجيء بكتابهم، قال: يدعى [أحدهم][٤٨] فيُعطى كتابه بيمينه ويزاد في جسمه، ويتوج بتاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق[٤٩] إلى أصحابه فيقولون[٥٠]: اللهم [ائتنا][٥١] بهذا، فيقول لهم: أبشروا فلكل[٥٢] رجل مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه، ويلبس تاجًا من نار، فيقول أصحابه: نعوذ بالله منه، فيأتيهم فيقول: لكل رجل منهم مثل هذا». وقد شبه العلماء تطاير الصحف بالثلج.

فأما من أوتي كتابه بيمينه فإنه لا يحاسب مناقشة، ولكن يعرض ويغفر له ويدخل الجنة. ومن أوتي كتابه بشماله ومن وراء ظهره فهو يناقش في الحساب، عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من نوقش في الحساب عُذِّب».

وإذا أعطي كتابه بشماله أمر الله ملكًا أن ينزله مكان كذا من النار، ويعذبه عذاب كذا، فذلك قوله: ﴿يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١١]، فالمؤمنون يرون كتبهم والطاعات أكثر فيقولون: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة:١٩]، والعاصون يرون كتبهم مسودة فيقولون: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥].

ويقال: الكتب ستة:

كتاب الحكمة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران:٦٥]، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وكتاب الفضيلة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ [فاطر:٣٢].

وكتاب المغفرة: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٨]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ [الأنبياء:١٠١].

وكتاب الرحمة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

---

(٤٨) العاقبة في ذكر الموت ص٣١٠.
(٤٩) فينطلق: وينطق، م ي. العاقبة في ذكر الموت ص٣١٠.
(٥٠) فيقولون: فيقول، م ي. العاقبة في ذكر الموت ص٣١٠.
(٥١) العاقبة في ذكر الموت ص٣١٠.
(٥٢) فلكل: فكل، م ي. العاقبة في ذكر الموت ص٣١٠.

وكتاب التعبد: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣].

وكتاب في اللوح: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢].

وكتاب في المحاسبة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ...﴾ الآية [الحاقة:١٩]. وطائره[٥٣]: ما يتشآم به، وقيل: أعماله؛ وذلك أن صحائفه طويت منذ موته ونشرت[٥٤] عند نشره، ودفعت إليه منشورة، عن الحسن: ﴿طَـٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء:١٤]: يمنه وشؤمه، ثم قال: يابن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان، فإذا بعثت قلدت بها في عنقك، ثم قرأ: ﴿وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء:١٤] كتابه، وإنما ذكر العنق لأنها موضع الرقبة، فقلّد[٥٥] بعضهم قلائد السّعادة، وبعضهم قلائد الشقاوة.

قتادة: سيقرأ من كان غير قارئ.

وقيل: كلامك: كتابك إلى ربك، فانظر ما تكتب[٥٦] إليه.

وفي حديث ابن عباس: إذا كان مؤمنًا أعطي كتابه بيمينه فقرأ سيئاته فيسوؤه ثم يقرأ حسناته فيسره، وإن كان كافرًا أعطي كتابه بيساره فيرى حسناته فيسره فيقول: هذه حسناتك رُدّت عليك، فاقرأ سيئاتك فيقرأ فيرى[٥٧] سيئاته قد حفظت عليه، كل صغيرة وكبيرة باليوم والشهر والسنة فيسوؤه ذلك ويسود وجهه وتزرق عيناه، فعند ذلك يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥].

فصل في الشهود في القيامة

الشهود في القيامة كثيرة:

منها: الملكان[٥٨]: ﴿لَحَـٰفِظِينَ[٥٩] ۝ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠، ١١]، ولذلك فصل مفرد.

---

(٥٣) وطائره: نظائره، م ي.

(٥٤) نشرت: نشرته، م ي.

(٥٥) فقلّد: فقد م ي.

(٥٦) تكتب: يكتب، م ي.

(٥٧) فيقرأ فيرى: فاقرأ رى، م ي.

(٥٨) الملكان: الملكين، م ي.

(٥٩) في م ي: حافظين. وما أثبتناه من المصحف.

ومنها: الرسول: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء:٤١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ [الأحزاب:٤٥].

ومنها: الأنبياء: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء:٤١]، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل:٨٤].

ومنها: الأمة: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣].

ومنها: الله تعالى: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [يونس:٤٦]، ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرعد:٤٣]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

ومنها: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة:٤].

ومنها: الجوارح، وقد ذكر الله شهادة الجوارح في مواضع، قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس:٦٥]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور:٢٤]، وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم﴾ [فصلت:٢٠]، ونظائرها. وقيل: إنه تعالى يخلق فيها الكلام، وقيل: يعطيها آلة الكلام، سبحان من أنطق عيسى في المهد رضيعًا، وسليمان ويحيى بالحكمة صبيًا، والذي شهد ليوسف ثم الجوارح ثم الجمع.

فصل في ذكر الحفظة وما يتصل بذلك

قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [الرعد:١١]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار:١٠].

قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق:١٧]، قوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الرعد:٣٩]، قيل: ما يكتبه الملكان. قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١]، ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨].

والأخبار والكلام فيه كثيرة، ذكرنا منها جملة وجيزة في كل نوع، وجميع هذه الآيات تدل على أن علينا حفظة.

قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ [ق:١٨] إنما خص اللفظ، لأن أكثر الخطايا باللسان والقلب، وقد ذكرنا بابًا في الصمت قبل هذا، ويقال: من أطلق عنان لسانه فقد تعرض لهوانه، ويقال: المكثار مهذار، وهو كحاطب الليل، ومن أمسك لسانه من الفضل أمن خسرانه يوم الفصل.

وقيل: هذا زمان السكوت، ولزوم البيوت، والرضى بالقوت إلى أن تموت.

الفضيل في ذم الرقيب: تغلق بابك وترخي سترك وتستحي من الناس، ولا تستحي من الملكين اللذين معك لا يفارقانك بالليل والنهار، ولا تستحي من القرآن الذي في صدرك، وهو شافع مشفع وماحل مصدق؟ ولا [تستحي من الجليل سبحانه وهو لا][٦٠] تخفى عليه خافية؟

وقيل: لو كان لك قليل حياء ما عصيت رب السماء، ولو كان لك يسير وفاء ما[٦١] قابلت الوفاء بالجفاء. وقد ذكرنا للمراقبة بابًا في الإلهيات.

شعر:

إن من يركب الفواحش جهلًا حين يخلو بربه: غير خالي
كيف يخلو وعنده شاهداه كاتباه وربه ذو الجلالِ

وقيل: مَلَكٌ رقيب ومَلِكٌ قريب ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦].

قوله: ﴿حَفَظَةً﴾، سموا بذلك لحفظ الأعمال، وقيل: لحفظهم من المهلكة.

قوله: ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾، أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لله ملائكة يتعاقبون بكم الليل والنهار»، وقيل: معنى الآية أنه أراد ملوك الدنيا حولهم[٦٢] الحرس والشرط يحفظونهم[٦٣]، فإذا[٦٤] جاء أمر الله فلا تغني المعقبات شيئًا، عن ابن عباس وعكرمة وأبي مسلم.

وروى هشام عن علي عليه السلام: إن من الله عليّ جُنَّةً[٦٥] حصينة لا يخلص إلي منها شيء، فإذا انفرجت الجُنَّة[٦٦] خلص إلي الأمر.

وقيل: الملائكة يعقب بعضهم بعضًا، ملائكة الليل والنهار، عن ابن عباس، والحسن، والأصم، وأبي علي، وسعيد بن جبير، ومجاهد.

---

(٦٠) انظر المجالس الوعظية ١/ ٣١٧.
(٦١) ما: وما، م ي.
(٦٢) حولهم: حوله، م ي.
(٦٣) يحفظونهم: يحفظونه، م ي.
(٦٤) فإذا: وإذا، م ي.
(٦٥) جُنَّة: حنه، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٥٥٣.
(٦٦) الجُنَّة: الحنه، ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٥٥٣.

وعن عثمان قلت: يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ قال: «عن يمينك ملك للحساب وهو أمير على الذي على الشمال». قال القاضي أبو الحسن: وهذا جائز أن يجعل أحد الملكين أميرًا على الآخر، فلا مانع منه.

رجع إلى الخبر: قال: فإذا عملت حسنة كتبت عشرًا، وإذا عملت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين: أكتب؟ قال: [لا][٦٧] لعله يتوب، فإذا قال ثلاثًا قال: نعم اكتب أراحنا الله منه فبئس القرين، ما رأيت أقل مراقبة لله واستحياء منه، يقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرعد:١١]، [وملكان من بين يديك ومن خلفك][٦٨] قال: وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لربك رفعك، وإن تجبرت قصمك، وملكان[٦٩] على شفتيك يحفظان عليك الصلاة، وملك على فيك لا يدع أن تدخل الحَيَّة[٧٠] فيك، وملكان[٧١] على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كل آدمي [يتبدلون][٧٢] تنزل ملائكة الليل وملائكة النهار فهم عشرون ملكًا ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الرعد:١١] يعني يحفظونه، وقيل: يحصون عمله، وقيل: فيه لطف وزجر عن المعاصي.

قوله: ﴿مَّشۡهُودٞ﴾ [هود:١٠٣]. ابن جريج: تجتمع الملائكة فيكم عند صلاة العصر والصبح.

قوله: ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار:١١]، قيل: يكتبون كل عمل ثم يمحو الله ما يشاء بالمناجاة، ويثبت الطاعة أو المعصية، وقيل: يكتبون الحسنات والسيئات.

وعن الحسن، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس عبد إلّا وعليه ملكان صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب[٧٣] الشمال لصاحب اليمين: أكتبها؟ قال: لا، حتى أنظر هل يعمل حسنة، فإذا عمل حسنة محا خمس سيئات وكتب خمس حسنات، ويصيح الشيطان ويقول: متى أدرك ابن آدم؟ إذا كان هذا دأبه لا أدركه».

---

(٦٧) انظر نصب الراية ١/ ٤٣٥.
(٦٨) انظر نصب الراية ١/ ٤٣٥.
(٦٩) وملكان: وما كان، ي. انظر نصب الراية ١/ ٤٣٥.
(٧٠) الحَيَّة: الجنة، م ي. انظر نصب الراية ١/ ٤٣٥.
(٧١) وملكان: وما كان، م ي. انظر نصب الراية ٦/ ٤٣٥.
(٧٢) انظر نصب الراية ١/ ٤٣٥.
(٧٣) صاحب: لصاحب، ي.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يقول الله للملائكة: إذا هَمَّ عبدي بحسنة فاكتبوها [فإن عملها فاكتبوها] بعشر أمثالها، وإن هم بسيئة فلم يعملها يتركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإن عملها فاكتبوها له بمثلها أو واحدة»(٧٤).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من حافظين يرفعان إلى الله ما حفظا فيجد الله في أول الصحيفة خيرًا وفي آخرها خيرًا إلّا غفر له ما بين طرفي الصحيفة».

وروي أن العبد إذا عمل سيئة كتبها الحفظة، فيندم العبد، فإذا عرض الملائكة الصحيفة قال الله: إنه قد ندم على هذا وقد غفرتها.

وعن الحسن: وكل بالعبد ملكان يكتبان عليه أعماله، فإذا مات طويت صحيفته فجعلت في عنقه، ثم يعطاها منشورا يوم القيامة.

فصل في السؤال

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٩٢]، ﴿لِيَسْـَٔلَ(٧٥) ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الأحزاب:٨]، ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:٦]، والجمع بين قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢]، وبين قوله: ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن:٣٩].

قال القاضي: في ذلك أشياء:

منها: أن المثبت(٧٦) سؤال التوبيخ، والمنفي سؤال التعريف(٧٧)، يدل عليه: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [الرحمن:٤١].

ومنها: أن المثبت(٧٨) في حال، والمنفي في حال أخرى كما قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ

(٧٤) مسند أحمد ١٢/ ٢٤٥.
(٧٥) في م ي: لنسألن. وما أثبتناه من المصحف.
(٧٦) المثبت: الميت، م ي.
(٧٧) التعريف: التعرف به، م ي.
(٧٨) المثبت: الميت، م ي.

عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا [وَبُكْمًا] وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، فلا يمتنع عند ابتداء الحساب[٧٩] ألّا يُسألوا وعند اجتماع الخلق للمحاسبة[٨٠] يقع السؤال.

ومنها: أن السؤال على ضربين: بـ(هل فعلت؟)، ولِمَ[٨١] فعلت؟ والمثبت[٨٢]: لم فعلت، والمنفي: هل فعلت؟

ومنها: أنه سؤال التوبيخ والاستفهام يراد به التقرير، فيقال: أفعلت، وهذا كما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ..﴾ الآية [المائدة:١١٦] وإنما وبخ قومه بذلك السؤال، والله عالم أن عيسى لم يقل ذلك لقومه.

ومنها: أن يسأل أصحاب الكبائر ولا يسأل أصحاب الصغائر.

ومنها: أنه لا يُسأل أحدٌ عن ذنب أحد، فلا يُسأل عن ذنبه إلّا هو.

أبو الدرداء قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «[كيف][٨٣] أنت يا عويمر إذا قيل لك يوم القيامة: أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمت، [قيل لك][٨٤]: فماذا عملت فيما علمت، وإن قلت: جهلت، قيل لك: فما كان عذرك في جهلك ألا تعلمت؟».

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمرك فيم أفنيت، وشبابك فيم أبليت، وعن مالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، وما عملت فيما علمت».

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما منكم أحد إلّا سيخلو به ربه ثم يقول: يابن آدم ماذا عملت فيما علمت، ما أجبت المرسلين؟».

وقيل في قوله: ﴿[ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ][٨٥] يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨]، قال: برد الظلال وشرب الماء الزلال.

---

(٧٩) الحساب: الحس، م ي.
(٨٠) للمحاسبة: بالمحاسبة، م ي.
(٨١) ولِمَ: ويكم، م ي.
(٨٢) والمثبت: فالميت، م ي.
(٨٣) انظر كنز العمال ١٠/ ١٩٢.
(٨٤) انظر كنز العمال ١٠/ ١٩٢.
(٨٥) في م ي: ولتسألن. وما أثبتناه من المصحف.

عن علي عليه السلام: نشر الصحف قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء:١٤].

﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ [الانشقاق:٨]. عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كل من حوسب يومئذ فقد هلك، فقلت: يا رسول الله فإن الله تعالى يقول: ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾؟ قال لنا: ذلك العرض يا عائشة، فأما من نوقش في الحساب يومئذ فقد هلك».

ابن عباس في قوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد:٢١]: المقايسة بالأعمال.

عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر قبل أن تعرضوا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين:٦] قال: «يقومون على أقدامهم يحاسبون حتى يلجمهم العرق».

ورئي أحدهم في المنام فقيل: ما فعل بك؟ فقال: حاسبونا فدققوا ثم مَنُّوا فأعتقوا[٨٦].

ورئي الشبلي فقيل له ذلك فقال: ناقشني حتى آيسني، ثم تغمدني برحمته.

وقيل: يا عاص أي رداء أعددته للحشر؟ أم أي فراش أعددته للقبر؟ أم أي مركب أعددته للصراط؟ أم أي حلة أعددتها للسياط؟ أم أي قوة أعددتها للأهوال؟ أم أي جواب أعددته للسؤال؟ أم أي مهجة[٨٧] أعددتها للعذاب؟ أم أي حجة أعددتها للحساب؟ فأعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، وإلا فأعد للنار جلبابًا.

فصل في قوله: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡ﴾ [الإسراء:٧١].

قيل: بكتابهم؛ بالتوارة، والزبور، والفرقان، والكتاب يدعى إمامًا قال تعالى: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ﴾ [هود:١٧]، وقيل: بأعمالهم، عن الحسن، وقيل: بذنبهم، وقيل:

(٨٦) إحياء علوم الدين ٤/ ٥٠٩.
(٨٧) بهجة: هجة، ي.

بنبيهم[٨٨]، وقيل: بمعبودهم والذي عبدوه في الدنيا شمسًا [كان] أو قمرًا أو كوكبًا، ومن عبد الله تعالى وحده ودعي به، وقيل: الصحائف أعمالهم التي كتبها عليهم الحفظة، وروي ذلك مرفوعًا، وقيل: من يؤتم به، وقيل: بإمامهم، وأصح الأقوال أن يراد به الكتب، ولذلك عقبه بقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة:١٩].

حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد حسنة كتب له بعشر أمثالها، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: أمسك، فيمسك سبع ساعات، فإن استغفر لم تكتب عليه، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة».

فصل في حديث الكوثر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١]، قيل: نهر في الجنة، وقيل: الخير الكثير.

سهل بن سعد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد علي الحوض فشرب لم يظمأ أبدًا، ألا لا يرد علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم».

ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا عند عقر حوضي يوم القيامة أذود عنه الناس لأهل اليمين»، قيل: يا رسول الله كم سعة الحوض؟ قال: «مثل ما بين مقامي هذا إلى عمان». وكان قتادة يقول: بينهما شهر وما شاء الله، فسئل نبي الله عن شرابه فقال: «أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، يَغُتُّ فيه ميزابان يَمُدَّانِهِ من الجنة[٨٩] أحدهما ورق والآخر ذهب».

وعن يزيد الرقاشي قال: دخلت على أنس فقلت: إن هاهنا أناسًا يكذبون بالحوض والشفاعة، فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في ذلك شيئًا؟ قال: سمعت رسول الله يقول: «حوضي كما بين أيلة إلى مكة، له ميزابان من الجنة، كؤوسه كعدد نجوم السماء، شرابه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من كذّب به اليوم لم يصبه في الشرب يومئذ، سيأتيه قوم ذابلة شفاههم فلا يطعمون منه قطرة».

---

(٨٨) بنبيهم: بينهم، م ي.

(٨٩) يَغُتُّ فيه ميزابان يَمُدَّانِهِ من الجنة: عت فيه ميزانان، م ي. صحيح مسلم ٤/ ١٧٩٩.

وعن أنس قال: قلت: يا رسول الله اشفع لي، فقال: «أفعل»، قلت: فأين أطلبك؟ قال: «أول ما تطلبني عند الميزان»، قلت: فإن لم أجدك، قال: «عند الحوض»، قلت: فإن لم أجدك؟ قال: «عند الصراط فإني لن أخطئ هذه الثلاثة المواطن».

وعن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بين ناحيتي الحوض كما بين المدينة وصنعاء»[٩٠].

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا فرطكم على الحوض، فلأنازعن رجالًا من أصحابي فَلَأُغْلَبَنَّ عليهم فأقول: رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن حوضي كما بين عدن إلى عمان، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، أكوسه كنجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، وأول الناس ورودًا عليه[٩١] فقراء المهاجرين»، وقيل: من فقيرهم؟ قال: «الشعث رؤوسًا، الدنس ثيابًا، الذين لا يَنْكِحون المنعمات، ولا تفتح لهم السُّدُد، الذين يعطون كل الذي عليهم ولا يُعْطَون كل الذي لهم».

فصل في الصراط

سلمان، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى يعطي المؤمن جوازًا على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية».

عائشة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨]، فأين الناس يومئذ؟ قال: «على الصراط»، رواه ابن عباس وأبو هريرة ومسروق عن عائشة عنه.

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الصراط بين ظهري جهنم دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، والأنبياء يقولون: سلم سلم، فالناس كلَمْعِ البرق وكطرف العين وكأجاويد الخيل

(٩٠) مسند أحمد ١٩/ ٣٦٢.

(٩١) ورودًا عليه: وردوا، م ي. سنن ابن ماجة ٢/ ١٤٢٨.

والبغال والرِّكاب(٩٢) وشَدًّا(٩٣) على الأقدام، فَنَاجٍ(٩٤) مُسْلِمٌ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، ومكدوس في جهنم»(٩٥).

أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يمد الصراط فيكون أول من يمر به أنا والملائكة بجنبتيه أكثر قولهم: سلم سلم، وإن عليه لكلاليب وحسكة [يقال] لها السعدان دونه جسر(٩٦) دَحْضٌ(٩٧) مَزِلّة فيمرون عليها كالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والرجال، فناج مُسَلَّم، ومخدوش مكلّم(٩٨)، ومكدوس في النار، فإذا جازوا الصراط فما أحد بأشد مناشدة في حق تعلمونه من المؤمنين في إخوانهم(٩٩) الذين سقطوا في النار».

وفي حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد سأله عن القيامة فقال: «ثم نصب الصراط على طريق جهنم دَحْض، دقته كالشعرة، وحدته كالسيف المرهف، عليه كلاليب وحسك وسعدان مضرسة مشعبة، كل شعب منها كالرمح المسجر [تحدّ] الرجل من أول الحشر في جوف جنهم مسيرة ألف عام، وترقى مرة، وهي سبعة جسور: الأوّل ثمانية عشر ألف فرسخ، والجسر الثاني أطول من الأوّل وأبعد بثمانية عشر ألف مرة، وكذلك كل جسر مما يليه».

قال ابن عباس: فهي سبعة جسور على جهنم، يحاسب العبد في أولها بالإيمان، فإن سلم إيمانه من النفاق والرياء والشك والعجب نجا وإلا تردى في النار، ويحاسب في الجسر(١٠٠) الثاني بالصلاة، فإن أكملها في ركوعها وسجودها نجا وإلا تردى في النار، ويحاسب في الجسر الثالث بالزكاة، فإن أداها نجا وإلا تردى في النار، ويحاسب في الجسر الرابع بصيام شهر رمضان، فإن كان سلم له صومه نجا وإلا تردى في النار، ويحاسب في الجسر الخامس بالحج والعمرة، فإن كان قد أداهما نجا وإلا تردى في النار، ويحاسب بالجسر السادس بالوضوء

(٩٢) الرِّكاب: الراكب، م ي. البعث والنشور للبيهقي ص٢٦٧، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٣٠.
(٩٣) وشَدًّا: والشد، م ي. البعث والنشور للبيهقي ص٢٦٧، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٣٠.
(٩٤) فَنَاجٍ: فناج، م ي. البعث والنشور للبيهقي ص٢٦٧، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٣٠.
(٩٥) البعث والنشور للبيهقي ص٢٦٧، والفردوس بمأثور الخطاب ٢/ ٤٣٠.
(٩٦) دونه جسر: يتحدوانه له، م ي. البعث والنشور للبيهقي ص٣٣٦.
(٩٧) دَحْضٌ: حو، م ي. البعث والنشور للبيهقي ص٣٣٦.
(٩٨) مكلّم: كلم، م ي. مسند أحمد ١٧/ ٢٠٢.
(٩٩) في إخوانهم: بإخوانهم، م ي. مسند أحمد ١٧/ ٢٠٢.
(١٠٠) الجسر: الحشر، ي.

والغسل من الجنابة، فإن كان أداهما وإلا تردى في النار، ويحاسب في الجسر السابع بحق الوالدين والرحم ومظالم الناس، فإن سلم من جميع ذلك وإلا تردى في النار.

حديث الشيخ الإمام أبي محمد بإسناده عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «شعار الناس يوم القيامة على الصراط: اللهم سلم سلم».

فصل في الموازين

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧] في الأنبياء، ﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [٨] في الأعراف، وفي المؤمنين: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف:٨]، وفي القارعة: ﴿[فَأَمَّا مَن][101] ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [القارعة:٦]، وقوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق:٢٢] قيل: إلى لسان الميزان.

والميزان على ضربين:

ميزان الدنيا، وأمر الله بالعدل، ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ [الإسراء:٣٥]، ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:٧]، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١]، وأهلك قوم شعيب بذلك ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الأنعام:١٥٢].

وميزان الآخرة، فمن وفى استوفى.

عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يؤتى برجل يوم القيامة ثم يؤتى تسعة وتسعين سجلًا، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، ثم يؤتى بالميزان فيوضع في كفته، ثم يخرج له قرطاسٌ مثل هذا وأمسك الراوي بطرف إبهامه على نصف أصبعه فيها شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمدًا رسول الله، فيوضع في الكفة الأخرى، فيرجح بخطاياه وذنوبه»[102].

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، ويؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، ولكن يصبُّ لهم الأجر صبًا».

---

(١٠١) في م ي: فمن. وما أثبتناه من المصحف.

(١٠٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ص١٣٦.

أبو حنيفة عن حماد بن إبراهيم: إذا كان يوم القيامة وضعت حسنات الرجل في كفة وسيئاته في كفة أخرى، فتشيل[١٠٣] سيئاته بحسناته حتى أيس فظن أنها النار، جاءه شيء مثل السحاب حتى يقع من حسناته في كفة الميزان فتشيل[١٠٤] حسناته بسيئاته، فيقال: أتدري ما هذا؟ فيقول: لا أعرف هذا من عملي، فيقال: هذا ما علَّمت الناس من الخير فعملوا به بعدك».

ابن مسعود قال: يوضع الناس يوم القيامة فيتجادلون عنده أشد الجدال. وفي خبر سعيد بن جبير عن ابن عباس في صفة القيامة ونصب الموازين، دون العمود كما بين المشرق إلى المغرب، [وكفة الميزان] كأطباق الدنيا كلها، وشطر الميزان نور، وشطره ظلمة معلق ببعض قوائم العرش.

وذكر الأصم في تفسيره أن سائلًا سأل سلمان عن حسبه؟ فقال سلمان: ما حَسَبُ مَنْ خلق من التراب وإلى التراب يصير ومن التراب يخرج، ألا إن أثقل غدًا فما أكرم حسبي، وإن أخف غدًا في الميزان فما ألأَمَ حسبي، ثم تلا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف:٨].

واختلفوا في موازين الآخرة، قيل: له كفتان، توزن به الأعمال، ثم اختلفوا: قيل: توزن به الصحائف، وقيل: يظهر في إحدى الكفتين نور وفي الأخرى ظلمة، وقيل: توزن[١٠٥] الأنفس. وقيل: الميزان هو العدل، عن الضحاك، وقيل: هو كتب أعمالهم، والأوّل هو الصحيح عند أصحابنا.

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة ميزانٌ، فمن[١٠٦] أوفى استوفى»[١٠٧].

وروي أن داود سأل ربه أن يريه الميزان، فأراه، فاستعظمه، وقال: من يقدر أن يملأه حسنات يا رب، قال: إني إذا رضيت عن عبدي أملأه بتمرة.

وروى مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائمًا رأسه في حجري، فبكيت، فقطرت دموعي على خده فاستيقظ فقال: «ما يبكيك»؟ قلت: ذكرت القيامة

(١٠٣) فتشيل: فيشيل، م ي. مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٦.
(١٠٤) فتشيل: فيشيل، م ي. مفتاح دار السعادة ١/ ١٧٦.
(١٠٥) توزن: تورث، ي.
(١٠٦) فمن: من، م ي. انظر شعب الإيمان ٤/ ٥٠٦.
(١٠٧) انظر شعب الإيمان ٤/ ٥٠٦.

وأهوالها، فهل تذكرون أهاليكم يا رسول الله؟ قال: «أما [في] ثلاثة(١٠٨) مواطن فلا(١٠٩) يذكر [أحدٌ](١١٠) أحدًا فيها إلّا نفسه: عند الميزان حتى يعلم أنه يخف أو يثقل، وعند الصحف حتى يأخذ بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يجاوز»(١١١).

ويقال: عشرة أشياء متيقنة(١١٢)، وعشرة غيرها مشكوك فيها(١١٣): الموت يقين، وكونك(١١٤) يبشر عنده ليس بيقين، والقبر يقين وكونه روضة ليس بيقين، وسؤال الملكين يقين وكيفية الجواب غير يقين، والبعث يقين وكيفية البعث والحشر غير يقين، والكتاب يقين وتناوله باليمين غير يقين، والصراط يقين ومجاوزته غير يقين، والشفاعة يقين وكونك من أهلها غير يقين، وورود النار يقين والنجاة منها غير يقين، والميزان يقين ورجحان الحسنات غير يقين.

فصل في الانتصاف والمقاصة

قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩] يعني بعدله بين الظالم والمظلوم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا..﴾ الآية [إبراهيم:٤٢]، إنما يؤخرهم إلى يوم القصاص.

وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتدرون من المفلس»؟ قالوا: يا رسول الله المفلس فينا من لا دراهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكَلَ مال هذا، فيقبض هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار».

أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من كانت له مظلمة من أخيه في عرض أو

(١٠٨) ثلاثة: ثلاث، ي. سنن أبي داود ٤/ ٢٤٠.
(١٠٩) فلا: لا، ي. سنن أبي داود ٤/ ٢٤٠.
(١١٠) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٠.
(١١١) سنن أبي داود ٤/ ٢٤٠.
(١١٢) متيقنة: متيقن، م ي.
(١١٣) فيها: فيه، م ي.
(١١٤) وكونك: وما، م ي.

مال فليتحلله[١١٥] منه اليوم قبل أن يؤخذ منه حين لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذَ منه قدر مظلمته، وإلا أُخذ من سيئات صاحبه فحملت عليه[١١٦]».

مجاهد عن ابن عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تموتن وعليك دين، فإنه ليس [ثَمَّ][١١٧] قضاء دينار ولا درهم، إنما هي الحسنات والسيئات جزاءً بجزاء وقصاصًا بقصاص، ولا يظلم الله أحدًا».

مكحول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا أبا هريرة، كل[١١٨] ذنب غمٌّ[١١٩]، فرُبَّ[١٢٠] ذنب له ثارة من الغم[١٢١]، ورب ذنب له ثارات، ولا ذنب على المسلم أطول ثارات من مظلمة [الدم][١٢٢] أو مال أو عرض».

عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب، ولكن سيرضى منكم بما دون ذلك، بالمحقرات وهن الموبقات، فإياكم والمظالم، فإن العبد يأتي بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجيه، فلا يزال عبد[١٢٣] يقول: رب ظلمني [عبدك مظلمة] ، فتمحى من حسناته حتى ما تبقى له حسنة واحدة من المظالم، وإن مثل ذلك مثل سَفْرٍ نزلوا بفلاة من الأرض وليس معهم حطب، فأرادوا أن يطبخوا، فتفرق القوم، فجاء هذا بعود، وجاء هذا بعظم، وجاء هذا بروثة، فأعظموا النار، فأنضجوا ما أرادوا، كذلك الذنوب»[١٢٤].

جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحشر الله العباد يوم القيامة عراة غُرْلًا بُهْمًا». قلت: ما بُهْمًا؟ قال: «ليس معهم شيء، ويناديهم بصوت يسمعه مَنْ بَعُدَ كما يسمعه مَنْ قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولأحد من أهل الجنة عنده

(١١٥) فليتحلله: فيحللها، م ي. صحيح البخاري ٣/ ١٢٩.
(١١٦) عليه: عنه، م ي. صحيح البخاري ٣/ ١٢٩.
(١١٧) معجم ابن الأعرابي ٣/ ١٠١٦.
(١١٨) كل: لكل، م ي. الوصايا لابن عربي ص١٣٣.
(١١٩) غمٌّ: غنم، م ي. الوصايا لابن عربي ص١٣٣.
(١٢٠) فرُبَّ: ومن، ي. الوصايا لابن عربي ص١٣٣.
(١٢١) ثارة من الغم: تارة من النعم، م ي. الوصايا لابن عربي ص١٣٣.
(١٢٢) الوصايا لابن عربي ص١٣٣.
(١٢٣) عبد: العبد، ي. شعب الإيمان ٩/ ٤٠٤.
(١٢٤) شعب الإيمان ٩/ ٤٠٤.

مظلمة، ولا ينبغي لأهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقتصه منه»، قلت: وكيف وإنما يأتون الله عراة غرلًا بهما؟ قال: «بالحسنات والسيئات».

الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يحبس أهل الجنة بعد ما يجازون الصراط قبل أن يدخلوا[١٢٥] الجنة، حتى يؤخذ لبعضهم من بعض المظالم التي تظالموا بها في الدنيا، فيدخلون الجنة وليس في قلوب بعضهم من بعض غل».

أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا خلص المؤمنون من النار احتبسوا على قنطرة بين النار والجنة حتى يؤخذ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا أذن لهم في دخول الجنة»، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لأحدهم أهدى لمنزله في الجنة من منزله[١٢٦] الذي كان في الدنيا».

ابن مسعود قال: إذا جئت الأمم للحساب أثاب[١٢٧] قوم إلى الجنة، قال: فتقول الملائكة: أين أين؟ أما علمتم أن اليوم يوم الدين؟ قالوا: بلى، ولكنكم لم تؤتونا أموالًا ولا سلطانًا تثيبونا[١٢٨] عليه، فيقول الجبار: صدق[١٢٩] عبادي، خلوا بينهم [وبينها][١٣٠]، فيدخلونها ويتحلون بحليتها، ويتوسمون بسيماها قدر أربعين سنة والأمم في الحساب. قال: ولهم يومئذ أشد تعلقًا بعضهم ببعض في حقوقهم من أهل الدنيا، الأخ بأخيه، والزوجة بزوجها، والزوج بزوجته، والأب بابنه، ثم قرأ عبد الله ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

الفضل[١٣١] بن عباس قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرجت إليه، فوجدته موعوكًا قد عصب رأسه فقال: «خذ بيدي»، فأخذت بيده، فأقبل حتى جلس على المنبر ثم قال لي: «ناد في الناس»، فصحت في الناس، فاجتمعوا إليه، فقال: «أما بعد أيها الناس إني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو، وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم، من كنت جلدتُ له ظهرًا فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا فهذا عرضي فليسْتَقِدْ منه،

(١٢٥) يدخلوا: يدخلون، م ي.
(١٢٦) من منزله: بمنزلة، م ي. الإيمان لابن مَنْده العبدي ٢/ ٨١٥.
(١٢٧) أثاب: أتى، م ي. الزهد للمعافى بن عمران ص٢٠٤.
(١٢٨) تثيبونا: تدنونا، م ي.
(١٢٩) صدق: صدقوا، م ي. الزهد للمعافى بن عمران ص٢٠٤.
(١٣٠) الزهد للمعافى بن عمران ص٢٠٤.
(١٣١) الفضل: الفضيل، م ي. معجم الطبراني الأوسط ٣/ ١٠٤.

ومن كنت أخذتُ له مالًا فهذا مالي فليأخذ منه، ولا يقل رجل: إني أخشى الشحناء من قِبَل رسول الله، ألا وإن الشحناء ليس من طبيعتي ولا من شأني، ألا وإن أحَبَّكُم إليّ من أخذ حقًا إن كان له، أو حلَّلني فلقيت الله وأنا طيب النفس، وقد أرى أن هذا غير مغنٍ عني حتى أقوم فيكم مرارًا». قال الفضل: ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع على المنبر فعاد لمقالته الأولى في الشحناء وغيرها، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن لي عندك ثلاثة دراهم، فقال: «أما إنا لا نكذب قائلًا ولا نستحلفه عن يمين، فيم كانت لك عندي»؟ فقال: يا رسول الله تذكر يوم مر بك المسكين فأمرتني فأعطيته ثلاثة دراهم، فقال: «أعطه يا فضل»، فأمرته فجلس فقال: «أيها الناس من كان عنده شيء فليؤده ولا يقولن رجل فضوح الدنيا، ألا وإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة»، فقام رجل فقال: يا رسول الله، عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله، [قال] ولم غللتها؟ قال: كنت إليها محتاجًا، قال: «خذها منه يا فضل»، ثم قال: «أيها الناس من خشي من نفسه شيئًا فليقم أدْعُ له»، فقام رجل فقال: والله يا رسول الله إني لكذاب وإني لفاحش وإني لنؤوم، فقال: «اللهم ارزقه صدقًا، وأذهب عنه النوم إذا أراد»، ثم قام آخر وقال: يا رسول الله إني لكذاب وإني لمنافق، وما من شيء من الأشياء إلّا وقد جئته، فقام عمر وقال: فضحت نفسك أيها الرجل، فقال رسول الله: «يابن الخطاب فُضُوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة. اللهم ارزقه صدقًا وإيمانًا وصيِّر أمره إلى خير»، فقال عمر كلمة، فضحك رسول الله، ثم قال: «عمر معي وأنا مع عمر، والحق بعدي مع عمر حيث كان»(١٣٢).

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا من اعتدى على معاهد يظلمه في الدنيا كنت خصمه يوم القيامة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ ضَرَبَ سوطًا ظالمًا اقتُصَّ منه يوم القيامة»، رواه زرارة بن أوفى.

وعن عائشة: «الدواوين يوم القيامة ثلاثة..»، وقد مضى.

فصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ..﴾ الآية

روي أن عليًا عليه السلام ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم، فقيل له: تصف جابرًا بالعلم

(١٣٢) معجم الطبراني الأوسط ٣/ ١٠٤.

وأنت أنت؟ فقال: إنه بلغ من علمه أنه كان يعرف تفسير ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [القصص:٨٥].

والفرض على وجوه:

الإيجاب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا﴾ [الأحزاب:٥٠].

ومنه: الصلاة المفروضة، ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ [البقرة:١٩٧].

ومنها: البيان والتقدير ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم:٢]، ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النور:١].

ومنها: الإنزال ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥] نزلت الآية في الجحفة.

واختلفوا في معناها: قيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني إلى مكة وكان يحب ذلك، وقيل: إلى الموت والقبر، وقيل: إلى القيامة وهو يوم المعاد، فالأوّل عن ابن عباس ومجاهد، والثاني عن سعيد بن جبير، والثالث عن جماعة.

أما على المعنى الأوّل فيقال: إنه خرج من منشئه ومسقط رأسه وكان يحن إلى وطنه، فوعده الله أن يرده إليها، كقوله: ﴿لَتَدْخُلُنَّ(١٣٣) ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح:٢٧].

ويقال: إنه تعالى فرق بين نفسين من مكانيين ونفسين من نفْسَيْن، ووعدهم العود بأحسن حال:

أولها: آدم، أخرج من الجنة ووعد الوعيد لما بكى واشتكى، فتاب وأناب، واعتذر واستغفر.

وعن فتح الموصلي قال: قال آدم لابنه: يا بني طال والله حزني على دار أخرجت منها، فلو رأيتها لزهقت نفسك، فما زال يبكي ويقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ **[الأعراف:٢٣]** إلى أن وُعِدَ العود(١٣٤) إلى الجنة.

وثانيها: محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ..﴾ الآية [التوبة:٤٠]، ثم وعد العود على أحسن حال ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾.

---

(١٣٣) في م ي: لیدخلن. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(١٣٤) العود: الوعد، م ي.

فأما النفسان(١٣٥) من النفسين: ففرق بين يوسف ويعقوب وهو صبي، ورده على يعقوب وهو نبي ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ الآية [يوسف:٩٩].

والثاني: فرق بين موسى وأمه ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧]، ورده عليها ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ [القصص:١٣].

وتفسير الآية على هذا إن(١٣٦) الذي فرض عليك القرآن [أنزله إليك] ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٨٦].

والنفوس مجبولة على حب الأوطان، ولكن قلّما يتفق الوطن والوطر إلّا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه بُشِّر بالعود إلى وطنه مع قضاء وطره، فكان(١٣٧) كذلك، علا أمره، وفتح البلاد، ثم دخل مكة.

فأما آدم فخرج من الجنة، ودخلها على أحسن مما خرج؛ لأنه يرى أولاده الأنبياء. «وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة ثم دخلها عنوة، ثم مَنَّ عليهم».

وروي أنهم لاذوا بالبيت، فجاء عليه السلام وأخذ بعضادتي الباب وقال: «الحمد لله. صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ما تظنون؟» قالوا: نظن خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف:٩٢]». ورد يوسف [على] يعقوب على حالته المعروفة من النبوة والملك، ورد موسى على أمه نبيًا.

وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج من مكة وبكى قال: «اللهم إني قد خرجت من بلد هي أحب البلاد إلي، فأنزلني بلدة هي(١٣٨) أحبها إليك». وسنذكر في آخر هذا المجلس فصلًا في حب الوطن.

فأما من قال: إنه القبر، أو الموت، فإنه يقول: المراد بالمعاد القبر، لقوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]».

---

(١٣٥) النفسان: النفسين، م ي.

(١٣٦) إن: إلى، م ي.

(١٣٧) فكان: فكل، م ي.

(١٣٨) هي: وهي، م ي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات فقد قامت قيامته، يرى ما له، من خير أو شر».

وقيل: كلنا أيقن بالموت وما نرى له مستعدًا، وكلنا أيقن بالجنة وما نرى[139] لها عاملًا، وكلنا أيقن بالنار[140] وما نرى لها خائفًا».

ويقال: إنه تعالى كما بشره بالقرآن بشره بالموت؛ لأن الموت راحة المؤمن.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا راحة لمؤمن دون لقاء الله تعالى»، وقيل: «ما غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت»، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «تحفة المؤمن[141] الموت».

سفيان: كان يقال: الموت راحة العابدين.

وقرأ الحسن: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [النبأ:٤٠] فقال: ذلك المؤمن الحذر الكَيِّس، علم أن له معادًا فقدمه، فنظر إلى ما قدم، ويقول الكافر الذي لم يقدم: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ:٤٠]، ولا يكون ترابًا، فأما من يقول: إن المراد به القيامة فإنه يقولها[142]، لأنه يودّ[143] يوم المعاد لو أنه[144] أعيد إلى الحياة للجزاء.

عمرو بن ذر: لقد كَلَّ الواعظون، ومَلَّ المتكلمون، ولا أراكم تنزجرون، أما إن للخلائق في القيامة جولة لا يفوز بالسلامة من شرها، والانقلاب بسرور خيرها إلّا من أوتي كتابه بيمينه، وتلا إلى قوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق:١١، ١٢]، ثم تلا: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق:١٤، ١٥] ثم قال: بلى وربي [إن] له لمبعثا[145]، بلى وربي إن له لمرجعًا، بلى وربي إن له لمعادًا ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:٣٠][146].

---

(١٣٩) بالجنة وما نرى: بالحياة أما ترى، م ي.

(١٤٠) بالنار: بالموت، م ي.

(١٤١) المؤمن: الموت، م ي. المستدرك للحاكم ٤/ ٣٥٥.

(١٤٢) يقولها: يقول، م ي.

(١٤٣) يودّ: يقول، م ي.

(١٤٤) لو أنه: وأنه، م ي.

(١٤٥) لمبعثا: معنفًا، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ٢٥.

(١٤٦) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٥/ ٢٥.

وكتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

ليس بيني وبين قيسٍ عِتَاب غير طَعْنِ الكُلَى وضَرْبِ الرِّقاب

فأجابه:

تنام ولم تنم عنك المنايا تَنَبَّهْ للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا وكم[147] قد رام قبلك ما تروم
سَلِ الأيام عن أمم تفانت ستخبرك[148] المعالم والرسوم
إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا غدًا يوم الحساب مَن الظَّلُومْ

وعنى بالمعاد القيامة.

وقيل: إن الله تعالى بالمرصاد، وقد وعد العباد بالمرجع إلى المعاد، أهل الصلاح منهم والفساد، وهو لا يخلف الميعاد.

واستوصى به بعضهم فقال: عليك بالجد والاجتهاد، والتزود[149] والاستعداد، مِنْ طَلَب الزاد ليوم المعاد، تَجْرِ أمورك على الرشاد والسداد.

شعر:

يا مشتري الدنيا بدار كرامة زلت برجلك فيهما النعلان
قد بعت ما يبقى بدار مذلة هذا وحقك بيعة الخسران
ماذا تقول إذا وقفت مساءَلًا ورأيت ما قدمت في الميزان
هل تستطيع تخلصًا من ذلة إلا بمنّ الواحد الديان

(١٤٧) وكم: فقد، م ي. ترتيب الأمالي الخميسية ١/ ١٠٨.
(١٤٨) ستخبرك: فتخبرك، م ي. ترتيب الأمالي الخميسية ١/ ١٠٨.
(١٤٩) التزود: التردد، م ي.

فصل[١٥٠] في فضل حب الوطن

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا..﴾ الآية [النساء:٦٦]، ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ[١٥١] أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [البقرة:٨٤]، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ[١٥٢]..﴾ الآية [الأنفال:٣٠].

ابن عباس: لو قنع الناس بأرزاقهم كما قنعوا بأوطانهم لما اشتكى عبدٌ الرزق.

وروى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة، والأولاد أبرارًا، وإخوانه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده».

ولما هاجر رسول الله قدم من مكة بعضهم، فكان يصف مكة وشمائلها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دع القلوب تقر».

وروي أنه لما أخرج من مكة قال: «اللهم إني خرجت من بلد هي أحب البلاد إلي، فأنزلني بلدة هي أحب البلاد إليك».

وقيل: النقلة مثلة، والغربة كربة، والفرقة حرقة.

وقيل: الغريب كالفرس[١٥٣] الذي زايل أرضه، وفقد شربه، فهو [ذاوٍ] لا يزهر، وذابل لا يثمر[١٥٤].

وقيل: الغريب كالوحشي النائي عن وطنه، فهو لكل رامٍ رمية، ولكل سبع فريسة.

وقيل: الغريب كاليتيم العظيم الذي ثكل أبويه، فلا أم ترأف عليه، ولا أب يرق له.

وقيل: عُسْرك في بلدك خير من يُسْرِك[١٥٥] في غربتك.

شعر:

لَقُرْبُ الدار في الإقتار خيرٌ … من العيش الموسّع في اغتراب

(١٥٠) فصل: فضل، ي.

(١٥١) في م ي: ولا تخرجوا. وما أثبتناه من المصحف.

(١٥٢) في م ي: أو يمكرون. وما أثبتناه من المصحف.

(١٥٣) الفرس: الفسيل، م ي. انظر التمثيل والمحاضرة ص٤٠١.

(١٥٤) التمثيل والمحاضرة ص٤٠١.

(١٥٥) يُسْرِك: يسر، م ي. روض الأخبار المنتخب من ربيع الأبرار ص٤٠٣.

وقيل: إذا كنت في غير بلدك فلا تنس نصيبك من الذل.

شعر للأعشى:

ومَنْ يغترب يحسب عدوًا صديقه ... مصارع مظلوم مُجَرًّا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وإن يُسِئْ ... يكن ما أساء النارَ في رأس كَبْكَبا

آخر:

ومَنْ يَنْأَ عن دار العشيرة لا يزل ... عليه رعودٌ جَمَّةٌ وبروقُ

آخر[١٥٦]:

وإن اغتراب المرء من غير خلّة ... ولا همة يَسْمُو لها لَعَجِيبُ
فحسْب الفتى ذُلًا وإن أدرك الغنى ... ونَال ثراءً أن يُقال غريبُ

آخر:

طَلَبُ المعاش مفرقٌ ... بين الأحبة والوطن
ومصيّر جلد الرجا ... ل إلى الضراعة والوهن
حتى يقاد كما يقا ... د النضو في ثني الرسن
ثم المنية بعده ... فكأنه ما لم يكن

وقيل: أحب الأشياء إلى الإنسان الأم؛ لأن رحمها أول منزل.

شعر:

نقّل فؤادك حيث شئتَ من الهوى ... ما الحُبُّ إلّا للحبيب الأول
كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدًا لأول منزلِ

ومن الشراهة على حب الوطن أن يوسف لما أدركته الوفاة أوصى بحمل جثته إلى موضع مقابر أبيه وجديه، فمنعه[١٥٧] أهل مصر إلى أن بعث موسى[١٥٨]، فحمل[١٥٩] وقبر بأرض بيت المقدس، بقرية تسمى حساني.

---

(١٥٦) اللطائف والظرائف ص٢٣٢.

(١٥٧) فمنعه: فمنع، م ي.

(١٥٨) إلى أن بعث موسى: أن لا يبعث، م ي.

(١٥٩) فحمل: فحملت، م ي.

ومات يعقوب بمصر، فحملت جثته إلى بابليا؛ قرية ببيت المقدس، وهناك قبر إسحاق.

ومن تشدد بني إسرائيل في حب الوطن خصوصًا ولد هارون لم يمت منهم ميت في إقليم بابل إلّا نبشوا قبره بعد سنة، وحملوا جثته إلى موضع بالشام يدعى الخصاصة، ثم ينبش بعد حول وينقل[١٦٠] إلى بيت المقدس.

ومن أخبار الملوك والجبابرة في هذا الباب: أن أسفنديار بن يستاسف[١٦١] لما فتح الخزر[١٦٢] اعتل بها، فقيل له: ما تشتهي؟ [قال:] شمه[١٦٣] من تربة بلخ وشربة[١٦٤] من ماء واديها.

واعتل سابور ذو[١٦٥] الأكتاف وكان[١٦٦] مأسورًا، فقالت[١٦٧] ابنة قيصر وكانت عَشِقَتْه: ما تشتهي؟ فقال: شربة من ماء دجلة، وشمة[١٦٨] من تراب إصطخر، فأتته يومًا بذلك، فشرب واشتم، فنَقِهَ من علته.

ولما توفي الإسكندر ببابل أوصى بحمل رمته في تابوت من ذهب إلى بلدة بالروم.

ولما افتتح وهرز بن شيرزاذ[١٦٩] بن بهرام جور[١٧٠] اليمن وقتل ملك الحبشة، وكانت وفاته، أوصى ابنه شيرزاذ[١٧١] بحمل رمته إلى ناوس[١٧٢] أبيه بأصطخر، ففعل.

وليس العجب من هؤلاء الملوك إذا حنوا إلى أوطانهم التي فيها عز الملك، ولا من الأنبياء إذا حنوا إلى الأرض المقدسة، فهذه الأعراب تحن إلى أوطانها مع خشونتها، وإلى البدو مع ما هم فيه من الضيق في معيشتهم، حتى قيل لبعضهم: ما الغبطة؟ فقال: الكفاية مع لزوم الأوطان،

---

(١٦٠) ينقل: نقل، م ي.

(١٦١) يستاسف: أبراسف، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٢) الخزر: الحرب، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٣) ما تشتهي؟ [قال:] شمه: ما تشتهي شمه، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٤) شربة: شرب، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٥) ذو: ذا، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٦) وكان: فكان، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٧) فقالت: فقال، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٨) شمة: شميمًا، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٨.

(١٦٩) شيرزاذ: سيرداد، ي.

(١٧٠) جور: حور، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٩.

(١٧١) شيرزاذ: سيرداد، ي.

(١٧٢) ناوس: باوس، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٩.

والجلوس مع الإخوان، قيل: فما الذلة؟ قال: الشقاء في البلد، والتنحي عن الوطن، ثم أنشأ يقول:

طلب المعاش مفرق ... بين الأحبة والوطن
ومصيِّر جلد الرجا ... ل إلى الضراعة والوهن
حتى يقاد كما يقا ... د النضو في ثني الرسن
ثم[173] المنية بعده[174] ... فكأنه ما لم يكن

ومن محاسن ما قيل في حب الوطن قوله:

وباشرتها فاستعجلت عن قناعها ... وقد يستخف الطامعين المياسرُ
مشمرة عن ساق حوراء حرة ... تجاري بنيها مرة وتحاضر
فخبَّرها الرُّوَّاد[175] أن ليس بينها ... وبين قرى نجران والدرب صافر[176]
فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينًا بالإياب المسافرُ

وقيل لأعرابي: ما السرور؟ قال: أوبة بغير خيبة، وأنفة بغير غيبة.

وقيل لآخر: ما السرور؟ فقال: غربة تفيد غنى، وأوبة تفيد منى، وأنشد:

وكنت فيهم كممطورٍ ببلدته ... يُسَرُّ أنْ جَمَعَ الأوطان والمطرا

ولذي الرمة شعرًا:

إذا هبت الأرواح من نحو جانبٍ ... به أهلُ مَيٍّ هاج قلبي هبوبُها
هوًى تذرف العينان منه وإنما ... هوى كلِّ نفس حيث كان حبيبها

الشافعي رحمه الله:

وأنزلني طول النوى أرض غربة ... إذا شئت لاقيت امرءًا لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله
ولو كنت في أهلي وجل عشيرتي ... لألفيت منهم كل خرق أواصله

---

(١٧٣) ثم: إن، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٧.
(١٧٤) بعده: تأنه، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٤٠٧.
(١٧٥) الرُّوَّاد: الوراد، م ي.
(١٧٦) صافر: قاهرٌ، م ي.

آخر:

ألا ليت شعري والحوادث جمة ... متى تجمع الأيام يومًا بنا الشملَ
وكل غريب سوف يمسي ببلدة ... إذا بان عن أوطانه وجفا الأهلَ

للمجنون:

إلى عامر أصبو وما أرض عامرٍ ... هي الرملة الوعساء والبلد الرحب
معاشر بيض لو وردت بلادهم ... وردت بحورًا للندى ماؤها عذبُ
إذا ما بدا للناظرين خيامهم ... فَثَمَّ العتاق البيضُ والأسل القضبُ

آخر:

تمتع من شميم عرار نجدٍ ... فما بعد العشية من عرارِ
ألا يا حبذا نفحات نجدٍ ... وريا روضةٍ غب القطارِ
وعيشك إذ[١٧٧] يحل القوم نجدًا ... وأنت على زمانك غيرُ زارِ
شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرارِ
فأما ليلهن فخير ليلٍ ... وأقصر ما يكون من النهارِ

آخر:

ألا هل إلى شم الخزامى ونظرة ... إلى قرقرى قبل الممات سبيل
فأشرب من ماء الحجيلاء شربة ... يداوى بها قبل الممات غليل

آخر:

أحب الأرض تسكنها سُليمى ... وإن كانت تَوَارَثَها[١٧٨] الجدوب
وما قلبي يحب تراب أرضٍ ... ولكن من يحل بها حبيب[١٧٩]

آخر:

أحب بلاد الله ما بين صارة ... إليّ وسلمى أن يسح سحابها
بلاد بها نيطت علي تمائمي ... فأول أرض مس جلدي ترابها

(١٧٧) إذ: لا، م ي.

(١٧٨) تَوَارَثَها: توارها م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٩٩.

(١٧٩) حبيب: نجيب، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٩٩.

وقيل لأعرابي: كيف يكون العيش في البادية إذا اشتد القيظ؟ قال: وهل العيش إلّا ذاك، يمشي أحدنا ميلًا، ويرفضُ عرقًا[١٨٠]، ثم ينصب عصاه، ويلقي عليه كساه، ويجلس في فيئه، ويكتال الريح، فكأنه في إيوان كسرى.

وذكر أعرابي بلده فقال: رملة كنت جنين[١٨١] ركامها، ورضيع غمامها، فحضنتني أحشاؤها[١٨٢]، وأرضعتني أحساؤها[١٨٣].

ومن أمثالهم: حماك أحمى لك، وأهلك أحفى بك.

وقيل: من أمارات العاقل بره بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.

لعبد الحميد الكاتب: أفٌّ للدنيا[١٨٤] نفتنا عن الأوطان، وقطعتنا عن الإخوان.

عمر رضي الله عنه: عَمَّر الله [البلدان][١٨٥] بحب الأوطان قال تعالى: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ [البقرة:٢٤٦].

أفلاطون: غذاء الطبيعة من نجع أدويتها[١٨٦].

جالينوس: يتروح المريض بنسيم أرضه كما ينبت[١٨٧] الحب ببل القطر.

بقراط: يداوى كل عليل بعقاقير أرضه، فإن الطبيعة تتطلع لهوائها[١٨٨] وتنزع إلى غذائها[١٨٩].

وقالت العجم: من علامة الرشد[١٩٠] أن تكون [النفس][١٩١] إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة[١٩٢].

---

(١٨٠) عرقًا: عرفا، م ي. ديوان المعاني ٢/ ١٨٩.

(١٨١) جنين: حبتي، م ي.

(١٨٢) رضيع غمامها، فحضنتني أحشاؤها: نصيع عمامها، فحصبتني احساؤها، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٩١.

(١٨٣) أحساؤها: احاؤها، ي.

(١٨٤) أفٌّ للدنيا: نصف الدنيا، م ي.

(١٨٥) الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٩.

(١٨٦) نجع أدويتها: الجمع أوديتها، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٧.

(١٨٧) ينبت: شوب، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٧.

(١٨٨) لهوائها: بهوائها، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٧.

(١٨٩) الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٧.

(١٩٠) الرشد: المرشده، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٥.

(١٩١) الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٥.

(١٩٢) تواقة: براقة، م ي. الرسائل للجاحظ ٢/ ٣٨٥.

وقالت الهند: حرمة بلدك حرمة أبويك؛ لأن غذاءك منها، وغذاءها منك.

ابن الرومي:

وَحَبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ مآربُ قضّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ عهودَ الصبا فيها فحنوا لذلكا

فصل فيما قيل في مدح الغربة والسفر

وكما قيل في حب الوطن ومدحه، فقد قيل في مدح الغربة والسفر، قال الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المزمل:٢٠]، وقال: ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾ [آل عمران:١٥٦]، وقال: ﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١٠]، وقال: ﴿فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك:١٥].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سافروا تصحوا وتغنموا».

وفي التوراة: يابن آدم جدد سفرًا أجدد لك رزقًا.

شعر:

إذا لزم الناسُ البيوتَ وجدتهم عماةً عن الأخبار خُرْقَ[١٩٣] المكاسب

وقيل: ليس بينك وبين البلاد نسب، فخير البلاد ما حملك وجملك.

وقيل: اهجر وطنك إذا نبتْ عنك نفسك، وأوحش أهلك إذا كان في إيحاشهم أنسك.

ومن أحاسن ما قيل فيه: قول البرقعي:

إذا صارمٌ قر في غمده حوى غيرُه الفضلَ يوم الجلاد
إذا النار ضاق بها زندُها ففسحتها في فراق الزنادِ[١٩٤]
وفي الاضطراب وفي الاغتراب منال المنى وبلوغ المرادِ[١٩٥]

سهل بن هارون: لست ممن يقطع نفسه بصلة وطنه.

(١٩٣) الأخبار خُرْقَ: الأخبر حرف، م ي. اللطائف والظرائف ص١٢٧.
(١٩٤) الزنادِ: الزنادي، م ي.
(١٩٥) المرادِ: المرادي، م ي.

شعر:

لا يمنعنَّك خفضَ العيش في دَعَةٍ نزوعُ نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها أهلًا بأهل وجيرانًا بجيران

آخر:

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيء كله واحد ويخلف الجيران جيران

آخر:

إذا نلت في أرض معاشًا وثروة فلا تكثرن فيها النزاع إلى الوطن
فما هي إلّا بلدة مثل بلدة وخيرهما ما كان عونًا على الزمن

آخر:

ونفسك فُزْ بها إن خفت ضيمًا وخَلِّ(١٩٦) الدار تنعي(١٩٧) من بناها(١٩٨)
فإنك واجد أرضًا بأرضٍ ولست بواجد نفسًا سواها

فصل في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا..﴾ الآية

قيل في تفسيرها خمسة أقوال:

أولها: أن الورود بمعنى الدخول، كقوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، وقال: ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ [مريم:٧٢]، وإنما يقال ذلك لمن حصل فيها، فينجي الله الذي اتقوا برحمته فيخرجهم من النار ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ [مريم:٧٢] هم الكفار. وروى ابن عباس ذلك.

وروى عمرو بن ذر أن نافع الأزرق قال: ليس الورود الدخول، فقال ابن عباس: هو الدخول، أرأيت قوله: ﴿أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء:٩٨]، أدخلوا أم لا؟ وقال: ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود:٩٨]، ثم قال: أما أنا وأنت فسنردها، فأرجو أن يخرجني الله منها ولا يخرجك لتكذيبك

---

(١٩٦) خَلِّ: كل، م ي. التذكرة الحمدونية ٨/ ١٢٣.

(١٩٧) تنعي: تحوي، م ي. التذكرة الحمدونية ٨/ ١٢٣.

(١٩٨) بناها: حواها، م ي. التذكرة الحمدونية ٨/ ١٢٣.

وعن أبي هريرة، عن النبي عليه السلام: «من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم لم تمسه النار إلّا تحلة القسم»؛ يعني الورود. وقد ورد أخبار في الخروج من النار نذكر بعضها آخر هذا الباب.

وثانيها: أن الورود هو الدخول، وأن المؤمنين يردونها(١٩٩) جامدة فيقولون: يا رب ألم(٢٠٠) تواعدنا أنا نرد النار؟ فيقول: وردتموها وهي جامدة، عن خالد بن معدان.

وثالثها: أن المراد به المشركون، وأن الآية في ذكر الكفار في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم:٦٨]، والتقدير: وإن منكم أيها الكفار إلّا ويرد النار وينجي الله الذين اتقوا من النار، والورود على هذا أيضًا بمعنى الدخول.

ورابعها: أن لها في واردها كفاية عن القيامة؛ لأن قوله: ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يدل عليه.

وخامسها: ورودها: بلوغها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص:٢٣]، يقال: وردت بلد كذا ولم أدخله.

شعر:

لما وردت الثعلبية(٢٠١) عند مجتمع(٢٠٢) الرفاق
وشممت عن أرض الحجا ز نسيم أرواح العراق
أيقنت لي ولمن أحب بجمع شَمْلٍ واتفاق(٢٠٣)

والذي يقوي المعنى أخبار الشفاعة وغيرها، وروي ذلك عن الرسول عليه السلام، وعن أبي بكر وأنس، وعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن عمر، وحذيفة.

ويقال: ما الحكمة في ورود النار لمن هو من أهل الجنة؟

فيقال في جوابه: إن فيه فوائد:

(١٩٩) يردونها: يردوها، م ي.
(٢٠٠) ألم: أم، م ي.
(٢٠١) الثعلبية: التغلبية، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٠/ ٤٥٥.
(٢٠٢) مجتمع: منقطع، م ي. تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٠/ ٤٥٥.
(٢٠٣) اتفاق: اعتناق، م ي. تاريخ دمشق ٦٠/ ٤٥٥.

منها: ليعلم قَدْرَ الجنة ونعيمها فيقولوا[٢٠٤]: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧].

المتنبي[٢٠٥]:

وبضدهـا تتبيـن الأشياء

وقيل: لا يعرف قدر أربعة إلا أربعة: قدر الشباب إلا الشيوخ، وقدر الصحة إلا المرضى، وقدر الحياة إلا الموتى، وقدر النعمة إلا من كان في الشدة.

ومنها: لتزيد حسرة الكفار حين ينجو المؤمن، ونظيره: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحجر:٢]، وسنذكرها بعد هذه الآية.

ومنها: أنهم يدخلون ويخرجون سالمين لتحصل لهم منزلة جليلة، كالخليل حيث قال: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

وقيل: لما حبس يونس في بطن الحوت نادى الله الحوت: لا تكسر له عظمًا، ولا تخدش له جلدًا، ولا تأكل[٢٠٦] له لحمًا، فكان فيها معاتبًا لا معذبًا، فكذلك قال لمالك: أمط النار عن وجوه الساجدين فطالما رأيتهم ساجدين بين يدي. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات:١٤٣]، قيل: من الموحدين، فلم يعذبه لتوحيده، فكذلك المؤمن.

ودخل قوم على أنس بن مالك وتنوره يسجر، فقالوا: يا أنس أخبرنا بشيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فأخرج منديل غمر[٢٠٧] فألقاه في التنور، فلم يحترق، ثم أخرجه وقال: هذا كان يمسح به رسول الله يده فلا تحرقه النار، فما ظنك بمؤمن يشفع فيه حياته ومماته، وحشره ونشره.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقي في النار ما احترق»، قيل: الإهاب قلب المؤمن. وقيل: كان معجزة للنبي[٢٠٨]، عن القتبي، وقيل: أراد به المثل كقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الحشر:٢١]، ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [مريم:٧٢] بين الله تعالى

---

(٢٠٤) فيقولوا: فيقولون، م ي.

(٢٠٥) وصدر البيت: ونذيمُهُم وبهم عرفنا فضلَهُ.

(٢٠٦) تأكل: تأكلي، م ي.

(٢٠٧) غمر: عمر، ي.

(٢٠٨) معجزة للنبي: معجز النبي، م ي.

موضع الفريقين ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الحشر:٢٠]، لا يستوي من ادعى الربوبية ومن ادعى العبودية، وبين من ألحد وبين من وحَّد.

فصل في قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر:٢]

قيل: فيه ستة أوجه:

قيل(٢٠٩): عند حضور الموت يود أن لو كان مسلمًا، عن الضحاك.

وقيل: هو يوم القيامة إذا رأوا دخول المؤمن الجنة ودوا، عن الحسن، وأبي علي، ومجاهد، وأبي مسلم.

وروي عن مجاهد: إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه يقول(٢١٠): من كان مسلمًا فليدخل الجنة، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

وقيل: إذا وجبت الشفاعة لأهل الإيمان وَدَّ المنافقون لو كانوا مسلمين.

وقيل عن ابن عباس وذكر أن الله تعالى إذا أدخلَ أهل الجنة الجنة وأهل النار النار احتُبس قوم من أهل القبلة ومن المنافقين على الصراط، فيقول المنافقون: قد حبسنا فما ينفعكم الإيمان بمحمد، لأنكم حبستم معنا، فعنده يضجون بما عيروا به، ويسمعها أهل الجنة، فيقومون إلى آدم، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى وعيسى، يطلبون الشفاعة، فيحيلون على الرسول، فيشفع لهم الرسول، وذلك المقام المحمود، فإذا نظر المنافقون إليهم وقد دخلوا الجنة ودوا لو كانوا(٢١١) مسلمين.

وقيل: كلما رأى أهل النار أحوال أهل الجنة تمنوا ذلك، عن الزجاج وغيره.

وقيل: إن هذه المناظرة بين المسلمين وبين المنافقين والكفار، فيكون في النار، روى ابن جريج ذلك عن أبي موسى، وابن عباس، وأنس، وإبراهيم، فحينئذ يخرجون من النار.

قال القاضي رحمه الله: أما خبر ابن عباس فيأول على أنهم حبسوا ليزداد غم المنافقين،

---

(٢٠٩) قيل: وقيل، م ي.
(٢١٠) يقول: تقول، م ي.
(٢١١) كانوا: كان، م ي.

وأنهم من المؤمنين لا من أهل الكبائر، وحبسوا ليشفع الرسول لهم فيزداد غم الكفار. وقال: في الحديث ما لا يمكن تأوله أنه قال عند سجوده: ارفع رأسك فقد غفرت لمن لم يشرك بالله شيئًا، وفيه امتناع الأنبياء من الشفاعة لأجل ذنوبهم، فالخبر مضطرب.

فصل [في الآثار الواردة في الخروج من النار]

فأما الآثار في الخروج من النار: فقد روى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر:٢] يعني إذا رأى الكفار الشفاعة قد حلت لأهل النار وقد أخرجوا، يود الكفار أنهم أنهم كانوا مسلمين معذبين ومخرجين، وروي مثله عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي العالية.

وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يكون في النار قوم ما شاء الله أن يكونوا، ثم يرحمهم الله تعالى فيخرجهم، فيكونون(٢١٢) في أدنى(٢١٣) الجنة، فَيُغْسَلون في نهر الحياة، تسميهم أهل الجنة: الجهنميين(٢١٤)، لو أضاف أحدهم أهل الدنيا لأطعمهم وسقاهم وفرشهم(٢١٥) ولحفهم وزوجهم، ما(٢١٦) انتقص ذلك مما عنده شيئًا».

أبو سعيد الخدري، عن النبي عليه السلام قال: «أما أهل النار الذين هم أهل النار فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، فأما أهل النار الذين يريد الله إخراجهم منها يميتهم في النار حتى يصيروا فَحْمًا، ثم يُخرجون(٢١٧) منها، فيلقون على أنهار(٢١٨) الجنة، ويرش عليهم من مائها، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين(٢١٩)، فيدعون الله أن يذهب عنهم ذلك الاسم، فيذهبه عنهم».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه

(٢١٢) فيكونون: فيكون، م ي. مسند أبي يعلى ٩/ ٢٣٠.
(٢١٣) أدنى: دنى، م ي. مسند أبي يعلى ٩/ ٢٣٠.
(٢١٤) الجهنميين: الجهنميون، م ي. مسند أبي يعلى ٩/ ٢٣٠.
(٢١٥) فرشهم: فرضهم، م ي. مسند أبي يعلى ٩/ ٢٣٠.
(٢١٦) ما: لما، م ي. مسند أبي يعلى ٩/ ٢٣٠.
(٢١٧) يُخرجون: يخرجوا، م ي. مسند أحمد ١٧/ ٢٤٠.
(٢١٨) أنهار: أنها، م ي. مسند أحمد ١٧/ ٢٤٠.
(٢١٩) الجهنميين: الجهنميون، م ي. مسند أبي يعلى ٩/ ٢٣٠.

يخرج كتابًا من تحت العرش فيه: إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، قال: فيخرج من النار مثل أهل الجنة، أو قال: مثلي أهل الجنة، قال: وأكثر ظني أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: مكتوب بين أعينهم: عتقاء الله من النار».

عمران بن الحصين، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يخرج قوم من النار يقال [لهم][٢٢٠]: الجهنميون» في شفاعة محمد عليه السلام.

سعيد بن جبير قال: ليس قوم دخلوا النار إلّا ومع كل قوم آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، يُعَرَّفونها حتى يعرفوها، ثم يعذبون بها حتى يمروا بأهل هذه الدعوة، فيقولوا[٢٢١] لهم: ما نرى معكم آلهتكم؟ فيقولوا[٢٢٢]: ما كنا نعبد إلّا الله تعالى فبها[٢٢٣] يخرجهم الله تعالى من النار.

إبراهيم ومجاهد قالا: يقول أهل النار للموحدين: ما أغنى عنكم إيمانكم، فإذا قالوا ذلك قال الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فعند ذلك قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الحجر:٢].

رافع، عن ابن عمر، عن النبي عليه السلام قال: «والله لا يخرج من دخل النار حتى يمكثوا فيها حقابًا، والحقب بضع وثمانون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم ألف سنة مما تعدون».

وقد روينا في أول الأجزاء[٢٢٤] أخبارًا في الخلود، ولا بد إن صحت أن يجمع بينها بتأويل تحمل هذه الأخبار عليها ليس هذا موضعه.

(٢٢٠) يقال لهم: يقال، م ي. مسند أحمد ٢٨/ ٣٤٩.
(٢٢١) فيقولوا: فيقولون، م ي.
(٢٢٢) فيقولوا: فيقولون، م ي.
(٢٢٣) فبها: فيها، م ي.
(٢٢٤) الأجزاء: الآخر، م ي.

باب في النار والعقاب نعوذ بالله تعالى منها ونسأله الرحمة

الكلام في هذا الباب يشتمل على ستة فصول:

أولها: أسماء النار.

وثانيها: ما ذكر الله من صفات النار وشدة عقوباتها.

وثالثها: ما ذكر الله تعالى لأهل النار ولكل عضو من العذاب.

ورابعها: ما يقال لهم، وما يقولون وينادون ويستغيثون، وما يجري بينهم وبين أهل الجنة.

وخامسها: الآثار التي رويت في صفة النار.

وسادسها: الكلام في الخلود وما قيل فيه.

الفصل الأول: أسماء النار

أما الفصل الأول: في أسماء النار: فهي سبع دركات، لها سبعة أسام، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر:٤٣، ٤٤].

عن ابن عباس: لجهنم سبعة أبواب، على كل باب سبعة آلاف جبل. الخبر بطوله.

وعن الحسن: ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أي دركات، باب لليهود، وباب للنصارى، وباب للمجوس، وباب للصابئين، وباب لعبدة الأوثان، وباب للمنافقين، وباب للفساق. وعن الأصم نحوه.

وعن قتادة: ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ منازل بأعمالهم.

وذكر أبو القاسم في تفسيره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أن منهم من تأخذه النار إلى كفيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته»، وفيه عن قتادة قال: بلغنا

أن بني عبد المطلب قالوا: يا نبي الله إن أبانا كان يفي بالذمم، ويحسن الجوار، ويصل الأرحام، ويطعم الطعام، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لهم[١]: «هو[٢] في ضَحْضَاحٍ من النار، وإن منها ضحضاحًا ومنها غَمْرًا[٣]».

وعن علي عليه السلام: أبواب جهنم بعضها فوق بعض، وروي عنه أنه خطب ووصف جهنم ثم قال: إنها أطباق بعضها فوق بعض يمتلئ الأوّل ثم الثاني ثم الثالث، ثم كذلك الجميع، ذكره ابن جرير في تفسيره، وذكره أبو مسلم في تصنيف الكفار أن اليهود صنف، والنصارى صنف، والصائبين ومن يقول بقولهم صنف، ومن يقول بقدم العالم، ومشركي[٤] العرب، والزنادقة، والمنافقين[٥]، وأهل الكبائر.

وعن ابن جرير: سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

قال القاضي: يحتمل أنها سبع دركات تنفرد بالأبواب، ويحتمل أنها سبع طبقات بعضها فوق بعض يدل عليه قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، ويدخل عليه خبر علي، وقد ذكر ذلك في القرآن:

أما جهنم: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ [فاطر:٣٦]، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٤٣].

وأما لظى: قال تعالى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ [المعارج:١٥].

وأما الحطمة: قوله: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة:٤].

فأما السعير: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:٥].

وأما سقر: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢].

وأما الجحيم: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٩].

(١) لهم: له، ي.
(٢) هو: هوه، ي.
(٣) غَمْرًا: عمرا، ي.
(٤) مشركي: مشركوا، م ي.
(٥) المنافقين: المنافقون، م ي.

وأما الهاوية: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة:٩] بآلامه.

وعن علي عليه السلام: جهنم أعلى الدركات، وفيها أهل التوحيد.

مبحث في معاني أسماء النار

ومعاني أسماء النار:

الجحيم: ما اشتد لهبه من النيران، يقال: جَحَّمَ[٦] فلان النارَ[٧]؛ أي: أعظمها.

الحطمة: سميت بذلك من الحطم؛ وهو الكسر؛ لأنها تكسر كل شيء.

السعير: [وهي] النار المؤججة[٨].

لظى: اسم من أسماء النار، وقيل: إن معناه الملتهب.

هاوية: يعني تهوي من رأسها إلى قعرها بسرعة.

سقر: جهنم.

الفصل الثاني: ما ذكره الله تعالى من شدة عقوبات أهل النار

وأما الفصل الثاني: ما ذكره الله تعالى من شدة عقوبات أهل النار:

أما مكانهم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ • لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤، ٧٥]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٤]، وقوله: ﴿ٱحْشُرُواْ﴾ [الصافات:٢٢] ثم قال: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣].

بيوتهم: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ[٩] مِّنَ ٱلنَّارِ..﴾ الآية [الزمر:١٦].

أطعمتهم: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:٦]، وقال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ •

---

(٦) جَحَّمَ: جحيم، م ي. لسان العرب (جحم).

(٧) النارَ: الناري، م ي. لسان العرب (جحم).

(٨) المؤججة: المؤجج، م ي. انظر تفسير المحرر الوجيز ٥/ ١٣١.

(٩) في م ي: ظل. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان:٤٣، ٤٤]، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة:٣٦]، ﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ [الواقعة:٥٢]، ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات:٦٦].

مياههم: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات:٦٧]، ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم:١٦]، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الماء يقرب إليه، فإذا دنا منه شوى وجهه، فإذا شربه قطع أمعاءه»، ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

ثيابهم: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج:١٩]، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم:٥٠].

الموكلون بهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠]، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق:١٨]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٤٩].

ضربهم: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٧]، ﴿فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ(١٠)﴾ [الهمزة:٩]، ﴿مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:٢١]، ﴿خُذُوهُ [فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ [صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى] سِلْسِلَةٍ..﴾ الآية [الحاقة:٣٠-٣٢].

الفصل الثالث: ما ذكر الله لكل عضو

وأما ما ذكر الله لك عضو:

جلودهم: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء:٥٦].

بطونهم: ﴿إِنَّمَا(١١) يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠]، وقال: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ [الحج:٢٠].

ظهورهم: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ..﴾ إلى قوله: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة:٣٥].

أرجلهم: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ [المزمل:١٢] يعني: قيودًا.

أيديهم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ [الحاقة:٣٠]، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة:٦٤].

---

(١٠) في م ي: ممدة. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(١١) في م ي: فإنما. وما أثبتناه من المصحف.

أنوفهم: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القمر:١٦].

وجوههم: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب:٦٦]، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر:٤٨]، ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ[١٢]﴾ [آل عمران:١٠٦].

أعينهم وآذانهم وألسنتهم: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ [الأنعام:١١٠]، ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤].

قلوبهم: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة:٧]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ [الأنعام:١١٠].

رؤوسهم: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ [الحج:١٩]، ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٨].

أمعاؤهم: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد:١٥].

أفواههم: ﴿ٱلْيَوْمَ[١٣] نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ..﴾ الآية [يس:٦٥].

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، قال: «تلفح وجوههم النار لفحة[١٤] تسيل لحومهم على أعقابهم[١٥]».

وعنه: «إن جهنم إذا سيق إليها أهلها لفحتهم[١٦] لفحة لا تدع لحمًا على عظم إلّا ألقته على العرقوب»، رواه أبو هريرة.

وعن أبي هريرة، عن النبي عليه السلام في قوله: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ﴾ [الحج:١٩]، قال: «ينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى الجوف فيسلت[١٧] ما في جوفه ثم يمر من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان[١٨]».

---

(١٢) في م ي: يوم تسود وجوه. وما أثبتناه من المصحف.
(١٣) في م ي: يوم. وما أثبتناه من المصحف.
(١٤) لفحة: لعحه، ي.
(١٥) أعقابهم: أعتابهم، ي.
(١٦) لفحتهم: لفحة، م ي. حلية الأولياء ٤/ ٣٥٩.
(١٧) فيسلت: ويسلب، م ي. التخويف من النار ص١٨٥.
(١٨) كما كان: إلى مكان، م ي. التخويف من النار ص١٨٥.

الفصل الرابع: ما يقول أهل النار، وما يقال لهم

فأما الفصل الرابع: ما يقولون وما يقال لهم:

فيسألون الرجعة: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا﴾ [فاطر:٣٧]، ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون:٩٩]، ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾ [السجدة:١٢]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟[١٩] يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الأنعام:٢٧].

استغاثتهم: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟﴾ [الكهف:٢٩].

بكاؤهم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم:٢١]، ﴿وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة:٨٢].

استعانتهم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف:٧٧]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٤٩].

نداؤهم لأهل الجنة: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الأعراف:٥٠]، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة:١٦٦]، ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف:٦٧]، ﴿[يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى][٢٠] لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨]، ﴿بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف:٣٨]، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق:٢٣]. ﴿وَبَرَزُوا۟ [لِلَّهِ جَمِيعًا] فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ [إبراهيم:٢١]، ونظائره.

تمنيهم: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ:٤٠]، ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة:٢٧]، قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:١٣].

فأما ما قيل لهم: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ [الأعراف:٤٤]، وقال لهم: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟[٢١] ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٩] ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون:١٠٥]، ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ [الزمر:٧١]، ونظائرها.

توجعهم[٢٢] على أنفسهم: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، ﴿يَٰحَسْرَتَنَا[٢٣]

(١٩) في م ي: قالوا. وما أثبتناه من المصحف.
(٢٠) في م ي: ياليتني. وما أثبتناه من المصحف.
(٢١) في م ي: امتازوا. وما أثبتناه من المصحف.
(٢٢) توجعهم: توجههم، ي.
(٢٣) في م ي: ياحسرتا. وما أثبتناه من المصحف.

عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام:٣١]، ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٥]، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١١].

جدالهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق:٢٨].

وأحسن ما قالوا قولهم: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦]، فقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨]، فلا ينطقون بعد ذلك.

وقيل: لما ذكروا هذا قال تعالى: أعدتم إلى رأس الخبر ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا﴾، ونظائرها في القرآن كثيرة، وإنما نبهنا على ذلك.

الفصل الخامس: الكلام في الخلود وما قيل فيه

فأما الكلام في الخلود: فقد ذكرنا في أول الأجزاء ما جاء في الوعيد، وذكرنا قبل هذا ما ورد في الخروج من النار، والقرآن ناطق بالخلود، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ [الانفطار:١٤-١٦]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:١٤]، ولا خلاف بين الأمة في خلود الكفار، والقرآن ناطق به في مواطن كثيرة.

الفصل السادس: الآثار الواردة في صفة النار وأهلها

فأما الآثار الواردة في صفة النار وأهلها فكثيرة جدًا أشرنا إلى جمل منها:

فروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أنه سمع صوتًا شديدًا فهاله ذلك، فأتاه جبريل، فسأله عن ذلك، فقال: هي صخرة هوت من شفير[٢٤] جهنم منذ سبعين عاما فهذا حين[٢٥] بلغت قعرها، أحب الله أن يسمعك صوتها، فما رُئي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضاحكا ملء فيه حتى قبضه الله».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج:٢١]،

(٢٤) شفير: سعير، م ي. المعجم الأوسط ١/ ٢٤٨.
(٢٥) حين: حتى، م ي. المعجم الأوسط ١/ ٢٤٨.

قال: «ولو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثَّقلان ما أقَلُّوه من الأرض».

وروى الخدري عنه صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، قال: «تشويه النار، فتتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته».

أبو عمران الجوني قال: جاء جبريل باكيًا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «ما يبكيك يا جبريل؟ فقال: أما تبكي يا محمد، ما جفت[٢٦] لي عين مذ خلق الله جهنم رهبة أن أعصي الله فيدخلني في جهنم».

الأوزاعي قال[٢٧]: بعث إليّ المنصور فأتيته فذكر أشياءَ حدثت بها في ذلك، فقلت[٢٨]: بلغني يا أمير المؤمنين أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أتيتك حين أمر الله[٢٩] بمنافخ النار فوضعت على النار تسعر ليوم القيامة، فقال له النبي عليه السلام: «صف لنا النار يا جبريل؟ فقال: إن الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام [حتّى] اصفرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة،لا يضيء لهبها، ولا خمود لها، والذي بعثك بالحق لو أن ثوبًا من ثياب أهل النار أظهر لأهل الأرض لماتوا جميعًا، ولو أن ذَنُوبًا من شرابها صب في ماء[٣٠] الأرض لقتل مَنْ ذاقه، ولو أن ذراعًا من السلسلة التي ذكرها [الله] وضع على جبال الأرض لزالت وما استقرت[٣١]، ولو أن رجلًا أدخل إلى النار ثم أخرج منها لمات أهل الأرض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه، فبكى النبي وجبريل عليهما السلام لبكائه، ثم قال: أتبكي يا محمد وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورا؟ ولم بكيت يا جبريل وأنت الروح الأمين أمين الله على وحيه؟ فقال: أخاف ربي أن أعصيه فيدخلني النار»[٣٢].

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لناركم التي يوقد بنو آدم جزء واحد

(٢٦) جفت: كفت، م ي. شعب الإيمان ٢/ ٢٨٠.
(٢٧) قال: قالك، م ي.
(٢٨) فقلت: فقلتك، م ي.
(٢٩) أمر الله: أمراه، م ي. حلية الأولياء ٦/ ١٣٨.
(٣٠) في ماء: ما في، م ي. حلية الأولياء ٦/ ١٣٨.
(٣١) استقرت: استقلت، ي. حلية الأولياء ٦/ ١٣٨.
(٣٢) حلية الأولياء ٦/ ١٣٨.

من سبعين جزءًا من جزء جهنم»، قالوا: والله إنها لكافية يا رسول الله، قال: «فإنها فضلت عليها بسبع وسبعين جزءًا كلها مثل حَرِّها».

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت، تلسع أحدهم اللسعة يجد حموتها أربعين خريفًا، وإن في النار عقارب أمثال البغال، تلسع أحدهم اللسعة يجد حموتها أربعين خريفًا».

يحيى بن معاذ: إلهي للنار ربتني والدتي فليتها لم تربني، أم للشقاوة ولدتني أمي فليتها لم تلدني».

كعب: إن حلقة من السلسلة مثل جميع حديد الدنيا.

يزيد الرقاشي: ذكر النار شديد فكيف النظر إليها عيانًا؟ والنظر إليها شديد فكيف الوقوع فيها؟ والوقوع فيها شديد فكيف الخلود فيها؟

أوحى الله إلى عيسى: يا عيسى كم من جسد[٣٣] صحيح ووجه صبيح، ولسان فصيح، غدًا بين أطباق النيران يصيح.

ويقال: سبعة لا يمكن وصفها: عظمة وامتلاء الدنيا، ونكاية إبليس، وسكرات الموت، وأهوال القيامة، ونعيم الجنة، وشدائد النار.

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعيَّ فأخرجاني إلى جبل وعرٍ، فصعدته، فسمعت أصواتًا شديدة، قلت: ما هذه[٣٤]؟ قال[٣٥]: عواء أهل النار، وإذا بقوم معلقين بعراقيبهم تسيل أشداقهم دمًا، قلت: من[٣٦] هؤلاء؟ قال[٣٧]: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم، وإذا بقوم كأن ريحهم المراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قال[٣٨]: الزانون والزواني».

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم

(٣٣) جسد: نفس، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٥٣٤.
(٣٤) هذه: هي، م ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٣٧.
(٣٥) قال: قالا، ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٣٧.
(٣٦) من: ما، م ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٣٧.
(٣٧) قال: قالا، م ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٣٧.
(٣٨) قال: قالا، م ي. صحيح ابن خزيمة ٣/ ٢٣٧.

يبق في السماوات السبع ملك إلّا خر لوجهه إلّا حملة العرش، فإنه لم يؤذن لهم أن يخروا، فتركهم الجبار ما شاء ثم قال: ارفعوا رؤوسكم ما هذا الخوف، قالوا: يا ربنا سمعنا صوتًا ما نسمع بمثله قط، [قال]: أما علمتم أني إنما خلقتكم لعبادتي وطاعتي، وجعلت جهنم لأهل معصيتي من خلقي، فيقولون: يا ربنا لإنا منها [في خوف] حتى نرى أن قد دخلها أهلها، فذلك قوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهم الملائكة وليسوا بني آدم».

كعب: إذا كان يوم القيامة أمسكت جهنم للناس هكذا وضم أصابعه حتى تستوي عليها أقدام الخلائق بَرِّهِمْ وفاجرهم، فيناديها منادٍ: خذي أصحابك وذري أصحابي، فلهي أعرف بمن يُعذَّب فيها من الرجل بولده ومن المرأة بولدها، فيخسف بهم(٣٩).

كعب: تزفر جهنم زفرة يوم القيامة، فما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلّا وقع على ركبته يقول: يا رب نفسي نفسي.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يلقى على أهل النار البكاء فيكون حتى تنفد الدموع، ثم يكون الدم حتى إنه ليصير في وجوههم أخدود لو أرسلت فيه السفن لجرت».

وعن كعب: ينظر الله إلى العبد وهو عليه غضبان فيقول: خذوه فيبتدره(٤٠) مائة ألف ملك أو يزيدون كلهم غضبان لغضب الرب، ثم يخر على وجهه إلى النار وهو أشد عليه غضبًا سبعين ضعفًا، فيستغيث بشربة ماء، فيسقى شربة ما تبقي له لحمًا على عظمه إلّا سقط، ثم يكدس في النار، فويل له من مكدوس فيها يهوي سبعين خريفًا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «جهنم سوداء مظلمة، وأهلها سود، وطعامها وشرابها وما أعد الله لأهلها سود، والذي نفسي بيده لو أن رجلًا أطلع وجهه من جهنم لاسودت الأرض وما عليها من سواد وجهه».

الحسن قال: لقي رجل أخًا له، فقال: يا أخي أيقنت أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فأيقنت أنك صادر منها؟ قال: لا، قال: ففيم اللعب، ففيم الضحك، ففيم اللهو؟

عيسى عليه السلام قال: خشية جهنم تورث العبد الصبر على المشقة، وتباعده من راحة الدنيا.

---

(٣٩) فيخسف بهم: فيحتف بها، م ي. شعب الإيمان ١/ ٥٧٤.

(٤٠) فيبتدره: فيبتد، م ي. حلية الأولياء ٥/ ٣٧٥.

ابن عمر قال: يقول أهل النار: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧]، فخلا عنهم أربعين عامًا ثم يجيبهم: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٧]، فلا يجيبهم قدر الدنيا، ثم يقول: ﴿ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

الحسن في قوله: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ [النساء:٥٦]، قال: يحرق أحدهم في اليوم سبعين مرة.

عمر: أكثروا ذكر النار، فإن حرها شديد، وقعرها بعيد، ومقامعها حديد.

مالك بن دينار قال: لو وجدت أعوانًا لفرقتهم في منازل الدنيا ينادون: أيها الناس، النار النار.

النعمان بن بشير، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس أنذركم [النار]، حتى سقط إحدى عطفيه عن منكبيه وإنه يقول: أنذرتكم النار، أنذرتكم النار»[٤١].

يحيى بن معاذ: من خاف النار ترك الذنوب، ومن نافس في الدرجات استكثر من الحسنات.

شعر:

مقام المذنبين غدًا ذليل ... إذا ما النار قربها الجليل
ونادى مالكًا خُذْ مَنْ عصاني ... فإني اليوم لسْتُ[٤٢] لهم أقيل[٤٣]
عصوني واستخفوا بي زمانًا ... وغرهم تفضلي الطويل
يخر لوجهه باكٍ ينادي ... إلهي قد عصيت فما السبيل

شعر:

كأني بنفسي في القيامة واقف ... وقد فاض دمعي حين أقرا كتابيا
وقال لي الجبار اقرأ فإنني ... أتيتك يا عبدي بما كنت ساعيا
فوا سوأتي من موقفي وصحيفتي[٤٤] ... تخبره[٤٥] تحصي علي الدواهيا

(٤١) الزهد لابن السري ١/ ١٦٨.
(٤٢) لسْتُ: لي، م ي. بستان الواعظين ص٤٧.
(٤٣) أقيل: مقيل، م ي. بستان الواعظين ص٤٧.
(٤٤) صحيفتي: فضيحتي، م ي.
(٤٥) تخبره: محيرة، م ي.

يعرفني ذنبًا فذنبًا عملته	وقد كنت عنها ساهي القلب لاهيا
وقد وضع الميزان للفصل والقضا	كفى لعباد الله بالله قاضيا
فمن بين وجه مسفر اللون ضاحك	وآخر مصروف إلى النار باكيا
فحتى متى يا نفس أنت موكلة[٤٦]	بحبك للدنيا تمني الأمانيا

آخر:

وكيف تأمن نفس وهي قد علمت	ورد الجحيم ولما تعلم الصدرا
مستقبلين بها الأحقاب دائمة	وليس يعنيك منها ما الذي عبرا

(٤٦) موكلة: موكل، م ي.

باب في ذكر الجنة

فصل فيما نطق به القرآن من ذِكر ما أعِدّ لأهلها

الكلام في صفة الجنة على ضربين: ذكر ما أعد الله لهم مما نطق به القرآن، والثاني ما ورد من الآثار في ذلك.

أما ما نطق به القرآن في الجنة التي أعدها الله للمتقين: فقال: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣]، ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]، أعدّ[1] الله للذين[2] آمنوا وعملوا الصالحات جنات، ويدفع إليهم ما أعد لغيرهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [مريم:٦٣].

وقد وصف الله تعالى أحوال المؤمنين في الدنيا، وفي القيامة، وفي الجنة:

أما في الدنيا: فوصف حياتهم: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]، ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧١]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ﴾ [الأعراف:٩٦].

وليهم الله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمد:١١].

أحباؤهم: ﴿[وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ][3] بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

السلام عليهم: ﴿وَإِذَا[4] جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ[5] بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:٥٤]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٣]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

أذاهم: ﴿وَٱلَّذِينَ[6] يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٥٨].

---

(١) أعدّ: وعد، م ي.
(٢) للذين: الذين، م ي.
(٣) في م ي: المؤمنون. والصواب ما أثبتناه من المصحف.
(٤) في م ي: إذا. وما أثبتناه من المصحف.
(٥) في م ي: لا يؤمنون. وما أثبتناه من المصحف.
(٦) في م ي: إن الذين. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

من ضجر منهم ولقَّبهم: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١].

أنفسهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [التوبة:١١١]، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨].

الكتاب أنزل لهم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا [لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ][٧]﴾ [يوسف:٢]، ﴿هُدًى [وَرَحْمَةً] لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:٥٢].

مخاطبتهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:١٠٤].

شهادتهم: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة:٢٨٢].

عند الموت: ﴿تَتَنَزَّلُ[٨] عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت:٣٠].

في القبر: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧].

فأما يوم الحشر: فخروجهم من الأجداث، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] يعني الملائكة.

أمنهم وقت خروجهم من القبر: ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل:٨٩].

كتابه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحاقة:١٩].

ميزانه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف:٨].

الصراط والنار: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الزمر:٦١].

حشرهم إلى الجنة: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥].

استقبال الملائكة لهم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الزمر:٧٣] ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النحل:٣٢]، ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ﴾ [الأعراف:٤٩].

سلام المؤمنين: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٦].

---

(٧) في م ي: لقوم يؤمنون. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(٨) في م ي: ينزل. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

سلام الملائكة[٩]: ﴿وَالْمَلَٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤].

فأما في الجنة: فسلام المؤمنين والملائكة، قد ذكرنا.

سلام الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

رضوانه: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

إخوانهم: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].

نورهم: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم:٨].

ذرياتهم: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ [الرعد:٢٣]، ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ [الطور:٢١].

بيوتهم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، ونظائره، ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الصف:١٢].

خيامهم: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ [الإنسان:٢١].

ثيابهم: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا [خُضْرًا] مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف:٣١]، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣].

حليهم: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الحج:٢٣]، ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان:٢١].

أنهارهم: ﴿فِيهَا أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]، ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف:٤٣].

ظلهم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠].

شرابهم: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا [كَافُورًا]﴾ [الإنسان:٥].

فواكههم: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقعة:٢٠]، ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ [البقرة:٢٥].

سررهم: ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣]، ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ﴾ [الكهف:٣١].

أزواجهم: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٤]، ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٢، ٢٣].

(٩) الملائكة: الله، ي.

مناظرتهم مع أهل النار[١٠]: ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ [الأعراف:٤٤]، ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢]، ﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٥٥].

حمدهم لله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

فصل في الآثار الواردة في ذكر الجنة

فأما الآثار فكثيرة ذكرنا طرفًا منها:

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والثانية كأشد كوكب في السماء إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد. ليس بينهم حسد ولا تباغض، لكل رجل منهم زوجتان، يُرى[١١] مخ ساقها من وراء لحومهما من حسنهما».

وقال عليه السلام: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]، وإن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرأوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠]، ولموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]»، رواه أبو هريرة.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة مائة درجة، تسعة وتسعون منها للعاقل، ودرجة واحدة لسائر الناس الذين كانوا دونهم»، رواه شريح عن عمر عنه.

وقال عليه السلام: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها ومنها تفجر أنهار[١٢] الجنة، وإن في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، رواه أبو هريرة.

(١٠) النار: النهار، ي.
(١١) يُرى: ترى، م ي. صحيح البخاري ٤/ ١١٨.
(١٢) أنهار: الأنهار، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٤٣.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار كذلك»، رواه ابن مسعود.

وقال عليه السلام: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

وقال عليه السلام: «حال الجنة التي هي عليه كيوم من أيام نيسان بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس، الظل فيه ممدود، والبصر فيه فسيح، والسمع فيه سميع»، رواه جبير بن مطعم.

وقال عليه السلام: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري[١٣]، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه فإذا مسك أذفر، فقلت: يا جبريل ما هذا؟ فقال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك»، رواه أنس.

أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم لأصحابه: «ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها[١٤]؛ هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتزّ[١٥]، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة كثيرة نضيجة[١٦]، وزوجة جميلة حسناء، وحلل كثيرة في مقام الأبر[١٧] في حبرة ونضرة[١٨] ونعمة، في دار عالية سهلة»، قالوا: نحن المشمرون لها، قال: «قولوا: إن شاء الله، ثم ذكر الجهاد وحض عليه».

أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حَائطُ حائطِ الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرس غَرْسَها[١٩] بيده، وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال تعالى: طوبى لك منزلَ الملوك».

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «خلق الله الجنة بيده فأدلى ثمارها، وأجرى أنهارها، ثم نظر إليها وقال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل».

(١٣) +: على، ي م. مسند أحمد ١٩/ ٦٦.
(١٤) لا خطر لها: لا بعد لها خطر، م ي. صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٨٩.
(١٥) تهتزّ: تزهر، م ي. صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٨٩.
(١٦) نضيجة: صيحة، م ي. صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٨٩.
(١٧) الأبر: الأبدن، م ي. صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٨٩.
(١٨) نضرة: نظرة، م ي. صحيح ابن حبان ١٦/ ٣٨٩.
(١٩) غرس غَرْسَها: عرشها، م ي. الفردوس بمأثور الخطاب ١/ ١٧٨.

سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن ما تُقلّ[٢٠] ظفر مما في الجنة بدا لتزخرف[٢١] له ما بين خوافق السماوات والأرض».

جابر عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «يأكل أهل الجنة ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يبولون، ولا يتمخطون، طعامهم جشاء ورشح كرشح المسك، يُلْهَمُون فيها التسبيح والتحميد».

أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاثة وثلاثين، جُرْدًا[٢٢]، مردًا، مكحلين، ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها، لا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم».

يحيى بن معاذ: أمر الرزق بطلبك، وأُمرت بطلب الجنة، فذهبت تطلب ما[٢٣] أمر بطلبك، وتركت ما أمرت بطلبه وضيعته.

قوله تعالى: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠]، قيل: مراكبهم، عن عكرمة، وقيل: استئذان الملائكة عليهم، عن الثوري.

حامد اللفاف: إن أمام بني آدم ثلاثة أشياء: أولها: موت كريه المذاق، والثاني: نار أليمة[٢٤] العذاب، والثالثة: جنة عظيمة الثواب، فاستعدوا للموت استعداد من لا يؤوب بعده[٢٥] واهرب من النار هرب من لا طاقة له بها، واطلب الجنة طَلَبَ مَنْ لا غنى له عنها.

ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فيخر مشويًا بين يديك».

أبو سعيد الخدري، عن النبي عليه السلام قال: «ينادي منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإنّ لكم[٢٦] أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبُّوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا[٢٧] فلا تبأسوا أبدًا».

(٢٠) ما تُقلّ: تقل، م ي. معجم الطبراني الأوسط ٨/ ٢٦٣.
(٢١) بدا لتزخرف: لحرف، م ي. معجم الطبراني الأوسط ٨/ ٢٦٣.
(٢٢) جُرْدًا: حودًا، ي. صفة الجنة لأبي نعيم ٢/ ١٠١.
(٢٣) ما: من، م ي.
(٢٤) أليمة: أليم، م ي. العاقبة في ذكر الموت ص٤١.
(٢٥) بعده: بعدهن، م ي.
(٢٦) لكم: لم، م ي. صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٢.
(٢٧) تنعموا: تتنعموا، م ي. صحيح مسلم ٤/ ٢١٨٢.

وروى سعد بن أبي وقاص، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا: [ولو] أن رجلًا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره[٢٨] لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمسُ ضوء النجوم»، نظيره في قوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطففين:٢٤]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٧][٢٩].

أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الله تعالى يقول: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم، فيقولون: ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا مِنْ خَلْقِك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب فأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أدخل عليكم رضواني ولا أسخط عليكم بعده أبدًا».

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلت: يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، بلاطها المسك الأذفر، وتربتها الزعفران، وحصباؤها الدر والياقوت، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه».

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «شبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها».

ابن عباس: في الجنة خيمة من در مجوفة، أربعة[٣٠] فراسخ في أربعة[٣١] فراسخ، عليها أربعة آلاف باب من ذهب.

وقيل في قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس:٥٥]، قال: في افتضاض الأبكار، على شطوط الأنهار، في ظلال الأشجار.

عن علي عليه السلام في قوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: غرفة من لؤلؤة واحدة، لها أربعة آلاف باب.

يحيى بن معاذ: [رضوان الله] أحسن من كل ما في الجنة؛ لأن ما في الجنة له خلق.

سعيد بن جبير قال: أدنى أهل الجنة من له قصر فيه سبعون ألف خادم، في يد كل واحد صحفة سوى[٣٢] ما في يد صاحبه[٣٣] لا يفتح بابه لشيء، لو ضافه أهل الدنيا لوسعهم.

---

(٢٨) أساوره: سفاره، ي. انظر سنن الترمذي ٤/ ٢٥٩.
(٢٩) سنن الترمذي ٤/ ٢٥٩.
(٣٠) أربعة: أربع، م ي.
(٣١) أربعة: أربع، م ي.
(٣٢) سوى: سو، م ي.
(٣٣) صاحبها: صاحبهن، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣١.

عبادة بن الصامت، عن النبي عليه السلام: «في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين مسير مائة عام، والفردوس الأعلى أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار[٣٤] أهل الجنة، والعرش فوقها. فإذا سألتم الله فاسألوا الفردوس».

فصل في أسماء الجنة

وللجنة أسماء: دار الجلال، ودار السلام، وجنة عدن، ودار الرحمن، وجنة المأوى، وجنة الخلد، والفردوس، وجنة النعيم، ودار القرار، ودار الحيوان.

وقيل: عَدْن: إقامة، وعن الحسن: الجنة كلها عدن. وعن ابن مسعود: عدن، قصر في الجنة، له عشرة أبواب، على كل باب خمسة وعشرون ألفًا[٣٥] من الحور العين. وعن الربيع بن أنس: الفردوس:وسط الجنة، وجنات عدن أربع جنان، وهو قوله: ﴿لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ [طه:٧٥، ٧٦]. وعن مجاهد: عدْن:عرشه، ومنزل الأبرار عنده.

وعن مجاهد: الفردوس:البستان، وقيل: اسم من أسماء الجنة. وعن قتادة: هي سرة الجنة.

وأما جنة المأوى: فقد قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [السجدة:١٩]، و﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الأنعام:١٢٧]، ودار الخلد جزاء بما كانوا يعملون.

وأما دار القرار: فكل مكان ينتظر ما بعده إلّا الجنة.

فصل في ذكر الحور العين

قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٢، ٢٣]، يقال: إنه تعالى وصف حور الجنة بإحدى عشرة[٣٦] صفة في القرآن، منها: الحور العين، أبكار، محبة الأزواج، الاستواء: الاستواء في الشباب، الطهارة بغض الأبصار، الاستقرار في الخيام، شبههن بالياقوت والمرجان، شبههن باللؤلؤ المكنون، والحُسْن[٣٧].

(٣٤) في بعض الكتب (تفجر الأنهار الأربعة). انظر منها صفة الجنة لابن أبي نعيم ص٨٦.

(٣٥) ألفًا: بابًا، م ي. الدر المنثور ٤/ ٦٣٨.

(٣٦) بإحدى عشرة: بأحد عشر، م ي.

(٣٧) والحُسْن: بالحسن، م ي.

أما الأوّل والثاني: ففي قوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة:٢٢].

وأما البكارة: ففي قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة:٣٦]، ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ [قَبْلَهُمْ] وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن:٥٦].

وأما محبة أزواجهن: فقوله: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٧]، قيل: عاشقات لأزواجهن مستويات في الأسنان، عن ابن عباس.

وأما الطهارة: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، يعني من الحيض والنفاس وغيرهما.

وأما غض البصر: فقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرحمن:٥٦].

والاستقرار في الخيام: قوله[٣٨]: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، يعني محبوسات للأزواج. وتشبيهها[٣٩] بالياقوت في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨]، ﴿وَحُورٌ [عِينٌ] كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٣].

وأما الحسن: فقوله: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن:٧٠].

ربيعة بن كلثوم قال: دخلنا على الحسن ونحن شباب، فلما رآنا ضحك ثم قال: ألا تشتاقون إلى الحور العين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفس محمد بيده لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت على أهل الأرض لملأت الأرض ريح المسك، ولنَصِيفُ[٤٠] امرأة من أهل الجنة خير من الدنيا وما فيها»، ثم قال: أتدرون ما النصيف[٤١]، النصيف[٤٢] الخمار.

ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «في الجنة حوراء يقال لها: لعبة، خلقت من أربعة أشياء، من المسك، والكافور، والعنبر، والزعفران، وعجن طينها بماء الحيوان، جميع الحور لها عشاق، لو غرقت في البحر لعذب ماء البحر من طعم ريقها، مكتوب على نحرها: مَنْ أَحَبَّ أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي».

---

(٣٨) قوله: وقوله، م ي.

(٣٩) وتشبيهها: وتشبيها، م ي.

(٤٠) ولنَصِيفُ: ولنصف، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٨.

(٤١) النصيف: النصف، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٨.

(٤٢) النصيف: النصف، م ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٨.

وعن علي عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن [في] الجنة لسوقًا ما فيه بيع ولا شراء إلّا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها، وإن فيها لمجتمعًا للحور العين يرفعن أصواتًا لم يسمع الخلائق مثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، فطوبى لمن كان لنا وكنا له»[٤٣].

أبو هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «نساء أهل الجنة يرى مخ سوقهن من وراء اللحم».

عمر رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام: «إن في الجنة حورًا خلقهن الله من الورد، يقال لهن: الورديات، نصف أجسادهن من الورد الأحمر، ونصف أجسادهن من الورد الأبيض، لا يتزوج بهن إلّا نبي، أو صديق، أو شهيد، ولأبي بكر منهن أربعمائة».

علقمة بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سطع[٤٤] نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم، فإذا هو ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها».

سعيد بن عامر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن امرأة من نساء أهل الجنة لو أشرفت إلى الأرض لملأت[٤٥] الأرض ريح المسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر».

أبو أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلّا يجلس عند رأسه وعند رجليه بنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت يسمعه الجن والإنس، ليس بمزامير الشياطين، ولكن بتحميد الله وتقديسه».

ابن سيرين عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أول زمرة تدخل الجنة وجوههم كالقمر ليلة البدر، والزمرة الثانية وجوههم كأضوأ كوكب في السماء، لكل رجل امرأتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم، وليس في الجنة أعزب[٤٦]».

وعن منصور بن عمار قال: دعاني الرشيد، فدخلت عليه وهو قاعد على سرير من ذهب

(٤٣) مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٠.
(٤٤) سطع: صدع، م ي. حلية الأولياء ٦/ ٣٧٤.
(٤٥) لملأت: لملأ، ي. مصنف ابن أبي شيبة ٧/ ٣٨.
(٤٦) أعزب: عرف، م ي. صحيح ابن حبان ١٦/ ٤٢٦.

أحمر مرصع بأنواع الجواهر، وبين يديه شموع وهو يقرأ سورة (الرحمن) وقد بلغ قوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]، فقال: يا منصور صف لي الحور كأني أنظر إليهن، قلت: نعم بشرط، قال: وما شرطك؟ قلت: تنفذ جيشًا إلى طرسوس يجاهدون عن الإسلام سنة واحدة، لا ينقصون عن ثلاثين ألف رجل، قال: لك ذلك، قال: الله عليك لشاهد، قال: نعم ورسله، قال منصور: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ۞ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٥٢، ٥٣]، عروس دار قصرت في الخلد منذ خُلقتْ عن العيون، جلست محمرَّة الخدين، فتانة العينين، قاصرة الطرف، تمشي بغنج بلا تعب أو كلل من غير غش ودغل، مرسلة الخمار، فارهة[٤٧] العذار، كثيرة الأنوار، في كل لهو وطرب، وحسن دل وأدب، وخير حال، وحبيب يرمقها وترمقه، ويعشقها وتعشقه، تعلقها وتعلقه، نرجس بستان المنى، وروح ريحان الدنيا، تخجل بالحسن الورى، ذاهلة الألباب، جذوة[٤٨] الإطراب، ومنية الأحباب، مقرونة الحواجب، مجرورة الذوائب، في كفها نسرين غض وياسمين، وكأسها معين، جارية صافية، جميلة غانية، لزوجها وافية، في جنة عالية، قطوفها دانية، قصورها عالية، فبكى الرشيد وعقد لجعفر الخياط لواء، وضم إليه ثلاثين ألفا، وأمرهم أن يقيموا بطرسوس عشرين شهرًا، وأمر لي بمائة ألف، فقلت: تنفذ بها مع الجيش:

تمام السرور بحور القصور ... لدى روض نور يرق الظبا[٤٩]
بحسن غريب وجسم رطيب ... حكاه القضيب إذا ما انثنى[٥٠]

قيل: قاصرات الطرف في دار السلام، تقاصرت الطرف من الدنيا من الحرام.

ليحيى بن معاذ[٥١]:

في الخلد جارية بالغنج ماشية ... للزوج ساقية في وسط أشجار
من مسكة عجنت بعنبر خلطت ... لمن ترى خُلقت؟ للزاهد القاري
معشوقة حرة في خدها حمرة ... كأنها [٥٢]درة في نقش دينار

(٤٧) فارهة: مخاوعة، م ي.
(٤٨) جذوة: موة، ي.
(٤٩) يرق الظبا: يفوق النساء، م ي.
(٥٠) انثنى: المساء، ي.
(٥١) بستان الواعظين ص٥٠٦.
(٥٢) كأنها: وكلها، م ي. بستان الواعظين ص٥٠٦.

خَـوْدٌ مكللـةٌ بكـر مكحلـةٌ بـدر مدللـة عـروس أبـكار
تختـال مقبلـةً للشـعر مرسـلة للذيـل مسـبلةً فـي وسـط أنهـار

فصل في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤]، لأهل[٥٣] الجنة خمس حمدات، ولأهل النار خمس دعوات.

فأما أهل الجنة فيقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ [الزمر:٧٤].

والثاني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

والثالث: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:١٠].

والرابع: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣].

والخامس: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر:٣٥]، كأنه قال: الحمد لله الذي أحلنا.

فأما أهل النار: فقالوا: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون:١٠٦].

والثاني: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ [المؤمنون:١٠٧].

والثالث: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧].

الرابع: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة:١٢].

والخامس في سياق الآية: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [فاطر:٣٧].

ثم نذكر صفة الجنة والنار ونظيره ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ [الزخرف:٧٧]، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ [غافر:٤٩]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٥٠].

فأما قوله: ﴿أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، قيل: حزن المعيشة، عن ابن عباس، وقيل: الحزن: الخوف من العذاب، وقيل: حزن الموت، وقيل: حزن الخاتمة.

---

(٥٣) لأهل: إلى أهل، م ي.

وقيل لبشر كذا الحافي: ما لك لا تفرح كما يفرح الناس؟ قال: لعلهم آمنون مما أخاف له وأحزن عليه.

وسمعت رابعة رجلًا يقول: وا حزناه، فقالت: قل وا قلة حزناه، لو[٥٤] كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس[٥٥].

وقال داود الطائي: كيف يتسلى من الحزن من تتجدد عليه المصائب في كل وقت.

وقال رجل لبشر الحافي: ما لي أراك حزينًا؟ قال: لأني مطلوب محاسب.

وكان الحسن لا يُرَى إلّا حزينًا.

وسئل واحد عن[٥٦] شواهد الحزن؟ قال: إسبال الدموع على الخدود، وطلب الأمان من المعبود.

وعن صالح بن بشر: رأيت عطاء السلمي في المنام، فقلت: يرحمك الله، لقد كنت طويل الحزن في الدنيا، فقال: أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طويلة، وفرحًا دائمًا، قلت: ففي أي الدرجات أنت؟ قال: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ..﴾ الآية [النساء:٦٩].

قوله: ﴿[إِنَّ رَبَّنَا][٥٧] لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤]، يعني غفور لمن غفر، شكور لمن شكر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧]، قيل: غفور لمن ندم، شكور لمن استسلم، غفور لمن صبر، شكور لمن أقر، غفور لكثير السيئات، شكور لقليل الحسنات.

شعر:

كثيـر همـوم القلـب حتـى كأنمـا ... عليـه سـرور العالميـن حـرامُ

فصل في ذكر طوبى

قوله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ﴾ [الرعد:٢٩]، قيل: غبطة لهم؛ وهو المبالغة في نيل الطلبات، عن الحسن والأصم، وأبي علي، والضحاك، وقتادة، وعكرمة. وقيل: مدينة الجنان؛ وهي

(٥٤) لو: ولو، ي. الرسالة القشيرية ١/ ٢٦٨.
(٥٥) الرسالة القشيرية ١/ ٢٦٨.
(٥٦) عن: من، م ي.
(٥٧) ف ي م ي: ربنا إنك. وما أثبتناه من المصحف.

الفردوس، وهي جنة غرسها الخالق بيده لا يدري أحد ما فيها، وهو قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧]، عن الضحاك. قوله: بيده؛ يعني بغير واسطة.

وقيل: طوبى: اسم الجنة بالحبشية، عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد. ومعناه أنه لغة عربية وافقت لغة حبشية. وقيل: ثواب[٥٨] الله لعباده، وقيل: شجرة في الجنة، عن ابن عباس. وشهر بن حوشب، وأبي هريرة وصف ذلك في خبر طويل.

وذكر ابن ماجة في تفسيره أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أفي الجنة فاكهة؟ قال: «نعم وفيها شجرة طوبى، قال: أي شجرة من أرضنا تشبه؟ [قال: لا تشبه] شيئًا من أرضك، هل أتيت الشام؟ قال: لا، قال: فإن بها شجرة تدعى الجوزة، ساقها واحد وينتشر[٥٩] أعلاها، قال: ما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلْتَ جذعة من إبل أهلك ما أحطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها[٦٠] هرمًا، وإن من أصلها تفجر أنهار الجنة، وفي أعلاها ثمرها»[٦١].

وعن ابن عباس: طوبى شجرة في الجنة، ساقها من ذهب، الورقة منها تغطي الدنيا، ليس في الجنة منزل إلّا وفيه غصن منها، ليس مما خلق الله من شيء إلّا هو فيها إلّا الأنهار الأربعة.

وعن الأصم قال: هي شجرة أصلها في دار الرسول، وفي ديار المسلمين من فرعها غصن.

قال القاضي: وأوفق ما[٦٢] قيل فيه، وما روي: أنه شجرة عظيمة فيها أنواع الفاكهة أيضًا.

علي عليه السلام قال: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، لو يسير الراكب في ظلها مائة عام لم يقطعها. في حديث طويل.

وقيل: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [الرعد:٢٩]، يعني طيب مساكنهم، قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الصف:١٢]، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر:٧٣].

وعن النبي عليه السلام: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، فطوبى للغرباء».

---

(٥٨) ثواب: حف، ي.

(٥٩) ينتشر: يتفرش، م ي. صفة الجنة لأبي نعيم ٢/ ١٨٦، وإتحاف الخيرة المهرة ٨/ ٢٥١.

(٦٠) ترقوتها: قوتها، م ي. صفة الجنة لأبي نعيم ٢/ ١٨٦، وإتحاف الخيرة المهرة ٨/ ٢٥١.

(٦١) صفة الجنة لأبي نعيم ٢/ ١٨٦، وإتحاف الخيرة المهرة ٨/ ٢٥١.

(٦٢) وأوفق ما: وافقني، م ي.

وقيل: طوبى لمن له قلب طيب، ولسان طيب، يقول طيبًا، ويعمل طيبًا، ويأكل طيبًا.

وقيل: طوبى لمن طاب قلبه مع الله.

شعر:

نُرَقِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا باقٍ ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع

يحيى بن معاذ:

لبيك لبيك أنت مولاه فارحم عُبَيْدًا إليك مَلْجَاهُ
عليك ياذا الجلال معتمدي طوبى لمن كنت أنت مولاه
طوبى لمن كان خائفًا وجلًا يشكو إلى ذي الجلال بلواه
وما به علّة ولا سقمٌ أكثر من بغضه لدنياه
إذا خلا في الظلام مبتهلًا أجابه الله ثم لَبَّاهُ

فصل في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾

قوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ..﴾ الآية [آل عمران:١٣٣]، [للمسارعة] إلى الطاعات فوائد:

منها: الاشتغال بها(٦٣) عن المعصية.

ومنها: إرغام الشيطان حتى يقول: عصيت فلي النار وهذا يسارع إلى الطاعة فله الجنة.

ومنها: أن فيه فرحًا للمصطفى إذا بلغه ذلك، فإن أعمال أمته تعرض عليه، فإذا رأى سيئة تسوءه.

ومنها: أنه يورثه المسارعة إلى الجنة، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة:١٠].

ومنها: أن فيه طلب رضى الله ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه:٨٤].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ﴾ [آل عمران:١٣٣]، فيه إضمار، قيل: التوبة؛ كأنه قال: سارعوا إلى التوبة التي بها تستحق المغفرة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه:٨٢]، وقيل: إلى

(٦٣) بها: به، م ي.

التوحيد، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ [إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم](٦٤) مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].
وقيل: المبادرة إلى التكبيرة الأولى مع الإمام.

ويقال: مصائب الدنيا خمس: موت الأخ في الله، وفوت الحج، وموت العلماء والصالحين، ونسيان القرآن، وفوت التكبيرة الأولى مع الإمام.

وقيل: إرادته المسارعة إلى الاستغفار ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:١٠]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠].

قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ [آل عمران:١٣٣].

روي أنه تعالى خلق جنة واحدة سورها واحد، ثم خلق فيها جنانًا بعدد نجوم السماء، وعدد أيام الدنيا، وعدد الحصى والثرى، وعدد قطر الأمطار، وعدد أنفاس الخلائق، كل جنة عرضها كعرض السماوات والأرض.

وقيل: الجنة عرضها كعرض السماء والأرض، وأما طولها فالله أعلم.

وقد وصف الله الجنة بالسعة والنار بالضيق فقال: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان:١٣].

ويسأل عن الحكمة في ذلك؛ لأن أهل النار مسجونون فضاق سجنهم.

وقيل: أهل الجنة ارتفعت هممهم فاتسعت منازلهم، وأهل النار اتضعت هممهم فضاقت منازلهم.

وقيل: أهل الجنة منعمون فاتسعت دورهم زيادة للنعمة، وأهل النار معذبون فضاقت منازلهم زيادة في عذابهم.

وقيل: أهل الجنة وَسَّعُوا على الناس فوسع الله عليهم، وَضَيَّقَ أهل النار فضيق عليهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران:١٣٤].

وقيل: أهل الجنة صبروا على ضيق الدنيا فوسع عليهم العقبى، وأهل النار وسع عليهم في الدنيا فضيق عليهم ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ..﴾ الآية [القصص:٨٣].

(٦٤) في م ي: إن تنتهوا يغفر لكم. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

فصل في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، قيل: إنه تعالى دعا إلى دار القرار، فمن أبى فله سوء الدار، ومن أتى فله قرب المزار.

إن الرحمن دعا إلى الجنان من دار الأحزان إلى دار الجنان، فمن أبى فله الهوان، ومن أتى فله الرضوان.

إن السلام دعا الأنام إلى دار السلام، فمن أبى فله دار الآلام، ومن أتى نُشِرَ له الأعلام.

يدعو من دنيا دنية، إلى عيشة رضية، يدعو من دار التكليف إلى دار التشريف، من دار الفناء إلى دار البقاء، من دار الزوال إلى دار المنال، من دار أصلها مدر وعيشها كدر ونعيمها ضرر، إلى دار أصلها دُرر وفرشها سرر وأهلها غرر، يدعو من دار الآلام إلى دار السلام.

قوله: ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾، قيل: دار السلام، عن الزجاج تسلم فيها من الآفات، والعاهات، والنكبات، والمصيبات، تسلمون من الأمراض، والأوجاع، والصدود، والإعراض، تسلمون من طلب القوت، وضيق البيوت، تسلم من سكرة الموت وحسرة الفوت. وقيل: السلام اسم الله تعالى؛ يعني دار الله، عن قتادة. وقيل: سماها دار السلام، لأنهم وجدوها بإفشاء السلام، وفيه خبر معروف، وقد ذكرناه في دار السلام، وسكونها بالسلام، وفيها طاب عيشهم، ولهم فيها السلام، ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الحجر:٤٦]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ [الزمر:٧٣]، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ [الواقعة:٢٥، ٢٦]، ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

وقد وصف الله ضيافتهم في الجنة للترغيب، فوصف ذلك: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الصف:١٢]، ولباسهم: فقال: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣]، لحمهم: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة:٢١].

ووصف شرابهم فقال: ﴿أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد:١٥]، ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان:٥].

ووصف أقداحهم فقال: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٨].

ووصف سلامهم من شربها فقال: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة:١٩].

ووصف سُرُرَهم فقال: ﴿سُرُرٌ[٦٥] مَّرْفُوعَةٌ﴾ [الغاشية:١٣]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ [الطور:٢٠].

ووصف فُرُشَهم فقال: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾ [الرحمن:٥٤]، ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ [الإنسان:٢١].

أهاليهم: ﴿أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة:٣٦،٣٧]، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن:٧٢]. ﴿وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة:٢٢، ٢٣].

ظلهم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠].

ووصف الأكل فقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد:٣٥].

ووصف العيش فقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر:٤٨].

ووصف رفقاءهم: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء:٦٩].

ووصف من يسقيهم فقال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا﴾ [الإنسان:٢١].

ووصف سلام الملائكة إذا استقبلوهم فقال: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ [الحجر:٤٦].

ووصف زيارة الملائكة فقال: ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد:٢٣،٢٤].

ووصف سلام الرب فقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨]، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

ووصف الخلود فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:٥٧]، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ﴾ [الفرقان:٧٦].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ [البقرة:٢٢١]، الرحمن يدعو، والشيطان يدعو، فمن أجاب الرحمن نال الكرامة والرضوان، ومن أجاب الشيطان نال الملامة والهوان، قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ [البقرة:٢٦٨]، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي: «يا علي إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق عليها رحائل الذهب، يستوون عليها، فتطير بهم حتى ينتهوا[٦٦] إلى باب الجنة، فإذا حلقة من ياقوت على صفائح الباب، وإذا عند الباب

(٦٥) في م ي: وسرر. والصواب ما أثبتناه من المصحف.

(٦٦) ينتهوا: ينتهون، م ي.

شجرة تنبع من أصلها عينان، فيشربون من إحدى العينين، فلما بلغ الشراب إلى الصدر أخرج الله ما في صدورهم من غل إخوانًا، فلما انتهى إلى البطن طهره الله من دنس الدنيا وقذرها وذلك قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١]، ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم النضرة والنعيم، فلا تشعث [أبشارهم ولا] أشعارهم، و[لا] تتغير ألوانهم، فيضربون بالحلقة على الصفائح، فلو[٦٧] سمعت لها طنينًا يا علي، فيبلغ[٦٨] كل حوراء أن زوجها قدم، فتبعث قَيِّمها[٦٩]، فلولا أن الله سبحانه عرفهم نفسه لخر له ساجدًا مما يرى من النور والبهاء والحسن، فيقول[٧٠]: يا ولي الله أنا قيمك الذي وُكّلت بمنزلك، فينطلق وهو بالأثر حتى ينتهي إلى قصر شرفه الذهب، يُرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره، فيريد أن يدخله، فيقول: يا ولي الله أمامك ما هو أحسن منه، فينطلق به إلى قصر من الذهب شرفه من فضة، يرى باطنه من ظاهره وظاهره من باطنه، فيقول: لمن هذا؟ فيقول: هو لك، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: فلو مات أحد من أهل الجنة من الفرح لمات هو، فيريد أن يدخله، فيقول: أمامك ما هو أحسن منه، فلا يزال يمر به على قصوره وجنانه وأنهاره حتى ينتهي به إلى غرفة من ياقوت أحمر وأخضر وأصفر وأبيض، في الغرفة سرير عرضه فرسخ في طول ميل، عليه من الفرش كقدر سبعين غرفة بعضها فوق بعض، فرشه نور، وسرره نور، وعلى رأس ولي الله تاج، لذلك التاج سبعون ركنًا، في كل ركن ياقوت يضيء مسيرة ثلاثة أيام للراكب المُتْعِب، وجهه مثل القمر ليلة البدر، عليه طوق ووشاحان، له نور يتلألأ، وفي يده ثلاثة أسورة من فضة وذهب ولؤلؤ، ذلك قوله: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣]، فيهتز السرير فرحًا وشوقًا إلى ولي الله، فيتضع له حتى يستوي عليه، ثم يهتز في السماء، ثم أتاه قهرمانه بقضيب الملك، فجعل ينكت فينظر إلى أساس بنيانه ويسترقه مخافة أن يذهب بصره، فبينما هو كذلك إذ أقبلت حوراء عيناء معها سبعون جارية وسبعون غلامًا، وعليها سبعون حلة، يرى مخ ساقها من وراء الحلل والحلي والجلد والعظم كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وكما يرون السلك في الدرة الصافية، قال: فلما عاينها نسي كل شيء عاين قبلها، فتستوي[٧١] معه على السرير، فيضرب بيده إلى نحرها وإذا هو يقرأ ما في يدها، وإذا

(٦٧) فلو: ولو، م ي. انظر الجامع الكبير للسيوطي ١٧/ ٥٤٨.

(٦٨) فيبلغ: فتبلغ، م ي. انظر الجامع الكبير للسيوطي ١٧/ ٥٤٨.

(٦٩) قَيِّمها: قيمه، م ي. انظر الجامع الكبير للسيوطي ١٧/ ٥٤٨.

(٧٠) فيقول: فتقول، م ي.

(٧١) فتستوي: فيستوي، م ي.

مكتوب: أنت حبي وأنا حبك إليك اشتهت نفسي، فذلك قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٥٨]، فيتنعم معها سبعين سنة لا تنقطع شهوتها ولا شهوته، فبينما هما كذلك إذ أقبلت الملائكة وللغرفة سبعون ألف باب، على كل باب حاجب، فيقولون: استأذنوا لنا على ولي الله، فيقول الحجاب: إنه ليتعاظمنا أن نستأذن لكم عليه، إنه مع أزواجه، فيقولون: لا يد لنا إنا رسل الجبار إليه، فيتناجونه فيما بينهم فيقولون: يا ولي الجبار الملائكة تستأذن عليك، فيقول: ائذنوا، ثم تلا: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤]». وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا: «﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان:٢٠]»، يعني استئذان الملائكة لا يدخلون إلّا بإذنه.

شعر:

حياة النفوس بطيب الجلوس ... بقرب عروس كشمس الضحى
بتعديل قدٍّ وتوريد خدٍ ... كحمرة وردٍ علاه الندى
وخصرٍ دقيق وقدٍّ رشيق ... وحسن يفوق جميع الورى
وطيب المقيل بجنب الخليل ... وظل ظليل بدار العلا
سيلقى هواه وأقصى رضاه ... بحب يراه فذاك المنى

آخر:

حورية[٧٢] ليس لها مشبه ... في الحسن والنعمة واللين
تزهو بوجه مبهجٍ حسنهُ ... أحسن من روض البساتين
وورد خد ناعمٍ لمسه ... بنفسج ما بين نسرين
نظرة فوق جبين لها ... تذهب بالدنيا إلى الدين
إذا مشت بالغنج في روضة ... يخجل غصن الربا على الرياحين
لو مسها الماء على لينها ... جرت مع الماء على الطين
تقول بالغنج لأترابها ... إذا مشت في الخرد العين
يا طالبي[٧٣] لو كنت لي طالبًا ... لما تشاغلت بمن دوني

---

(٧٢) حورية: غريرة، ي.
(٧٣) طالبي: طالبًا، م ي.

يا عاشقي لو كنت لي عاشقًا ما كنت في الأحياء تجفوني
سبحان من صورها لعبةً وجل من قال لها كوني

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ﴾ [يونس:٢٥] الله تعالى دعا إلى أشياء: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم﴾ [إبراهيم:١٠]، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٢١]، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، ثم قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠].

والدعاء على وجوه:

منها: الله ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥].

الرسول: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل:١٢٥]، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٤٦]، ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:٣١].

ومؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر:٤١].

ودعاء إبراهيم: ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ [مريم:٤٨].

ودعاء زكريا: ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾ [مريم:٤]، ونظائر ذلك كثير.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس:٢٥]، نظيره: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام:١٢٧]، ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١] لما سألت آسية بيتًا في الجنة استحقرت الملائكة همتها، فلما قالت: ﴿عِندَكَ﴾ عظموا هِمَّتَها.

قوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف:٢٠٦] يعني قربك، قُرْبَ زلفة وعلو لا قرب مسافة ودنو، قرب انبساط لا قرب بساط.

ويقال: إن الدار داران: الأولى، والعقبى، فهاهنا الكتاب وثم الحساب، هنا الخطاب وثم العقاب، هنا النعيم وثم الجحيم.

فصل في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦]، جعل الله تعالى أَجْرَ(٧٤) الخير خيرًا ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا﴾ [النمل:٨٩]، وثواب الذكر [ذِكْرًا]: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾

(٧٤) أَجْرَ: خير، م ي.

[البقرة:١٥٢]، والحسنى ثواب الإحسان(٧٥): ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

قوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ من قال: لا إله إلّا الله فله الحسنى؛ أي الجنة، نظيره: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٧] يعني الجنة.

وفي ضده: عمى بعمى قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء:٧٢]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، فهذا ميزان فيجب أن تعمل ما يرضي الرحمن لتجد الجنان، لا بما يرضي الشيطان حتى تدخل النيران.

شعر:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تُنال إلّا على جسرٍ(٧٦) من التعب
فالجد منها بعيد في تطلبها ... فكيف تدرك بالتقصير واللعبِ

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:٧٢]، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣]، ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مريم:٧٢]، وكل ذلك يدل على مذهب العدل.

وعن بعض المتقدمين: طلب الجنة بلا عمل ذنبٌ من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمقٌ وجهالة.

السري السقطي: أيها العبد تدري ما تريد؟ تريد أن يقطع لك رب العالمين قطعة من ملكه، فتدبر ما أنت [تريد].

ابن السماك في مناجاته لنفسه: تقولين قول الزاهدين، وتعملين عمل المنافقين، والجنة تطمعين أن تدخليها(٧٧)، هيهات هيهات، إن للجنة قومًا آخرين، أعمالهم غير ما تعملين، وفيه يقول الشاعر:

إذا ما وصلتم سالمين فبلغوا ... تحية من قد ظن ألّا يرى(٧٨) نجدا

قيل: يا جيفة بالليل، بطالة بالنهار، تعمل عمل الفجار، وتطلب منازل الأبرار.

---

(٧٥) الإحسان: الحسنى، م ي.
(٧٦) جسرٍ: جد، م ي.
(٧٧) تدخليها: تدخلين، م ي.
(٧٨) يرى: ترى، م ي. المدهش ١/ ٢١٩.

يا جيفة بالليل بطالا بالنهار ترى يوم القيامة عند الله خسرانا
عصيت ربك فيما قد أمرت به فسوف تدخل يوم الحشر نيرانا

آخر:

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان بها وفوز العابد
أنسيت أن الله أخرج آدمًا منها إلى الدنيا بذنب واحدِ

وعن الفضيل أنه قال لنفسه: تريد أن تسكن الفردوس فتجاور النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، يا أحمق بأي عمل عملته، وبأي شهوة تركتها؟ بأيّ غيظ كظمته، بأي رحم وصلته؟ بأي قريب باعدته لله، بأي بعيد قربته في الله؟

يحيى بن معاذ: ترك الدنيا شديد، وفوت الجنة أشد، وترك الدنيا مهر الجنة.

وعنه: في اكتساب الدنيا ذل النفوس، وفي طلب الجنة عز النفوس، فيا عجباه لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى(٧٩).

حامد اللفاف: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل، طوبى لمن اشترى شيئًا بلا شيء، طوبى لمن اشترى بلا(٨٠) شيء الجنة(٨١).

الصوري: الجنة كريمة لا يحبها إلّا كل كريم، والدنيا لئيمة لا يحبها إلّا كل لئيم.

وقيل: الجنة عزيزة لا تؤخذ إلّا ببذل عزيز، وهو بذل المهج، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

وقيل: من كانت ذنوبه كالتراب، وعمله كالسراب، ويطمع في الكواعب الأتراب، أراه سكران بغير شراب.

الدامغاني: من أراد أن يكون في الجنة مقيمًا فليكن على الطاعة مستقيمًا، من طمع في شراب السلسبيل فليستقم على سواء السبيل، من رجا شرابًا طهورًا فلا يكونن لنعم الله كفورا، بالخير والإحسان تدرك الخيرات الحسان، بدموع العينين تشرب من العينين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ

(٧٩) يفنى: يبقى، م ي.
(٨٠) بلا: لا، م ي.
(٨١) الجنة: بالجنة، م ي.

نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن:٦٦]، إن الجنة بساتينها زاهرة لكن لمن يبيت لله ساهرًا، وقصورها عالية لكن ثمارها غالية، ملكها كبير لكن لأهل التهليل والتكبير، ظلها ممدود لكن لمن لا يتعدى الحدود، طيبها يفوح لكن لمن يغدو لها ويروح، عيشها مقيم لكن لمن قلبه سليم، فيها الزيادة والمزيد لكن لمن يقول: الإيمان ينقص ويزيد، فيها مرافقة النبيين لكن لمن لا يتغير بالمال والبنين، في قوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ قد ذكرنا في باب الرؤية بما فيه كفاية.

فصل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ﴾ [التوبة:١١١]، السلعة تعرف بثلاثة أشياء: بالمشتري، والدَّلَّال، والثمن، فمتى كان المشتري جليلًا، والدلال نبيلًا، والثمن جزيلًا، صار العقد[٨٢] نفيسًا جليلًا عظيمًا، فهذا هو المؤمن، فالله هو المشتري، والدلال هو محمد المصطفى المختار، نعم الثمن دار القرار.

ويقال: لم قال: ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾ ولم يقل: باع؟

قلنا: لوجهين:

أحدهما: أن البيع للحاجة والله يتعالى عن ذلك، فيتعالى عما يوهم.

الثاني: أنه لو قال: باع، لم يقم منا أحد بثمنها، فقال: ﴿ٱشۡتَرَىٰ﴾ النفس بالجنة إشارة، فإن[٨٣] من اشترى عبدًا يكرمه، قال العزيز لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف:٢١]، فقد اشترى الله المؤمن أكرمه، وأمر ملائكته بالتسبيح له ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر:٧]، ويقال: من اشترى عبدًا فأبق لا يترك لكن يرد عليه، فكذلك المؤمن إذا أعرض رد إلى الخدمة بالتوفيق والتسديد.

ابن عثمان: اشترى النفس والمال كي لا تخاصموا عنهما، فإن الإنسان يخاصم عنهما فقط، فيقول: نفسي ومالي، فاعلم أن الله أحق بهما، أما المال: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:١٠]، وأما النفس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ﴾ [التوبة:١١١].

---

(٨٢) العقد: العلق، م ي.

(٨٣) فإن: فقال، م ي.

وقيل: من اشترى عبدًا فإما أن يشتري للبيع أو للعتق، والبيع إنما هو للحاجة إلى ثمنه، فكأنه يقول: يا مؤمن اشتريتك للعتق.

يحيى بن معاذ: سبحان من خلق عبده ثم اتخذه حبيبًا، فهو له عبد وهو له محب.

فصل في قوله: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، في الآية أحكام:

منها: بيان الصغائر والكبائر.

ومنها: كيفية الاحتياط والتكفير.

أما الأول: فنظيره: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات:٧]، ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢].

وأما الثاني: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ [الحجرات:٢].

وأما في التكفيرات: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤].

قوله: ﴿مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ يعني الجنة.

والكريم في القرآن على ستة أوجه:

منها: الكريم على الله العزيز عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠]، قيل: جبريل، وقيل: محمد، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] يعني على الله.

وروي أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليعلم أهل الموقف من أولى بالكرم، إنهم المتقون، ثم تلا: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ..﴾ الآية.

وقيل: لكل شيء زينة، وزينة العبادة التقوى، وعلامة التقوى قصر الأمل.

وقيل: علامته قلب يخشع، وبدن يخضع، وعين تدمع.

شعر:

طوبى لمن قَلْبه بالله مشتغل — يبكي[٨٤] النهار وطول الليل يبتهلُ
خوفُ الوعيد وذِكْرُ النار أحزنه — فالدمع منه على الخدين ينهمل

السري السقطي: النجاة في ثلاثة: طيب الغذاء، وكمال التقى، وطريق الهدى.

سهل بن عبد الله: لا معين إلّا الله، ولا دليل إلّا رسول الله، ولا زاد إلّا التقوى، ولا عمل إلّا الصبر.

وثانيها: الكريم: المتكرم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان:٤٩] أي المتكرم، وقيل: ذق لأنك كنت تقول: أنا العزيز الكريم، وقيل: كم من عزيز في النار ذليل، وكم من كريم في النار مهين، كم من غني في النار فقير، كم من ضاحك في النار باك، كم من لابس كتان غدًا يلبس القطران.

شعر:

حطب النار شباب — وشيوخ وكهول
ونساء عاصيات — طال منهن العويل

وثالثها: الكريم: الحفظة ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار:١١].

الحسن: عجبًا لابن آدم وإن ملكيه ليحفظانه وهو فيما بين ذلك كيف يتكلم بما لا يعنيه؟.

وعنه: عجبت ممن يعلم باليقين أن عليه لحافظين، كرامًا كاتبين، وهو يتكلم بكل غث وسمين.

شعر:

أصلي فأهذي في الصلاة بذكرها — لي الويل مما يكتب الملكان

آخر:

ومن الناس من يعيش شقيا — جيفة[٨٥] الليل غافل اليقظه
إنما الناس رائح ومقيمٌ — فالذي راح للمقيم عظه

(٨٤) يبكي: تبكي، م ي.
(٨٥) جيفة: حيفه، ي. انظر لسان العرب (يقظ).

ورابعها: الكريم: الله، قال حاكيًا عن سليمان: ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ(٨٦) كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]، ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦]، خلقنا كرمًا، ورزقنا كرمًا، وهدانا كرمًا، وقوّانا كرمًا، وسيغفر لنا كرمًا.

وسمع أعرابي بذكر أهوال يوم القيامة فقال: من يلي ذلك؟ قيل: الله، قال: فزنا ورب الكعبة، قيل: وكيف؟ قال: لأنه كريم، والكريم إذا قدر غفر.

وسئل علي كرم الله وجهه عن الكريم؟ قال: من إذا دعوته لباك، وإذا أطعته جازاك، وإذا عصيته أولاك، وإن أدبرت عنه ناداك، وإن توكلت عليه كفاك.

يحيى بن معاذ: إلهي كيف أرجوك وقد عصيتك، وكيف لا أرجوك مع كرمك.

شعر:

أسيء فتجزي بالإساءة نعمةً ... كأنك راضٍ بالذي أنا صانع
وتكنفني بالعفو حتى كأنني ... بعفوك في حين الإساءة أردع(٨٧)
وحتى أمني النفس إني محسنٌ ... بعفوك والإحسان في الذنب واقع

آخر:

إن كنت أبدع في الذنوب جهالة ... فإلهنا في العفو غير بديع

خامسها: الفضل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠] يعني فضلنا، قال ابن عباس: فضلوا بأنهم يأكلون بأيديهم والبهائم تأكل بأفواهها.

وقيل: فضلوا بالفهم والتمييز، وبما سُخِّر لهم، ومن هذا: ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر:١٥]، يعني فَضَّلَه، ومن هذا: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء:٦٢] أي فَضَّلْته علي وأنا خير منه على ما حكى الله تعالى في مواضع عن(٨٨) اللعين إبليس.

وسادسها: الكريم: الحسن الشريف، قال تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١] يعني حسنًا شريفًا، وهو الجنة.

---

(٨٦) في م ي: إن ربي لغني. وما أثبتناه من المصحف.
(٨٧) أردع: رادع، ي.
(٨٨) عن: من، م ي.

الثوري: الجنة كريمة لا يدخلها إلّا كريم، والنار لئيمة لا يدخلها إلّا لئيم.

وقيل: الجنة عزيزة لا تنال إلّا ببذل العزيز، وهو بذل المهج.

يحيى بن معاذ: ترك الدنيا مهر الجنة.

شعر:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها تنال إلّا على جسرٍ[٨٩] من التعبِ
فالجد منها بعيد في تطلبها فكيف يدرك بالتقصير واللعب

ونظيره: ﴿إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٢٩]، قيل: حسن، وقيل: مختوم، وقيل: كريم كاتبه[٩٠]، وقيل: لأن فيه (بسم الله)، وقيل: ﴿كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ لأن رسوله الطير، وقيل: كتاب مرسله سليمان، ورسوله الهدهد، والمرسل إليه امرأة كافرة نالت من بركاته بكون الاسم فيه، حتى هداها الله وأسعدها، فما ظنك بكتاب كريم، مرسله الكريم الله العليم، ورسوله الكريم جبريل، والمرسل إليه الكريم، وهو محمد، وهو يورث مثل هذا الكتاب للسعادة[٩١] بعد الشقاء، والشفاء بعد الداء، والبصر بعد العمى، ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت:٤٤].

شعر:

لما وضعت على عيني وقد رمدت من البكاء كتابًا منك أبراها
وكانت النفس قد ماتت بغصتها فخط كفك بعد الله أحياها

محمد بن داود الرازي قال: سألت محمد بن حميد، عن حديث، قال: إني رمدت، فقلت: حدثني، فقال: رمدت فشكوت إلى جرير، فقال لي: أدم النظر إلى المصحف، فإني رمدت فشكوت ذلك إلى علقمة، فقال لي: أدم النظر إلى المصحف، فإني رمدت وشكوت ذلك إلى عبد الله بن مسعود فقال: إني رمدت فشكوت ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي: «أدم النظر في المصحف، فإني رمدت فشكوت ذلك إلى جبريل فقال لي: أدم النظر إلى المصحف».

---

(٨٩) جسرٍ: جد، م ي. التذكرة الحمدونية ٤/ ١٤٣.
(٩٠) كريم كاتبه: لاح المكاتبة، ي.
(٩١) للسعادة: لا السعادة، م ي.

باب في ذكر جملة من أخبار الزهاد وحكاياتهم

قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور:٣٧].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «عند ذكر الصالحين تنزل البركة».

وقد ذكرنا أسماء جماعة من الزهاد وجملة من أخبارهم وعظاتهم وكلامهم، وجعلنا أسماءهم على حروف المعجم، وابتدأنا بالألف، وألحقنا به من اشتهر[1] بالكنية، ثم ثنينا بالباء، ثم كذلك على ترتيب الحروف، والله الموفق للصواب.

فصل الألف

مبحث في أويس القرني

هو أويس بن أنيس القرني، روي عن النبي صلى الله غليه وآله وسلم أنه قال: «خير التابعين من أمتي رجل يقال له أويس».

وعن علقمة بن يزيد قال: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين: أويس القرني، والأسود بن يزيد، وعامر بن عبد قيس، والربيع بن خثيم، وأبي مسلم الخولاني، ومسروق بن الأجدع، والحسن بن أبي الحسن البصري، وهرم بن حيان.

وكان أويس يرى أنه مجنون من حين نشأ، وكان طعامه مما يلتقط من الحشف والنوى، ولباسه مما يلتقط من المزابل من رقاع الصوف، فيغسلها ويَصِلُها ويلبسها.

روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قبض أوصى إلى علي وعمر وأصحابه وأخبرهم أنه سيخرج في أمته رجل من بعده يسمى أويس بن أنيس سيد التابعين، يشفع يوم القيامة في عدد ربيعة ومضر فيشفعه الله. فطلبه أبو بكر فلم يظفر به، فلما كان زمن عمر أتى الموسم وقال:

---

(١) اشتهر: الشهر، م ي.

يا معشر الناس من كان من أهل اليمن فليقم، فقام ناس، ثم قال: اجلسوا إلّا من كان من قرن. فجلس الناس إلّا رجلًا واحدًا، فقال له عمر: أقرني أنت؟ قال: نعم، قال: تعرف أويسًا القرني؟ قال: نعم، فوصفه له عمر فقال: وما تسأل من ذلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما بيننا رجل أجن[٢] منه ولا أذل ولا أحمق منه، فبكى عمر على المنبر ثم قال: إياك وما قلت، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن ذلك الرجل يشفع يوم القيامة في عدد ربيعة ومضر فيشفعه الله».

وروي أن عليًا وعمر أتياه فبلغاه سلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبكى ودعا لهما ودعوا له وانصرفا عنه، وكان خرج مع علي إلى حرب معاوية فقتل بصفين، وقد أورده ابن أعثم في أخبار صفين.

وروي أن أويسًا كان يقول في ليلة: هذه ليلة الركوع، فيحييها في ركعة، ويقول في ليلة: هذه ليلة السجود، فيحييها في سجدة.

وعن هرم بن حيان قال لأويس القرني: أين تأمرني؟ فأومأ إلى الشام، قلت: فكيف المعيشة بها؟ قال: أخاف لهذه القلوب لقد خالطها الشك فما تنفعها الموعظة.

وعن الربيع بن خثيم قال: أتيت أويسًا فوجدته جالسًا وقد صلى الفجر، فقلت: لا أشغله عن التسبيح، فمكث مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة، فقلت: لا أشغله عن الصلاة، حتى صلى العصر، ثم المغرب، فقلت: لا بد من أن يرجع فيفطر، فثبت مكانه حتى صلى العشاء، فقلت: لعله يفطر بعد العشاء، فثبت مكانه حتى صلى الفجر، ثم جلس فغلبته[٣] عيناه، فانتبه وقال: اللهم إني أعوذ بك من عين نوامة، ومن بطن لا تشبع. فقلت: حسبي هذا منه، ورجعت.

ونظر رجل إلى أويس فقال: ما لي أراك كأنك مريض؟ قال: ما لأويس ألا يكون مريضًا، ينام المريض وأويس غير نائم، ويطعم المريض وأويس غير طاعم.

قال هرم بن حيان: لما سمعت حديث عمر في أويس لم يكن لي هَمٌّ[٤] غير أويس، فقدمت الكوفة فطلبته، فوجدته على شاطئ الفرات يتوضأ ويغسل أطمارًا، فسلمت عليه، فرد السلام،

---

(٢) أجن: أحش، ي.

(٣) فغلبته: وحلت، م ي. مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٨٩.

(٤) هَمٌّ: همة، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٩.

ومددت يدي لأصافحه[٥] فأبى، فبكيت لما رأيته وخنقتني العبرة لرقتي له، قال هرم: فقلت: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله، فقال: يا هرم إني لم أدرك رسول الله ولم يكن لي معه صحبة، ولكني رأيت رجالًا رأوه[٦]، وبلغني من حديثه نحو الذي بلغك، وأنا أكره أن أفتح على نفسي هذا الباب أن أكون مفتيًا أو محدثًا أو قاضيًا، إن في نفسي شغلًا يا هرم.

وعن هرم قال: لما فارقته قال لي: لا أراك[٧] بعد اليوم، إني أكره الشهرة وأحب الوحدة.

وعن عبد العزيز بن أبي داود قال: كان طعام أويس ما يلتقط من النوى، وكان يقول: اللهم إني أعتذر إليك من جوع كل جائع.

وروي أنه كتب على يده خمسة أسطر ينظر فيها كل ساعة، في الأوّل مكتوب: يابن آدم لا تذنب فإنه لا طاقة لك بعذاب الله، وفي الثاني: يابن آدم أطع الله فإنه لا بد لك من طاعته، وفي الثالث: يابن آدم لا تؤذِ[٨] المحب فإنه لا ينبغي أن يؤذى، وفي الرابع: يابن آدم لا تحرق المحبوب فإنه لا ينبغي أن يحرق، وفي الخامس: يابن آدم ارض بقضاء الله فإنك عبد ولا بد للعبد من العمل.

وعنه: لو أن أحدكم لقي الله بعمل اليقين وفي قلبه حب الدنيا لم يلج ملكوت السماوات.

وقال هرم بن حيان: يا أويس أوصني، فقال: توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك إذا قمت، ولا تنظر في صغر الخطيئة ولكن انظر من عصيت، فإنك إن صغرتها فقد صغرت الله، وإن عظمتها فقد عظمت الله.

وقام رجل من مراد إلى أويس فقال: كيف الزمان عليك يا أويس؟ فقال: [كيف] الزمان على رجل إذا أصبح ظن بأن لم يمس، وإذا أمسى ظن بأن لا يصبح، مبشرًا بجنة أو نار، يا أخا مراد، إن الموت لم يدع لمؤمن فرحًا، إن عمل المؤمن بحق الله لم يدع له فضة ولا ذهبًا، وإن الأمر بالمعروف لم يدع صديقًا، يشتمون أعراضنا، ويرموننا بالعظائم، ثم يجدون لهم من الفاسقين أعوانًا، قم عني يا أخا مراد[٩].

---

(٥) لأصافحه: لأصافي، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٩.

(٦) رأوه: رواه، ي.

(٧) ألا لأراك: لا أراك، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٩.

(٨) تؤذِ: تؤذي، ي.

(٩) انظر صفة الصفوة ٢/ ٢٠.

وعن حنظلة بن وادعة قال: دخلت على أويس في شعب سداد، فسلمت عليه فلم يقدر أن يرد علي من شدة العبرة، فرد بعد جهد ثم قال: يا أخي تعلم ما أبكاني؟ أبكاني خصلتان: وقوفي بين يدي ربي للسؤال، وأجد ربي وهو يقول: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات:٢٤]، وأنا أويس الخاطئ ابن الخاطئ والناس ينسبونني إلى ما ترى، وأنا أجد الله وهو يقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، فأنت والله وأنا والله واردها، لا تنجي منها إلّا التقوى، من عرف من نفسه معصية أيجوز له أن يكون[١٠] من المتقين، وكيف أكون أنا وأنت من المتقين وقد ركنا إلى الدنيا، الراكن إلى الدنيا لا يكون متقيًا، ولا يكون مطيعًا، أوصيك ونفسي بتقوى الله، يا أخي لك عندي نصيحة، فقال: تزهد في الدنيا، فوالله ما عرف [أحد] لأويس اليوم على وجه الأرض شبرًا ولا درهمًا إلّا ثوبه الذي يستر به عورته. والخصلة الثانية: أبكاني الشفقة على إخواني الذين يأتون في القرن الثالث والرابع يزعمون أنهم زهاد، فُجّارنا اليوم أعقل منهم؛ لأن فجارنا أقروا على نفوسهم وسالموهم وتمنوا أنهم مثلهم، ومن يأتي[١١] في القرن الذي ذكرت فصالحهم المصدق منهم ينبغي له أن يهرب منهم كما نهرب من الفجار في زماننا؛ إذ علماؤهم طلبوا محمدة العامة، تقربوا إلى السلاطين[١٢] بتحسين أفعالهم، وتقربوا إلى أهل الدنيا بدنياهم، وليس فيهم شيء أبغض إليهم من داع يدعوهم إلى الحق، ذلك بأن الحق في كل زمان رفض الدنيا، يا أخي رَفْضُ الدنيا ترك الحلال، فأما الحرام فواجب تركه فريضة من الله، عليك يا أخي بالعلم ومجالسة أهل الحكمة، وأقرئ مَنْ تشاهد من إخواننا السلام ومرهم بتقوى ورفض الدنيا فإنها نجاتهم.

وكان إذا نظر إلى الرؤوس المشوية قرأ ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]، فيقع مغشيًا عليه حتى يرى أنه مجنون.

السكري: قال أويس: لأعبدنّ[١٣] الله في الأرض كما عبدته[١٤] الملائكة في السماء، فكان يقول ليلة: الليلة ليلة القيام، فيقوم حتى يصبح، وفي الليلة الثانية يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح، ويقول في الليلة الثالثة: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح.

(١٠) يكون: يقون، ي.
(١١) يأتي: جي، م ي.
(١٢) السلاطين: السلطان، م ي.
(١٣) لأعبدنّ: لأعبد، م ي. تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٣.
(١٤) عبدته: عبدت، م ي. تاريخ دمشق ٩/ ٤٤٣.

وعنه: ذكر الموت لا يدع للمؤمن فرحًا، وعلمه بكتاب الله لا يدع له ذهبًا ولا فضة، وقيامه لله بحقه لا يدع له فيها صديقًا.

وعنه: لا تعمروا دوركم في الدنيا بخراب دوركم في الآخرة، فإن الله تعالى جعل الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها.

مبحث في الأسود بن يزيد

كان الأسود بن يزيد من الزهاد الثمانية، وكان يصوم، فكان جسده يصفر مرة ويخضر أخرى، فقال له علقمة وهو عمه: لم تعذب هذا الجسد؟ وقال آخر: لو رفقت بنفسك، فقال: إنه [لو] أتاني آت من ربي فأخبرني بالمغفرة لهمني الحياء من ربي مما قد صنعت، والله إن الرجل ليكون بينه وبين أخيه الذنب الصغير فيعفو عنه فهو يستحي منه أيام حياته، فمن الله أحق أن يستحي، قد أَمَرَنَا فَتَرَكْنَا، ونهانا فركبنا، فيا ويلنا.

وكان يصوم في شدة الحر، فقيل له: لم تعذب نفسك؟ فقال: راحتها أطلب.

عبد الله بن راتب: الأسود ذهبت إحدى عينيه من الجوع والصوم.

وكان الشعبي إذا ذكر الأسود وأهل بيته يقول: هم أهل بيت خلقوا للجنة.

ومن كلامه: يا عجبًا ممن يكره أن يعصى وهو عاص لربه، ويحب أن يطاع وهو [غير] مطيع لربه.

وكان يقول: حب الله يعمر القلب عن غيره، ويصم الآذان، ويخرس الألسن، حتى لا يعقل ولا يفهم ولا ينظر ولا يسمع ولا يتكلم إلّا في ذات الله.

وعنه: الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر، فاغتنموا العمل ومهلة الأجل.

مبحث في أبي مسلم الخولاني

كان من الزهاد الثمانية، وروي أنه لم يجلس إلى أحد قط يخوض في شيء من أمر الدنيا إلّا تحول عن مجلسه، وجلس إلى قوم يظن أنهم على ذِكْرٍ[15]، فقال بعضهم: جهزت غلامًا

ذِكْرٍ: ذكره، م ي.

لي فأصاب كذا، فقال: سبحان الله هل تدرون ما مثلي ومثلكم؟ إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فنظر إلى مصراعين عظيمين فقال: إني داخل هذا البيت حتى يسكن عني هذا المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، جلست وأنا أرجو أن تكونوا على خير وعلى ذكر فإذا أنتم أصحاب الدنيا، وتحول عن مجلسهم[١٦].

وقيل له: لو رفقت بنفسك، فقال: أرأيتم إذا أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفوارسها: تودعوا وارفقوا، فإذا رأيتم الغاية فلا تستبقوا منها شيئًا؟ قالوا: بلى، قال: فإني قد رأيت الغاية، ولكل ساع[١٧] غاية، الغاية الموت، فسابق ومسبوق، وقد سُبقت وأنا في الأثر. قالوا: صدقت[١٨].

وكان يقول: ما عملت عملًا أبالي أن يطلع الناس عليه إلّا إتياني أهلي وإتياني الخلاء.[١٩]

وعنه: مثل العلماء في الأرض مثل النجوم في السماء، إذا ظهرت للناس اهتدوا، وإذا خفيت عليهم تحيروا.

وكان يكثر ذكر الله، فنظر إليه رجل فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟ فسمع أبو مسلم فقال: ليس هذا بالجنون، ولكنه دواء الجنون.

ورأى كعب أبا مسلم فقال: هذا حكيم الأمة.

مبحث في إبراهيم النخعي

كان يقال: لم يدرك الناس مثل إبراهيم.

وسئل بعضهم: إبراهيم أزهد أم الحسن؟ فقال: إبراهيم لم يظهر[٢٠] من نفسه البر والخشوع، وكان الحسن يظهر.

وذكر غير واحد من أصحاب الأعمش قال: قال إبراهيم: ما أفطرت منذ كذا وكذا إلّا على حبة من عنب.

(١٦) مجلسهم: مجلسه، ي.
(١٧) ساع: سابق، م ي. سير السلف الصالح للأصبهاني ص٨٧٢.
(١٨) سير السلف الصالح للأصبهاني ص٨٧٢.
(١٩) صفة الصفوة ٢/ ٣٧١.
(٢٠) يظهر: يزهر، م ي.

وجاء إليه رجل بعشرة آلاف درهم فأبى عليه وقال: تريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف، لا أفعل ذلك.

ولما مرض عاده أصحابه وبكوا، فقال: ما يبكيكم؟ قالوا: لما نزل بك، فقال: لا تبكوا، فوددت أنها في الحشرجة إلى أن تقوم الساعة.

حماد: كان إبراهيم يشبه المساكين، فحملت إليه من زكاة مالي فأبى أن يقبل، وقال: لا نحتاج إليه اليوم، ثم أتاني بعد أيام في منزلي فقال: ما فعل الذي حملت إليّ؟ قلت: هي مشدودة في صرة كما هي، وجئت بالصرة، ففتحها وأخذ منها درهمين ورد الباقي.

أبو بلال قال: خرج إبراهيم في ملحفة مصبغة، فقال له أصحابه: خرجت إلينا في هذا الثوب، قال: لأنه لم يكن لي ولا لأهلي غيره، وما كنت[٢١] لأدع[٢٢] الصلاة في الجماعة.

ولما احتضر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ أجزعت من الموت؟ فقال: ما لي لا أجزع ولا أبكي والساعة تنزع روحي، فلا أدري أين يذهب به، إلى الجنة أم إلى النار، فوددت أني لم تلدني أمي وأني لم أخلق، فلم يزل يردد ذلك حتى قضى نحبه.

وقيل له: إنك شاب حديث السن وقد تفقهت، قال: لأن الدنيا هانت علي وعظمت الآخرة في عيني وإني ابن عشرين سنة، ولا أعلم سنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا عن أصحابه إلّا وقد علمتها، وذلك من كمال اليقين، ودولة الزمان، وإني لأعرف في نفسي خمسة أشياء: الرياء، والشك، والهوى، والبدعة، وحب الدنيا.

ولما توفي إبراهيم قال الشعبي: ما خلف مثله.

هنيدة امرأة إبراهيم قالت: كان يصوم يومًا ويفطر اثنين.

وعن إبراهيم: كانوا إذا اجتمعوا أفضلهم عندهم أطولهم صمتًا.

مبحث في أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور

من بلخ، كان معروفًا بالزهد.

عن بعضهم: أتيت إبراهيم بن أدهم فوجدته قد صلى العشا، فقعدت أرقبه، فلف نفسه

---

(٢١) وما كنت: يومًا أكنت، م ي.

(٢٢) لأدع: أدع، م ي.

بعباءة ثم رمى بنفسه فلم يتقلب من جنب إلى جنب حتى طلع الفجر وأقام المؤذن، فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءًا، فحك في صدري فسألته عن ذلك، فقال: كنت الليل كله في رياض الجنة أحيانًا، وفي أودية النار أحيانًا، فهل ينام أحد في ذاك.

وروي أنه دعي إلى طعام، فلما أتاهم ذكروا أن فلانًا لم يحضر، فقيل: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: إنما فعل بي هذا بطني أن شهدت طعامًا يغتاب فيه المسلمون، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام، رواه مسلم بن سالم.

شقيق بن إبراهيم قال: لقيت ثمانية رجال لم أر مثلهم، تعلمت من كل واحد منهم كلمة. منهم إبراهيم بن أدهم، ورأيته أهدي إليه سلة من تين عند غروب الشمس قسمها في جيرانه، فقال له بعض أصحابه: ألا تدع لنا شيئًا؟ فقال: ألستم صوامًا؟ قالوا: بلى، قال: سبحان الله أما لكم حياء، أما لكم أمانة[٢٣]، أما تخافون العقوبة من الله بسوء ظنكم وبطول هذا الأمل إلى المساء، ويحكم اتقوا الله وأحسنوا الظن به، فما عندكم ينفد وما عند الله باق[٢٤].

ولقيه حجاج خراسان وفيهم وكيله وابنه[٢٥] وجماعة من حشمه، فتنفس وأنشأ يقول:

هجرت الخلق طرًا في رضاكَ وأيتمت العيال لكي أراكَ
ولو قطعتني إربًا فإربًا لما حن الفؤاد[٢٦] إلى سواكَ

خلف بن تميم: رأيت إبراهيم يرقع جبته بقطعة جراب.

وروي أنه كان به إسهال شديد ذريع، فقام في ليلة واحدة تسعين مرة يجدد في كل مرة وضوءه ويصلي ركعتين.

وسئل: ما حرفتك؟ قال: أما علمت أن عمال الله لا يحتاجون إلى حرفة.

وعن عثمان بن الأسود: لقيت [ابن] أبي داود فقال: ما فعل أخونا إبراهيم؟ فقلت: هو في

(٢٣) أمانة: أودع، م ي. الترغيب والترهيب ١/ ١٤٦.
(٢٤) الترغيب والترهيب ١/ ١٤٦.
(٢٥) وكيله وابنه: وكيل ابنه، م ي.
(٢٦) الفؤاد: القلب. وما أثبتناه من الهامش ي.

الشام، فقال: عهدي به وهو يركب بين يديه ثلاثون شاكِرِيًّا(٢٧) ولكنه أحب أن يبجبح(٢٨) في الجنة.

وقال حواري بن حواريّ(٢٩): رأيت إبراهيم بن أدهم عجن عجينًا فأكله وقال: الأمر أعجل من ذلك.

أبو معاوية الأسود: رأيت إبراهيم وهو يأكل الطين عشرين يومًا.

مجاهد: ما رأيت زاهدًا غير إبراهيم بن أدهم، قيل: ولا ابن المبارك؟ قال: اسكت ما رأيت مثل ابن أدهم، كان لا يشتهي أن يؤبه به ولا يظهر زهده، وكلما عرف في مكان تحول عنه.

وقيل له: من أنت؟ قال: الذي أرقع دنياي بآخرتي بتمزيق ديني، فلا يبقى لي ما رقعته، ولا أعذر في تمزيق ديني، وعما قليل يأخذني الندم.

ودخل إبراهيم مع صاحب له على حجام ليحلق رأسهما، فحقرهما، فلما حلق إبراهيم دفع إليه دينارًا، فقيل له في ذلك، فقال: إنه لا يحقر بعدها فقيرًا. وتوانى ليلة عن القيام ثم انتبه، فخرج فأخذه العسس، فمروا به على باب دار فيه عروس فخرجوا، وقالوا: هذا إبراهيم بن أدهم، فخلوا سبيله وأدخلوه وأقعدوه على السرير، فضحك وقال: توانيت عن وردي فأخذت أخذ اللصوص، ثم [أخذت] وأقعدت على سرير العروس.

إبراهيم قال: سلكت أرضًا مملوكة، فقال صاحبها: ارجع يا حمار، فقعد يبكي، فقيل له: لم تبكي؟ قال: سلكت طريقًا غير طريقي فسُلب(٣٠) عني اسم الإنسانية، فأخشى إن سلكت في الدين طريقًا غير ما أمرت به أن أسلب اسم الإيمان.

وحكي أنه قطع البادية في سبع سنين، فما رفع قدمًا إلّا سجد لله سجدة ليكون فرقًا بين [من] يمشي على رجله وبين [من] يمشي على وجهه.

شعر:

ولـو قـدرت علـى الإتيـان زرتكمـا　　سـحبًا على الوجه أو مشيًا على الراس

(٢٧) والشاكري: الأجير. تاج العروس (شكر). انظر تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٣.
(٢٨) يبجبح: يتبجح، ي. انظر تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٣.
(٢٩) حواري بن حواريّ: حوار بن الجرار، م ي. انظر تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٨.
(٣٠) فسُلب: فسلبت، ي.

متلف بن تميم قال: كان إبراهيم كريم الحسب، وكان من بني عجل، وما سُمع[٣١] يذكر العشيرة قط.

وعن إبراهيم: من كان نفسه لا تحب الدنيا فأهل الأرض يحبونه.

مبحث في أنس بن سيرين

كان أنس بن سيرين من الزهاد المجتهدين، روي أنه كان يتعبد ويسجد حتى ثقب الأرض موضع سجوده.

وكان يطيل بكاءه ويكثر سجوده حتى تجتمع الدموع عند سجوده، وكان يقول: الأمان الأمان يوم الفزع الأكبر، ويبكي.

مبحث في أبي ميسرة

من الكبار المجتهدين، وروي أنه كان إذا آوى إلى فراشه علا صوته بالبكاء، فقالت زوجته: لم تبكي يا أبا ميسرة؟ فقال: إن الله قد بين لنا أنا واردون النار، ولم يبن لنا أنا صادرون عنها[٣٢]، فلأجل ذلك أبكي، فإني لا أدري أخارج أنا من النار أم بارك فيها، فكان يبكي وينوح الليل كله، ويمنع أهله من النوم.

وكان من كلامه في الليل: يا ليت أمي لم تلدني، فقالت امرأة: أليس الله قد هداك وفعل وفعل؟ فقال: نعم، ولكن يبن لنا أنا واردون النار، أعاد كلامه.

مبحث في إسرائيل بن يونس[٣٣]

كان إسرائيل بن يونس زاهدًا، عالمًا، حافظًا.

قال سفيان: لم نر أخشع منه وأخذ الخشوع منه، وكان ذا تفكر وورع، ربما يأتيه الناس وهو لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله، ذهب به الفكر في أمر آخرته، فعلمت أنه رجل ترك الدنيا، ليس بينه وبينها عمل، جعل همه همًا واحدًا، وكان من التابعين.

---

(٣١) سُمع: سمعه، م ي. روض الأخيار ص٤٢٤.

(٣٢) صادرون عنها: صارون منها، م ي. انظر الزهد للسريّ ١/ ١٦٤.

(٣٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٧١.

مبحث في أبي ريحانة

كان أبو ريحانة من الزهاد، وكان مستجاب الدعوة.

عن فروة قال: ركب أبو ريحانة البحر، فاشتد عليهم، فقال: اسكن إنما أنت عبد حبشي، فسكن البحر، وجعل يخيط في السفينة، فوقعت إبرته في البحر، فقال: أقسمت عليك يا رب إلّا رددت علي إبرتي، فظهرت له على الماء حتى أخذها.

حبيب(٣٤) بن عبيد قال: كان أبو ريحانة مرابطًا بالجزيرة، فاشترى من نبطي رسنًا بأفلس، ولما قفل(٣٥) منها ودنا من حمص قال لغلامه: هل دفعت فلوس صاحب الرسن؟ قال: لا، فنزل وقال لصاحبه: أحسنوا(٣٦) معونة الغلام، فقيل له: ما الذي تريد؟ قال: أرجع وأؤدي أمانتي، قيل: إن صرفت غلامك؟ قال: لا آتمن على ديني أحدًا.

مبحث في أبي محمد الأسديّ

وكان أبو محمد الأسدي من الزهاد الكبار، وروى الثقات أنه لم يضع جنبه على الأرض أربع سنين.

ونظرت امرأته إلى مصلاه يومًا فإذا دموعه مقدار كف قد خرج من عينيه في سجوده، فقالت امرأته لابنه: اغسل يدك من أبيك فإنه ليس ينظر إلي ولا إليك بعد اليوم.

وروي أنه مر برجل يقرأ: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣]، فغشي عليه وسقط عن حماره، فقام عليه أصحابه طويلًا حتى أفاق، فحملوه على دابته، فلما بلغ المنزل دعا بماء فغسل وجهه ثم رقد ساعة، ثم مرض منها، فلم يزل مريضًا حتى مات.

مبحث في أسلم العجليّ

كان من الزهاد، بلغنا أنه عاهد الله(٣٧) أنه لا يضحك حتى يعلم أين مصيره، إلى الجنة أم

(٣٤) حبيب: جندب، م ي. تهذيب الكمال ١٢/ ٥٦٤.
(٣٥) فقفل: قل، م ي. تهذيب الكمال ١٢/ ٥٦٤.
(٣٦) أحسنوا: احتسبوا، م ي. تهذيب الكمال ١٢/ ٥٦٤.
(٣٧) الله: له، م ي. التخويف من النار لابن رجب ص ٤٠.

إلى النار، فلم يزل ذلك حاله مغمومًا محزونًا لم ير ضاحكًا حتى فارق الدنيا، وكان من أطول الناس همًا وحزنًا، وكان يتعبد عبادة حسنة.

مبحث في إبراهيم التيمي

وكان إبراهيم التيمي من المجتهدين، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وروي عن ابن حوشب قال: رأيت إبراهيم التيمي ملقى بواسط على باب المسجد مقيدًا قد أكل القيد بعض رِجْلِهِ، وكان يقل الأكل ويكثر الجوع، ويعظ الناس ويبكيهم(٣٨).

وروى الأعمش عنه أنه قال: لم آكل منذ شهر، قلت: منذ شهر؟ قال: ولا منذ شهرين إلّا أن إنسانًا ناشدني [الله] على عنقود فأكلته، فاشتكيت بطني.

وروي أن حبيب بن أبي ثابت دعي له إبراهيم النخعي وإبراهيم التيمي وزر بن عبد الله وسلمة بن كهيل وغيره من وجوه القراء، فأمروا إبراهيم التيمي أن يقص، ففعل، وحضرت الصلاة، فصلوا في البيت جماعة ولم يخرجوا إلى المسجد.

وعنه قال: إني لأجلس من أهلي أريدها فأذكر الموت فتكون هي أبعد مني وأنا أبعد منها بُعْدَ ما بين السماوات والأرض.

وكان يقول: أتمنى أن أرى رجلًا فيه ثلاث خصال: أحدهن أن يخاف(٣٩) الغنى كراهة أن يكون(٤٠) مسؤولا، والثانية: ألا يهتم(٤١) بنيلها خوفًا من عاقبتها، والثالثة: أن يفرح(٤٢) بفوتها اغتنامًا للسلامة(٤٣) منها.

وقال رجل له: هل أصبحت قط إلّا قلت حتى أمسي؟ قال: نعم، قال: فهل أمسيت قط إلّا قلت حتى أصبح؟ قال: نعم، قال: فأنت والله لا تريد أن تموت أبدًا، قال إبراهيم: فما كنت [أدري] أني لا أريد أن أموت حتى أخبرني هذا الرجل.

---

(٣٨) يبكيهم: يعظهم، ي.
(٣٩) يخاف: تخاف، م ي.
(٤٠) يكون: تكون، م ي.
(٤١) ألا يهتم: أن تهتم، م ي.
(٤٢) يفرح: تفرح، م ي.
(٤٣) للسلامة: السلام، م ي.

مبحث في أيوب السختياني

أيوب عابد مستجاب الدعوة.

روي أنه خرج حاجًا مع نفر من أصحابه، فنزلوا في الليل ببعض الطريق، فلما استراحوا قال أصحابه: لو كان هاهنا ماء كنا نتوضأ ونأخذ في الصلاة، فقال: هل تكتمون؟ قالوا: نعم، فرفع يده وقال: اللهم ارزقنا، فإذا هم بعين من ماء فتوضأوا(٤٤) وصلوا.

وأثني عليه يومًا فقال: اللهم إنك تعلم أني أكره ما يقولون(٤٥).

وكان إذا هاج دمعه قال: ما أشد الزكام.

وعنه: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل.

مبحث في الأوزاعي

العباس بن الوليد: سمعت أبي يقول: دخلت يومًا على الأوزاعي، فرأيت مصلاه مثل مبال الصبي، فقلت لجاريته: فعل الله بك غفلت عن الشيخ حتى بال الصبي في مصلاه، فقالت: ما أغفلك، إنه كان يصلي ويبكي في سجوده حتى يصير كل ليلة مثل هذا.

وكان الأوزاعي يقول: من كان الله غايته استغنى به عن كل مخلوق.

وكان يقول: إنما أهلك(٤٦) الأمراء شدة الحجاب وقلة المشورة.

وكان يقول: كان العلم كريمًا يتلاقاه(٤٧) الرجال فيما بينهم حتى وقع في الصحف(٤٨)، فدخل عليه غير أهله.

وعنه: من عمل بما يعلم كان حقًا على الله أن يعلمه ما [لا] يعلم، ويوفقه فيما يعمل حتى يستوجب به الجنة، ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم، ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب به النار.

---

(٤٤) فتوضأوا: توضأوا، م ي.

(٤٥) يقولون: تقولون، م ي.

(٤٦) أهلك: هلك، م ي.

(٤٧) يتلاقاه: فتلقاه، م ي. تاريخ دمشق ٣٥/ ١٨٨.

(٤٨) الصحف: المصحف، م ي. تاريخ دمشق ٣٥/ ١٨٨.

مبحث في أبي داود الفارسي

كان بنجران، وكان من عباد الله الصالحين، وكان دأبه أن يحضر المسجد قبل نصف النهار، فيفتتح صلاته باثنتي عشرة ركعة خفاف، يقرأ في كل ركعة بـ(أم الكتاب) و(قل هو الله أحد)، ثم يصلي الفرض أربع ركعات مع الإمام، ثم يفتتح بعدها ركعتين يطيل فيها القيام والركوع والسجود حتى ينادى بالعصر، فيقوم فيصلي اثنتي عشرة ركعة خفافا، ثم يصلي العصر ويستقبل القبلة ثم يقرأ القرآن إلى المغرب، فإذا صلى المغرب ركع اثنتي عشرة ركعة خفافا، ثم يصلي ركعتين [يطيل] فيها القراءة والسجود إلى العشاء الآخرة، فإذا أذن بالعشاء الآخرة صلى اثنتي عشرة ركعة خفافا، ثم يصلي أربعًا للفرض، ثم بعدها أربعًا أخرى، ثم ينصرف(٤٩).

مبحث في إسماعيل

كان إسماعيل من العباد، يصلي الليل والنهار، ولا ينسى الاجتهاد حتى ورم ساقاه، فتغير يومًا أو يومين حتى يخفف عنه ثم يعود في اجتهاده، ويفطر في السحر من السحر إلى السحر على أقط(٥٠).

وكان إذا سافر ذهب حتى يكون أول القطار فيركع ركعتين حتى إذا بلغ آخر القطار صنع مثل ذلك، فلا يزال ذلك صنعه إلى أن ينزل، فيعتزل في بعض الأودية ويصلي حتى الرحيل، وكان إذا أتى مكة قام خلف المقام يصلي حتى يسيل(٥١) من منخريه(٥٢) الدم.

مبحث في أبي عبد الله التيمي

روي عن بعضهم قال: أدركت أبا عبد الله التيمي في صحراء بيت المقدس وهو قائم يصلي، عليه جبة صوف بغير رداء ولا إزار، فسلمت فردّ(٥٣) السلام، فقال لي: من الرجل؟ فقلت: محب لك أطلبك منذ سنين، قال: فبكى وقال: أمثلي يزار، أمثلي يُطلبُ، أخاف أن الله قد عجل

---

(٤٩) ينصرف: يتصرف، م ي.

(٥٠) أقط: قط، م ي.

(٥١) يسيل: ينحل، م ي.

(٥٢) منخريه: منحريه، ي.

(٥٣) فردّ: فرج، م ي.

حسناتي وقد حل بي الويل، قال: فرأيته سبعة أيام ولياليهن لا ينتقل من الصلاة، ولم أره يذوق شيئًا، فقلت: رحمك الله لا أراك تأكل، ولا أراك تضعف عن العبادة والصلاة، فقال: إن عشت ستراني، قلت: إلى متى؟ قال: إذا مضى من الشهر نصفه فستراني آكل أكلة ثم آكل رأس الشهر أكلة أخرى.

مبحث في أبي العباس

لم يَر أزهد منه، وكان يأكل الخرنوب فقيل: ما يمنعك مما يأكل الناس؟ فقال: وما يأكلون؟ قال: يأكلون ألوان الطعام، قال: إن همهم الحلال ما قدروا على أكل الخرنوب فقد فسدت تجارات الناس ومكاسبهم، فلم أر شيئًا أحل من الخرنوب، ينبت في الجبال، ليس عليه خراج، ولا يدعي أحد غراسه، قيل: فمذ كم هذا طعامك؟ قال: وما أنت في ذاك؟ وقد ذكر بأنه كان يأكله خمس عشرة(٥٤) سنة.

وكان يصلي في يوم وليلة ستمائة ركعة، وكان يأمر وينهي.

مبحث في أبي الحسن الكرخي

لم يعهد الناس في زمانه أخشع من أبي الحسن ولا أرق منه من الفقهاء.

عن بعضهم: استأذنت عليه يومًا فأذن لي، فدخلت فإذا هو يصلي خاشعًا في صلاته، فسلمت وجهرت به، ثم تنحنحت وقلت: إني جئت زائرًا، فما التفت إلى قرب الظهر، ثم أوجز والتفت إلي وقال: أدن من أنت؟ فدنوت منه وأنا هائب، فقال: مس ساقي، فإذا عرق بارد، قال: كنت خلوت يومي فاحتال الشيطان فأدخلك علي.

وروي أنه دعي إلى عشاء مع إخوان له فقال: لم دعوتني؟ قال: رجاء أن تكون رجلًا صالحًا، فأخذ في البكاء وهو يقول: آكل(٥٥) بديني؟ آكل(٥٦) بديني؟

وكان لا يدخل مُحْدِثًا بيتًا فيه مصحف. وقرأ على بعض الأساكفة القرآن، فوضع له وسادة فانقطع، فأتاه وسأله، فقال: أردت أن أخدم القرآن فإذا أنت تخدمني، لا أريد.

---

(٥٤) خمس عشرة: خمسة عشر، م ي.
(٥٥) آكل: كلوا، م ي.
(٥٦) آكل: كلوا، م ي.

مبحث في أبي إسحاق الأزرق

كان يقول: وددت أن هذا البطن كف عني شَرَّه وكنت لا أحدث.

وروى جماعة أنه لم يضع جنبه على الأرض أربعًا(٥٧) وعشرين سنة، كان يحيي الليل كله في ركعتين، وكان يصوم النهار.

وقيل للراوي: في كم كان يفطر؟ قال: في خمسة عشر يومًا، فله في كل شهر أكلتان، وكان تشتد عليه مكالمة الناس، ولم يكن شيء أحب إليه من الصمت، وكان قد استوحش الناس.

مبحث في أبي إسرائيل الحمصي

عن سليمان بن عطاف: أن أبا إسرائيل الحمصي كان يسبح كل يوم ثلاثمائة تسبيحة، وكان كثير الصلاة، كثير التسبيح، كثير الدعاء.

مبحث في أحمد بن حرب

اشتهر بالزهد والعلم، وله تصانيف كثيرة وكلام حسن، وقبره مشهور مزور بنيسابور.

ومن كلامه: القوت كثير لمن يموت، يابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك.

وعنه: عجبًا لمن يعلم أن الجنة تزين فوقه، والنار تسعر تحته مذ دهور، فينام ما بينهما.

وعنه: كم من مقبور نادم، وكم من مقبور غانم.

وعنه: أسفارنا في الدنيا فيها ثلاثة أشياء ليس منها في سفر الآخرة شيء: مواساة الإخوان، والاستقراض من الحلال، والشراء بالأيمان، فإن لم يكن شيء منها فلا يمنع من التردد والرجعة، والعجب ممن يريد سفر المعاد بلا زاد، والعجب منا والواحد منا إذا أظله الله بسخطه(٥٨) في ذلك لم(٥٩) يدفع عن نفسه شدة يوم النشور، وورود النار، عسى أن يكون مبتدأ(٦٠) ذلك في القبر.

(٥٧) أربعًا: أربع، م ي.

(٥٨) أظله الله بسخطه: الا وسه، م ي.

(٥٩) لم: لما، م ي.

(٦٠) مبتدأ: مشتاه، م ي.

مبحث في إياس بن معاوية

قيل لإياس بن معاوية: من لم يعرف عيبه فهو(٦١) أحمق فما عيبك؟ قال: كثرة الكلام.

وكان يقول: لا تنظر إلى ما يصنع العالم فربما(٦٢) يصنع الشيء ويكرهه، ولكن سله يخبرك [بالحق](٦٣).

وعنه: حسن الفعل أولى بالرجل من حسن القول.

مبحث في أبي حفص الحيري

كان من الزهاد، وروي أنه اشترى خبزًا ولحمًا ودفعه إلى كلب قد ذهب شعره، ودهنه بدهن ورد، فسئل عن ذلك؟ فقال: إنه من جنس قد صحب الفتيان، فأردت أن أحفظ حرمتهم فيه؛ يعني كلب أصحاب الكهف.

وقيل: إن فلانًا من أصحابك يدور حول السماع أبدًا، وإذا سمع بكى وهاج ومزق ثيابه، فقال: إيش يعمل الغريق، يتعلق بكل شيء، المسكين يظن أن فيه نجاته.

مبحث في أبي تراب النخشبي(٦٤)

روي عنه أنه قال: ما تمنيت قط إلّا مرة، تمنيت خبزًا وبيضًا، فعدلت عن الطريق ودخلت بلدًا، فتعلق بي واحد وقال: هذا كان مع اللصوص، فبطحوني وضربوني سبعين سوطًا، فوقف رجل ونظر إلي فصاح(٦٥) وقال: هذا أبو تراب، فأقاموني واعتذروا، وأدخلني واحد المنزل وقدم إلي الخبز [والبيض]، فقلت: هذا ولكن بعد سبعين جلدة.(٦٦)

وعنه: من كان غناه بالمال فهو مقتر، ومن كان غناه بالقلب لم يزل غنيًا، ومن كان غناه بربه دخل في خير لا يوصف.

---

(٦١) عيبه فهو: عينه فهي، ي. رسائل ابن رجب ٣/ ٥٥.
(٦٢) فربما: مما، م ي. أخبار القضاة لابن خلف ١/ ٣٥٠.
(٦٣) انظر أخبار القضاة لابن خلف ١/ ٣٥٠.
(٦٤) النخشبي: الحسبي، م ي. الرسالة القشيرية ١/ ٧١.
(٦٥) فصاح: فصال، م ي. الرسالة القشيرية ١/ ٧١.
(٦٦) الرسالة القشيرية ١/ ٧١.

مبحث في أحمد بن أبي الحواري

عن محمد بن خالد قال: ربما افتتح أحمد بن أبي الحواري الصلاة أول الليل فيقول: أعوذ بالله، فلا يجوز حتى يصبح.

وعن يحيى بن معين: ما أظن أهل الأرض يسقون إلّا بابن أبي الحواري.

وسئل أحمد عما يزيل المعرفة عن القلب؟ فقال[٦٧]: الغفلة، واللهو، والشهوة، والطمع، والغضب.

وعنه: من كان أعقل كان بالله أعرف، ومن كان له أعرف كان منه أخوف.

وعنه: انقطع إلى الله تكن زاهدًا صادقًا، متوكلًا مستقيمًا، عارفًا ذاكرًا، مستجيرًا خائفًا، راجيًا راضيًا.

وعنه: بئس المطايا الذنوب والخطايا.

وعنه: مررت براهب فوجدته نحيفًا، فقلت: أعليل[٦٨] أنت؟ قال: نعم، قلت: مذ كم؟ قال: منذ عرفت نفسي، قلت: هلّا داويته؟ قال: كثيرًا ما داويته فلم يشفه، وقد[٦٩] أعياني، وقد عزمت[٧٠] على الكي، قلت: وما الكي؟ قال: الكي مخالفة النفس.

مبحث في أحمد بن خضرويه[٧١]

روي أن بعض الزهاد حضر بيت أحمد بن خضرويه[٧٢] البلخي، فاستأذن عليه بعض الأغنياء، فأذن له وهو في شهر رمضان يفطر على خبز يابس وملح، فلما رجع إلى منزله بعث إليه بألف دينار، فرده إليه وقال: هذا جزاء من أفشى سره إلى مثلك[٧٣].

(٦٧) فقال: فقالت، م ي.

(٦٨) أعليل: أعليلًا، ي. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٤١٨.

(٦٩) قد: قيل، م ي. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٤١٨.

(٧٠) عزمت: عرضت، م ي. الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ١/ ٤١٨.

(٧١) خضرويه: حصرونه، م ي. طبقات الصوفية للنيسابوري ص٩٧.

(٧٢) خضرويه: حصرونه، م ي. طبقات الصوفية للنيسابوري ص٩٧.

(٧٣) طبقات الصوفية للنيسابوري ص٩٧.

وعاش خمسًا وتسعين سنة.

ولما احتضر سأله بعض أصحابه عن مسألة، فدمعت عيناه وقال: يا بني باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة، فهو ذا يفتح لي الساعة لا أدري أيفتح بالسعادة أم بالشقاوة، فأنى أوان الجواب.

مبحث في أبي سعيد الخرّاز(٧٤)

من كلامه في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها»، فقال: وا عجباه ممن لم ير محسنًا غير الله كيف لا يميل بكليته إليه.

مبحث في أبي عثمان الحيري

عن أبي عثمان الحيري: أصل العداوة من ثلاثة أشياء: الطمع في أموال الناس، والطمع في إكرام الناس، والطمع في قبول الناس.

وعنه: لا يكمل الرجل حتى يستوفي قلبه في(٧٥) أربعة أشياء: في المنع والعطاء، وفي العز والذل.

وقالت مريم امرأة أبي عثمان: كنا نؤخر(٧٦) الضحك واللعب والحديث إلى أن يدخل أبو عثمان في ورده من الصلاة، فإنه كان إذا خلا بربه لم يحس بشيء من الحديث وغيره.

مبحث في أبي عبيد الله بن الجلاء(٧٧)

كان بذي الحليفة يريد الإحرام، فتوجه إلى القبلة وقال: يا رب أريد أن أقول: لبيك، فأخشى أن تجيبني بلا لبيك، فردد ذلك مرارًا ثم قال: اللهم لبيك، اللهم لبيك. وطولها وخرجت نفسه.

وروي أنه قال لوالديه: أحب أن تهباني من الله، قالا: وهبناك، فغاب مدة ثم رجع ودق

(٧٤) تاريخ بغداد ٥/ ٤٥٤.
(٧٥) قلبه في: في قلبه، م ي. سير أعلام النبلاء ١١/ ٤٢.
(٧٦) نؤخر: نوقر معه، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٣٠١.
(٧٧) الرسالة القشيرية ١/ ٨٤.

الباب، فقالا: من ذا؟ قال: ابنكما محمد، فقالا: كان لنا ولد وهبناه من الله، ونحن عرب لا نسترجع ما وهبنا.

مبحث في أبي جعفر أحمد بن حمدان

من كلامه: جمال الرجل في حسن مقاله، وكماله في صدق فعاله.

مبحث في أبي بكر الأبهري

كان يودع الكعبة ويقول:

ألا رُبَّ مَنْ يدنو ويزعم أنه ... يحبك، والنائي أود وأقربُ

وسأله رجل عن أي نية أعظ الناس؟ فقال: لم أعلم أن المعصية تحتاج إلى نية.

مبحث في أبي يعقوب الجزري

من كلامه: روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين وإن كتموها، وتظهر عليهم دلائلها وإن أخفوها، وتدل عليهم وإن ستروها.

مبحث في أبي الصهباء

هو أبو الصهباء زوج معاذة العدوية.

لما زفت إليه معاذة دخل الحمام وتنظف وتطيب وقام فصلى حتى أصبح، فأتاه ابن أخيه فقال: يا عم أهديت إليك ابنة عمك فقمت تصلي وتركتها، فقال: إني دخلت بيتًا فذكرني بيتًا فيه النار، فقمت أستعيذ بالله منها، ثم دخلت بيت الفراش فذكرت فيه الجنة، فقمت أسأل الله ذلك.

فصل الباء

مبحث في بشر بن الحارث الحافي(٧٨)

هو أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، سمي الحافي لأن الحسن مر ببابه وهو يشرب مع قوم، فقال لجاريته: أهذا حر أم عبد؟ فقالت: حر، فقال: لذلك يفعل فعل الأحرار، فسمع بشر فقام حافيًا حاسرًا، فقال: بل عبد أيها الشيخ، ووضع التراب على رأسه، وتاب، فإذا قيل له: لم لا تلبس الخف؟ قال: صالحني ربي وأنا حاف فلا أتغير. وقد ذكرنا في باب المقامات خبره مع المأمون.

وروي أنه رأى عليًّا عليه السلام في المنام فقال: يا أمير المؤمنين عظني، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أحسن عطف الأغنياء على الفقراء طمعًا في ثواب الله، وأحسن من ذلك [تيه](٧٩) الفقراء على الأغنياء ثقة بالله، فقال: زدني، فقال عليه السلام:

قد كنت ميتًا فصرت حيا ... وعن قريب تصير ميتا
أعيى(٨٠) بدار الفناء بيت ... فابن بدار البقاء بيتا

يحيى بن أكتم قال: قال لي المأمون يومًا خرجنا إلى بشر بن الحارث(٨١) ننظر إليه، قال يحيى: فلما بلغنا منزله دققت الباب، فقال: من ذا؟ قلت: من تجب عليك طاعته، قال: ففكر ثم قال: أفتح طائعًا أو مكرهًا؟ قال المأمون: انصرف، فما في هذا الشيخ مطمع، يا يحيى إن قلنا: افتح طائعًا، قال: لا حاجة في ذلك، وإن قلنا: مكرهًا، فلم نجئ لنكرهه(٨٢)، فانصرفنا ولم نره.

قال يحيى: لما أدخل الفقهاء على المأمون للكلام في القرآن جاءوا ومعهم بشر بن الحارث، فلما نظر إليه المأمون تغير لونه وارتعد وقال: ويلكم مَنْ أمركم [أن] تعرضوا لهذا الشيخ، ردوه مكرمًا، وقال له: انصرف صانك الله.

---

(٧٨) الرسالة القشيرية ٢/ ٥٦٣.
(٧٩) تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٢.
(٨٠) أعيى: عزّ، م ي. تاريخ بغداد ٩/ ٤٣٢.
(٨١) الحارث: الحرث، م ي. الرسالة القشيرية ٢/ ٥٦٣.
(٨٢) نجئ لنكرهه: يجي لمكرهه، م ي.

وعن مُحَّمد بن علي الرضا قال: لم تر عيناك مثل بشر بن الحارث.

أحمد بن حرب: ما أشبه بشر إلّا بعامر بن عبد قيس، مات ولم يخلف شيئًا، ومات بشر ولم يخلف شيئًا.

ومن كلامه: لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد.

وعنه: الدعاء ترك الذنوب.

وعن ابن أبي الدنيا قال: قال رجل لبشر: لا أدري بأي شيء آكل خبزي، قال: اذكر العافية واجعلها إداما(٨٣).

وعنه: إن لم تطع فلا تعص.

وعنه: حبك بمعرفة الناس رأس محبة الدنيا.

وصحبه رجل في سفر فتقدم إلى بئر ليشرب، فجذبه بشر، وقال: تشرب من البئر الآخر، حتى جاوز ثلاثة آبار، فقال له الرجل: يا أبا نصير أنا عطشان، فقال له بشر: هكذا ندافع الدنيا

وقال له رجل: بأي شيء آكل خبزي: قال: اذكر العافية(٨٤) واجعلها إدامك.

مبحث في بلال بن سعد(٨٥)

من كلامه: عباد الله، إنكم تعملون في أيام قصار لأيام طوال، وفي دار زوال لدار مقام، وفي دار نصب وحزن لدار نعيم وخلد، ومن لم يعمل على اليقين فلا يتعنّ(٨٦).

وعنه: كما ترجون رحماء الله بما تأتون من طاعته، فأشفقوا من عذابه بما تأتون من معصيته.

وعنه: عباد الله، هل جاءكم خبر أن شيئًا من طاعاتكم قبلت منكم؟ أو شيئًا من خطاياكم غفرت لكم، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ(٨٧) أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

---

(٨٣) إداما: دامك، م ي. طبقات الأولياء ص١١٣

(٨٤) العافية: الآخرة، م ي. طبقات الأولياء ص١١٣، والرسالة القشيرية ١/ ٥٠.

(٨٥) سعد: سعيد، م ي. صفة الصفوة ١٠/ ٤٩٣.

(٨٦) يتعنّ: يتعين، م ي. صفة الصفوة ١٠/ ٤٩٣

(٨٧) في م ي: أم حسبتم. وما أثبتناه من المصحف.

وعنه: زاهدكم راغب[٨٨]، وعابدكم[٨٩] مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر.

وعن بلال بن سعد قال: أدركت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا يشتدون بين الأغراض[٩٠]، فإذا كان الليل كانوا رهبانًا، فما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون؟

وعنه: كلمة في الحكمة يقبلها المرء [ويعمل بها] خير [له] من الدنيا لو كانت له فجعلها في الآخرة[٩١].

مبحث في بكر بن عبد الله المزني

ومن كلام بكر بن عبد الله المزني: اجتهدوا في العمل، فإن قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي.

وعنه: إني لأخرج من بيتي فما ألقى أحدًا إلّا رأيت له الفضل عليّ؛ لأني من نفسي على اليقين، ومن الناس على شك.

ووقف بعرفات والناس يدعون فقال: ما أشرفها من مكان وأرجاها لولا أني فيهم.

وكان حسن الجسم، لين الثياب، طيب الريح، وكان كثيرًا ما يقول: لا أدري، فقلنا له في ذلك، فقال: لأن أقول: ما أدري أحب إلي من أن أقول بغير علم.

وعنه: أعيش عيش الأغنياء، وأموت موت الفقراء.

وعنه: يابن آدم خلِّ بينك وبين المحراب، كلما أردت الدخول على الله دخلت ليس بينك وبينه ترجمان وحاجب.

مبحث في بشير الرحال

كان بشير الرحال من زهاد البصرة، وسمي رحالًا؛ لأنه كان يشد رحله سنة إلى حج وسنة إلا غزو.

---

(٨٨) راغب: قاصر، م ي. الزهد لابن حنبل ص٣١٢.

(٨٩) وعابدكم: وعائدكم، م ي. الزهد لابن حنبل ص٣١٢.

(٩٠) يشتدون بين الأغراض: يستدون بين الإعراض، م ي. الزهد لابن حنبل ص١٧١، وصفة الصفوة ٢/ ٣٧٧.

(٩١) أخلاق العلماء للآجري ص٧١.

وخرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام، فلما قُتل إبراهيم استند إلى بشير وقضى نحبه، وبشير يردد: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨].

ودخل بشير أسيرًا على المنصور فقال: يا بشير أنسيت الصحبة وطول العشرة؟ فقال: نسيت لنسيانك كتاب الله وسنة نبيه، فقال: خرجت مع إبراهيم؟ فقال: لو خرجت عليك ذرة لخرجت معها، فقال: خذوه، فقال: يا أبا جعفر إن بعد أخذك هذا لأخذًا، فانظر لمن تكون العاقبة. ثم قتل بين يديه صبرًا. وله أخبار مذكورة في أخبار المتكلمين.

مبحث في بكر بن حنيش

قال شفيق: أخذت من بكر بن حنيش مداومة ذكر الله بلسانه من غير صلاة ولا صيام في خشوع كبير، ومعرفة بغرور الدنيا، وضبط النفس من الشهوات إلّا ما لا بد منه.

وعن شفيق: سمعته يقول: الدينار والدرهم ليسا من النعيم الذي أحب الله لعباده فقال: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات:٣٣]، إنما هو شيء ابتلى الله الناس بهما، وإن الله تعالى خلق الذهب والفضة أوتادًا للأرض، والناس لم يرضوا بذلك فأخرجوهما من الأرض، وجعلوهما حليًا لنسائهم وأولادهم، فافتتنوا حتى صاروا أشهى عند كثير من الناس من قول: لا إله إلّا الله.

مبحث في بشار

وكان بشار كثير الاجتهاد، كثير الصلاة، وإذا دخل رمضان يحيي الليل كله.

مبحث في بكر الدامغاني

كان بكر[٩٢] الدامغاني من الزهاد، وروى جماعة أنه كثير الصلاة، وإذا دخل فيها اشتغل عن غيرها.

وعن سفيان الثوري: ما رأيت أحدًا طلب هذا العلم لله غير الدامغاني.

---

(٩٢) بكر: بكثر، ي.

فصل في التاء

مبحث في تميم الداري

حدثنا الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن ابن سيرين أن تميما كان يحيي الليل كله بالقرآن في ركعة واحدة.

وعن مسروق قال: قال لي رجل بمكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، ما زال يقرأ بآية ويبكي حتى أصبح: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ إلى قوله: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١].

مبحث في تاجر شاب

روي أنه كان تاجر شاب يختلف إلى علماء التابعين، فعاتبته امرأته وقالت: تركت السوق والتجارة، فحلف لا يفتح باب دكانه أربعة أشهر، واشتغل بالعلم والعمل، فلما فتح الباب بعد الأربعة أشهر جاءت امرأة بطشت من شِبَةٍ[٩٣] فاشتراه بأربعة دراهم وكسره، فإذا الطشت ذهب، فصاح خلف المرأة: دلستني، الطشت من ذهب، قالت: لم أدلس فإن صيرها الله لك ذهبًا فهنيئًا لك، فقال: لا أقبل، وقالت: لا أقبل، وتخاصما إلى أمير المؤمنين، فقال للرجل: خذه فإنه رزق ساقه الله إليك، فقال: لا حاجة لي فيه، فقال للمرأة: خذي الطشت وردي المال،[فأبت، فأتى بالدراهم] ودفعها إلى الرجل وألقى الطشت في بيت المال.

فصل في الثاء

مبحث في ثابت البناني

عن أنس بن مالك: للخير مفاتيح، وإن ثابتًا لمن مفاتيح الخير.

وهو من الزهاد الثمانية الذي قال علقمة: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين.

جعفر بن سليمان قال: حدثني بعض جلساء ثابت أن أنس بن مالك أوصى لثابت بمثل نصيب بعض ولده، فأبى ثابت أن يقبل.

(٩٣) الشَّبَةُ: ضرب من النحاس. الصحاح (شبه).

وعن جميلة أم ولد أنس بن مالك قالت: كان أنس بن مالك إذا جاءه ثابت البناني قال لي: يا جميلة هاتي طيبًا أمسح به يدي، فإن ابن أم ثابت إذا جاء لم يرض حتى يقبل يدي.

حماد بن زيد، عن أبيه[٩٤]، عن أنس قال: إن للخير مفاتيح وإن ثابتًا مفتاح من مفاتيح الخير.

وقال طبيب لثابت: إن ضمنت لي بترك ثلاثة ضمنت لك بُرْءَ عينك: إكثار البكاء، ودوام الصوم، وبطول السجود. فبكى ثابت فقال: أي خير في الحياة بعد هذا.

وعن ثابت: كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة. حدثني به الشيخ الإمام بإسناده عنه قال: والله لحمل الكارات[٩٥] أيسر من العبادة.

وعن سهل بن أسلم: كان ثابت يصلي كل ليلة ثلاثمائة ركعة، وإذا أصبح وقد ورم قدماه فيأخذهما ويقول: مضى العابدون وقطع بي، وا لهفاه، وبكى حتى خافوا على عينه.

بقية: كنا مع ثابت بين القبور فقال: انظروا إليها فما أسكنها، فهتف هاتف: لا يغرنك سكونها، فما أكثر المغمومين فيها.

وكان يقال: إنه لما دفن اختطف من القبر، فنبش قبره فلم يكن فيه.

وكان يقول: ما تركت في مسجد الجامع سارية إلّا صليت عندها وبكيت.

وسئل عن الزهد فقال: أن تحب ما يحب خالقك، وتبغض ما يبغض خالقك، وإن خالقك يحب الآخرة، ففريضة عليك أن تحبها، ويبغض الدنيا ففريضة عليك أن تبغضها، والزهد فيها صواب إذا لم يكن دواء[٩٦].

فصل في الجيم

مبحث في جابر بن زيد

كان جابر بن زيد من الكبار.

روى جرير عن ليث قال: [دعاه يزيد بن أبي مسلم فسأله عن شيء من القرآن فحدثه به فأمر بالغالية فغلف] بها جابر بن زيد، فخرج من عنده فإذا خرقة ملقاة، فأخذها وجعل يدلك به

(٩٤) أبيه: ابنه، م ي. الزهد لابن حنبل ص٢٠٥.

(٩٥) جمع كَارَة، وهو ما يحمله الرجل على ظهره من الثياب. الصحاح (كور).

(٩٦) دواء: دوام، ي.

لحيته ورأسه ويقول رافعًا رأسه إلى السماء: اللهم لا تجعل هذا حظي عندك[٩٧].

ابن عباس قال: لو أن الناس أتوا جابرًا لأوسعهم علمًا. قال بعضهم: هذا محله من العلم وهو يخاف الله في غالية، وزعم المغبونون من أهل زماننا أن هذا جهل، وجابر أعلم، ولكن زين لهؤلاء الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا.

عمرو بن زياد قال: أتي عبيد الله بن زياد بخنثى فلم يدر كيف يورثه، فقال: من لهذا؟ فقالوا[٩٨]: جابر بن زيد، فجيء به من السجن وهو مقيد، فقال: قل في هذا، [فقال]: أتسجنونني وتسألونني؟ وكان حُبس لما كان يقوله ويفعله من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعن ثابت البناني قال: دخلت على جابر وهو عليل سقيم، فكان[٩٩] يقول: نظرة من الحسن، فأتيت الحسن وهو متوارٍ، فقلت: إن أخاك جابر في الموت وقد اشتهى أن ينظر إليك، قال: فكيف بالحجاج؟ قلت: أرجو أن يدفع الله عنك، قال: فانظر لنا طريقًا، فجعلنا نتخلل حتى دخلنا على جابر، فلما رأى الحسن اعتنقه وجعل يقول: أعوذ بالله من النار وسوء الحساب، فلم يزل يقول ذلك حتى هلك.

مبحث في الجنيد

كان رويم من أقران الجنيد، فتقلد القضاء، فقال [الجنيد]: من أراد أن يضع سرًا عند أحد لا يفشيه فليضعه عند رويم، فإنه كان يريد الدنيا أربعين سنة فلم يَبُحْ[١٠٠] بها حتى قدر عليها.

وسئل: أي الأعمال أفضل؟ فقال: البكاء في السجود، حيث لا يشهد إلّا المعبود.

وعنه: العارفون يبكون شوقًا إلى المحبوب، والمذنبون يبكون خوفًا من الذنوب.

وتقدم للإمامة بمكة فقال: استووا رحمكم الله، فأغمي عليه، فلما أفاق قيل له في ذلك، قال: لما قلت: استووا قيل لي: هل استويت أنت حتى تقول للناس استووا.

(٩٧) إكمال تهذيب الكمال ٣/ ١٢٤.

(٩٨) فقالوا: فقال، ي.

(٩٩) سقيم فكان: قيل فقال، م ي.

(١٠٠) يَبُحْ: يحر، ي.

وقال له جماعة من أصحابه: أين نطلب[١٠١] الرزق؟ قال: إن علمتم أنه في أي موضع فاطلبوه، قالوا: نسأل الله ذلك، قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، قالوا: ندخل البيت ونتوكل على الله، قال: أتجرّبون[١٠٢] الله بالتوكل، فهذا شك، قالوا: كيف الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.

مبحث في جعفر بن حرب

واحد عصره في العلم، والصدق، والطهارة، والزهد، والدعاء إلى الله، والنصيحة، وله كتب جليلة، وكان آباؤه من أصحاب السلطان، فبلغ من زهده في آخر عمره أنه ترك كل ما كان يملك، وتعرى وجلس في الماء حتى كساه بعض أصحابه، وكان يأكل من الوراقة.

وحمله أحمد بن أبي دؤاد أن يحضر مجلس الواثق فأبى، ثم حضره مرة فلم يُصَلِّ خلفه ولم يعد.

وكان يقول: المؤمن كالتاجر البصير العاقل الذي ينظر أي[١٠٣] التجارة أربح له وأسلم عاقبة، فيقصد إليها بطلب الحلال من المعاش، والمؤمن دائم الوجل يخشى من التقصير، دائم التوبة والاستغفار مما يعلم ومما لا يعلم، ومن كل صغير وكبير، فلا يزال كذلك حتى يأتيه أمر الله.

مبحث في جعفر بن مبشر

قال القاضي: وكان جعفر بن مبشر في الكلام والفقه والقرآن والزهد والنسك بمحل عظيم، وله كتب في الفقه، وكان يضرب به المثل في الزهد والعلم بالجعفرين، وكانت أضرت به الحاجة، فكان يقبل القليل من زكاة إخوانه، فحضره يومًا بعض التجار فوعظه وكلمه بكلام حسن، فاستحسنه، فبعث إليه بخمسمائة درهم، فردها، فقيل له: هب أنك ترد جائزة السلطان للشبهة، فهذا رجل تاجر، لماذا رددت جائزته؟ فقال: استحسن كلامي، أفترى أن آخذ على دعائي إلى الله أجرًا.

---

(١٠١) أين نطلب: أتطلب، م ي. الرسالة القشيرية ١/ ٣٠٥.

(١٠٢) أتجرّبون: أتحبون، م ي. الرسالة القشيرية ١/ ٣٠٥.

(١٠٣) أي: أن، ي.

قال الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: لماذا لا تولي أصحابك؟ فقال: أوليهم وهذا جعفر بن مبشر بعثت إليه بعشرة آلاف درهم فردها، وكنت قاصدًا داره فلم يأذن لي.

فصل في الحاء

مبحث في الحسن البصري

هو الحسن بن أبي الحسن البصري، يكنى أبا سعيد.

وعن علقمة: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم الحسن البصري.

وكان عالمًا، زاهدًا، كثير الانقطاع بعمله، وما رُئي قط إلّا حزينًا باكيًا.

وله أخبار كثيرة، وكلام حسن كثير، فمن كلامه: عجبًا لأقوام أمروا بالزاد، ونودي فيهم بالرحيل، وحبس أولهم لآخرهم، وهم قعود يلعبون.

وعنه: لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه في الدنيا: الفقر، والمرض، والموت، وإنه مع ذلك لوثّاب[١٠٤].

وعنه: ما مر يوم على الناس إلّا قال: أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل فيّ شهيد.

وعنه: يا عجبًا لألسن تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف.

وعنه: ما رأيت يقينًا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت مع غفلتهم، وما رأيت صِدْقًا[١٠٥] أشبه بالكذب من قول الناس: إنا نطلب الجنة، مع عجزهم عنها.

وعنه: يومك ضيفك، وهو يرتحل عنك بذمك[١٠٦] أو بحمدك.

وعنه: إن أكيس القوم في هذا الأمر من بكى، وإنا لنرى أقوامًا تبكي أعينهم وقلوبهم قاسية، قاتلوا هذه القلوب، وابكوا هذه الأعمال.

---

(١٠٤) لوثّاب: لو تاب، ي. سير السلف الصالحين ص٧٤١.
(١٠٥) صِدْقًا: صديقًا، ي. العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط ص٩٢.
(١٠٦) بذمك: لذمك، م ي.

وقدم أعرابي البصرة فقال: من سيد هذا المصر؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا[١٠٧]: استغنى عما في أيديهم من دنياهم واحتاجوا إلى ما في يديه من دينهم، قال: بخٍ بخٍ، هذا سيد.

وخرج يومًا على أصحابه وهم يضحكون، فقال[١٠٨]: نضحك ولا ندري لعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال: اعملوا ما شئتم فإني لا أقبل منكم شيئًا، إنما تغلق أبواب الرحمة دوننا.

وعنه: لقد أدركت أقوامًا كان أحدهم يبيت وليس عنده طعام إلّا ما يقوته[١٠٩] فيقول: والله لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلن نصفه لله، فيواسي ببعضه غيره، وعسى أن يكون هو أحوج ممن يعطيه إياه، كان ذلك حرصًا على ما عند الله.

عن هشام قلت لخالد: أتعرف الحسن؟ قال: نعم، قال هشام لخالد: فلما بلغ من علمه؟ قال: استغنى به عن علم غيره، قال: فما بلغ من زهده؟ قال: كان راهب ليله مغتنم[١١٠] نهاره.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت غرضا[١١١] لثلاثة أسهم: سهم بلية، وسهم رزية، وسهم منية. نظمه بعضهم فقال:

المرء مستهدف في عمره غرض ... لسهم بلوى وسهم الرزء والقدرِ
إن يخطه ذا فذا في إثره عَجِلٌ ... والموت غايته القصوى بلا صدر

وشهد جنازة فقال يعظ الناس: أيها الناس رحمكم الله، اعملوا لمثل هذا اليوم، فإنما هم إخوانكم تقدموكم وأنتم بالأثر، أيها المتخلف[١١٢] بعد أخيه، أنت الميت غدًا بعد أخيه، [و] الباقي بعدك هو الميت في أثرك أولًا فأولًا حتى توافوا جميعًا قد عمكم الموت، واستويتم جميعًا في غصصه وكربه، ثم حللتم جميعًا القبور، ثم تنشرون جميعًا، ثم تعرضون على الله وحدانًا، ثم تنفس فخر مغشيًا عليه[١١٣].

وعنه: يا عجبًا لألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف، والله ما جاء على الشؤم

---

(١٠٧) قالوا: قال، م ي.

(١٠٨) فقال: فقالوا، م ي. انظر صفة الصفوة ٢/ ١٣٨.

(١٠٩) يقوته: يفوته، م ي. تهذيب الكمال ٦/١١٣. وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٨٥.

(١١٠) مغتنم: يغتنم، م ي.

(١١١) غرضا: عرضًا، ي. ميزان العمل للطوسي ٣٨٩.

(١١٢) المتخلف: المختلف، ي. انظر بستان الواعظين ص٢٠٣.

(١١٣) بستان الواعظين ص٢٠٣.

في قطع منفعة المقال من المستمع إلّا من جهة القائل، ولا هلك جهال كل زمان إلّا بعلمائهم لقوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧].

وكان كثيرًا ما يتمثل بقوله:

نَـل كل مـا شـئت وعـش سـالمًا ... آخـر هـذا كلـه المـوتُ

عن ربيع: دخل الحسن على عائشة وتكلم، فأعجبها فقالت: من هذا الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء؟(١١٤)

وعن خالد بن صفوان: سألني مسلمة بن عبد الملك عن الحسن، فقلت: كان أشبه الناس سريرته بعلانيته، وأشبههم قولًا بفعل، وإن قعد بأمر قام به، وإن قام بأمرٍ قعد به، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، ووجدته مستغنيًا عن الناس ووجدت الناس محتاجين إليه، فقال: حسبك، كيف ضل قوم هذا فيهم؟

وسئل يونس بن عبيد عن الحسن فقال: كان إذا خرج من منزله كأنه رجع من دفن أمه، وإذا جلس كأنه أسير حبس لضرب عنقه، وإذا تكلم فكأنما لم تخلق النار لأحد سواه.

وعن كثير بن عطاء: أدرك الحسن ثلاثمائة من الصحابة، منهم سبعون بدريًا، واحتلم ليالي قتل عثمان، وأكل مع علي بن أبي طالب عليه السلام على طبق تمرًا.

وازدحم الناس على الحسن فقال: إن سركم أن تسلموا ويسلم لكم دينكم فكفوا أيديكم عن دماء المسلمين، وكفوا بطونكم عن أموالهم، وكفوا ألسنتكم عن أعراضهم، ولا تأتوا أهل البدع فتمرضوا قلوبكم، ولا تأتوا الملوك فيسلبوكم دينكم.

وذكر عنده الدنيا فقال:

أحـلام نـوم أو كظـل زائـل ... إن اللبيـب بمثلهـا لا يخـدعُ

ومرض الحسن فعاده أصحابه، فتململ ثم استوى وقال: حياكم الله يا إخواني بالسلام، إنكم أصبحتم وجوه أهل هذا المصر، والمنظور إليه منهم، فإذا أمرتم بأمر فكونوا أفعل الناس

(١١٤) انظر إكمال تهذيب الكمال ٤ / ٩١.

له، وإذا نهيتم [عن شيء] فكونوا [أنهى] الناس عنه[١١٥]، واعلموا أنكم لن تخطوا خطوة ولن تكلموا بكلمة إلّا والله سائلكم عنها، والسلام، ثم اضطجع.

ومر سائل فقال: أتدرون ما يقول: إنه يقول: من معه شيء أحمله له إلى الميزان.

وعنه: أدركت من كان قبلكم إذا جنهم الليل قاموا على أطرافهم يفترشون وجوههم ودموعهم تجري على خدودهم، يناجون الذي خلقهم في فكاك رقابهم.

وعنه: ابن آدم اعمل لنفسك[١١٦] اليوم والتوبة مقبولة، والصحف منشورة، والأقلام جارية، قبل التهلكة والندامة والبكاء.

وعن مالك بن دينار قال: قال الحسن: إن الحجاج عقوبة من الله، فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف، ولكن استقبلوها بتوبة وتضرع، وتوبوا يكفه. قال مالك: فاستقبلناها بالسيف فما صنعنا شيئًا.

يونس عن الحسن: أربع من كن فيه ألقى عليه محبته، وألبسه رحمته: من رق لوالديه، ورق لمملوكه، وكفل اليتيم، وأعان الضعيف.

عن أبي حماد عن الحسن[١١٧]: عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك.

ولما مات الحجاج قال الحسن: اللهم قد أمته فأمت عنا سنته.

وسئل أنس عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا.

عمرو بن القاسم العامري قال: نذرت امرأة إن عافاها الله من علة أصابتها أن تغزل ثوبًا وتكسوه خير أهل البصرة، فعوفيت، فغزلت ونسجت، ثم سألت: من خير أهل البصرة؟ فقيل: الحسن، فأتت الحسن وأخبرته بذلك، فقال: ادفعي إلى أبي قلابة، فجاءته به وأخبرته بالقصة، فقال: أخطأ الحسن فيّ وأصاب الناس في الحسن، ردي ثوبك إلى الحسن.

هشام عن الحسن: والله لقد أدركت أقوامًا كانوا من حسناتهم ألّا تقبل منهم أخوف من سيئاتهم ألّا تغفر[١١٨] لهم، والله لقد أدركت أقوامًا ما ملأ أحدهم بطنه من طعام قط، كان يؤتى بالطعام الذي لو شاء [وضعه] في بطنه، فيقول: لا والله لا أفعل حتى أجعل نصفه لله، ولقد

---

(١١٥) عنه: له، م ي.

(١١٦) لنفسك: الناس، م ي.

(١١٧) عن أبي حماد عن الحسن: عطاء، م ي. الزهد لابن حنبل ٢٢٢.

(١١٨) تغفر: يغفر، م ي.

أدركت أقوامًا ما يأكل أحدهم إلّا على الأرض، ولا يصلي إلّا على الأرض، ولا يجلس إلّا على الأرض، ولد أدركت أقوامًا كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم.

وعن مورق قال: قال لي أبو قتادة: يا مورق الزم هذا الشيخ وخذ عنه يعني الحسن فإني والله ما رأيت رجلًا أشبه رأيًا بعمر بن الخطاب منه.

وسأل رجل ابن عمر مسألة فقال: من أين أنت[١١٩]؟ قال: من البصرة، قال: فأين مولى الأنصار عنك؛ يعني الحسن.

علي بن زيد[١٢٠]: أدركت سعيد بن المسيب والقاسم[١٢١] بن محمد، ويحيى بن جعدة وغيرهم، فما رأيت مثل الحسن، ولو أن الحسن أدرك أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه.

الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وذُكر الحسن عند أبي جعفر محمد بن علي فقال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

مطرف: ما كنت أؤمّن على دعاء أحد حتى أسمع ما يقول غير الحسن.

جرير بن حازم: سمعت الحسن يقول: يا عجبًا أنّى اهتدى إليها الشاعر فقال:

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

وعنه: يا قوم المداومة المداومة، والله ما المؤمن الذي يعمل شهرًا أو شهرين، أو عامًا أو عامين، والله ما جعل الله لعمل[١٢٢] المؤمن أجلًا دون الموت.

وعنه: رحم الله رجلًا لم يغره ما رأى من كثرة الناس، ابن آدم إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتحاسب وحدك، ابن آدم أنت المعني وإياك يراد[١٢٣].

وعنه: يابن آدم إلى متى تقول: يا أهلي غدوني، يا أهلي عشوني، يوشك الله أن يُغدى

---

(١١٩) من أين أنت: ممن قال، م ي. موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل ١/٢٥٠.

(١٢٠) طبقات الفقهاء ص٨٧.

(١٢١) والقاسم: محمد والقاسم، م ي. طبقات الفقهاء ص٨٧.

(١٢٢) جعل الله لعمل: فعل، م ي. الزهد لابن حنبل ص٢٢١.

(١٢٣) يراد: تراد، م ي. الزهد لابن حنبل ٢٢٠.

بك، ويوشك أن يُراح بك، إما هوْلًا[١٢٤] أكلا أكلًا، وبلعًا بلعًا، وسرطًا سرطًا[١٢٥]، حتى أتتك الساعة، أتدري لمن تجمع؟ لامرأة تذهب به إلى زوجها، أو لرجل يذهب به إلى امرأته، فإن استطعت أن لا تكون أخسر الثلاثة فافعل.

وعن الهيثم عنه: إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم حسنة، يقول: إنه لحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن بربه لأحسن العمل.

العوام بن حوشب: ما شبهت الحسن إلّا بنبي قام في قومه ستين عامًا يدعوهم إلى الله.

ابن عون: لما احتضر الحسن قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه والله منزلة منية واستسلام.

وعنه: يابن آدم دينك فإنما هو لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فنعوذ بالله، فإنها نار لا تُطْفَأُ، وجسد لايبلى، ونفس لا تموت، يابن آدم لا تعلق نفسك بالدنيا فتعلقها شر متعلق، غلق عنك أبوابها، وصرم عنك حبالها، حسبك أيها المرء ما بلغك المحل.[١٢٦]

وعنه: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشح على عمره منه على ديناره ودرهمه.

وعنه: لو لم تكن لنا ذنوب نخاف على أنفسنا منها إلّا حبنا للدنيا لخشينا ذلك، إن الله تعالى قال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الأنفال:٦٧]، أريدوا ما أراد الله[١٢٧].

وعنه: إن المؤمن لا يصبح إلّا خائفًا، ولا يصلحه إلّا ذاك؛ لأنه بين شيئين: ذنب قد مضى لا [يدري]كيف يصنع الله فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما يحدث عليه فيه.

عمرو بن المنقري: سألت الحسن مسألة فأجاب، فقلت: إن بعض الفقهاء يقول فيها غير هذا، فقال: هل رأيت فقيهًا قط، إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

وعن الأشعث: إن الحسن كان يتمثل غدوة وعشية بهذين البيتين: الأول:

يسر الفتى ما كان قَدَّم مِنْ تُقى إذا عرف الداء الذي هو قاتله

والآخر:

وما الدنيا بباقية لحي ولا حي على الدنيا بباقي

(١٢٤) إما هوْلًا: ما هو إلّا، م ي. حسن التنبه لما ورد في التشبه ١٠/ ٩٥.
(١٢٥) سَرِطْتُ الشيءَ أَسْرَطُهُ سَرَطًا: بَلَعْتُهُ. الصحاح (سرط). حسن التنبه لما ورد في التشبه ١٠/ ٩٥.
(١٢٦) الزهد لابن حنبل ص٢٢٩.
(١٢٧) الزهد لابن حنبل ص٢٢٩.

وعنه: نعم الدار للمؤمنين الدنيا، عمل قليلا[١٢٨]، وأخذ[١٢٩] منها زاده إلى الجنة، وبئست الدار للكافرين، يمتع[١٣٠] منها ليالي وكان زاده إلى النار.

وعنه: العلماء ثلاثة: عالم لنفسه ولغيره؛ فذلك أفضلهم، وعالم لنفسه؛ وذاك حسن[١٣١]، وعالم لا لنفسه ولا لغيره؛ فذاك أشرهم.

وعنه: من أحب أن يعرف ما هو فليعرض نفسه على القرآن.

وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»، قال الحسن: فالكافر يتمتع، والمؤمن يتزود.

وعنه: إذا رأيتم الناس يتنافسون في الدنيا فتنافسوا في الآخرة، فإنما[١٣٢] تذهب دنياهم وتبقى الآخرة.

عباد بن منصور: سئل الحسن عن التوكل فقال: الرضى عن الله.

حميد الطويل: جالس الحسن العلماء أربعين سنة، فما أُخِذَ[١٣٣] عليه كلمة لم[١٣٤] قالها؟ أو بم قالها؟

ومر الحسن على قوم يبكون فقال: رقة كرقة النساء ولا عزم، إن كنتم صادقين فإذا رجعتم فأصلحوا ما بينكم منه.

سفيان بن الحسن: كان الحسن كثيرًا ما يقول: اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، وعفوك بعد قدرتك.

وقال [له] رجل: كيف حالك؟ فقال: أشد حال، كيف حال من ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل به.

---

(١٢٨) قليلا: قليل، م ي.
(١٢٩) وأخذ: وأخير، م ي.
(١٣٠) يمتع: فيمتع، م ي.
(١٣١) حسن: أحسنهم، م ي. المصنف لابن أبي شيبة ٧/ ٢٠٤.
(١٣٢) فإنما: فإنهما، ي.
(١٣٣) فما أُخِذَ: والأمرا واحد، ي.
(١٣٤) لم: إلّا، ي.

عباد بن منصور: قرأ الحسن هذه الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب:٧٢]، فقال: إن أقوامًا يغدون في المطارف العتاق والعمائم الرقاق، يطلبون الإمارات، ويضيعون الأمانات، يطلبون البلاء وهم منه في عافية، حتى إذا أصابوها خافوا بها مَنْ فوقهم من أهل العقد، وظلموا بها من تحتهم من أهل العهد، هزلوا بها دينهم، وأسمنوا بها دنياهم وبراذينهم، ألم ترهم قد جدَّدوا[١٣٥] الثياب، وأخلقوا[١٣٦] الدين، يتكئ أحدهم على شماله، ويأكل من غير ماله، طعامه غصب، وماله سحت، وخدمه سخرة[١٣٧]، يدعو برطب بعد يابس، وحلو بعد حامض، حتى إذا أخذته الكِظَّة[١٣٨] تجشأ من البَشَمِ[١٣٩] فيقول: يا جارية هاتي هاضومًا، أي أحيمق، والله إن تهدم إلّا دينك، أين جارك أين مسكينك، أين يتيمك، أين ما أوصاك الله به[١٤٠].

وعنه: اجتمع ثلاثة نفر يسأل بعضهم بعضًا عن أمله، فقال أحدهم: [لم يأت علي شعر إلّا ظننت أنّي أموت فيه، فقيل للثاني: ما أملك؟ قال:] لم يأت علي يوم إلّا ظننت أنّي أموت فيه. فقيل للآخر: ما أملك؟ فقال: ما أَمَلُ مَنْ أَجَلُه بيد غيره؟

وعنه: يومان وليلتان لم يسمع الخلائق بمثلهن قط: ليلة تبيت مع أهل القبور، لم تبت ليلة قط مثلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله إما بالجنة أو بالنار، ويوم تعطى كتابك إما بيمنك أو بشمالك.

أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا ولم يشربوا، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشًا، واحترقت أجوافهم جوعًا، انصرف بهم إلى النار، وسقوا من آنية قد آن[١٤١] حرها واشتد نضجها.

مبحث في حبيب العجمي

هو أبو محمد حبيب العجمي، من زهاد البصرة، مستجاب الدعوة، معروف بالزهادة.

عبد الواحد بن زيد: كان في حبيب خصلتان من أخلاق الأنبياء: الرحمة، والنصيحة، وكان

(١٣٥) جدَّدوا: أخذوا، م ي. تاريخ بغداد ١٦/ ٩٥.
(١٣٦) وأخلقوا: وأخلفوا، ي. تاريخ بغداد ١٦/ ٩٥.
(١٣٧) سخرة: سحرة، ي. انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٩٥.
(١٣٨) الكِظَّة: غم وغلظة يجدها في بطنه. اللسان (كظظ). انظر تاريخ بغداد ١٦/ ٩٥.
(١٣٩) البَشَمُ: تخمة على الدسم. العين (بشم).
(١٤٠) تاريخ بغداد ١٦/ ٩٥.
(١٤١) قد آن: فذاب، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٥١٥.

في ابتداء أمره تاجرًا كثير المال، فمر بصبيان فقالوا: جاءكم آكل الربا، فنكس رأسه وانصرف وتاب، ولبس مدرعة، وجعل ماله بين يديه، وقال: يا رب إني أسيرك اشتري نفسي بهذا المال، وأعتق بدني. فلما أصبح تصدق بالمال كله، وأخذ في الزهد حتى قيل: إنه مستجاب الدعوة، فمر بصبيان فقالوا: جاءكم حبيب العابد، فقال: أذم مرة وأمدح أخرى وكله منكر.

وعن أبي عاصم المازني قال: كان الحسن إذا وعظ لم يترك لقائل مقالًا، وكان سيدًا سمحًا، وكان كلامه بمنزلة المرهم للجرح، يخرج من القلب الحزين فيقع على القلوب القريحة، وكان حبيب من أول من يغدو إلى السوق وآخر من يخرج منه، فإذا مر بالحسن وهو يعظهم وهم يبكون لا يدري من أي شيء يبكون، فيقول: اشان ...كان أبداشان را كان يبيت فجلس يومًا مجلس الحسن، فسمع موعظته فنكس رأسه وتغطى بكسائه، ثم جعل يرتعد ويبكي، فلما فرغ الحسن قام حبيب وهو يقول: يا حبيب أنت في غير عمل وهؤلاء في عمل أنفسهم، ثم جاء إلى بيته وفتح الباب، فقالت امرأته: أي شيء تعمل؟ فقال: أشتري شيئًا لعلنا نصيب منه ربحًا، وكانت الخزانة ملأى، والبيت مخصب، والمرأة تنكسي من الحلي، فكان يحمل بدرة فينطلق فيخلو حيث لا يراه الناس فيقول: مولاي مَنْ قتل النفس بغير حقها إما أن يقاد وإما أن يؤخذ منه الدية، وقد قتلت نفسي، وهذه الدية، ويقسمها بين المتعففين ومن تفرغ للعبادة، ويؤم المسجد، ثم يجيء بعد أيام فيحمل بدرة أخرى فيصيرها كذلك، حتى خلا البيت، وفقدت المرأة ما كانت من الخصب، فقالت له: لا رأس مال ولا ربح، فقال: قدمنا لأنفسنا حين نقدم على مولانا فنجده قد ذُخر لنا، قالت: نعم ما فعلت، فحمد الله على رضاها وأقبل على العبادة، وتوارى الحسن عند زمن الحجاج، فطلبوه فلم يجدوه في بيته، فذكروا ذلك للحجاج فقال: بل كان في بيته ولكن طمس الله أعينهم فلم يروه. رحم الله حبيبًا والحسن.

ومن كلامه: إلهي من مثلي أنت السيد وأنا العبد، من لم يكن مسرورًا بك فلا سره الله.

وعنه: النفس خاطبة وعروسها الدنيا، ودلالتها الهوى، وماشطتها الشيطان، وحجالها النيران.

وكان إذا ذهب هزيع من الليل قال لامرأته عمارة: قومي حتى نقطع طريق الآخرة، فقد مضت القافلة، والزاد قليل، والسفر بعيد.

وعنه: إن الشيطان ليلعب بالقراء لعب الصبيان بالجوز. وكان يحمل المصحف ويبكي وهو يقول: كلام ربي كلام ربي.

ورُئي بعد موته فقيل له: ما حالك؟ فقال: ما حال من جاوز ونجا من النار، وعانق الأبكار. قيل: بم؟ قال: بعفو الله وفضله، شكر لنا طول حزننا ولزومنا مجالس الذكر، ورحم تضرعنا وبكانا فأعطانا ما تمنينا، وأقر برضائه أعيننا وأرضانا.

مبحث في حسان بن أبي سنان

قال جَلِيسٌ لوهب بن منبه: رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت: أين بدلاء أمتك؟ قال: بالشام، قلت: فما بالعراق أحد؟ قال: نعم محمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، ومالك بن دينار.

وسألته امرأة درهمًا فأعطاها أربعمائة، فسئل عن ذلك، فقال: لما نظرت إلى جمالها خشيت أن تُفْتَن[١٤٢] فأردت أن أغنينها، وعسى أن يرغب فيها رجل فيتزوجها.

وكان يقول: لولا المساكين ما اتجرت. وقيل له: تركت الكسب؟ فقال: الذي عندنا لمن يموت غدًا كثير.

عن مالك بن دينار قال: خرجت أنا وزين القراء حسان بن أبي سنان نزور المقابر، فلما أشرف عليها سبقته عبرة، ثم أقبل علي فقال: يا أبا يحيى هذه عساكر الموت يُنتظر[١٤٣] بها من بقي من الأحياء، ثم يصاح بهم صيحة فإذا هم قيام ينظرون، فوضع مالك يده على رأسه وبكى وقال: واي أزان روز واي أزان روز[١٤٤].

وكان يصوم الدهر، ويفطر على قرص، فنحل وسقم حتى صار كالخيال، فلما مات وأدخل المغتسل وكشف عنه فإذا هو كخيط أبيض، فبكى الناس، فهتف هاتف شعر:

تجوع للإله لكي يراه   نحيل الجسم من طول القيام

ولما احتضر قيل: كيف نجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار، قيل: ما تشتهي؟ قال: ليلة بعيدة الطرفين أحيي ما بينهما.

---

(١٤٢) تُفْتَن: نفسي، م ي. تنبيه الغافلين ص٣١٣.

(١٤٣) يُنتظر: تنتظر، ي. انظر أهوال القبور لابن رجب ص١٣٩.

(١٤٤) واي أزان روز واي أزان روز: وأي إرار زور وأي إرار زور، ي. انظر مختصر تاريخ دمشق ٣٦/٢٤، وذكر أن معناها: ويلي من ذلك اليوم.

مبحث في الحجاج بن فُرافصة

كان الحجاج بن فرافصة[١٤٥] من الزهاد.

قال سفيان: بت عنده أحدًا وعشرين يومًا فما رأيته نام ولا ذاق طعامًا ولا شرابًا. معنى الخبر يعني بالنهار، ويريد أنه كان يصوم بالنهار ويفطر بالليل[١٤٦].

وكان يأتي السوق ويذكر الله ويقول: موضع غفلة.

وكان يقول: ثلاثة من روح المؤمن في الدنيا: لقاء الإخوان، وفطر الصيام، والتهجد بالليل.

مبحث في الحكم بن حيان

كان الحكم بن حيان يقوم ليلة الصيف كلها، وأما الشتاء فأوله وآخره. وكان من ذلك هجعه.

وكان يقول: لو أن ذرة من حب الدنيا احتوى عليها نادى عليه: هذا أَحَبَّ ما أبغض الله.

وكان يقول: من كان فارغًا وقصر في العمل ابتلي بالهمّ.

مبحث في حذيفة بن قتادة

عن حذيفة بن قتادة وقيل له: كيف لنا حتى نحب ربنا؟ قال: بترك ما يطلب، لا يصلح الأمر إلّا بترك الرئاسة والحمد والثناء.

وكان يقول: ما تزوج أحد إلّا تغير.

وعنه: من آثر الدنيا على العقبى لم يعرف الله، ومن كانت قرة عينه المعاصي كيف يعرف الله؟ أرأيت من بغلته أهم إليه من دينه، أي دين دينه؟

وكان يقول: لو جاءني رجل لقلت له: فتنة الحديث أشد من فتنة الدراهم والدنانير.

مبحث في الحسن بن صالح بن حي

الحسن الداراني: لم أر أحدًا الخوف على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح بن حي، قام ليلة بـ(عم يتساءلون) يرددها فلم يختمها حتى طلع الفجر.

---

(١٤٥) فُرافصة: فرافصه، ي. انظر سير السلف الصالح للأصبهاني ص٧٤٦، وصفة الصفوة ٢/ ١٩٩.

(١٤٦) سير السلف الصالح للأصبهاني ص٧٤٦. وصفة الصفوة ٢/ ١٩٩.

إسماعيل بن خالد قال: شكوت إلى الحسن بن صالح بن حي الفقر والحاجة، فقال: أما تخاف الغنى؟ ثم لم يزل يحدثني في الفقر حتى تمنيت أني كنت أحوج مما أنا، ثم دخل البيت فأخرج عشرة دراهم ثم قال: ما نملك غير هذا، فخذها.

وسئل الحسن عن غسل الميت فغشي عليه وجعل يرتج[١٤٧] بدنه كالسمكة تخرج من الماء.

وعنه: الناس يحتاجون إلى العلم كما يحتاجون إلى الطعام والشراب. ونظر إلى القبور فقال: ما أحسن ظاهرك، إنما الدواهي في باطنك.

مبحث في حمدون القصار

وكان حمدون من الزهاد، قال إنسان له: لو أوصيت لأولادك بشيء، فقال[١٤٨]: إني عليهم من الغنى أخوف مني عليهم من الفقر.

ومرض مرض موته فكانوا يكسرون الحطب وينادون، فقيل له: لم لا تقول لا تكسروا؟ فقال: من أنا حتى أقول افعلوا ولا تفعلوا.

فصل في الخاء

مبحث في خالد

كان خالد من الزهاد، وعنه: كنت جالسًا في بيت المقدس فدخل شابان متفكران يخفيان أنفسهما، فجعلت أتعاهدهما، فلما خرجا من باب داود حس قلبي أنهما من الأبدال، فخرجت أريد أثرهما، فأدركتهما فقالا: ما تريد يا شيخ؟ قلت: عزمت عليكما إلّا ما أخرجتماني، فأخرجاني حتى أتيا جزيرة، فمكثا ثلاثة أيام لم يطعما، ثم اصطادا سمكة فشوياها فقالا: ادن يا شيخ، فدنوت، فقالا: يا شيخ أصدق ما تقول في نفسك؟ قال: أقول: لو كان خبز وخل وبقل كان أطيب، فضحكا وقالا: شيخ مفتون عاشق لدنياه، ارجع وراءك فلست أنت تريد الزهد، ارجع إلى معدن الدنيا، فإن مثلك قاسي القلب، أينما توجه يعبد بطنه، وهواه يغلب عقله.

ومن كلام خالد: أدنى حالات المؤمن أن يكون نائمًا، وخير حالات الفاجر أن يكون نائمًا.

---

(١٤٧) يرتج: يحتاج، ي.

(١٤٨) فقال: وقال، ي.

مبحث في خلف بن أيوب

كان خلف بن أيوب من العلماء الزهاد المجتهدين، فمما روي عنه أنه كان لا يذب الذباب عن نفسه، فقال: لا أعود نفسي خارج الصلاة فأعتاده في الصلاة فتفسد علي صلاتي، فقيل: كيف تصبر؟ قال: بلغني أن الفساق يتصبرون تحت سياط السلطان ليقال: فلان صبور، ويفتخرون، وأنا قائم بين يدي ربي أفأحرك الذباب؟

وكان جالسًا في المسجد فأتاه غلامه يسأله عن شيء، فقام وخرج وأجاب، فسئل عن ذلك فقال: ما تكلمت في المسجد بكلام الدنيا منذ كذا سنة، فكرهت أن أكلمه اليوم.

وكان يحج ويغزو ويعلم الناس، فكثر الانتفاع بعلمه.

مبحث في خطاب العابد

كان خطاب العابد كثير الاجتهاد، كثير العمل، قليل الكلام.

ومن كلامه: طلبُ الجنة بلا عمل ذنبٌ من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة.

مبحث في خليد العصري

كان خليد العصري[١٤٩] من عباد الله.

عن محمد بن واسع عنه: كلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا، وكلنا أيقن بالجنة وما نرى لها عاملًا فعلام تعرجون؟ وما عسيتم تنظرون؟ الموت؟ فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر، فيا إخوتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا[١٥٠].

وعنه: كنت أصلي وأقرأ هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فترددتها، فهتف بي هاتف: كم ترددها؟ فقد قتلت بها أربعة[١٥١] نفر من الجن لم يرفعوا رؤوسهم إلى السماء حتى ماتوا من ترdadك. قالت امرأته: فأنكرناه بعد ذلك [حتى] كأنه ليس الذي كان[١٥٢].

(١٤٩) خليد العصري: خليل القصري، م ي. صفة الصفوة ٢/ ١٣٦، وحلية الأولياء ٢/ ٢٣٢.

(١٥٠) العاقبة في ذكر الموت ص٦٨.

(١٥١) أربعة: أرفع، ي. صفة الصفوة ٢/ ٥٣٦.

(١٥٢) صفة الصفوة ٢/ ٥٣٦.

فصل الدال

مبحث في داود الطائي

كان داود الطائي من الزهاد الكبار، جمع العلم، وقرأ على أبي حنيفة، ثم أقبل على العبادة فذاب لحمه وجف جلده ويبس من خوف الله، ولم يكن في منزله وسادة ولا نار، وكان لا يكاد يطبخ في بيته شيء.

واشتاق أخ إليه فاحتال ليصل إليه، فلازمه أيامًا وأخفى نفسه حتى دخل عليه، فجعل يكلمه، فقال داود: إن الكلام واحد واثنان، فإذا بلغ ثلاثة فدع البيت للزائر واخرج واهرب، فترك البيت له وخرج وهرب.

وقيل له: لو سرحت لحيتك؟ فقال: إني إذًا لفارغ.

عاد الحسن بن قحطبة داود الطائي في مرضه، فوضع إلى جنبه ألف دينار، فقال داود: لا تضعها عافاك الله فلا حاجة لنا فيها، قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، قال: هات، قال: إذا خرجت من عندي فلا تعد إلي. وكان ابن السماك إذا حمي المجلس وضج الناس ذكر حديث داود.

ومرض في شدة الحر وهو في بيت، فقيل: لو خرجت إلى صحن الدار، فقال: إني لأستحيي من الله أن أمشي لراحة نفسي.

ومات داود الطائي فدخل عليه ابن السماك فإذا هو واقع في التراب، تحت رأسه لبنة، فبكى وقال: سجنت نفسك قبل أن تسجن، وعذبتها قبل أن تعذب، فاليوم نرى ثواب ما كنت له تعمل.

بكر بن محمد العبدي قال: لما دخل عليه موسى بن داود فقال له: ما حاجتك؟ فقال[١٥٣]: تتحدث، فقال: أتدري ما قال لي داود الطائي منذ عشرين سنة؟ قلت: لا، قال: ليس هذا زمان تلاقٍ، هذا زمان وحشة ووحده.

سعيد الطائي قال: خرج داود إلى المسجد في سكك خالية، فقلت: الطريق ثَمَّ أقرب، قال: يا أبا سعيد، فر من الناس فرارك من الأسد[١٥٤].

---

(١٥٣) فقال: فقلت، ي.

(١٥٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٢.

ومن كلام داود: كل شيء شغلكم عن ذكر الله وطاعته فهو عليكم مشؤوم، ومن طال أمله ضعف عمله[١٥٥].

وكان يقول: يابن آدم فرحت[١٥٦] ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك، ثم سوفت بعملك، كأن منفعته لغيرك.

سعيد الطائي قال: ورث داود من أبيه عشرين دينارًا فأكلها [في] عشرين سنة، كل سنة دينارًا منه يصل ومنه يتصدق، وورث دارًا فكان لا يعمرها، كلما تخرب بيت تحول إلى آخر، حتى لم يبق إلّا زاوية تأويه إلى أن مات[١٥٧].

مبحث في داود الشبلي

هو أبو بكر داود بن جعفر الشبلي، صلى على جنازة فكبر خمسًا، فسئل عن ذلك فقال: أربع على الميت وواحدة عليكم، وأنشد الشبلي يومًا:

تمنيت من أهوى فلما رأيته ... بهتُّ فلم أملك لسانًا ولا طرفا
وأطرقت[١٥٨] إجلالًا له ومهابةً ... وحاولت أن يخفى الذي بي فما يخفى

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تغرنكم[١٥٩] هذه القبور وهدوؤها، فكم فيها من فرحٍ مسرور، ومن داع بالويل والثبور»؟ فقال: القبور هي أنفسكم، كل واحد منكم مدفون في نفسه، فالمقبل على الله فرح مسرور، والمعرض عن الله داع بالويل والثبور، وأنشد[١٦٠]:

قبور الورى تحت التراب وللهوى ... رجال لهم تحت الثياب قبور
وعندي[١٦١] دموع لو بكيت ببعضها[١٦٢] ... لفاضت بحار تحتهن بحور

(١٥٥) صفة الصفوة ١/ ٧٨.
(١٥٦) فرحت: خرجت، م ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٩.
(١٥٧) حلية الأولياء ٧/ ٣٤٧.
(١٥٨) وأطرقت: فأطرقت، ي. انظر عيون الأبناء ص٤٣٢.
(١٥٩) تغرنكم: تغلونكم، ي. انظر حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٠.
(١٦٠) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٠.
(١٦١) وعندي: فعندي، ي. جذوة المقتبس ص٣٢٢.
(١٦٢) بكيت ببعضها: يكتب بعضها، م ي. جذوة المقتبس ص٣٢٢.

فصل الذال

مبحث في ذي النون المصري

كان ذو النون من الكبار.

عن العباس بن حمزة قال: صليت خلفه العصر فرفع يده وأراد أن يكبر فقال: الله، وبهت كأنه جسد بلا روح إعظامًا لربه، فلما قال: الله أكبر، ظننت أن قلبي ينخلع من هيبة تكبيره، وكلامه حسن، من ذلك: إذا أردت أن تذهب قساوة قلبك فأدم القيام، وأطل الصيام، وذر الحرام، وصل الأرحام، والطف للأيتام.

وعنه: الناس نيام إلّا العلماء، والعلماء نيام إلا العاملين(١٦٣)، والعاملون مغترون إلا المخلصين(١٦٤)، والمخلصون على خطر عظيم.

وعنه: لم أر شيئًا أبعث لطلب الخلاص من الوحدة؛ لأنه إذا خلا لم ير غير الله، فإذا لم ير غير الله لم يحركه إلّا حكم الله، ومن أحب الخلوة فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن من أركان الصدق.

وعنه: من كانت الدنيا أكبر همه كثر في النار غدًا غمه، ومن كانت الآخرة اشتغاله حسن في الدنيا والآخرة حاله.

ورأى نائمًا قد غشيته حية، فجعل ينظر إليها فإذا بعقرب جاءت حتى صرفت الحية عنه فسقطت ميتة، فأنشأ ذو النون يقول:

يا نائمًا والجليل يحفظه ... من كل سوء يدب في الظلم
كيف يطيب الرقاد عن ملك ... تأتيك منه فوائد النعم

وعنه وقد قال له رجل: عظني، فقال: كن معه يَرْعَكَ(١٦٥)، وكن له يكلأْك، واطلب منه فإنه لا يمنعك، واسأله فإنه لا يبرمه الإلحاح، وأنخ ببابه فإنه لا يردك، سبحان من هذا كرامته، لا يرد السائل، ولا يمنع المريد.

(١٦٣) العاملين: العاملون، م ي.
(١٦٤) المخلصين: المخلصون، م ي.
(١٦٥) يَرْعَكَ: يرعاك، م ي.

وعنه: إلهي دنيا تكيد، وبلاء عتيد، وجهد جهيد، وشيطان مريد، وعدو حسود، وعيش كؤود، وخلف موجود، ووفاء مفقود، فأين النجاة إلّا بعصمتك أيها المعبود؟

وعنه: كيف الشوق إلى الجنة والنار أمامها، وكيف أفرح بالحياة والموت أمامها، إلهي إن تضعني فمن يرفعني، وإن ترفعني فمن يضعني، إلهي على من أثق وأنت خليفتي، وممن أرجو وبيدك حاجتي.

وعنه: من جهل قدره هتك ستره.

وعنه: من أيس من نفسه لجأ إلى الله، فتم عزه وغناؤه، ومن أيس من الله ولجأ إلى نفسه حل به شقاه، وكثر تعبه وعناه.

فصل الراء

مبحث في الربيع بن خثيم

هو من التابعين، ومن الزهاد الثمانية الذي قال [عنهم] علقمة: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، منهم الربيع بن خثيم.

وكان ابن مسعود إذا نظر إلى الربيع بن خثيم قال: مرحبًا يا أبا يزيد، لو نظرك رسول الله لأحبك، ثم قرأ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧].

وكان الربيع لا يتكلم في أمور الدنيا، وفي أيام الفتنة، فلما قتل الحسين بن علي عليهما السلام قال أصحابه: إن تكلم يومًا من الدهر فاليوم، قالوا: يا أبا يزيد، قُتِلَ الحسين، قال: وقد فعلوا؟ قالوا: نعم، قال: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. وروي أنه قال: لقد قتلوا صبية لو أدركهم رسول الله لوضع فمه على أفواههم.

ومن مداومته على غض البصر أن قالت النساء: ما أجمله من رجل إلّا أنه أعمى.

وروي أنه أضحى أضحية ثم قال: إلهي لو علمت أن في ذبح نفسي[فدائي] لذبحتها.

وقالت ابنته له: يا أبت ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: يا بنية، إن أباك يخاف البيات.

ولما رأت أم الربيع ما يلقى هو من البكاء والسهر نادته: يا بني لعلك قتلت قتيلًا، قال: نعم يا والدة، قالت: فمن هو نطلب إلى أهله فيعفوا عنك[١٦٦]، فوالله لو علموا ما تلقى لرحموك؟ قال: يا والدة نعيت إلي نفسي.

وروي أنه لم يسمع منه أحد في ذكر أمور الدنيا، فقيل له: يرحمك الله لم لا تذكر الناس؟ قال: والله ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ لذنب الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب الناس ولم يخافوه[١٦٧] في ذنوب أنفسهم.

وكان عنده جليس له يسمى عمر بن عامر، فأتاه صبي له وقال: يا أبت أذهب وألعب؟ فقال: يا بني لذكر الله خير لك، فقال جليسه: ائذن له أن يلعب، فقال: يكتب علي إن أذنت له أن يلعب، أما بلغك عن قول الله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾ [مريم:١٢]؟ قال: ما بلغني فيه شيء. قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى بن زكريا: يا يحيى تعال نلعب، فقال: ما للعب خُلقنا، ويلغني أنه تكلم بهذا الكلام وهو يومئذ في أربع سنين، ثم قال: ولقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من ساعة تمر على ابن آدم لا يذكر الله فيها إلّا كانت تلك الساعة حسرة عليه يوم القيامة وإن دخل الجنة، وما من نفس إلّا ستلوم نفسها يوم القيامة، أما المحسنة فتقول: يا ليتني ازددت إحسانًا، وأما المسيئة فتقول: يا ليتني كنت محسنة، وذلك عند معاينة الجنة والنار».

وأصابه فالج، فقيل له: لو تداويت، فقال: لقد[١٦٨] هممت بذلك ثم ذكرت عادًا وثمودا، وأصحاب الرس، وقرونًا بين ذلك، كانت فيهم الأوجاع، وكانت لهم الأطباء والمداوي، فما بقي مداوٍ ولا مداوى إلّا وقد ذاق الموت.

وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا، فقال الرجل: ليس عن هذا أسألك، [أسألك] أي شيء تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: فماذا تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: ألا تدعو لك طبيبًا؟ قال: الطبيب أمرضني.

هارون بن سعد: قلت لعمرو بن مرة: أشهد الربيع مع علي؟ قال: أما صفين فقد شهدها.

---

(١٦٦) فيعفوا عنك: فيعفو لك، م ي.

(١٦٧) يخافوه: يخافون، ي.

(١٦٨) لقد: لو، م ي.

وعن مسلم: كان الربيع بن خثيم إذا أحس من قلبه قسوة خرج بالليل إلى المقابر فقال: يا أهل القبور، يا أهل الدور، يا أهل النعمة والسرور، أما والله لتبعثن، ثم يبكي، فيرجع إلى منزله فلا يزال كئيبًا شهرًا أو شهرين.

وكان يقاد إلى الصلاة وبه الفالج، فقيل له: إن الله قد رخص لك، فقال: أسمع (حي على الصلاة) فلا أجيب؟

مبحث في الربيع بن أبي راشد

هو الربيع بن أبي راشد، واسم راشد سلمة.

روى سلمة الحذاء قال: كان الربيع بن أبي راشد واسم راشد [ولدًا له]، يومًا له: قد طال حيرتك ولا عيش لك فاستعين، ثم قال: كيف يلذ العيش من يعلم أنه يموت، ثم قام ولم يعد.

وعنه: لم يكن بالكوفة رجل أكثر[١٦٩] ذكرا للموت من الربيع، وما رأيت جنازة أكثر تبعًا من جنازة الربيع بن أبي راشد.

مبحث في رباح القيسي

عن رباح القيسي قال لابنه: يا بني لا تؤاخِ أحدًا حتى تعرف أموره.

وكان يقول: لبيك لدعوتك عن كل راحة شغلت عنك، وبالترحيل عن كل ذي دعة قطعت عنك دونك.

مبحث في الربيع بن برة

من كلامه: لست بذي نفسين إن علقتْ[١٧٠] إحداهما سعتْ[١٧١] الأخرى في فكاكها، إنما هي نفس واحدة.

(١٦٩) أكثر: حال، ي. صفة الصفوة ٢/ ٦٣.
(١٧٠) علقتْ: تقدمت، م ي. العقد الفريد ٢/ ١٢٧.
(١٧١) سعتْ: يعلق سعر، م ي. العقد الفريد ٢/ ١٢٧.

مبحث في ربعي بن خراش

كان من المجتهدين، عاهد الله ألّا يكذب.

مبحث في رويم

قال للجنيد: إلى كم تنادي على الله بين يدي العامة؟ فقال الجنيد: أنا أنادي على العامة بين يدي الله، فقال رويم: قوم أفنوا أسرارهم بالحظوظ، وأفنوا أبصارهم باللحوظ، أنى لهم إلى ذكر الحق سبيل.

فصل الزاي

مبحث في زبيد الأنامي

كان كثير العبادة، زاهد في الدنيا، راغبًا في الآخرة.

عن سفيان عنه: ألف بعرة[١٧٢] في بيتي أحب إلي من ألف دينار.

عن سفيان: دخلنا عليه في مرضه نعوده، فقلنا له: استشف الله، فكان يقول: اللهم خر لي. ولا يقول: اللهم اشفني.

وقال زبيد: أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة: من كان كلامه لا يوافق فعله فإنما يهلك نفسه[١٧٣].

مبحث في زهير بن نعيم

قال أحدهم: خرجت إلى الحج فقطعت الطريق، وخرجت فدخلت على زهير بن نعيم فقال: يا أبا إسحاق إن لم يكن ما أصيب في مال المسلمين وأنفسهم مثل مصيبتك في نفسك ومالك إنك لمنافق.

عن سهل: قلت لزهير: ألك حاجة؟ قال: نعم، قلت: ما هي؟ قال: أن تتق الله أحب إلي من أن يصير هذا الحائط ذهبًا.

---

(١٧٢) بعرة: عمره، ي. إكمال تهذيب الكمال ٥/ ٣٧.

(١٧٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤/ ١٧٩.

وعنه: وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوا الله.

وكان يقول: والله لأنا بمن لا يؤمن بالله أشبه [مني] بمن يؤمن بالله.

مبحث في زيد بن أسلم

ذو النون: سمعت زيد بن أسلم يقول: ما يغني عن رجل في يده حجرة(١٧٤) يقول الناس: ما أحسن هذه اللؤلؤة، كذلك الرجل يعرف من نفسه الذنوب والناس يثنون عليه، فماذا يعجبه من نفسه.

وعنه: هل رأيتم أحدًا أقدم رجلًا صحيحة إلى طبيب فيقول: اكسرها ثم اجبرها، فما يحمل أحدكم أن يقول: أذنب ثم أتوب.

وعن زيد: من كرم الله بطاعته أكرمه الله بجنته، ومن أكرم الله بترك معصيته أكرمه الله بألاّ يدخله النار.

وعنه: الخاسر مَنْ عَمّر دنياه بخراب آخرته، واستصلح معاشه بفساد دينه، والمغبون حظًا من رضي بالدنيا وهو يصون دنياه ويبطل دينه.

مبحث في زرارة بن أوفى

بهز بن حكيم قال: أمَّنا زرارة في مسجد بني قشير فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ الآية [المدثر:٨] فخر ميتًا، فكنت فيمن حمله(١٧٥).

مبحث في زفر [بن الهذيل]

كان زفر الهذيل من العلماء الزهاد، وترك التدريس في آخر أمره، وأقبل على العبادة، وكان من أصحاب أبي حنيفة، وممن يعظمه داود الطائي.

ورئي في المنام فقيل: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي لولا رحمته لهلكت.

---

(١٧٤) حجرة: حجاب، ي.

(١٧٥) الطبقات الكبرى ٦/ ١١٠.

فصل السين

مبحث في أبو حازم سلمة بن دينار

هو أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج.

أخذ عن أبي هريرة وغيره، وكان من زهاد التابعين، وله كلام حسن، واختار العزلة.

ومن كلامه: إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه وأنت تعصيه فاحذره.

وعنه: الدنيا عزت أقوامًا فعملوا فيها بغير الحق، ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم، وقد خلفنا بعدهم، فينبغي أن ننظر ونجتنب ما كرهناه منهم، ونستعمل ما غبطناهم عليه به.

وكان يمر بالفاكهة ويشتهيها ويقول: موعدك الجنة.

وعنه: وجدت الأشياء شيئين: شيئًا لي، وشيئًا لغيري، فأما ما كان لي فلو كنت في ذنب الريح لأدركني، وما كان لغيري فلو كنت في ذنب الريح ما أدركته، فعلى أي هذين أفني عمري، ووجدت ما أعطيت من الدنيا شيئين: فشيء يأتي أجله قبل أجلي، وشيء أجلي قبل أجله فأخلفه لمن بعدي، فعلى أي هذين أعصي ربي؟

وقال له سليمان بن عبد الله: ادع الله لي، فقال: اللهم إن كان سليمان هذا وليك فبشره بخير الدنيا والآخرة، وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال له بعض الأمراء: ارفع إليّ حوائجك؟ فقال: هيهات رفعتها إلى من لا تنجز الحوائج دونه، فما أعطاني منها رضيت، وما زوى عني قنعت، قيل له: ما مالك؟ قال: الثقة بما عند الله، والاستغناء عما في أيدي الناس.

عبد الله بن أبي حازم: سمعت أبي يقول: كان الناس فيما مضى من الزمان إذا لقي من فوقه في العلم قال: يوم غنيمة، وإذا لقي من مثله ذاكره، وإذا لقي مَنْ هو دونه لم يزه عليه، حتى جاء هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من فوقه كي لا يرى الناس أن له إليه حاجة، وإذا لقي من هو مثله لم يذاكره، وإذا لقي من هو دونه يقول: أزهو عليه، فبهذا هلك الناس.

وقال: لئن يبغضك عدو مسلم خير لك من أن يحبك صديق فاجر.

وكان يقول: إنما بيني وبين الملوك يومٌ واحدٌ، أما أمس فلا يجدون لذته ولا أجد مرارته، وغدًا لا ندري نحن من أهله وإني وإياهم على وجل، وإنما هو اليوم، فما عسى أن تكون شدة يوم[١٧٦].

وعنه: ما في الدنيا شيء يسرك إلّا وقد أُلزق بشيء يسوؤك.

وكان يقول: أدركت القراء وهم القراء، وهم اليوم ليسوا[١٧٧] بالقراء ولكنهم الجراء[١٧٨].

وكان يقول: يابن آدم بعد الموت يأتيك الخبر.

مبحث في سعيد بن جبير

عمر بن ميمون قال: مات سعيد بن جبير وما في الأرض أحد إلّا وهو يحتاج إلى علمه، فلما قتل قال النخعي: ما خلف بعده مثله.

وعن هلال بن أبي يساف قال: دخل سعيد الكعبة وقرأ القرآن في ركعة.

وعن القاسم قال: سمعت ابن جبير يردد هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١] بضعًا وعشرين مرة.

الأعمش: قالت بنية لسعيد: يا أبت نم ساعة من الليل لكي أقول للناس رأيت أبي ينام بالليل، فقال: يا بنية إن هارب النار لا ينام، فقالت: لا نمت بعد ذا أبدًا.

وكتب سعيد إلى أخ له: أما بعد يا أخي احذر الناس واكفهم نفسك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك، وإذا رأيت عاثرًا فاحمد الله الذي عافاك، ولا تأمن الشيطان أن يفتنك ما بقيت، والسلام.

وقال الحجاج لسعيد: اختر أي قتلة شئت؟ قال: بل أنت فاختر، فإن القصاص أمامك، فقال: كيف حبك لأبي تراب؟ فقال: أما إنه أعظم في قلبي من جبل أحد، قال: أما إنك لا تذوق البارد بعده، وأمر بضرب عنقه، فكتب أخ له شامي إلى الحجاج: بسم الله الرحمن الرحيم

(١٧٦) أدب الدنيا والدين ٢/ ١٤٦.

(١٧٧) ليسوا: ليس،م ي.

(١٧٨) الجراء: الحارون، م ي. قوت القلوب ١/ ٢٩١.

﴿حم ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:١-٣]، احذر يا حجاج إمهال الله إياك، فإنما يعجل بالعقوبة من يخاف الفوت. والسلام.

مبحث في سعيد بن المسيب

عن مكحول قال: اطلعت الأرض كلها في طلب العلم، فما رأيت أحدًا أعلم من سعيد بن المسيب.

وقال أبو حازم: كنا نقول: إن كان أحد من حديد فسعيد بن المسيب، من كثرة اجتهاده وعبادته، وكان سعيد بن المسيب يقول: لأن أكتسي حلتين إحداهما جذام والأخرى برص أحب إلي من [أن] آتي باب السلطان.

وعنه: العزلة عبادة.

وقيل لسعيد بن المسيب: إن عبد الملك بن مروان يقول: قد صرت لا أفرح بالحسنة أعملها ولا أحزن على السيئة أرتكبها، فقال: الآن تكامل موت قلبه.

وعنه: إن للمساجد أوتادًا من الناس، لهم جلساء من الملائكة، إذا غابوا افتقدوهم، وإذا طلبوا حاجة أعانوهم، وإذا مرضوا عادوهم.

مبحث في سفيان الثوري

هو سفيان بن سعيد الثوري، كوفي، وكان من الزهاد، يجالس الفقراء.

وعن بعضهم: كنا نحسب الفقراء في مجلس الثوري أنهم الأمراء.

يحيى بن يمان: مثل الثوري في زمانه كمثل أبي[بكر] وعمر في زمانهما.

وعن ابن المبارك وذكر سفيان فقال: كان أورعهم(١٧٩)، وأنسكهم، وأعلمهم، وأخوفهم، وأفقههم، ولقد سمعته يقول: لو قيل لي: تمن، لقلت: الموت الموت.

يحيى بن معين: ما رأينا مثل سفيان ولا أبصر منه، أقبلت الدنيا عليه فصرف وجهه عنها.

---

(١٧٩) أورعهم: أودعهم، ي.

سفيان بن عيينة: علماء الأزمنة ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

إبراهيم بن رسم قال: جاء سفيان إلى يونس بن عبيد فسأل عن أحاديث، فلما قام قال يونس: ما رأيت كوفيًا أفضل منه، قيل: وقد رأيت سعيد بن جبير وأبا عبيدة بن عبد الله؟ قال: هو ما أقول لكم، ما رأيت كوفيًا أفضل منه.

وروي أن عاصم بن أبي النجود أتاه واستفتاه وقال: يا سفيان أتيتنا صغيرًا وأتيناك كبيرًا.

ابن المبارك: سفيان أمير المؤمنين في العلم والحديث والورع.

شعيب بن حرب: ما أخوفني أن يكون الثوري حجة على العلماء يوم القيامة.

محمد بن الحسن: لما مات سفيان قال جرير بن حازم:

إذا بكيت على ميت لشدته ... فابك الغداة على الثوري سفيانا

قال ابن المبارك: قلت للثوري من الناس؟ قال: العلماء، قلت: فمن الملوك؟ قال الزهاد، قلت: فمن الأشراف؟ قال: المتقون، قلت: فمن السفلة؟ قال: الظلمة، قلت: فمن الغوغاء؟ قال: القصاص.

أبو خالد الأحمر قال: شبع ليلة فقام حتى أصبح، فقيل له في ذلك فقال: إن الحمار إذا زِيدَ في علفه زيد في عمله، ثم أنشأ يقول:

أشبع الزنج وكده ... إنما الزنجي حمار

يوسف بن أسباط قال: رأيت سفيان في طريق مكة، فقومت ما عليه من الثياب حتى النعل، فبلغ درهمًا وأربعة دوانيق. وأنشد الثوري(١٨٠):

ما ضرّ من كانت الفردوس منزله ... ماذا تجرع من بؤس وإقتار
تراه يمشي كئيبًا خائفًا وجلًا ... إلى المساجد يسعى(١٨١) بين أطمارِ
يا نفس ما لك مِنْ صَبْرٍ على النار ... قد حان أن تُقبلي من بعد إدبارِ

(١٨٠) ضر: عر، ي. انظر الاستعداد للموت للمليباري ص٧٩.
(١٨١) يسعى: يأوي، ي. الاستعداد للموت للمليباري ص٧٩.

وعنه: من عبث بعمره ضيع أيام حرثه، ومن ضيع أيام حرثه ندم أيام حصاده، وكان كثيرًا ما يقول: عند الصباح يحمد[١٨٢] القوم السرى وعند الممات يحمد[١٨٣] القوم التقى.

يوسف بن أسباط: لما توفي سفيان قال العميري: معاشر القراء كلوا الدنيا، فقد مات سفيان.

وقدم سفيان الرملة، فبعث إليه إبراهيم بن أدهم: أن تعال تحدثنا، فقيل: يا أبا إسحاق، تبعث إليه بمثل هذا؟ فقال: أردت أن أنظر كيف تواضعه، فجاءهم سفيان.

محمد بن الحسن: إن سفيان فضح الفقهاء، قيل: لم؟ قال: لأنه استقام ولم يستقيموا.

أبو معاذ: حدثني بعض العلماء قال: طلبت العلم فقلت: أذهب إلى سفيان، فوجدته هاربًا من الأمراء في مسجد قد احتبى، فلما دخل مكة وجد المنادي [يقول]: قد برئت الذمة من رجل آوى سفيان، فبكى وقال: يا رب تأمن الطير إذا خلت، وسفيان لا يأمن إذا خلا.

ومرض فأخذوا بوله وأروه طبيبًا، فقال: هذا بول رهباني قد أحرق خوف الله قلبه، ومات بالبصرة ولم يخلف شيئًا.

مبحث في سالم

كان من الزهاد العلماء، من أولاد عمر بن الخطاب، وروي أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز: أما بعد صم عن الدنيا، واجعل ميقات فطرك الموت، والسلام.

مبحث في سليمان الأعمش

من الكبار في الزهد والعلم، والحديث، وكان يقول: كنا نختلف إلى المشايخ ما نريد منهم الحديث، ما نريد منهم إلّا سمتهم وهديهم وخشوعهم، ولقد أدركنا هذا العلم وإنه لعند السادة من الناس، وإنه اليوم عند من لو كان يبيع سمكة لحلف أنها سمينة وهي مهزولة.

وأراده المنصور للقضاء فأبى، واختبأ.

أبو سليمان قال: خرج الأعمش يومًا وعليه فرو مقلوب يوم النيروز، قد ركب حمارًا ورجلاه

(١٨٢) يحمد: تحمد، م ي. تاريخ دمشق ٤٧/ ٣٢٧.
(١٨٣) يحمد: تحمد، م ي. تاريخ دمشق ٤٧/ ٣٢٧.

من جانب واحد، وعلى رأسه قلنسوة، وحماره أعور مقطوع أحد أذنيه، فقيل: ما حملك على هذا؟ قال: رأيت من هو خير مني صنع [هذا] في مثل هذا اليوم، فأحببت أن أقتدي به، قيل: من هو؟ قال: إبراهيم النخعي. وكان الأعمش من أصحاب النخعي.

مبحث في سليمان الخواص

قيل ليوسف بن أسباط: أيهما كان أفضل سليمان الخواص أم إبراهيم بن أدهم؟ قال: كان سليمان الديباج الخسرواني[١٨٤] وإبراهيم كانت الدنيا أهون عليه من المزبلة، وكان سليمان يتحول مخافة الشهرة، عن محمد بن كثير.

العوام بن السميدع قال: كان لسليمان قط، فكان لحام بقربه يعطيه رُوبة[١٨٥] لقطه، فمر يومًا وهو يكلم امرأة، فقالت له نفسه: إن وعظته منع الرُّوبَة، فجاء وأخرج القط وطرها، ثم رجع إلى اللحام وقال: اتق الله فإنك كنت تكلم امرأة، ووعظه.

وقيل للأوزاعي: إبراهيم أفضل من سليمان؟ فقال: إبراهيم اختلط بالناس وانبسط إليهم، وسليمان لم يفعل.

مبحث في الداراني: أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني

قيل له: ما أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله؟ قال: ألّا يريد من الدنيا والآخرة إلّا هو.

وعنه: إذا استحيا العبد من ربه فقد استكمل الخير.

وعنه: ليس يفلح قلب يهتم بجمع القراريط.

وعنه: إن الدنيا والآخرة بمنزلة بيتين، عُمْران أحدهما بخراب الآخر.

وعنه: كفى للعبد بخدمة مولاه شغلًا، وبذكر العافية خوفًا، وبما عمل من المعاصي غماً، وبالموت حذرًا، وبالله غنًى.

وعنه: ما يسرني أن أغضبه ويغفر لي.

---

(١٨٤) الديباج الخسرواني: الدنيا حى الحشر، م ي. الوافي بالوفيات ١٥/ ٣٣١.
(١٨٥) الرُّوبة: القطعة من اللحم. انظر تاج العروس (روب).

وعنه: ما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولولا الليل ما أحببت البقاء، ولأهل الطاعة في ليلهم ألذ [أهل] من الهوى بلهوهم[١٨٦].

وعنه: احذروا الدنيا، فأولها حلاوة، وآخرها سم، واحذر المعاصي فإن أولها سرور وآخرها حزن طويل. وكان إذا مات في الحي ميت لم ينم تلك الليلة.

وعنه: أحلى ما تكون العبادة إذا لزق بطني بظهري، ولولا الليل ما أحببت البقاء.

والصحيح أنه أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني، وموضعه باب العين.

وعنه: نمت الليلة فرأيت كأن جارية تركلني برجلها وتقول: يا سليمان تنام وأنا أربى لك في الجنان.

مبحث في سلم بن سالم

كان سلم بن سالم من الكبار، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويظهر الحق، ويعادي أهل المنكر، وأُخذ وضُرب ولا يكف عن قول الحق، فحبس فحمل إليه هرثمة[١٨٧] مالًا عظيمًا وقال: إن أمير المؤمنين يقول: إن أخذت هذا رضيت عنك وخليت سبيلك، فقال: لا رضي الله عني إن رضي أمير المؤمنين، قال: فإن أخذه غلامك فأنفق عليك، قال: إذًا لا آكل حتى أضطر وتحل لي الميتة ولا أقبض منكم شيئًا.

مبحث في سالم عبد

سفيان بن عيينة وسفيان الثوري قالا: كان لرجل [مولى] يسمى سالمًا لا ينام الليل ولا يستريح النهار من الذكر، فقال عمر بن عبد العزيز لصاحبه: بعه مني، فأبى، فقال: يزورني، فقال: أما هذا فنعم، فأتاه وقال: يا سالم إن أمير المؤمنين ذكرك، فأخذ في البكاء، فقال: لا بد أن تزوره، فاشتد بكاؤه وقال: أمرك فريضة وإلا فما لي ولأمير المؤمنين، فخرج يزور عمر رافعًا صوته بالتسبيح، فلما دخل عليه وهو يبكي قام إليه عمر فعانقه وبكيا، فقال عمر: يا سالم إني أخاف، قال: يا أمير المؤمنين [لست أخاف عليك أن تخاف] ، بل أخاف ألّا تخاف، قال:

---

(١٨٦) تاريخ دمشق ٣٤/ ١٤٦.

(١٨٧) هرثمة: هريمه، ي. انظر تاريخ دمشق ٥١/ ٢٩٢.

وكيف؟ قال: لأن الله تعالى أخرج آدم من الجنة بذنب واحد، ونحن نريد أن ندخلها بألوف، فأخذا جميعًا في البكاء(١٨٨).

مبحث في سالم البصري

وكان بالبصرة رجل شاب يسمى سالمًا، من العباد والزهاد، وكانت له امرأة ذات جمال وحسن، وكان معجبًا بها، عاشقًا لها، فطلقها، فقيل له في ذلك فقال: لم أحب أن أشرك مع حب الله حب أحد.

مبحث في السادي سعيد

هو عبد الله بن سعيد بن زيد السادي.

من كلامه: إياك وهم غدٍ، وارض لغد برب غد.

وعنه: إن الله تعالى يبغض إلينا الدنيا وما نزداد إلّا حُبًّا لها(١٨٩).

وعنه: إن الله أعلم ما يصلح الخلق، فمن أعطاه شيئًا كثيرًا فليرض به، وليشكر الله ولا يتمن، ومن أعطي القليل ليشكر وليرض، فالصواب أن يرضى كل واحد بمقامه وأقسامه.

وعنه: خمسة أشياء دواء القلب: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن بتفكر، وخلاء البطن من الطعام، وقيام الليل، والتطوع عند الصبح.

مبحث في سليمان التيمي

روى جماعة منهم أبو وهب وغسان وغيرهما: أن سليمان التيمي صلى بضعًا وثلاثين سنة العشاء والفجر على وضوء واحد لا يحدث بينهما.

حماد بن سلمة: كان سليمان طوى فراشه أربعين سنة، ولم يضع جنبه بالأرض عشرين سنة.

---

(١٨٨) بغية الطلب في تاريخ حلب ٩/ ٣٩٣٩.
(١٨٩) حُبًّا لها: حياة، ي.

أبو معبد: خرجت في رفاق عروس من أول الليل، فمررنا بسليمان التيمي وهو يقرأ في صلاته: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ[١٩٠] أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية:٢٨]، فسمعته يردد ﴿وَتَرَىٰ[١٩١]﴾، فذهبت ومكثت ما شاء الله، ثم رجعت وهو على حاله يقول: ﴿وَتَرَىٰ﴾.

وعنه: إن العين إذا[١٩٢] إذا عودتها النوم اعتادت، وإذا عودتها السهر اعتادت.

مبحث في سفيان بن عيينة

قال محمد بن يوسف: قال سفيان بن عيينة: نعم الرجل أنت لولا أنك تطلب الحديث، قلت له: يا أبا محمد فأنت؟ قال: وددت أني وددت أني.

وعن ابن عيينة: من طلب الرئاسة فاتته، ومن لم يطلبها فاتته.

وعنه: الزم الحق ولا تستوحش أهله.

وكان يقول: أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد فيرى نفسه خارجًا مما كان، ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم، فخص الله يحيى بن زكريا بهذه الكرامة في هذه المواطن فقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥].

عبد الرزاق: كنت عند ابن عيينة فازدحم الناس عليه.

مبحث في السري السقطي

هو السري بن المغلس السقطي، كان يقول: صِدْقُ الانقطاع إلى الله ألّا يكون لك إلى غير الله حاجة.

وعنه: إنه سلب الدنيا عن أوليائه، وحماها عن أصفيائه، وأخرجها من قلوب أودّائه؛ لأنه لم يرضها لهم، ثم قال: اللهم إنك لم ترضها لأوليائك فلا ترضها لي.

---

(١٩٠) م، ي. في م ي: كلامه. والصحيح ما أثبتناه من المصحف.

(١٩١) م، ي. في م ي: فترى. والصحيح ما أثبتناه من المصحف.

(١٩٢) العين إذا: للعين الصمري، ي.

وكان يقول: إني لأستغفر الله من الحمد الله، قيل: وكيف؟ قال: وقع الحريق فخرجت، فقيل لي: هو بالبعد من حانوتك، فقلت: الحمد لله، ثم وقع في قلبي أن هذا موضع الاهتمام إلى المسلمين، فاستحيت في سري من ربي وأستغفره منذ ثلاثين سنة.

وعن الجنيد: دخلت عليه فأخذت المروحة لأروحه، فقال: كيف يجد ريح المروحة مَنْ قَلْبُهُ محترق وقال:

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف الفرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرجٌ ... فامنن عليّ به ما دام لي رمقُ

وعنه: مثل الصوفي مثل الشمس تطلع على كل شيء، ومثل الماء يشرب منه كل شيء، والنار يستضيء بها كل شيء.

وعنه: من اشتغل بك لم يشتغل بغيرك، ومن أرادك لم يرد سواك، ومن دخله أنسك استوحش مِنْ خَلْقِكَ.

وعنه: ذكر الموت خراب الدنيا.

مبحث في سهل التستري

من كلام سهل بن عبد الله التستري: الدنيا كلها جهل موات إلّا العلم، والعلم كله حجة على الخلق إلّا العمل به، والعمل كله هباء إلّا الإخلاص فيه، والإخلاص فيه له خطر لا يعرفه إلّا الله، وصاحبه على حذر الموت، فإن الأعمال بخواتيمها، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩].

وعنه: الجاهل ميت، والناسي نائم، والعاصي سكران، والمصرّ هالك.

وعنه: علامة الخوف اجتناب المحارم، وعلامة الرجاء المسارعة والقيام بأداء الأمر.

وعنه: الأمل أرض كل معصية، والحرص بذر كل معصية، والكذب ماء كل معصية.

وسئل: بماذا يرتحل[١٩٣] حب الدنيا من القلب؟ قال: بقصر الأمل، وقال: من كان فيه ثلاث خصال فليس بصديق: العجب، والكبر، والاغترار[١٩٤].

---

(١٩٣) يرتحل: ترتحل، ي.
(١٩٤) والاغترار: والدعوا، ي.

وعنه: حقًا أقول لكم، ما اشتغل عبد بحال غيره إلّا ضيع حال نفسه، ومن عرف الله [أطاعه]، ومن عرف النفس خالفها، ومن عرف الدنيا تركها، ومن عرف الآخرة طلبها.

وعنه: من أمات بدنه بالخشية أحيا الله [قلبه] بالحكمة، ومن أحيا بدنه بالشهوات أمات الله قلبه بالغفلة.

وعنه: ثلاث من علامات الحكمة: إنزال النفس منزلتها، ومعاشرة الناس على أقدارهم، ومعرفة ما لك مما عليك.

وعنه: كل شيء سوى الله فهو حجاب عن الله.

وعنه: لا معين إلّا الله، ولا دليل إلّا رسول الله، ولا زاد إلّا التقوى، ولا عمل إلّا الصبر.

وعنه: من أحب الخلق لا يحب الرب، ومن أحب الدراهم لا يحب الدين، ومن أحب الدنيا لا يحب الآخرة، ومن أحب وجه الأرض لا يحب بطن الأرض.

فصل الشين

مبحث في شميط بن عجلان

كان من الكبار، ودعاه بعض الأمراء إلى طعامه فأبى، وسئل عن ذلك فقال: فَقْدُ أُكْلَةٍ[١٩٥] أيسر علي من بذل ديني له، والله ما ينبغي أن يكون بطن الرجل أعز عليه من دينه.

وعنه: المؤمن يقول لنفسه: إنما هي ثلاثة أيام، قد مضى أمس بما فيه، وغدًا أمل لعلك لا تدركه، وإنما هو اليوم إن كنت من أهل غد يجيء غد برزق غد، إن دون غد يومًا[١٩٦] وليلة تخترم فيها أنفس كثيرة، لعلك المخترم فيه، كفى كل يوم همه، ثم قد حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدهور، وهو الغلاء والرخص، والشتاء والصيف قبل أن يجيء، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة، متى تطلب بهذا الجنة، ومتى تهرب من النار، كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت تحزن، أعطاك[١٩٧] ما يكفيك وأنت

(١٩٥) فَقْدُ أُكْلَةٍ: قد أكله، م ي.

(١٩٦) يومًا: يوم، م ي.

(١٩٧) أعطاك: أعطيك، م ي.

تطلب ما يطغيك، لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع، كيف يعمل(١٩٨) للآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقطع منها رغبته، فالعجب كل العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور.

وعنه: انظروا إلى الناس يوم عيدهم وجمعهم، فهل ترى إلّا ثوبًا يبلى، أو لحمًا يأكله الدود غدًا.

وعنه: بينما العبد في الصلاة يذكر الله والدار الآخرة إذ حكه برغوث أو قملة فينسى الله والدار الآخرة.

سفيان: قال صلى شميط حتى أقعد، وبكى حتى ذهب بصره.

وسئل هل يبكي المنافق؟ قال: يبكي من رأسه، فأما من قلبه فلا.

عبد الله بن شميط، عن أبيه قال: يعمد أحدكم فيقرأ القرآن، ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره، وحملها فوق رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم يجد في الدنيا خيرًا ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا، فجمعوا لها، فمثله ما قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل:٢٥].

وعنه: المتقون قوم أكياس، أكلوا باقي رزق الدنيا، وورثوا باقي نعيم الآخرة.

وعنه: رجلان معذبان في الدنيا: رجل أعطي دنيا فهو بها متعب مشغول مهموم وورثها غيره، وفقير زويت [عنه الدنيا] فهو يتبعها نفسه، فنفسه تتقطع(١٩٩) عليها حسرات.(٢٠٠)

مبحث في شعيب بن حرب

روي أنه أكل في عشرة أيام أكلة وشربة، وكان يقول: عمل رجل في ألف رجل أبلغ من عظة ألف رجل في رجل.

---

(١٩٨) يعمل: تعمل، م ي.

(١٩٩) تتقطع: تقطع، م ي.

(٢٠٠) سير السلف الصالح للأصبهاني ص٨١٧.

وعنه: الذي يستأنس بالناس [كان بقدر أنسه] بغير الله [مستوحشا من الله].

وعنه: إن الله لا يرضى لعبده المؤمن [في] أداء الطاعة أن يستخدمه كالعبيد(٢٠١)، ولكن يستخدمه كالأحرار(٢٠٢).

وعنه: خطبت امرأة فأجابتني، فقلت: إني سيء الخُلُق، فقال: أسوأ خلقًا منك من يلجئك إلى سوء خلقك.

مبحث في شقيق البلخي

ما رئي مثل شفيق بن إبراهيم في إخلاصه وعبادته.

قال سفيان بن عيينة: ما تدين شفيق إلّا بدين الملائكة.

وعنه: العبادة حرفة، وحانوتها الخلوة، وآلاتها المجاعة.

وجاء رجل إليه فقال: عظني، فقال: أوصيك بخمسة أشياء: اعمل لله بقدر ما تحتاج إليه، واعمل للدنيا بقدر ما تكون فيها، واجمع الزاد بقدر طول السفر إلى يوم القيامة، واعمل للجنة بقدر ما تريد أن تقيم فيها، ولا تذنب ذنبًا إلّا بقدر ما تطيق من النار.

ورأى جنازة والناس يزدحمون عليها، فقال: ازدحموا على عمله بقدر(٢٠٣) ما تزدحمون على جنازته.

وعن محمد رجل مدني قيل إنه من الأبدال قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أبو بكر وعمر وغيرهما، فجعلت أعدو لأدركه، فالتفت إلي رجل أظنه عليًا وقال: ما تريد؟ قلت: الدين الصحيح، قال: ويحك إن سبعة من الناس كانوا يتكلمون بالحق، منهم من مات ومنهم من بقي، منهم شقيق بن إبراهيم فعليك به، فطلبته فقيل: استشهد.

مبحث في شداد بن أوس

كان إذا نام على فراشه كأنه حبة القمح على المقلاة، وكان يقول: اللهم إن النار منعت عني النوم، ثم يقوم إلى الصلاة.

(٢٠١) كالعبيد: بالعبيد، م ي.

(٢٠٢) كالأحرار: بالأحرار، م ي.

(٢٠٣) بقدر: ط، م ي.

فصل الصاد

مبحث في صلة بن أشيم

ثابت البناني قال: خرج صلة بن أشيم إلى الجبانة، فمر بفتيان يلعبون فقال: يا قوم أخبروني عن قوم أرادوا سفرًا فجازوا بالنهار عن الطريق وناموا بالليل، متى يقطعون سفرهم؟ فانتبه منهم شاب عن سِنَةِ الغفلة وخرج مع صلة يتعبد حتى مات.

ووقف على قبر أخيه، فلما دفن قال:

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

وعنه في مناجاته: سبحان من لا يأنس بمن بقي، ولا يستوحش ممن فني.

جعفر بن يزيد قال: خرجنا في غزوة إلى كابل ومعنا صلة، فلما صلى العتمة قلت: لأرى عمله، فصلّى العتمَة، فاضطجع كأنه التمس غفلة الناس، فلما هدأت العيون قام فدخل غيضة[٢٠٤] فدخلت على أثره، فتوضأ وقام يصلي حتى أصبح، ثم جلس فحمد الله بمحامد لم أر مثلها، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أومثلي يجترئ أن يسألك الجنة، قال: ورأيت عنده أسدًا وهو يصلي ولا يبالي.

مبحث في صالح المري

من كلامه: كيف تقر بالدنيا عين من عرفها، ثم يبكي ويقول: يا خلف الماضين، وبقية المتقدمين، رحلوا أنفسكم عنها[٢٠٥] قبل الرحيل، فكأن الأمر عن قريب نزل بكم.

وكان صالح المري عدليًا، ذكره[٢٠٦] القتيبي في رجال المعتزلة.

ومات له ابن، فوقف عند دفنه على قبره فقال: أيها الواهب المقتدر، هب اليوم ذنبه لمن وهبت [له] عمره، واجزني اليوم في وفاته كما سررتني في حياته، فمنك إلهي السرور، ومنك ترجى كمال الأمور.

---

(٢٠٤) غيضة: غيظة، م ي. الشجر الكثير الملتف. لسان العرب (أجم)،(غيض).

(٢٠٥) عنها: عنه، م ي.

(٢٠٦) ذكره: ذكر، م ي.

وعزى رجلًا فقال: إن كانت مصيبتك لم تحدث لك موعظة في نفسك [فهي هينة في جنب] مصيبتك في ابنك جَلَلٌ(٢٠٧) في مصيبتك بنفسك، فإياها فابك(٢٠٨).

وكان يقول: التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصاب.

ومر على شيخ يغرس بستانًا فقال:

يؤمل عيشًا ليبقى له ... فمات المؤمل دون الأمل
يربي فسيلًا لينمو له ... فعاش الفسيل ومات الرجل

وعنه: إنك لن تبلغ حقيقة التوبة حتى تبكي على الخطيئة كما ضحكت من المعصية.

وعنه قال: دخلت المقابر فنظرت إلى المقابر جامدة كأنهم قوم صموت، فقلت(٢٠٩): سبحان من يجمع بين أرواحكم وأشباحكم بعد افتراقها، ثم يحييكم وينشركم من بعد طول البلى، فهتف بي(٢١٠) هاتف: يا صالح ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الروم:٢٥]، فسقطت على وجهي جزعًا من ذلك الصوت.

مبحث في صفوان بن محمد المازني

من الزهاد، روى الحسن عنه أنه قال: إذا قرب إلي الطعام فأكلت حتى قارب شبعي، وشربت من الماء، فعلى الدنيا العفاء.

وروي أنه كان له سَرَبٌ يبكي فيه كيلا يطلع عليه.

وعن ابنه قال: أرتني أمي موضعًا في بيتنا قد انحفر، قلت: ما هذا؟ قالت: موضع دموع عين أبيك، قال: قلت: يا أمه ما بلغ بأبي هذا؟ قالت: كان يقول: لا أدري على أي حال أموت عليها.

وعن بعضهم: كان صفوان من العلماء بالكتاب والسنة، وذكر أنه لم يكن كعلماء زماننا الذين يشبهون في زيهم(٢١١) بالفراعنة، وفي ثيابهم بكسرى وأصحابه، وفي(٢١٢) أكلهم وشربهم

(٢٠٧) ابنك جلَلٌ: أك حلل، ي. تاريخ الإسلام للذهبي٤/ ٦٥٣.
(٢٠٨) فابك: فاذكر، م ي.
(٢٠٩) فقلت: فقال، ي.
(٢١٠) بي: به، م ي.
(٢١١) زيهم: ربهم، م ي.
(٢١٢) وفي: في، م ي.

بالذين لا يؤمنون بيوم الحساب، كان أولئك أعلم بالكتاب والسنة، وعلموا أن الله لم يحل لهم معصية، وأن رأس المعاصي حب الدنيا.

عن شقيق بن إبراهيم: خرجنا في ليلة مخوفة، فمررنا برجل نائم في أجمة(٢١٣) قد قيد فرسه، والفرس يرعى عند رأسه، فأيقظناه فقلنا: يا نائم أفي مثل هذا المكان هذا المنام؟ فرفع رأسه وقال: إني لأستحي من ذي العرش أن يعلم أني أخاف شيئًا دونه، ثم ضرب برأسه فنام، فإذا هو صفوان.

قال أبو معاوية: كان صفوان إذا جنه الليل يخور كما يخور الثور، ويقول: الخوف منع مني الرقاد.

ثابت البناني قال: أخذ عبيد الله بن زياد ابن أخي صفوان فحبسه، فلم يُبْقِ بالبصرة وجهًا إلّا كلمه فيه، فلم ير صفوان حاجته، فاشتد حزنه عليه، وجزع جزعًا شديدًا، فبات في مصلاه، فرأى في المنام أن اطلبْ حاجتك من(٢١٤) وجهها، فقام وتوضأ وصلى ودعا، فإذا الباب يضرب، فقال: من هذا؟ فقال: فلان ابن أخيك، قال: سبحان الله، كيف حالك؟ قال: انتبه الأمير في هذه الساعة فدعا بالبواب وفتحت أبواب السجون، فنادى منادٍ: أين ابن أخي صفوان، أخرجوه، فأدخلت على عبيد الله فقال: قد منعت النوم منذ الليلة لأجلك، خذ كيف شئت، وكان يتلو كثيرًا هذه الآية ويبكي: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧].

مبحث في صهيب

كان مملوكًا زاهدًا لا ينام الليل، ويؤدي الضريبة إلى سيده، ويصلي بالليل ويتضرع، فقال له سيده: يا صهيب، منعتنا من النوم، فقال: يا سيدي إن صهيبًا إذا سمع بذكر النار طار عنه النوم، فإذا سمع بذكر الجنة منعه النوم، فبعث إليه عمر بن عبد العزيز فاشتراه، ثم أمر به فحمل إلى عمر، فاستقبله وعانقه وقال: يا أخي إني أخاف، فقال: [لست أخاف عليك أن تخاف] لكن أخاف أنك لا تخاف، قال: كيف سمعت حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من ولي عشرة من المسلمين جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يتوسط الصراط، فإن كان

(٢١٣) أجمة: أحمق، م ي. سير السلف الصالح للأصبهاني ص٨١٢.
(٢١٤) من: فاشتد حزنه، م ي. سير السلف الصالح للأصبهاني ص٨١٢.

عادلًا يفكه[٢١٥] العدل وإلا زلق به الصراط فأهوى في جهنم سبعين خريفًا»، فأخذ عمر يحثو التراب على رأسه ويصيح في صحن الدار حتى خرجت امرأته، وقالت: يا صهيب لا تكثرن عليه فتصدع قلبه فيموت.

فصل الضاد

مبحث في ضيغم

زار ضيغم عبد العزيز العابد، فلما أراد القيام رفع عبد العزيز مصلاه فإذا صرّة فدفعها إليه وقال: تعينك على فراغ قلبك، فرمى بها ضيغم وقال: [ما] لهذا أتيتك، إن قلبًا لا يفرغه إلّا هذه فليس هو بقلب وولي.

وقال مالك بن ضيغم: أوصاني أبي عند موته فقال: [عليك] بصلة الأرحام، وحسن الجوار، وما استطعتم من المعروف، وادفنوني مع المساكين.

وعنه: إني لأحسب نفسي لو مات نصفها ما انتقع الباقي بموت الميت.

وقيل له: ألا توصي؟ فقال: أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ..﴾ الآية [البقرة:١٣٢].

قال أبو سلمى: قلنا لضيغم: يا مالك لقد هممت أن أشتري في قربك دارًا أو أستأجر ليكثر لقائي إياك، فقال: إن مودة يغيرها قلة اللقاء لمدخولة منقوصة.

مبحث في ضمرة

كان ضمرة بن جندب من الكبار الزهاد، فكان يحيي الليل قيامًا.

وروي أنه قال: لو نزلت من السماء نار - أو قال: آية - ما قدرت أن أزيد على ما أنا فيه وزن ذرة.

(٢١٥) يفكه: يكتفه، ي. انظر مسند البزار ١٥/ ١٥٦.

فصل الطاء

مبحث في طاوس

دخل طاوس على مريض يعوده فقيل للمريض: كُلْ حتى تتقوى، فقال طاوس: لا تأكل، فما خلق الله للمريض ولا للصحيح خيرًا من قلة الأكل.

وقيل له: ما أجلسك في بيتك؟ قال: حيف الأئمة، وفساد الرعية، وذهاب السنة.

الداراني: كان طاوس يتقلب على فراشه كالحب على المقلاة، ثم يثب إلى الصلاة ويقول: طَيَّر ذِكْر جهنم نوم العابدين.

ومن دعاء طاوس: اللهم ارزقني البقاء والعمل، وامنعني المالَ والولد.

سلمة بن كهيل قال: ما رأيت أحدًا يريد بهذا العلم وجه الله إلّا طاوس.

وعنه: مثل المرأة الصالحة في النساء مثل غراب أبيض في ألف غراب أسود.

الفضيل بن عياض قال: كان طاوس يكثر الحج والعمرة، وكان له صديق بمكة ينزل عليه، فقال ذات يوم: إن الدنيا قد أقبلت علينا حتى لا ندري ما نصنع بها، ولو اشترينا ترابًا لربحنا، وقال: إن بيضة وقعت من السطح ما[٢١٦] انكسرت، فقال طاوس: هكذا؟ قال: نعم، فأمر أن ينقل رحله ويحول، فكان بعد ذلك لا ينزل عليه، فأتاه الرجل بعد ذلك فرحب به وقام له وسلم عليه وقال: يا أبا عبد الرحمن إن الدنيا قد أدبرت عنا حتى ضاقت المعيشة، وحتى لا نضرب بأيدينا إلى شيء إلّا خسرنا، ولا ندري كيف نصنع؟ قال: هكذا؟ قال: نعم، قال: أبشر، فلما دخل مكة نزل عليه، فقال له الرجل: ألا تجد شيئًا عن إدبارك عنا، ثم عن إقبالك علينا، فما[٢١٧] هو؟ قال: نعم، إني رأيت الله أدبر عنكم فأدبرت، ثم رأيت الله أقبل عليكم فأقبلت.

السختياني: سأل رجل طاوس مسألة فقال: تريد أن تجعل في عنقي خيطًا ثم تطوف بي.

مبحث في طلق بن حبيب

كان طلق بن حبيب من عباد الله الصالحين، وله كلام حسن.

---

(٢١٦) ما: لما، م ي.

(٢١٧) فما: ما، ي.

روى الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن الحسن رحمه الله بإسناده عن طلق قال: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين.

فصل العين

مبحث في عامر بن عبد قيس

كان عامر بن عبد قيس من الزهاد الثمانية، وقال رجل لعامر: ادع الله لي، فقال يابن أخي سألت من عجز عن نفسه، ولكن أطع ربك يغفر لك من دون دعائي.

وكان يقول: لذات الدنيا أربع: المال، والنساء، والطعام، والنوم، فأما المال والنساء فلا حاجة لي فيهما، وأما النوم والطعام فلا بد لي منهما، والله لأضرنَّ بهما جهدي، قال: فوالله لقد أضر بهما جهده، إنه كان ليصبح(٢١٨) صائمًا، ويمسي قائمًا.

وروي أنه كان يصلي، فدخلت من تحت قميصه حية وخرجت من جنبه، فقيل له: رحمك الله نح الحية منك، فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سواه، ما علمت بها حين دخلت تحت قميصي ولا حين خرجت من تحتي.

وقيل: إن الجنة تدرك بدون ما أنت تصنع، وتتقى النار بدون ما تصنع، فقال: لأجتهدن جهدي، فإن أدخل الجنة فبرحمة الله، وإن أدخل النار فبعد جهدي، فلما نزل به الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبكي جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكي لبعد سفري، وقلة زادي، وإني قد أمسيت في صعود وهبوط إلى الجنة أو إلى نار، فلا أدري [إلى] أيهما يوجه بي(٢١٩).

وعنه في مناجاته: إلهي في الدنيا الهموم والأحزان، وفي الآخرة الحساب والميزان، فأين الراحة والفرح.

وعنه: ما أبالي رأيت امرأة أم جدارًا، وما أبالي شممت مسككم أو روثة.

---

(٢١٨) ليصبح: ليظل، م ي.

(٢١٩) بي: به، م ي.

وكان يقول إذا قام الليل: أبت عيناي أن تذوق النوم مع ذكر النار.

وعنه: ما وقع بصري على شيء إلّا رأيت الله أقرب منه.

وقيل له: لم لا تتزوج؟ فقال: إني لا أقوى على شيطان، فكيف أضيف إليه شيطانًا آخر.

وعنه: الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان.

وقيل لخادمه: كيف كانت عبادته؟ فقال: ما صنعت له طعامًا قط إلّا أكله بالليل، ولا فرشت له فراشًا فاضطجع عليه.

وعن الولي بن عبد الواحد أن عامرًا كان يصلي كل يوم ألف ركعة من حين تطلع الشمس إلى العصر.

ورأى كعب عامرًا فقال: هذا راهب هذه الأمة.

مبحث في عبد الواحد بن زيد

روى جماعة من البصريين أنه لم يكن في أصحاب الحسين من كان يشبه عبد الواحد، وكان يعمل باليقين، وكان يعظ الناس، وكان يصوم الدهر.

وخرج عاريًا فركب البحر، فرأى رجلًا معتزلًا، فرمق عمله، فإذا متفكر كأنه مدهوش يحب ألّا يعرفه الناس، فمضى سبعة أيام ولياليها لا يكلم الناس، فدنا منه عبد الواحد وقال: من أنت يرحمك الله؟ قال: مسكين، فقال عبد الواحد: كلنا مساكين، قال: فأي شيء تريد مني؟ قال: أريد تخبرني بعملك، وما طعامك؟ فأبى، قال: فأقسمت عليه، فأخرج كيسًا فيه حشيش مدقوق فقال: كل ليلة ثلاث حفنات من هذا حتى الممات، فاستشهد في ذلك الوجه.

وروي أن عبد الواحد لم يأكل اللحم ثلاثين سنة.

وعن الحسن: الناس يسألوني عما تحتاج إليه العافية، وقال عبد الواحد لأصحابه: إذا خرجتم من عندي فلا تفتحوا أفواهكم فيذهب ما في قلوبكم.

وقال نصر: قال لي عبد الواحد: اقرأ علي: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر:١٨]، فجعل يشهق حتى ظننت أن نفسه ستخرج، فلما أفاق قال: كيف القلوب إذ ذاك، وغشي عليه فحمل إلى أهله.

مبحث في عمر بن عبد العزيز

مالك بن دينار قال: يقول الناس مالك زاهد، أي زهد عند مالك، إنما لمالك كساء وجبة، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها.

مكحول: لو حلفت أني ما رأيت عبدًا لله أخوف من عمر ولا أعلم ولا أزهد منه لصدقت.

فاطمة بنت عبد الملك: ما أعلم عمر اغتسل من جنابة ولا احتلام منذ استخلف حتى قبضه الله.

وروي أنه كان يقسم تفاح الفيء فأخذ ابنه تفاحة فانتزعها من فيه، فشكى إلى أمه، فقصت القصة عليه فقال: والله لقد انتزعتها(٢٢٠) من فم ابني فكأنما انتزعتها من قلبي، ولكني كرهت أن أضيع نصيبي بتفاحة من فيء المسلمين.

داود المكي قال: كان عمر قبل أن يستخلف يشتري له الحلة بألف دينار فيقول: ما أجودها لولا خشونتها، فلما استخلف كان يشتري له ثوب بخمسة دراهم، فيقول: ما أجوده لولا لينه. فقيل له: لين لباسك ومركبك وعطرك، فقال: إن لي نفسًا ذواقة تواقة، فإنها لم تذق من الدنيا طبقة إلّا تاقت إلى الطبقة التي فوقها، حتى إذا ذاقت الخلافة وهي أرفع الطبقات تاقت إلى ما عند الله.

وعنه في خطبته: إنكم تسعون في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا، من قد قضى نحبه حتى تغيبوه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد فارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، فهو مرتهن بعمله، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله قبل انقضاء الوقت، وطول الموت، وحسرة الفوت.

وَقُبِضَ ابنه فلم يجزع، فقيل له في ذلك فقال: إن الله أحب قبضه، ومعاذ الله أن أكره ما يحب الله.

وقال الطبيب: إنه ميت لأنه مسموم، فقال له: ما تقول؟ قال: أقول إنك ذاهب، فقال: الله خير مذهوب إليه.

عراك عن عمر قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال: ادن مني يا عمر،

(٢٢٠) انتزعتها: انتزعها، م ي.

فدنوت منه وإذا كهلان عنده، فقال: إذا وليت أمر أمتي فاعمل في ولايتك بنحو ما فعل هذان الشيخان، قلت: من هما؟ قال: هذا أبو بكر وهذا عمر.

الأوزاعي عنه: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم.

وعن الشعبي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الإمام العادل ليؤيد بعشرة أضعاف عقله»، قال الشعبي: كان عمر بن عبد العزيز مؤيدًا.

الأوزاعي عنه: أما بعد من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن عد كلامه من عمله قَلَّ كلامه، إلّا[٢٢١] فيما يعنيه، والسلام.

ومرض[٢٢٢] عمر فدخل مسلمة بن عبد الملك فقال لأخته فاطمة: إن أمير المؤمنين مدنف والناس يدخلون عليه، وإن قميصه لخلق، فألبسيه جديدًا، فقالت: والله ما له قميص غيره.

سفيان بن عيينة عن عمر: أحب الأعمال إلى الله العفو عند القدرة، والقصد عند الجدة، والرفق لعباد الله.

رجاء بن حيوة: قومت ثياب عمر وهو خليفة باثني عشر درهمًا، فذكر قميصه وسراويله ورداءه وقباءه وعمامته وقلنسوته وخفَّيه.

يوسف بن أسباط قال: وكان عمر يلبس الفرو الغليظ، وكان سراجه على ثلاث قصبات فوقهن طين.

مبحث في العلاء بن زياد

عن حميد قال: جاء رجل إلى العلاء بن زياد فقال: رأيت في النوم[٢٢٣] كأنه قيل لي: اذهب إلى العلاء وأخبره أنه من أهل الجنة، فقال العلاء: أما وجد الشيطان أحدًا يسخر به غيري وغيرك.

المبارك بن فضالة: دخل الحسن على العلاء فقال: كيف نجدك؟ قال: واحزناه على قلة الحزن.

(٢٢١) إلا: لا، م ي. الثقات لابن حبان ٢/ ١٢٠.

(٢٢٢) ومرض: ومر، ي.

(٢٢٣) النوم: اليوم، ي.

وكان يقول العلاء: إنكم في زمان أقلكم الذي ذهب عشر دينه، وسيأتي عليكم زمان أقلكم الذي بقي عشر دينه.

إبراهيم: قرأ قارئٌ آية والعلاء يتوضأ، فسقط في الماء وغرق.

وعنه: من لم يحزن نخاف ألا يكون من أهل الجنة لقولهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

مبحث في عمران الجوني

كان عمران الجوني من الزهاد، وكان صام ستين سنة.

أبو سعيد المكي: رأيت عمراد قد اسود مثل العود من الصلاة والصيام، قال: وسمعته يقول: يا رب هذا ربيع قلبي، فهل أنت تثيبني[٢٢٤] عليه؟.

وعنه: ليس بين الجنة والنار [منزل].

وكان يقول: إن الولد يلقى والده يوم القيامة فيقول: يا أبت[٢٢٥] ما الذي شغلك عني اليوم؟ فقال: الذي شغلك عني اليوم.

مبحث في عامر بن شراحيل الشعبي

كوفي تابعي، قيل له: لم لا تأتي الملوك؟ قال: أخاف خصلتين: طعامهم الطيب، ولباسهم اللين.

وعنه: ما ترك عبد لِلَّه شيئًا من الدنيا إلّا أعطاه الله من الدنيا ما هو خير مما ترك.

وشتمه رجل وهو ساكت، فلما فرغ قال الشعبي: فرغت؟ قال: نعم، قال: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا فغفر الله لي.

وعن أشعث بن سوار قلت للحسن: مات الشعبي، فقال: فإنا لله وإنا إليه راجعون، والله إنه لقديم السن[٢٢٦]، كثير العلم، وكان من الإسلام بمكان.

---

(٢٢٤) تثيبني: تثبني، م ي.

(٢٢٥) يا أبت: يابه، ي.

(٢٢٦) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٦.

وكان يتمثل:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي　　ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

مبحث في عروة

عن هشام بن عروة أن عروة كان إذا صلى الغداة حدث الناس إلى طلوع الشمس ثم ترك في ذلك، فكان إذا صلى دخل منزله فاجتمع إليه الناس فقالوا: أوحشتنا وتركتنا بمنزلة غنم ضلت[٢٢٧] راعيها، فقال عروة: رأيت مساجدكم لاغية، وأسماعكم ساهية، وأسواقكم لاهية، وقلوبكم واهية[٢٢٨]، وحقت عليكم الداهية، فكان لي في عزلتكم العافية. واعتزل الناس.

وعن هشام: كان أبي إذا دخل على أحد من أهل الدنيا فرأى دنياهم رجع إلى منزله وهو يقرأ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١].

وكان عروة يقرأ كل يوم ربع القرآن ناظرًا في المصحف، ويقوم به الليل، فما تركه إلّا ليلة قطعت رجله ثم أعاده في الليلة المقبلة.

مبحث في عطاء السلمي

عن نعيم قال: دخلت على عطاء السلمي وهو قاعد في الشمس واضع خده بالأرض ويقول: ثكلت عطاء أمه، ليت أم عطاء لم تلده، وإذا ما تحت خده صار كأنه طين.

وكان يقول كل عشية: غدًا عطاء في القبر، غدًا عطاء في القبر.

عون بن أبي رزين قال: لم يضحك عطاء أربعين سنة، وسئل من[٢٢٩] كان يقوم عليه: كم كان بكاء عطاء؟ قال: كان يبكي ثلاثة أيام بلياليها.

ولما احتضر دخل الحسن عليه وقد علته الصفرة فقال: يا عطاء لو خرجت إلى صحن الدار يصيبك برد الهوى، فقال: يا أبا سعيد بهذا تأمرني، والله لأستحي من الله أن أخطو خطوة على راحة بدني.

---

(٢٢٧) ضلت: ظل، م ي.
(٢٢٨) واهية: ساهية، م ي.
(٢٢٩) من: عمن، م ي.

صالح المري قال: أضر عطاء بنفسه حتى ضعف، فقلت له: إنك قد أضررت بنفسك وأنا متكلف لك شيئًا فلا تردد علي كرامتي، قال: أفعل، فاشتريت له سويقًا من أجود ما وجدت وسمنًا، وأرسلت بهما مع ابني وقلت له: لا تبرح حتى يشربها، فرجع وقال: قد شربها، فلما كان من الغد جعلت له نحوها، فرجع بها ولم يشربها، فأتيته وقلت: سبحان الله رددت كرامتي، إن هذا يعينك على الصلاة وذكر الله، قال: قد شربتها أول ما بعثت، فلما كان من الغد تذكرت هذه الآية: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم:١٧]، فلم أقدر على شربها، فبكى صالح وقال: إنا في واد وأنت في واد.

وكان إذا توضأ ارتعد، فسئل عن ذلك فقال: إني أقدم على أمر عظيم؛ وهو القيام بين يدي ملك الملوك.

مبحث في عطاء الأزرق

وعن مخلد بن الحسن: كان عطاء الأزرق يصلي الفجر فيقعد في مصلاه مستقبل القبلة حتى تطلع الشمس فيركع ركعا ثم ينصرف، ثم يجيء الظهر، فإذا صلاها قعد مستقبل القبلة إلى الليل، ثم يخرج فيتوضأ ويرجع إلى مكانه[٢٣٠] لا يكلم أحدًا.

وقال عطاء لبعضهم: إذا حضرت المقابر فليكن قلبك فيما [أنت] فيه، فبينا أنا في المقابر إذ تفكرت في شيء، فسمعت صوتًا: يا غافل إنما أنت بين ناعم في نعمة مدلل أو معذب في سكراته يتقلب.

مبحث في عبد الله بن عون

ورث عبد[٢٣١] الله بن عون مالًا فقال لجلسائه: ما تقولون فيه؟ قالوا: تجعل ذلك [لولدك، قال: لا ولكن] أدخره[٢٣٢] لي عند ربي، وأترك ربي من بعدي لولدي.

وعن خارجة: جالست ابن عون عشرين سنة فما أظن الملك كتب عليه شيئًا.

(٢٣٠) مكانه: مكان، م ي.

(٢٣١) عبد: عبيد، م ي.

(٢٣٢) أدخره: عقدة، م ي.

وعنه: حسن الخلق عون على الدين.

وقال ابن المبارك لابن عون: ألا تتكلم فتؤجر[٢٣٣]، فقال: أما يرضى المتكلم بالكفاف.

مبحث في عتبة الغلام[٢٣٤]

عبد الرحمن بن مهدي قال: كان عتبة يبل دقيقه بالماء ويجعله أقراصًا، ويصفه في الشمس، ويفطر عليه، فقالت مولاته: لو أعطيتني لخبزت، فيقول: يا أم فلان إن هذا قد شرّد[٢٣٥] عني كلب الجوع.

إبراهيم الخواص: كان عتبة إذا قام إلى الصلاة عرق بدنه في الشتاء والصيف، فقيل له في ذلك: فقال: حياء من الله.

وروي أنه لما بات لا يتهنأ بالطعام والشراب فقالت أمه: لو ترفقت بنفسك، قال: الرفق[٢٣٦] أطلب، دعيني أتعب قليلًا أتنعم كثيرًا.

وعنه: كيف يفلح إنسان يسره ما يضره.

وقيل له يومًا: إن الشمس قد انكسفت، فصاح صيحة ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: ذاك بذنبي، وكان له بيت يتعبد فيه، فلما خرج إلى الشام أقفله وقال: لا تفتحوا بابه إلى أن يأتيكم خبر موتي، فلما بلغهم خبر موته فتحوه، فأصابوا فيه قبرًا محفورًا وغلًا من حديد، وكان يأكل الخبز والملح ويقول: اللهو في دار أخرى.

وعن بعضهم: كنت مع عتبة في طريق إذ غشي عليه فسقط، ثم أفاق، فقلت: ما شأنك؟ قال: هذا موضع كنت عصيت الله فيه، فلما رأيته ذكرت فأصابني ما رأيت.

وكان يقول: لولا ما نهي عنه من تمني الموت لتمنيته، قيل: ولم؟ قال: لأن فيه خلتين: الراحة من معاشرة الفجار، والرجاء لمجاورة الأبرار.

عبد الواحد بن زيد قال: خرجت مع عتبة في يوم شاتٍ حتى أتى رحبة القصابين، فلما بلغ

(٢٣٣) فتؤجر: فتوجز، م ي. تاريخ دمشق ٣١/ ٣٥٩.

(٢٣٤) إحياء علوم الدين ٣/ ٩٣.

(٢٣٥) شرّد: سد، ي. إحياء علوم الدين ٣/ ٩٣.

(٢٣٦) الرفق: أرفق، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٠.

تلقاء غرفة تصبب عرقًا، فقلت: ما هذا؟ فقال: هذا موضع عصيت الله فيه، قلت: وما ذاك؟ قال: مررت بهذه الغرفة وهي بيت[٢٣٧] وأنا صبي، فأخذت منها فذكرتها فأخذني الحياء من الله.

ومر عبد الواحد به وهو يأكل خبز الشعير بملح جريش فقال: أتأكل ذا؟ قال: نعم حتى ندرك الشواء والعرس[٢٣٨] في الآخرة.

قدامة بن أيوب: رأيت عتبة الغلام في المنام فقلت: يا عبد الله ما فعل بك ربك؟ قال: يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوة المكتوبة في بيتك، فأصبحت فإذا مكتوب بخطه: يا هادي المضلين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأحياء المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، آمين رب العالمين.

مبحث في عبد الله بن شبرمة

محمد بن فضيل بن غزوان: كانوا يشبهون ورع ابن شبرمة بورع عبد الله بن عمرو.

وكان ابن شبرمة إذا [يقول] رأيت التقي مشغوفًا بطلب الإله فقد[٢٣٩] ألهاه ذلك عما سواه.

وعنه: لا يجترئ الرجل على القضاء حتى يجترئ على السيف، وكان يتمثل كثيرًا:

حتى متى أنت في دنياك[٢٤٠] مشتغل وعامـلُ الله عـن دنيـاه مشـغول

مبحث في عبد الله بن الهذيل

كان عبد الله بن الهذيل كثير البكاء.

قال العوام: كان إذا رأيته رأيته كالمعصوب أو كالمحزون.

---

(٢٣٧) بيت: بيتي، ي.
(٢٣٨) ندرك الشواء والعرس: يدرك السوا عرابه، م ي. الزهد الكبير للبيهقي ص١٧٩.
(٢٣٩) فقد: قد، م ي.
(٢٤٠) دنياك: دنيا، م ي. الزهد لابن جنبل ص٣١٣.

مبحث في عبد الله بن أبي زكريا

قال مسلم بن أبي زياد: كان عبد الله بن أبي زكريا طويل السكوت لا يتكلم إلّا أن يُسأل، وكان يقول لجلسائه: إذا ذكرتم الله أعنّاكم[٢٤١]، وإذا ذكرتم الناس تركناكم[٢٤٢].

وكان يقول: عالجت الصمت عشرين سنة فلم أقدر منه على ما أريد. [٢٤٣]

مبحث في عمر بن درهم

خالد بن يزيد: كان عمر بن درهم لا يكاد يرى من يكفر بالله، ودخل الجبانة ومعه ابنه وهو معصوب العين، فوطئ قبرًا فقال: يا بني أين أنا؟ قال: في الجبانة يا أبت، قال: هاهٍ هاهٍ، ثم خر ميتا.

حصين بن القاسم: رأيت عمر بن درهم في جنازة وشهدها أمير البصرة، فرأى عليه ثياب كسرى، فناداه: يا فلان، تأتي أهل الآخرة في زي السلطان، فقيل: من هذا؟ خذوه، قيل: عمر بن درهم، قال: دعوه.

مبحث في عباد بن كثير

كان عباد بن كثير من الزهاد، وكان له دار تحمل إليها[٢٤٤] المرضى ويخدمهم.

قال أبو بشر: دخل عباد ذات يوم على مريض فقال المريض: الطست الطست، فأدخل عباد يده تحته، فقال: أقسمت عليك لتحدثن عليها[٢٤٥]، ففعل، فخرج عباد وأخرج ما[٢٤٦] كفيه جميعًا ويقول: هذا والله قليل في طلب الفردوس، هذا والله قليل في مجاورة الرحمن.

شقيق البلخي قال: طلبت منه يومًا كتاب الزهد، فنظر إلي وقال: اللهم اجعله من الزاهدين

(٢٤١) أعنّاكم: أغناكم، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٣٧٥.

(٢٤٢) تركناكم: أقمناكم، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٣٧٥.

(٢٤٣) حلية الأولياء ٥/ ١٤٩.

(٢٤٤) إليها: إليه، م ي.

(٢٤٥) عليها: عليه، م ي.

(٢٤٦) ما: عباد، م ي.

في الدنيا، فكنت أرجو بركة دعائه، ثم دخلت منزله فرأيت قدورًا تغلي من بين حلو وحامض، فكنت أنكر ذلك من أجل ما سمعته يذكر من الزهد، فقال خادمه: يا خراساني لا عليك، إنه لم يأكل لحمًا منذ سبع سنين، إنه ليتخذ كل يوم سبع قدور من سائر الألوان ويطعم المساكين وأهل الحاجة، ويفطر على طعام خشن. قال شفيق: فعلمت منه الإيثار على النفس.

مبحث في عمر بن ذر

كان عمر بن ذر من العلماء الزهاد، حسن الكلام.

ومن كلامه: المستعان الله على ألسنة تصف، وقلوب تعرف، وأعمال تخالف. نظمه بعضهم فقال:

أحاديث رهبان[٢٤٧] وذكر فعالهم وأخبارُ صدقٍ عن نفوسٍ كوافر

وعنه: أما علمت أن الجديدين[٢٤٨] يكران عليك بالفجائع في إقبالهما وإدبارهم وأنت تتقلب في الليل والنهار آمنًا من الموت ونزوله، أما رأيت من اتخذ مضجعه من الليل صحيحًا ثم أصبح على فراشه ميتًا، لو علم أهل العافية ما تضمنه القبور من الأجساد البالية لاجتهدوا في الأيام الخالية خوفًا ليوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، ويوم يقوم الناس للملك الجبار.

وعنه: عباد الله لا تغتروا بطول حلم الله عنكم، واذكروا أسفه، فإنه قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزخرف:٥٥].

وعنه: من عرف الموت حق معرفته نغص عليه أيام حياته.[٢٤٩]

وعنه: كم من قائم بالليل يغتبط[٢٥٠] بقيامه في حفرته، وكم من نائم قد ندم على نومته عندما يرى من كرامة الله للعابدين، ألا فاغتنموا ذلك.

مبحث في ابن متحيرز عبد الله

ابن متحيرز من الكبار، وقال له رجل: أوصني، قال: إن استطعت أن تَعرف ولا تُعرف، وأن تَسأل ولا تُسأل، وأن تمشي ولا يُمشى إليك، فافعل.

---

(٢٤٧) رهبان: ركبان، م ي. حلية الأولياء ١٠/ ١٥١.

(٢٤٨) الجديدين: الجديدان، م ي. تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٥.

(٢٤٩) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٦.

(٢٥٠) يغتبط: يغبط، م ي. حلية الأولياء ٥/ ١١٣.

وعنه: كل شيء في المسجد لغو إلّا [كلام] ثلاث: مصلٍّ لله، وذاكر الله، وسائل حقٍّ أو[٢٥١] معطيه.[٢٥٢]

مبحث في علي بن الفضيل

ابن المبارك: خير الناس الفضيل بن عياض، وخير منه ابنه علي.

وعن الفضيل: قال لي ابن المبارك: استعد للموت ولما بعد الموت، فشهق ابن علي، فلم يزل مغشيًا عليه عامة ليله.

أبو سليمان الداراني: كان علي لا يستطيع أن يقرأ (القارعة) أو تُقرأ عنه.

وسئل الفضيل عن سبب موت ابنه، قال: بات يقرأ القرآن فأصبح في محرابه ميتًا.

مبحث في عبد الله بن المبارك

إسماعيل بن عياش: ما أعلم على وجه الأرض مثل ابن المبارك، وما أعلم أن خصلة من خصال الخير خلقها الله إلّا وقد جعلها فيه.

سلام بن مطيع: ما خلف[٢٥٣] ابن المبارك في الشرف[٢٥٤] مثله.

ولما نعي ابن المبارك إلى ابن أبي عيينة قال: رحمه [الله]، كان عالمًا، عابدًا، شجاعًا، سخيًا.

وعن بعضهم: كان ابن المبارك كما وصفه الشاعر:

رحلة في الدويب طورًا فطورًا ويوافي الحجيج في كل عام

لأنه كان يحج سنة ويغزو سنة.

ولما دخل بغداد دعاه هارون، فدخل عليه فقال: مرحبًا بعالم خراسان، هاهنا رحمك الله تحدثنا، فقال: ما لهذا جئت، وقد وعدت الناس مسجد الرصافة، فمن أراد العلم فليحضر، فقال: انصرف، ثم قال لوزيره: ما في هذا مطمع.

(٢٥١) حقٍّ أو: خوف، ي. حلية الأولياء ٥/ ١٤٢.

(٢٥٢) حلية الأولياء ٥/ ١٤٢.

(٢٥٣) خلف: خلق، م ي. حلية الأولياء ٨/ ١٦٤.

(٢٥٤) الشرف: الشرق، ي.

وعن محمد بن الحسين قال: دخل بعض المحدثين عليه وقال: يا أبا عبد الرحمن، الأمير بالباب يستأذن، فسكت فلم يأذن، فخرج الأمير ولم يلقه، ثم قال للفقيه: أرأيت لو مت في طريقك أما كنت تخشى أن تكون رسول الظالمين.

وسئل ما التواضع؟ قال: التكبر على الأغنياء.

ورئي في المنام فقيل: ما فعل بك ربك؟ قال: غفر لي بما دخل منخري من الغبار في سبيل الله.

وعنه: الناس فقراء وأغنياء وأوساط، فالأغنياء سكارى إلّا من عصمهم الله بتوقع الزوال، والفقراء موتى إلّا من أحياهم الله بعز القناعة، وأكثر الخير في الأوساط.

مبحث في عبد العزيز بن أبي رواد

روى جماعة أن عبد العزيز بن أبي رواد بلغ من تخشعه أنه لم ينظر إلى السماء أربعين سنة، وقد كان أيبسه خوف الله حتى كان العظم يخرج من وجهه، وكان يقرأ عنده القرآن فلا يبكي من دهاشته .

سفيان الثوري: ما جلسنا إلى عبد العزيز إلّا وقمنا ونحن نظن أنا مراؤون، وكان إذا صلى تراه كأنه قد خرج من حد الدنيا، وكان أصيب في بصره فلم [يعلم] به أهله عشرين سنة.

وكان من كلام عبد العزيز: كان الزناة في الجاهلية أشد حياء من قراء زماننا.

وعنه: سيكفر أقوام بطلبهم الرئاسة.

مبحث في عبد الله بن عبد العزيز العمري

قال رجل لعبد الله بن عبد العزيز العمري: أوصنا، قال: كما تحب أن يكون الله لك غدًا فكن له اليوم.

ومن كلامه لهارون الرشيد: لا يغرنك يا أمير المؤمنين المداحون بالزور، ولا القائلون بالغرور، واتق نارًا وقودها الناس والحجارة، لا طاقة لك بها، وأن العلماء قد علموا ونبذوه وراء ظهورهم، ولا تلهينكم عن الآخرة ملاهي النساء والصبيان.. في كلام طويل، فبكى هارون.

وقال له رجل: عظني، فأخذ حصاة وقال: مثل هذا من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة الأرض.

مبحث في عمير بن هانئ

الوليد بن جابر: قلت لعمير بن هانئ العنسي[٢٥٥]: كم تسبح في اليوم؟ قال: مائة ألف إلّا أن تخطئ الأصابع.

وروي أنه كان يسجد في اليوم ألف سجدة، ويسبح مائة ألف تسبيحة.

مبحث في عبده بن هلال

دخل عبده بن هلال الثقفي على بعض الأمراء وهو يأكل، فدعاه فقال: إني صائم، ثم خرج فقال: كذبت، عزمت ألّا أفطر أبدًا. فكان لا يفطر إلّا يوم الفطر والنحر.

وكان يقول: لا شَهِدَ عليَّ ليل بنوم أبدًا ولا شمس بأكل أبدًا، فعزم عليه عمر أن يفطر يوم الفطر والنحر ففعل.

مبحث في عبد الله بن غالب

مالك بن دينار قال: لما توفي عبد الله بن غالب صلوا عليه ودفنوه، فجعل الناس يقولون: يوجد من قبره ريح المسك، قال مالك: فذهبت وأدخلت يدي إلى نصف الذراع في القبر، فأخرجتها فإذا ريح المسك[٢٥٦].

العلاء بن زياد: كان ابن غالب وظّف على نفسه كل يوم وليلة ألف ركعة، وكان إذا صلى العصر وقد انتفخت رجلاه يقعد ويقول: يا نفس بهذا أمرت، ولهذا خلقت، يوشك أن يذهب العيا.

وكان يقول لنفسه: قومي يا مأوى كل سوء، ثم يقوم فينادي ويقول: اللهم إن النار قد منعتني النوم فاغفر لي.

(٢٥٥) العنسي: العبسي، ي. انظر الثقات لابن حبان ٥/ ٢٥٥، والثقات للعجلي ص٣٧٥.

(٢٥٦) ريح المسك: سكه، ي. انظر إكمال تهذيب الكمال ٨/ ١١٢.

مبحث في عبد الرحمن الزاهد

كان عبد الرحمن الزاهد يقول: إلهي يزجر الطير الصيحة عن هواها، ولا يزجرني كتابك.

وعنه: إلهي غيبت عني أجلي وأحصيت علي أمري وعملي، ولا أدري إلى أي الدارين تصيرني، وقد أوقفتني موقف المحزونين أبدًا ما أبقيتني.

وعنه: إلهي عصيتك شابًا وكهلًا وشيخًا كبيرًا، ثم يبكي ويشهق عندها.

مبحث في عبد الرحمن بن يزيد

عبد الرحمن بن يزيد [عن عطاء الخراساني][٢٥٧] قال: كنا نغازي[٢٥٨] معه، فكان يحيي الليل كله صلاة، فإذا مضى ثلث الليل وأكثر، نادانا عبد الرحمن: يا هشام، يا فلان، قوموا فتوضوا وصلوا، فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شرب الصديد ومقطعات الحديد، فالوحا الوحا، والنجا النجا[٢٥٩].

عبد الله بن عبيد قال: رأيت عطاء الخراساني وجابر بن زيد وطلق بن حبيب مكبلين بالحديد يطوفون بالبيت زمن الحجاج لأمرهم ونهيهم.

مبحث في عبد الله البغدادي

عن عبد الله بن محمد البغدادي: المحبة إذا ظهرت افتضح فيها المحب، وإذا كتمت قتلت المحب.

مبحث في عمرو بن عتبة

عبد الرحمن بن يزيد قال: خرجنا في الجيش ومعنا علقمة وعمرو بن عتبة ويزيد بن معاوية

---

(٢٥٧) الكامل من ضعفاء الرجال ٧/ ٧٠.

(٢٥٨) نغازي: نغادي، م ي. انظر تاريخ دمشق ٤٠/ ٤٣٣.

(٢٥٩) الوحا الوحا، والوحاء الوحاء وكذلك النجا النجا، والنجاء النجاء، بمعنى الإسراع الإسراع. انظر تهذيب اللغة (وحى).

ومعضد(٢٦٠) العجلي، فحاصرنا قصرًا ومعنا صاحب لنا مريض، فحفرنا له قبرًا، فرأى(٢٦١) يزيد في المنام كأنه جيء بغراب أبيض فدفن في ذلك القبر، وكان يزيد رجلًا خفيفًا أبيض، فخرج يتعرض للقصر، فجاءه حجر فمات، فدفناه فيه، ولبس عمرو بن عتبة جبة وقال: ما أحسن الدم ينحدر على هذه، فخرج يتعرض للقصر، فجاءته حجر وشجته وانحدر عليه الدم فمات فدفناه.

عيسى بن عمران: عمرو بن عتبة كان يخرج على فرسه ليلًا فيقف على أهل القبور فيقول: يا أهل القبور قد طويت الصحف، ورفعت الأعمال، ويبكي، ثم يصف بين قدميه فلا يزال يصلي حتى يصبح، ثم يرجع(٢٦٢) حتى يدرك الصبح.

مبحث في عمرو بن عبيد

روى جماعة أنه لم يكن أزهد من عمرو بن عبيد بالبصرة.

وكان من أصحاب الحسن، وما رئي أعبد منه وأورع منه، ولا أصدق لهجة منه، وكان له من الصلاة والصيام حظ، وكان يستقبل(٢٦٣) الناس بمر الحق.

وحمل إلى المنصور، فبينما هو جالس معه إذ أتاه رقعة، فقرأها وقال: يا عمرو ناولني الدواة، فسكت عمرو، فأعاد ثلاثًا وهو ساكت، قال الأعمش: فعجبت منه وما خاف عمرو ولا اكترث، فأخذ المنصور الدواة وقال: ما منعك ألا تناولني؟ قال: منعني أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظلمة وأعوانهم، فكرهت أن أكون في أعوان الظلمة، وإني لم أدر ما تكتب، لعلك تكتب في قتل إنسان فأشترك في قتله.

وقال أبو جعفر له: ما في الأرض أحد يستحى منه غيرك. وله أخبار كثيرة معه قد ذكرنا بعضها في المقامات.

وقيل له: إن فلانًا ينال منك، فقال: الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والرب يقضي بيننا.

---

(٢٦٠) ومعضد: ومقصد، م ي. انظر الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٤١، وتهذيب الكمال ٢٢/ ١٤٢.

(٢٦١) فرأى: فتراى، م ي.

(٢٦٢) يرجع: رجع، ي. انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٤٢.

(٢٦٣) يستقبل: مستقبل، م ي.

وقال له رجل: إني لأرحمك مما يقول الناس، قال: أفتسمعني أقول فيهم شيئًا؟ قال: لا، قال: إذًا فارحمهم. ولم يُر ضاحكًا ولا متبسمًا قط.

وكيع بن الجراح قال: مررت بالمسجد الحرام أول الليل وعمرو يصلي، ومررت(٢٦٤) به في آخر الليل وهو في ذلك الحرف الذي سمعته، وهو حرف ليس بآية.

وقال لرجل يعزيه [في موت أبيه وابنه]: كان أبوك [أصلك] وابنك فرعك فما بقي شيء ذهب أصله ولم يبق فرعه، ومثله للحسن: إن مرءًا ليس بينه وبين آدم إلّا أب ميت لمغرق في الموت.(٢٦٥)

شعر:

وما أنت إلّا هالك وابن هالك ... وذو نسب في الهالكين عريق
إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدوٍ في ثياب صديق

آخر:

لكل أناس مقبر بفنائهم(٢٦٦) ... فهم ينقصون(٢٦٧) والقبور تزيد
وهم خيرة الأحياء أما محلهم ... فدان ولكن اللقاء بعيد

مبحث في عثمان بن أبي زائدة

عن إبراهيم: لم يكن في زمان عثمان بن زائدة أورع منه ولا أخشع في صلاته.(٢٦٨)

سفيان الثوري قال: النظر إلى وجه عثمان عبادة.

وروي أنه صلى ذات يوم ومعه دينار، فجعله تحت مصلاه، فنسيه، فلما عاد قال: الدينار يشبه الدينار(٢٦٩)، ولعل آخر نسي دينارًا كما نسيته، فتركه.

(٢٦٤) ومررت: ومرر، ي.
(٢٦٥) يتيمة الدهر ٤/ ٨٤.
(٢٦٦) بفنائهم: لفنائهم، م ي. وفيات الأعيان ٢٨/ ٧٧.
(٢٦٧) ينقصون: ينقضون، م ي. وفيات الأعيان ٢٨/ ٧٧.
(٢٦٨) تاريخ دمشق ٢٤/ ٣٤١.
(٢٦٩) الدينار: الدنيا، م ي.

فصل الغين

مبحث في غزوان

كان غزوان من المجتهدين.

وروي أنه عاهد الله ألّا يرقأ له دمع حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أو إلى النار، فلم يحنث ووفى بذلك.

وعن الحسين: قال غزوان: لله علي ألّا يراني ضاحكًا حتى أعلم أي الدارين أنزل. وما رئي ضاحكًا حتى لقي الله.

مبحث في غيلان الدمشقي

روي أن غيلان الدمشقي دخل على عمر بن عبد العزيز وهو ذابل ناحل، فقال له عمر: ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: يا أمير المؤمنين، ذقت حلاوة الدنيا[٢٧٠]، فصغرت في عيني، فكأني أنظر إلى الناس يساقون إلى الجنة والنار، وقليل ما أنا فيه في جنب ثوابه وعقابه.

فصل الفاء

مبحث في فرقد السبخي

كان فرقد السبخي زاهدًا، قليل الأكل.

وروي عنه أنه قال: الناس يقولون: لا يصبر عن الطعام، ما لي من إدام إلّا ملح منذ سنة بفلسين. وكان لا ينام مخافة الساعة، ويصلي الليل كله ولا يكلم أحدًا إلى طلوع الشمس.

وزار فرقد مالك بن دينار، فقال له فرقد: طوبى لعبد كانت له غُلَيْلَةٌ تُغِلُّ عليه، فيخلق للعبادة ولا يخالط الناس، فقال مالك: يا فرقد طوبى لعبد أمسي وأصبح جائعًا راضيًا عن الله، فقال فرقد: يرحمك الله من أجل هذا أحب قربك.

(٢٧٠) ذقت حلاوة الدنيا: والنار حر العاقبة، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤٠٩.

وشهد الحسن وفرقد ضيافة، فكان الحسن يأكل وفرقد لا يأكل، فسئل عنه فقال لصاحب المنزل: لئن كنت أنفقت ما جمعت من حلال فقد أسرفت في هذه الألوان، ولئن جبيته من حرام فقد ذهبت المَهْنَأَةُ وبقي الوزر عليك، فقال: كيف يا فرقد، إن الله رزقك فضلًا من العبادة فلا تضيق على الناس، فقال: أنشدك الله يا أبا سعيد هل تعلم أن أصحاب محمد كان يأتي على [أحدهم] الستون والثمانون يجف(٢٧١) جلده على عظمه يدعى إلى الدنيا وهي له حلال فيأبى؟ قال: اللهم نعم، قال: فتلومني إن أنا لزمت سيرتهم وتركت ما ابتدع الناس؟ قال الحسن: أبصرت الرشد ألزم غفر الله لي ولك.

ومر مالك بن دينار على فرقد وهو يناجي في سجوده ويتضرع، فبكى مالك وقال:

قرير العين لا ولد يموت ... ولا هم يبادر ما يفوت
قضى وطر الصبا وأفاد علمًا ... فغايته التعبد والسكوت
خفيف الظهر ليس له عيال ... خلي من حرمت ومن دهيت
وغاية عيشه مما عليه(٢٧٢) ... تذابُح مَنْ ترى(٢٧٣) خلق وقوت

ولما توفي فرقد سئلت امرأته عن عمله، فقالت: كان يقوم بآية يرددها حتى يصبح.

وعنه: من أصبح حزينًا على الدنيا أصبح ساخطًا على ربه، ومن أصابته مصيبة فشكاها إلى الناس فإنما يشكو ربه.

وعنه: إن المنافق يراقب الناس ولا يراقب الله، وإن المؤمن يراقب الله ولا يراقب الناس، ويعلم(٢٧٤) أن الله تعالى يعلم من سره ما يعلم(٢٧٥) من علانيته، قائمًا بين يديه، فإن أصاب ذنبا تاب مكانه.

وكان فرقد يخرج إلى المقابر ثم ينادي: يا أهل القبور، من أنتم؟ فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: نحن الذين بليت أجسادنا(٢٧٦)، وبقيت أيامنا، والأمد قريب، والملتقى بعيد، ثم ينادي:

(٢٧١) يجف: نحف، م ي.
(٢٧٢) مما عليه: فيما لديه، م ي. ربيع الأبرار ٥/ ٣٤٦.
(٢٧٣) تذابُح مَنْ ترى: تدبر أمره، م ي. ربيع الأبرار ٥/ ٣٤٦.
(٢٧٤) وعلم: ويعلم، م ي.
(٢٧٥) يعلم: وعلم، م ي.
(٢٧٦) أجسادنا: أحسابنا، ي.

يا أهل القبور، فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه: شعر:

ماتوا فليس يجاب[٢٧٧] من ناداهم موتى فكيف إجابة الأموات

مبحث في فضل الرقاشي

كان الفضل الرقاش عم يزيد، وكان عدليًا، ذكره القتيبي في طبقات المعتزلة.

وروي عنه أنه قال: ليتنا لم نخلق، وإذ[٢٧٨] خُلِقْنا لم نمت، وإذ[٢٧٩] متنا لم نبعث، وإذ[٢٨٠] بعثنا لم نحاسب، وإذ[٢٨١] حوسبنا[٢٨٢] لم نعذب، وإذ[٢٨٣] عُذِّبنا لم نخلد.

وعنه: يا رب لا تعذبنا بذنوبنا بعد الإقرار بتوحيدك، ولئن فعلت لتجمعن بيننا وبين من عاديناهم فيك.

مبحث في فضيل بن عياض

كان الفضيل بن عياض يقول: من أحسن فيما بقي[٢٨٤] غُفر له ما مضى وما بقي، ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي.

وعنه: من خالط الناس لم ينج من إحدى ثلاث: إما أن يخوض معهم إذا خاضوا في باطل، أو يرى منكرًا من أصحابه فيسكت فيأثم، أو يشرك معهم.

وعنه: من أطاع المخلوق في سخط الخالق فقد آثر المخلوق على الخالق، ثم قال: ما أبالي إذا فَعَلْتَ ذلك أن تصلي[٢٨٥] لغير القبلة.

---

(٢٧٧) يجاب: يجيب، ي.
(٢٧٨) ليتنا لم نخلق، وإذ: السالم يخلق، فإذا، م ي. البيان والتبيين ١/ ٢١٩.
(٢٧٩) وإذ: فإذا، م ي. البيان والتبيين ١/ ٢١٩.
(٢٨٠) وإذ: فإذا، م ي. البيان والتبيين ١/ ٢١٩.
(٢٨١) وإذ: فإذا، م ي. البيان والتبيين ١/ ٢١٩.
(٢٨٢) حوسبنا: حاسبونا، م ي. البيان والتبيين ١/ ٢١٩.
(٢٨٣) وإذا: وإذ، ي. البيان والتبيين ١/ ٢١٩.
(٢٨٤) فيما بقي: شيء، ي. تاريخ دمشق ٤٨/ ٤٠٧.
(٢٨٥) تصلي: أصلي، ي.

وعنه: الكلام كلمتان: لك، وعليك، فما كان لك فكلم به، وما كان عليك فدعه، والخطو خطوتان: لك وعليك، فما لك فتخط فيه، وما كان عليك فدعه.

شعيب بن حرب: قال لي الفضيل ونحن بمكة في الطواف: إن كنت تظن أنه شهد الموسم شَرٌّ مني ومنك يا أبا صالح فبئس ما تظن[٢٨٦].

وروي عنه أنه قال: إذا رأيت الليل مقبلًا فرحت وقلت: أخلو بربي، وإذا رأيت الصبح استرجعت كراهية أن يجيئني من يشغلني عن ربي.[٢٨٧]

ودخل عليه الرشيد[٢٨٨] فلم يأذن له فبعث إليه[٢٨٩] جعفر بن يحيى بالباب يستأذن، فاستوى جالسًا وقال: أما تستحي شيخ مثلك يكون رسول مثله؟

وعنه: لو استأذن علي هارون ما أذنت له إلّا أن أُغلب.

وعنه: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى[٢٩٠]، لكان ينبغي لنا أن نختار ما يبقى على ما يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفًا يفنى على ذهب يبقى.[٢٩١]

أحمد بن عاصم قال: التقى فضيل وسفيان فتذاكرا وبكيا، فقال سفيان: يا أبا علي إني لأرجو ألاّ نكون جلسنا مجلسًا قط أضر علينا من هذا، قال: ولم؟ قال: ألست تخلصت إلى أحسن حديثك فحدثتني[٢٩٢] به، وتخلصت إلى أحسن حديثي فحدثتك به، فتزينت لي وتزينت لك، فبكى سفيان.

وعنه: هاه نريد أن نسكن الفردوس، ونجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، يا أحمق بأي عمل عملته؟ بأي شهوة تركتها؟ بأي غيظ كظمته؟ بأي رحم قاطع وصلتها؟ بأي زلة لأخيك عفوتها؟ بأي قريب باعدته في الله؟ بأي بعيد قربته في الله؟[٢٩٣]

---

(٢٨٦) صفة الصفوة١/ ٤٢٩.

(٢٨٧) إحياء علوم الدين٢/ ٢٢٧.

(٢٨٨) الرشيد: أبي بريد، م ي. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص٦٢.

(٢٨٩) فلم يأذن له متبعث إليه: وقال:يا أبا علي، م ي. روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص٦٢.

(٢٩٠) من خزف يبقى: تبقى من خرف، م ي. إحياء علوم الدين ٢/ ٢٠٧.

(٢٩١) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٠٧.

(٢٩٢) فحدثتني: فحدثتني، م ي.

(٢٩٣) تاريخ دمشق ٤٨/ ٤٢٥.

وقال له رجل: عظني، فقال: أوالداك في الأحياء؟ قال: لا، قال: قم عنا، إنك إن لم تعتبر بالمعاينة لم تنتفع بالموعظة.

وقدم بعض الخلفاء مكة، فأرسل بالهدايا إلى الفقهاء فقبلوا، وأرسل إلى فضيل فقال[٢٩٤] لأهله: ما تقولون وما ترون؟ قالوا: شيخ[٢٩٥] كبير ليس لك معيشة ولا دخل، وقد قبله الفقهاء، فبكى فضيل وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل قوم لهم ثور يحرثون عليه، فلما هرم قالوا: اذبحوه قبل ألّا ننتفع بجلده، أردتم أن تذبحوني على كبر سني، ألا ردوه لا بارك الله لكم فيه، والله لا أبيع ديني بعشرة آلاف ما بقيت،[٢٩٦] موتوا يا أهلي جوعًا[٢٩٧] فهو خير لكم من أن تذبحوا فضيلًا.

وكان فضيل من أرقهم[٢٩٨] وأورعهم وأزهدهم، وربما كان يحيي الليل على حرف واحد من كتاب الله.

وقال له ابنه: يا أبت جرير بالباب، قال: يا بني ما أصنع به، لو دخل كان يتزين لي وأتزين له، ويحدثني وأحدثه، وأرائي[٢٩٩] له ويرائي[٣٠٠] لي، فكنا نفترق على مقت الله وسخطه، فلم يزل يقول ذلك ويبكي حتى غشي عليه.

وكتب إلى بعضهم: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم زل، ومن صبر غنم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم.[٣٠١]

وقال لرجل يشكو حاله: [شكوت] من يرحمك إلى من لا يرحمك.[٣٠٢]

وعنه: كم من عالم يدخل على الملوك ومعه دينه، ويخرج ولا دين معه، فلا جعل الله مصيبتنا في ديننا.

---

(٢٩٤) فقال: وقال، م ي.

(٢٩٥) شيخ: شيخًا، م ي.

(٢٩٦) بقيت: بعث، م ي.

(٢٩٧) موتوا يا اهلي جوعًا: مولوا بأهلي، م ي. أحياء علوم الدين ٤/ ٢٢٤.

(٢٩٨) أرقهم: أدق، م ي.

(٢٩٩) وأرائي: ويرائي، ي.

(٣٠٠) ويرائي: وأرائه، ي.

(٣٠١) عين الأدب والسياسة ص٦١.

(٣٠٢) موارد الظمآن ٢/ ٣٢٩.

مبحث في فتح الموصلي

قيل لفتح الموصلي: [على ماذا بكيت الدموع وعلى ماذا بكيت الدم؟ فقال:] بكيت [الدموع] على تقصيري في خدمته، وبكيت دمًا على تقصير بكائي في تقصيري في خدمته.[٣٠٣]

ورئي في المنام [وسُئل: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل: فما صنع في دموعك؟ قال: قال الله لي: على ماذا بكيت؟ قلت: عن تخلفي عن واجب حقك، قال: فالدم؟ قلت: خوفًا ألا تفتح لي، فقال: يا فتح] أومثلك يقول هذا ومنذ أربعين سنة لم تحمل إلينا عنك سيئة.[٣٠٤]

وعن زيد بن الورقاء قال: دخلت مع جماعة على فتح نعوده، فرأينا من سوء حال عياله أن وبخ بعضنا بعضًا، فعمد كل واحد إلى طائفة من ماله، ثم دخلت عليه فقلت: إن أصحابنا بالباب، فقيل: ما بالهم؟ فذكرت السبب له، فقال: ما هكذا قال الله، ثم قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ..﴾ الآية [طه:١٣٢]، فخرجت وقلت لهم: انصرفوا فقد استغنى بآية من كتاب الله، لا أحسبه يفقر نفسه إليكم أبدًا.

وأصابه خصاصة في أهله فقال: إلهي لا أدري بأي عمل أكرمتني حتى ازداد ذلا لك[٣٠٥]. ولعله أخذ من كلام عيسى عليه السلام أنه قال: يقول الله تعالى: أيفرح عبدي أن أوسع له الدنيا وذلك أبغض ما يكون إليّ[٣٠٦] وأبعد[٣٠٧] ما يكون مني؟ ويحزن إذ أضيق عليه، وذلك أحب ما يكون إلي وأقرب ما يكون مني.

ومثله ما روي عن فتح في مناجاته في الليل: يا رب بقلة الطعام جوعتني، وفي الليل بلا سراج أظلمتني، فبأي وسيلة كافأتني وما فعلت هذا إلّا بأوليائك وأحبائك، فما أدري بأي شيء عملته من الحسنات كافأتني بها.

وقال فتح: أرأيتم جرابًا ملئ سويقًا كم يسع[٣٠٨] من الدقيق؟ قالوا: لا شيء، قال: فإذا ملأتم قلوبكم حُبّ الدنيا كيف يسعه من حب الآخرة.

---

(٣٠٣) صفة الصفوة ٢/ ٣٥٧.

(٣٠٤) الزواجر عن اقتراف الكبائر ١/ ٣١.

(٣٠٥) ذلا لك: ذلك، م ي.

(٣٠٦) إليّ: إليه، م ي.

(٣٠٧) وأبعد: وأبغض، م ي. حسن التنبه لما ورد في التشبه ٣/ ١٠.

(٣٠٨) يسع: سعه، م ي.

وجاء سائل إليه وقال: اكسني يا فتح، فأخذ بيده ودخل السوق ونزع جبته، وصاح: من يشتري؟ فقال السائل: إيش تصنع يا فتح؟ فقال: أبيعها وأشتري جبتين، واحدة لي وواحدة لك، قال: أتصارف رب العالمين، فصاح فتح صيحة خر مغشيًا عليه، فلما أفاق رمى بالجبة إليه.

وعن أحمد بن أبي الحواري قال: كان لفتح بضاعة عند صديق، فأخذها منه، فقال: لعل بلغك شيء؟ قال: لا ولكن قلبي يميل إليها فأحببت أن تكون لي عند الله، فأخذها وبددها.

وعنه: من لم يساعدني على محبة ربي لم يصاحبني، فإني عوتبت فيمن لم يوافقني على مرادي.

فصل القاف

مبحث في قتادة

كان قتادة بن(٣٠٩) دعامة السدوسي بصريًّا(٣١٠)، من أصحاب الحسن، وكان من أشبه الناس به في علمه وورعه، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويختم كل يوم سبع القرآن.

وقيل: ما كان ينام بالليل، ويجتهد وهو عالم بالكتاب والسنة.

وعنه: لم أر شيئًا أطوع من النفس إذا عودتها، ولا أصعب منها إذا لم تعودها، ألم به أبو الفتح البستي فقال:

النفس آلفة لما عودتها ... إن كان ذلك في ضلال أو هدى
فتعود(٣١١) الخيرات تحظ بخيرها ... فالخير أحسن ما تعوده الفتى

وعن قتادة: إن من الحب لله أن تحب على طاعته، وتبغض على معصيته.

وكان يقول: أما رأيت الموت(٣١٢) يأتي ابن(٣١٣)آدم وهو شاب فاخترمه من بين شيخين

(٣٠٩) بن: من، م ي.
(٣١٠) بصريا: بصري، م ي.
(٣١١) فتعود: فيعود، م ي.
(٣١٢) الموت: الموتى، م ي.
(٣١٣) ابن: بابن، م ي.

كبيرين، ففرق بينه وبينهم، أما رأيته يجود بنفسه بينهم صريعًا، لا يملكون له نفعًا ولا ضرًا حتى ينفذ فيه أمر الله تعالى، ثم بكى.

وعنه في قوله: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ[٣١٤]﴾ [آل عمران:١٧] قال: صبروا على طاعته، وصبروا عن محارمه، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٧] قال: صدقت نياتهم، واستقامت قلوبهم وأعمالهم، ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [آل عمران:١٧] المطيعين لله ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٧] قال: أهل الصلاة لله.

مبحث في القعقاع بن زيد

كان من الكبار.

عن محمد بن عجلان: ذهبت أكلم القعقاع في المسجد فقال: دعني هذه الساعة فإني أخبرت أن ملائكة موكلون بهذه الساعة يقولون: سبحان الملك القدوس.

وعنه: أخذت أهبة الموت منذ ثلاثين سنة، لو جاءني ما عندي مزيد.

مبحث في القاسم بن الحسن

عن القاسم بن الحسن قال: أحسن الظن بالله أن ترجوه في طاعتك، وتخافه في إساءتك.

وعنه: الرضا سكون[٣١٥] القلب في حب ما أرضى الله عنك، وفيما قَدَّر عليك.

وعنه: إذا دخل فضول الطعام خرج فضول الكلام.

وعنه: الزهد أن يكون الموجود والمفقود سواء عندك.

وعنه: المخذول عنده من أجاب الشيطان في دعوته، وعمل بطاعته، والأحمق من نسي أجله وركن إلى أمله، والمغرور من ركن إلى دنياه واطمأن بأهلها.

وعنه: السخاء ألّا تأخذ المال إلّا من وجهه، ولا تمنعه من حقه.

---

(٣١٤) م، ي. في م ي: والصابرين.

(٣١٥) سكون: سكوت، م ي.

وعنه: الاستغناء بالله أن تؤثره على من سواه، وتقصد إليه، ولا ترجو من سواه.

وعنه: العاقل من فهم عن الله مقالته، فاجتهد في نفاذ أمره وطاعته، وانزجر عن نهيه، وعزم على تركه.

فصل الكاف

مبحث في كرز بن وبرة

عن خلف بن تميم قال: حدثني أبي قال: قدم علينا الكوفة كرز بن وبرة، فأتاه قراء الكوفة، فكنت فيمن أتاه، فما سمعت منه إلّا كلمتين، قال: صلوا على نبيكم فإن صلاتكم تعرض عليه، ثم قال: اللهم اختم لنا بخير.

وروي أنه كان يتوضأ في الليلة التي مات فيها مائتي[٣١٦] مرة حرصًا على أن يموت وهو متوضئ.

وكان يصلي في بيت، فانهدم ناحية منه ولم يشعر، وكان دائم الصلاة، لا يُرى ساعة إلّا وهو يصلي، وفيه يقول ابن شبرمة:

لـو شـئت كنـت ككـرز فـي تعبـده ... أو كابـن طارق حول البيـت والحرم
قـد حـال دون لذيذ العيـش خوفُهما ... وسـارعا فـي طِـلاَب الفـوز والكرم

وروي النعم.

وامتنع كرز من الطعام، حتى ذكر أنه لو يوجد عليه من اللحم مقدار ما يوجد على العصفور، وكان كثير التفكر.

وحج في سنة حج فيها الأعمش، فأتاه الأعمش وليث في آخرين من الفقهاء، فدخلوا عليه وهو لا يرفع طرفه إليهم، فقيل: كيف نشاطك للصلاة؟ فقال: ما أظن أحدًا يسمع بالجنة والنار تأتي عليه ساعة لا يكون راكعًا فيها أو ساجدًا.

وكان يجتهد في العبادة فقيل له في ذلك فقال: كم بلغكم مقدار الدنيا؟ قالوا: سبعة آلاف

(٣١٦) مائتي: بمائتين، م ي.

سنة، فقال: كم بلغكم مقدار يوم القيامة؟ قالوا: خمسين ألف سنة، قال: يعجز أحدكم أن يعمل سُبع يوم[٣١٧] حتى يأمن ذلك اليوم.

وعن غزوان قال: كان كرز يصلي حتى تَرِم[٣١٨] قدماه، فيحفر الحفيرة ثم يقوم فيها من تورم قدميه.

وعنه: كان كرز يختم القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، وقيل له: لو قعدت في المسجد. فقال: إني أكره أن أقعد، فإما أن أسمع كلمة تسرني فأصغي إليها، أو أسمع كلمة تسوؤني فيشتغل قلبي، لقد عجبت فيمن عنده القرآن ويشتاق إلى حديث الرجال.

مبحث في كهمس بن الحسن

قال ابن واقد: قد سمعت كهمسًا يقول: لقيت عبادًا ثلاثة، قال أحدهم: نفسك مطية فانصبها في طاعة الله، وقال الآخر: إنما أنت مملوك فاجعل [على] نفسك ضريبة في كل يوم، وقال الآخر: إن استمكنت من نومك فشأنك.

الهيثم بن معاوية: كان كهمس يصلي ألف ركعة في اليوم والليلة، فإذا ملّ قال لنفسه: يا خبيثة ما رضيتك لله ساعة.

الأصمعي: كان كهمس يعمل في الجص كل يوم بدانقين، فإذا أمسى اشترى بهما فاكهة فأتى بها أمه.

وروي أنه لما ضعف كان يقتصر في اليوم والليل على خمسمائة ركعة.

يحيى بن سليمان قال: قال لي كهمس: أيهما أحب إليك، جراب من بعر أو جراب من دنانير؟ قلت: سبحان الله أيُخَيَّر أحد بين هذين؟ قال: لكني والله أحب إلي جراب من بعر لو كان في بيتي من جراب دنانير يشغلني عن الصلاة والطواف وإتيان المساجد، وإذا كان جراب من بعر لا أخشى عليه وأوقد به القدر، وأسجر به التنور.

وعنه: أذنبت ذنبًا أبكي عليه منذ أربعين سنة، قيل: ما هو؟ قال: زارني أخي لي فاشتريت له سمكًا ثم قمت إلى حائط جار لي فأخذت قطعة طين منه فغسلت بها يدي[٣١٩].

---

(٣١٧) سُبع يوم: سبعة أيام، م ي. إحياء علوم الدين ٤/ ٤١٣.

(٣١٨) تَرِم: تورم، م ي. سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٤٦.

(٣١٩) يدي: يده، م ي. تنبيه الغافلين ص ٣٧١.

مبحث في كليب البصري

روي أن كليب البصري اجتهد في العبادة حتى أيبسه شدة الاجتهاد، وذبل منها من شدة تعبده وامتناعه من الشهوات، حتى صار كأنه عود يابس مما كان يتعب.

فصل اللام

مبحث في الليث بن سعد[٣٢٠]

عن الشافعي: لم أر أحدًا تعبنا[٣٢١] عنده من الحديث من الليث بن سعد، وكان يعطي كثير العطايا.

قال شعيب بن الليث: قدمنا المدينة فأهدى مالك إلى أبي طبقًا من الرطب، فأهدى إليه أبي ألف دينار.

وعن أبي رجاء: كنت عند الشافعي فجاءته امرأة تطلب سُكُرُّجَةً[٣٢٢] من عسل، فأمر لها بأن يُحمل[٣٢٣] عليها زقٌّ عسل.

فصل الميم

مبحث في مسروق

عن أبي مالك النخعي قال: قال مسروق: أجرأهم على الفتيا أقلهم علمًا[٣٢٤].

وعن مرة: ما ولدت همدانية مثل مسروق.

وعن عامر: سافر مسروق إلى مكة فلم ينم إلّا ساجدًا.

وروي أنه بعث بعض الأمراء إليه عشرين ألفًا، فردها عليه ولم يقبلها، قالوا: لو قبلتها

(٣٢٠) سعد: سعيد، ي. انظر تاريخ بغداد ١٣/ ٩.
(٣٢١) تعبنا: تبعنا، ي.
(٣٢٢) السُّكُرُّجَةُ: وعاء. تاج العروس (سكرج).
(٣٢٣) يُحمل: تحمل، م ي.
(٣٢٤) جل الكتب التي وقفت عليها تنسب هذا القول لسحنون. انظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٦٣.

فتصدقت ووصلت بها رحمك؟ قال: أرأيتم لو أن رجلًا [سطا على مال فأخذه] ثم أعطاني أكنت آخذه؟ قالوا: لا، قال: فهذا مثله.

وسأل [بعضهم] مسروقا حاجة فقضاها، فبعث إليه هدية فردها، قيل له: أليس رسول الله كان يقبل الهدية؟ قال: كانت هدية النبي صلى الله عليه وآله وسلم هدية، وهي اليوم لنا رشوة.

وأخذ مسروق بيد ابن أخ له فارتفعا على كناسة بالكوفة، فقال له: ألا أريك الدنيا؟ هذه الدنيا، أكلوها فأفنوها، وركبوها فأنضوها، لبسوها فأبلوها، سفكوا فيها دماءهم، واستحلوا فيها محارمهم، وقطعوا فيها أرحامهم.

وعن أبي وائل: كنا مع مسروق، فمرّت[٣٢٥] سفينة قد وجهها معاوية فيها أصنام من صفر يتجر فيها إلى الهند، فقال مسروق: والله لو أعلم أن يقتلوني لغرقتهم، ولكن أخاف أن يعذبوني ويفتنوني.

وروي في بعض الأخبار أنه قال: لا أدري معاوية أي الرجلين هو، إما رجل لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، أو رجل زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فقيل له: ألا تأمر بالمعروف؟ فقال: لو كلفنا ما لا نطيق لفعلنا، لكنا كلفنا ما نطيق[٣٢٦]، وإن الرجل ليركب الخشب من خوف الخشب.

وقالت امرأة مسروق: كان مسروق لا يُرى إلّا وساقاه قد انتفخت من طول الصلاة، وإني كنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له، فقيل له: لو رفقت بنفسك، فقال: والله لأجتهدن حتى لا تلومني نفسي يوم القيامة، أما بلغك قوله تعالى: ﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢]، إنهم لاموا أنفسهم ولامتهم حتى صاروا إلى نار جهنم، وقارنوا الشياطين، ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ [سبأ:٥٤].

ولما حضرته الوفاة بكى، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: ما لي لا أبكي، وإنما هي ساعة ثم لا أدري أين يؤخذ بي.

وهو من الزهاد الثمانية من التابعين.

---

(٣٢٥) فمرّت: فمررت، ي.

(٣٢٦) ما نطيق: ما لا نطيق، ي.

مبحث في مالك بن دينار

عن المغيرة بن حبيب: رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاه، فقبض على لحيته وخنقته العبرة، فجعل يقول: اللهم حرم شيبة مالك على النار، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك؟ و[في] أي الدارين مالك؟ حتى طلع الفجر.

وعنه: لو استطعت ألّا أنام لم أنم مخافة النار، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في منازل الدنيا: النار النار.

وقال: مايسرني أن يكون لي ما بين الجسر إلى خراسان ببعرة، ثم قال: والله لو أردتكُم بهذا الكلام إني لشقي[٣٢٧].

جاءه سائل فسأله، فدخل بيته فوجد شيئًا من تمر فأعطاه، فقال: رضي الله عنك وأعتقك من النار، فقال: إلي تقول ذلك؟ قال: نعم، فدخل بيته فأخرج قطيفة فأعطاه، فأعاد الكلام، فقال: لم يبق شيء لي، فخذ بيدي وبعني بأي ثمن شئت، وأنفق الثمن.

وعنه: لو أن مناديًا ينادي بباب المسجد: ليخرج شركم رجلًا، فوالله ما سبقني إلى الباب إلّا رجل لفضل قوة أو سعي.

وقال والي البصرة له: إنما يجرّئك علينا ويحجبنا عنك قلة طمعك فينا[٣٢٨] وترك التماسك ما في أيدينا.[٣٢٩]

وعنه: إنكم في زمان أشهب لا يبصر فيه إلّا البصير، [أنكم في زمان نفخاتهم] قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم، طلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم، لا توقعوها في شبكاتهم، يا عالم، أنت عالمٌ تأكل بعِلْمِك، يا عالم، أنت عالم تفخر بعلمك، يا عالم، أنت عالم تكاثر بعلمك، يا عالم أنت عالم تستطيل بعلمك، لو كان هذا العلم تطلبه لله لرُئي ذلك فيك وفي عقلك.[٣٣٠]

(٣٢٧) كتاب المتمنين لابن أبي الدنيا ص٥٢.
(٣٢٨) فينا: إلينا، م ي. إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧.
(٣٢٩) إحياء علوم الدين ٢/ ١٤٧.
(٣٣٠) أخلاق العلماء للآجري ص٩٥.

وكان مالك يقول في قصصه: ما أشد فطام الكبير[٣٣١]:

أتروض عرسك بعدما هرمت ومن العناء رياضة الهرم

آخر:

والشيخ لا يترك[٣٣٢] أخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضَّنى[٣٣٣] عاد إلى نكسه

وحدثنا مالك عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من عبد خطب خطبة إلّا والله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها»، قال: فكان مالك يبكي عند هذا الحديث، ثم يقول: أفتحسبوني أن عيني تقر بكلامي عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به، يا رب أنت الشهيد على ما في قلب مالك، لو يعلم مالك أنه أحب إليك لم أقرأ[٣٣٤] على اثنين[٣٣٥] أبدًا.

وعن شيخ من أهل صنعاء قال: رأيت النبي عليه السلام في المنام فقلت: أين بدلاء أمتك؟ فأومأ بيده نحو الشام، قلت: يا رسول الله وما بالعراق فيهم أحد؟ قال: بلى، محمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، ومالك بن دينار الذي يمشي في الناس بمثل زهد أبي ذر في زمانه.

وعرض بعض مياسير البصرة ابنته[٣٣٦] على مالك فقال: يا عجبًا لك، أما تعلم أني طلقت الدنيا ثلاثًا.

وعنه: في قوله: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ [ص:٤٦]، قال: نزع الله ما في قلوبهم من حب الدنيا وذكرها، وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها.

ومن دعائه: اللهم لا تدخل قلب مالك من الدنيا قليلًا ولا كثيرًا.

وعنه: قلوب الفجار تغلي بعمل الفجور، وقلوب الأبرار تغلي بأعمال البر، والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله.

---

(٣٣١) فطام الكبير: فطام الكبيرة، م ي. حسن التنبه لما ورد في التشبه ١٠/ ٢٥٣.
(٣٣٢) يترك: تترك، ي. الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/ ٥٦٢.
(٣٣٣) الضَّنى: السقيم الذي طال مرضه وثبت فيه. اللسان (ضنا). انظر الآداب الشرعية والمنح المرعية ٣/ ٥٦٢.
(٣٣٤) أقرأ: يقرأ، م ي. الصمت لابن أبي الدنيا ص٢٤٩.
(٣٣٥) اثنين: آيتين، م ي. الصمت لابن أبي الدنيا ص٢٤٩.
(٣٣٦) ابنته: آنيته، م ي. تاريخ دمشق ٥٦/ ٤١٠.

وعنه: إن البدن إذا مرض لم ينجع فيه طعام[٣٣٧] ولا شراب، ولا نوم ولاراحة، كذلك القلب إذا مرض بحب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ.

وعنه: كفى بالمرء شرًا ألّا يكون صالحًا وهو يقع في الصالحين.[٣٣٨]

وعنه: الناس أشكال كأجناس الطير، الحمام مع الحمام، والغراب مع الغراب، وكل إنسان مع شكله.

وقال لرجل من أصحابه: إني لأشتهي رغيفًا بلبن رائب، فجاء به ذلك الرجل، فجعل يقلبه وينظر إليه ثم قال: أشتهيك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم تريد أن تغلبني وتحوجني، وأبى أن يأكله.[٣٣٩]

الحارث[٣٤٠] بن نبهان قال: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك ركوة، فكانت عنده فقال لي يومًا: يا حارث تلك الركوة فقد شغلت قلبي، فقلت: يا أبا الحسن إنما اشتريتها لك تتوضأ منها وتشرب، فقال: يا حارث إني إن خرجت إلى المسجد جاءني الشيطان فقال: إن الركوة قد سرقت، فشغل قلبي.[٣٤١]

وعن بعضهم قال: ربما قام تلك الليلة حتى يصبح قائمًا آخذا بأطراف لحيته وعيناه تهملان[٣٤٢] وهو يقول: ارحم هذه الشيبة من النار.

وعنه: اتقوا السحارة فإنها تسحر القلوب قلوب العلماء؛ يعني الدنيا.

وعنه: لأن أتصدق بتمرة حلال أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف حرام، ولدرهم يرده الرجل من حرام أو لا يأخذه خير له من أن يتصدق بمائة ألف.

وعن مالك: رأيت جويرية بمكة تطوف[٣٤٣] ويقول: يا رب، كم من لذة ذهبت شهوتها وبقيت تبعتها، يا رب ما كان لك عقوبة إلّا النار. فما زالت كذلك حتى أصبحتْ، فوضعْتُ يدي على رأسي وأقول: ثكلت مالِكًا أمُّه جويرية منذ الليلة قد بطلته.

(٣٣٧) طعام: الطعام، م ي. الزهد لابن أبي الدنيا ص٧٤.
(٣٣٨) تاريخ دمشق٥٦/ ٤٣٠.
(٣٣٩) صفة الصفوة ٢/ ١٦٣.
(٣٤٠) الحارث: الحرث، م ي.
(٣٤١) ذم الهوى للجوزي ص٦٥.
(٣٤٢) أي: تفيضان. انظر الصحاح (همل).
(٣٤٣) تطوف: يطوف، م ي. التبصره لابن الجوزي ص٣٩٩.

جعفر بن سليمان، عن مالك قال: أصاب بني إسرائيل بلاء، فخرجوا يدعون الله، فأوحى الله إلى نبيهم: أخبرهم بأنهم خرجوا إلى الصعيد بأبدان نجسة، يرفعون(٣٤٤) إلي أكفًا سفكوا الدماء [بها] وملأوا بها بيوتهم من الحرام، فكان يقول لنفسه: بادري قبل أن يأتيك الأمر.

وعنه: مثل المؤمن مثل اللؤلؤة، حيث ما ذهبت ذهب معها حُسْنها.

وعنه: لولا أن يرميني الصبيان ويقولوا: جنّ(٣٤٥) مالك للبست المسوح، ووضعت الرماد على رأسي، ثم ناديت: من رآني فلا يعصين الله.

عن مالك قال: سمعت الحجاج يقول على المنبر: امرؤٌ زود نفسه، امرؤٌ اتهم نفسه، امرؤٌ اتخذ نفسه عدوة، امرؤٌ حاسب نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤٌ نظر إلى ميزانه، امرؤٌ أخذ بعنان عمله ينظر ماذا يراد به، فما زال يقول ذلك حتى أبكاني.(٣٤٦)

وقال حين احتضر: يا رب لهذا اليوم كنت أرجوك فلا تقنطني من رحمتك.

وكان يخرج إلى القبور كل خميس ويقول:

ألا حي القبور ومن بهنه ... وجوهٌ(٣٤٧) في التراب أجبهنه
فلو أن القبور سمعن صوتي ... إذن لأجبنني إذ زرتهنه(٣٤٨)
ولكن القبور صمتن عني ... فأبتُ بحسرة من عندهنّه

مبحث في مُحمَّد بن واسع

مالك بن دينار: القراء ثلاثة: قراء الأسواق، وقراء الملوك، وقراء الرحمن، وإن مُحمَّد بن واسع من قراء الرحمن. وكان الحسن يسمي مُحمَّد بن واسع زين القراء.

ودخل مُحمَّد بن واسع على قتيبة وهو لابس جبة صوف، فقال: ما دعاك إلى المدرعة؟ فسكت، فقال: أكره أن أقول زهدًا فأزكي نفسي، أو أقول فقرًا فأشكو ربي.

---

(٣٤٤) يرفعون: يرفعوا، م ي.

(٣٤٥) ويقولوا جنّ: ويقولون يجن، م ي. الزهد لابن حنبل ص٢٦٢.

(٣٤٦) تاريخ دمشق ١٢/ ١٤١.

(٣٤٧) وجوهٌ: وجوهًا، ي. انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٤١.

(٣٤٨) إذن لأجبنني إذ زرتهنه: ألا لاحندا من وجدهنه، ي. انظر تاريخ دمشق ١٢/ ١٤١.

وكان مُحَّمد بن واسع يخرج خبزًا يابسًا، فيبله بالماء ويأكله بالملح، ويقول: من رضي بهذا من الدنيا لا يحتاج إلى الناس.

واجتمع مُحَّمد بن واسع ومالك بن دينار، فقال مالك: إني لأغبط الرجل أن يكون له غنية يعيش بها، فقال مُحَّمد بن واسع: وإني لأغبط من أصبح في الدنيا وليس له غداء[٣٤٩] ولا عشاء، وهو عن الله راض، فتفرق[٣٥٠] الناس على أن مُحَّمد أقوى الرجلين.

يونس: دخلت على مُحَّمد بن واسع أعوده، فكان يقول: وما يغني عني[٣٥١] قول الناس في إذا أخذت بيدي ورجلي وألقيت في النار.

وكان يقول تواضعًا: لو كانت الذنوب توجد ريحها ما استطاع أحد منكم أن يدنو[٣٥٢] مني.

وعنه: المصيبة في أثر المصيبة حط للخطيئة بعد الخطيئة.

وكان يعرض عليه الأموال فيأبى أن يقبلها، فقيل: لعله [لا] يحتاج إليها، فسكت، ثم أخرج عند الإفطار خبزًا يابسًا وإناء[٣٥٣] به ماء، فأكل بالماء، ثم قال: أي احتياج إلى الناس وقد رضيت بهذا؟

ولما حارب قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع أين هو؟ فقيل: هو في أقصى الميمنة يبصبص بأصبعه نحو السماء، فقال قتيبة: تلك الأصبع الفاردة[٣٥٤] أحب إلي من مائة ألف سيف وسنان[٣٥٥].

وكان مُحَّمد بن واسع عدليًا، ذكره القتيبي.

وعن مُحَّمد بن الحسن: شهدت جنازة مُحَّمد بن واسع فما رأيت زحامًا أكثر منه، لا الحسن

---

(٣٤٩) غداء: غذاء، ي.

(٣٥٠) فتفرق: فيفرق، ي. انظر الزهد الكبير للبيهقي ص١٨٠.

(٣٥١) يغني عني: يعني عن، ي.

(٣٥٢) يدنو: يدنوا، ي.

(٣٥٣) وإناء: وإجا، ي.

(٣٥٤) الفاردة: المنفردة. تاج العروس (فرد). تاريخ دمشق ٥٦/ ١٦٨.

(٣٥٥) وسنان: وسنارة، ي. تاريخ دمشق ٥٦/ ١٦٨.

ولا غيره، وكان بعد الصلاة فما[٣٥٦] بلغ إلا[٣٥٧] عند غروب الشمس فقال أحدهم[٣٥٨] هذا والله الشرف لا ما نحن فيه.

وكان مُحَمد بن واسع يأخذ لحيته بيده ويقول: تطلب الرئاسة بعد ثمانين سنة.

ونظر محمد بن واسع يوم قبض إلى ازدحام الناس في داره وثنائهم[٣٥٩]، فقال: ما ينفعني هذا الخلق إن استقبلتني الملائكة بهذه الآية: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ..﴾ الآية [الرحمن:٤١].

وعنه: غفلت غفلة وإذا أنا يشبخ وأنا لا أشعر، وكان يتمثل:

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج[٣٦٠] عريانا

مبحث في مورق العجلي

كان من الزهاد، مجتهدًا، خاشعًا.

روي عنه أنه قال: ما وجب علي زكاة قط، وما تكلمت في الغضب بشيء قط ندمت عليه في الرضا.

وعن مورق قال: سألت الله مسألة مذ عشرين سنة، فما أعطانيها، وما أيست منه، فقيل: ما هي يرحمك الله؟ قال: ترك ما لا يعنيني إلى ما يعنيني، فقال بعضهم: من يقوى على ما يقوى عليه مورق، إنه سأل مسألة منذ عشرين سنة [ألا يتكلم] كلمة فيها معصية.

وعنه: لقد وارت الأرض أقوامًا لو رأوني جالسًا معكم لاستحييت منهم في مجالستي إيّاكم[٣٦١].

وقال له رجل: إني أشكو إليك نفسي، أريد أن أصلي فلا أستطيع، وأريد أن أصوم فلا أستطيع، فقال: بئس ما أثنيت على نفسك، كما ضعفت عن الخير فاضعف عن الشر.

---

(٣٥٦) فما: فلما، ي.

(٣٥٧) إلا: إالى، ي.

(٣٥٨) أحدهم: مبرها، ي.

(٣٥٩) وثنائهم: وشفقها، ي.

(٣٦٠) منها وانج: حتى تنج، ي. روح البيان ٩ / ٣٥٨.

(٣٦١) إيّاكم: اباكم، ي. انظر تاريخ دمشق ٥٨/ ١٧١.

مبحث في مطرف بن عبد الله

من مناجاة مطرف بن عبد الله: إلهي منك النعمة وعليك إتمامها، وأنت تعين على شكرها وعليك ثوابها.

ومات له ابن فأتوه وقالوا: خفنا عليك الشيطان، فقال: والله لو أن الدنيا كلها لي ثم سئلتها بشربة ماء أسقاها في القيامة لبذلتها.

وعنه: اللهم إني أعوذ بك أن أقول الحق أريد غير وجهك.

مبحث في مسلم بن يسار

روي عن ابن عون قال: مسلم بن يسار يصلي كأنه وتد، لا يميل على قدم مرة، ولا يحرك له ثوبًا.

وعن ثابت البناني، عن مسلم بن يسار قال: ما من شيء من عملي إلّا وأنا أخاف أن يكون دخله شيء أفسده غير الحب في الله.

وعن مسلم: ما تنعم المتنعمون بمثل مناجاتهم لربهم، وخلواتهم به.

روي أنه انهدم ناحية من المسجد، ففزع أهل السوق، وهو في المسجد يصلي، فلم يشعر به.

العلاء[٣٦٢] بن زياد: [لو كنت] متمنيًا[٣٦٣] لتمنيت فقه الحسن، وورع ابن سيرين، وصواب مطرف، وصلاة مسلم.

مبحث في مُحَّمد بن المنكدر

مالك بن دينار قال: كان مُحَّمد بن المنكدر سيد القراء، وما أتيناه مرة يحدثنا إلّا وبكى وأبكى، وهو يقول: أنفق في خير[٣٦٤] ولا تكن خازنًا[٣٦٥] لغيرك.

(٣٦٢) العلاء: المعلا، ي. تاريخ دمشق ٥٨/ ١٢٩.
(٣٦٣) +: لو كنت، ي م. تاريخ دمشق ٥٨/ ١٢٩.
(٣٦٤) خير: خيرك، ي.
(٣٦٥) خازنًا: جاريًا، ي.

مسلم بن بسطام قال: كان محمد بن المنكدر لا ينام الليل كله، ويكثر البكاء، فشق على أمه فقالت: لو كلمته واستعنت عليه بأبي حازم، فجئته وأبو حازم وقلنا: قد شق على أمك ما تصنع من قيام الليل وكثرة البكاء، فلو قصرت فقمت بعض الليل ونمت بعضه، فقال: إن الليل إذا دخل هالني، فإذا استفتحت بالقرآن سها نومي، قالوا: فما أبكاك؟ قال: آية من كتاب الله، قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ [الزمر:٤٨]، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٧].

وكان يستغفر من الضحك كما يستغفر آخرون من الذنب.

مبحث في محمد بن سيرين

عاصم الأحول: ما رأيت رجلًا أفضل من ابن سيرين في ورعه.

وعن عون بن عبد الله: ما رأيت رجلًا أعظم رجاء لهذه الأمة ولا أشد خوفًا على نفسه[٣٦٦] من ابن سيرين.

غالب العطار: خذوا بحلم[٣٦٧] مُحَمد ولا تأخذوا بغضب[٣٦٨] الحسن.

وعن هشام: كان ابن سيرين لا يَقْبل من الأمراء، يرى أنهم يعطونه على دينه.

وعن ابن حسان: ترك ابن سيرين أربعين ألف درهم في شيء ما ترون[٣٦٩] به بأسًا.

وعن قرة[٣٧٠] بن خالد: ألححت على ابن سيرين في المسائل فقال: إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خُلُق.

وكان إذا سئل عن مسألة قال: لا أعلم بها بأسًا، ولا يقول: لا بأس بها تحرجا[٣٧١].

مبحث في مجاهد [بن جبر]

عن سلمة بن كهيل: ما رأيت أحدًا يلتمس وجه الله إلّا مجاهد بن جبر.

(٣٦٦) نفسه: أمه، م ي. الرسالة القشيرية ١/ ٢٥٨.

(٣٦٧) بحلم: علم، م ي. طبقات ابن سعد الكبرى ٧/ ١٩٥.

(٣٦٨) بغضب: بعصب، ي. طبقات ابن سعد الكبرى ٧/ ١٩٥.

(٣٦٩) ترون: يرون، ي. الورع لابن أبي الدنيا ص١٢٠.

(٣٧٠) قرة: فروة، ي. طبقات ابن سعد الكبرى ٢/ ٢٧١.

(٣٧١) تحرجا: تخريجًا، ي.

ونزل بعض الخانات فبيتوه اللصوص فأخذوه من الغد وضربوه بالسياط، فرآه بعض من يعرفه فقال: مجاهد ضرب، ما أعجب شأنه، يضرب بالسياط فلا يخبر أنه مجاهد، فلو أخبر لعرفوا فضله، لكنه كره أن يعرف نفسه إلى غيره ويسأل العفو من غير الله.

وكان إذا دخل في الصلاة فكأنه مجنون من كثرة فكره وحزنه من الجنة والنار.

وعن مجاهد: قرأت القرآن على ابن عباس مرتين، وسألته عن تفسيره حرفًا حرفًا.

وعنه: من أعز نفسه أذل دينه.

وعنه: إن من بركة المسلم على المسلم أن يستحي منه، يمنعه عن معاصيه.

وسأل رجل مجاهدًا فقال: كنت بين يدي العمال لا آمر ولا أنهى، ولا أزيد ولا أنقص، فقال مجاهد: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [القصص:١٧]، فأعاد المسألة، فقال بعض جلسائه: قد أجابك، فقال الرجل: إن لي[٣٧٢] عيالًا، فقال مجاهد: والله لعذره أشد من جرمه، لئن أطعته ليجيعنك، وإن عصيته ليشبعنك.

مبحث في معاوية بن قرة

عن معاوية بن قرة قال: دخل الموت بين الأهل والأقارب، ففرق بينهم في الدنيا، فطوبى لمن جُمع بينه[٣٧٣] وبين أحبائه بعد الفرقة، ثم بكى.

وكان يقول: كنا في زمان ما يموت منا ميت على الإسلام إلّا قلنا: ذهب إلى الجنة، حتى أدركنا زمانكم هذا فخلطتم علينا.

وعنه: كنا لا نعد علم من لم[٣٧٤] يكتب العلم علمًا. وكان يقول: عودوا نساءكم لا، فإن المرأة ضعيفة، أو قال: سفيهة، إن أطعتها أهلكتك.

وعن معاوية بن قرة: قلت للحسن: ما تقول في الورع؟ قال: ذاك رأس الأمر كله.

(٣٧٢) لي: علي، م ي.
(٣٧٣) بينه: بينهم، م ي.
(٣٧٤) لم: لا، م ي.

مبحث في مجمع التيمي

روي أن مجمع التيمي حاك[٣٧٥] ثوبًا وتَنَوَّقَ[٣٧٦] فيه، فلما باعه رُدَّ عليه بعيب، فبكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال لا أبكي[٣٧٧] على الدنيا، ولكن هذا الثوب تنوقت[٣٧٨] فيه فَرُدَّ عليّ بالعيب، فأنا أبكي على عملي مذ أربعين سنة أخاف[٣٧٩] أن يرد علي بالعيب.

أبو يزيد الرقي: كان لمجمع كل يوم رغيفان: رغيف يفطر عليه، ورغيف يتسحر به.

وكان مجمع عبدًا لامرأة فطلبه قوم فاشتروه وأعتقوه، ذكره عطاء بن مسلم.

أبو بكر بن عباس قال: أجمع الناس أن خير الناس عندهم مجمع، وكان مجمع يقول: قلم الملك لسانه ومداده ريقه.

مبحث في محمد بن نصر الحارثي

عبد الله بن المبارك قال: كان محمد بن نصر الحارثي إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله حتى تبين الرعدة فيها.

وجاءه رجل فقال: لم جئتني؟ فقال: للاستيحاش[٣٨٠]، فقال: كيف يستوحش أحد وهو يقول: أنا جليس من ذكرني، فقال: كأنك تكره أن تؤتى[٣٨١]؟ قال: نعم، فقام من عنده.

وعنه: من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة برئت منه العصمة ووكل إلى نفسه.

مبحث في محمد بن يوسف الأصفهاني

كان محمد بن يوسف الأصفهاني يقول: إنما هي العصمة أو الهلاك، والعفو أو النار[٣٨٢].

---

(٣٧٥) حاك: اتخذ، م ي.
(٣٧٦) تَنَوَّقَ فلان في ملبسه: يعني تجوّد وبالغ.
(٣٧٧) أبكي: أبطي، م ي.
(٣٧٨) تنوقت: اقت، م ي.
(٣٧٩) أخاف: أخاع، م ي.
(٣٨٠) للاستيحاش: لاستيحاش، ي.
(٣٨١) تؤتى: يؤتى، م ي.
(٣٨٢) أو النار: والنار، م ي.

وذكر عنده الإخوان فقال: وأين مثل(٣٨٣) الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك وهو يدعو لك، وأنت تحت(٣٨٤) أطباق الثرى.(٣٨٥)

عبد الرحمن بن مهدي قال: كان(٣٨٦) محمد بن يوسف يجيء إلى سفيان يستفتيه ويسأله عن حديث ثم يرجع.

مبحث في موسى بن طريف

قيل لموسى بن طريف: أوصنا، قال: إن أمكنكم أن تكونوا بين [قوم] لا يعرفونكم فافعلوا، ولا يكن نصيبكم من الدنيا أن يقال: جالسنا فلانًا، ذاكرنا(٣٨٧) فلانًا، ناظرنا فلانًا، فإن ذلك يقسي قلوبكم.

وعنه: اجتهد في كتمان الخير، فإنه يرق قلبك.

مبحث في منصور بن زاذان

هشيم بن بشير قال: كان منصور بن زاذان يختم القرآن كل ليلة مرتين، وكان يقول: كان منصور يجيء إلى المسجد فيختم القرآن قبل أن يجيء الإمام، كان يعرف ذلك بسجوده، وكان يسجد خمس عشرة سجدة، وكان لا ينام بالليل.

وتوضأ وبكى، فقيل له في ذلك، فقال: أي شأن أعظم من شأني، أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم، ولعله يعرض عني.

مبحث في مالك بن أنس

قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.

وكان مالك يقول: إذا سئلت فاطلب لنفسك مخرجًا من الجواب ثم أجب.

(٣٨٣) مثل: منكم، م ي. إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٦.
(٣٨٤) تحت: تدعو بين، م ي. إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٦.
(٣٨٥) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٦.
(٣٨٦) كان: دخل، م ي.
(٣٨٧) ذاكرنا: ذاكر، م ي.

وقال له هارون: يا مالك يجب أن تأتينا حتى يقرأ صبياننا عليك الموطأ، فقال: يا أمير المؤمنين العلم يؤتى ولا يأتي، وهذا العلم منكم خرج، فإن أعززتموه عز، وإن أذللتموه ذل، فقال لأولاده: اخرجوا واسمعوا مع الناس.

مبحث في معروف الكرخي

وعن معروف الكرخي: إن طول الأمل يمنع من خير العمل.

وأتاه إنسان فقال: أوصني، فقال: قل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر. فسأله مرارًا فكرر عليه.

وجاءه سائل فأخذ نعله وأعطاه، فقيل له: إنه اشترى بها جبنًا ورطبًا، فقال: الحمد لله، عسى أنه يشتهيه منذ زمان فوافقنا شهوته.

وقال له رجل: إنك تجيب كل من دعاك، فقال: إنما أنا ضيف أَنْزِل حيث أُنَزَّل.

مبحث في محمد بن طارق[٣٨٨]

كان محمد بن طارق[٣٨٩] من العباد، كثير الطواف، يطوف في يومه وليلته سبعين أسبوعًا[٣٩٠]، فكان يعدل عشرة فراسخ.

قال سفيان بن عيينة: قال ابن شبرمة يخاطب نفسه:

لـو شـئت كنـت ككـرز فـي تعبُّـدِهِ

البيتين قد ذكرناهما في أخبار كرز.

وكان محمد بن طارق يطوف كل يوم وليلة سبعين مرة كانت تعدل عشرة فراسخ.

مبحث في مرة بن شراحيل

كان مرة بن شراحيل من كبار الزهاد.

---

(٣٨٨) طارق: طارف، ي. انظر صفحه الصفوة ١/ ٤١٧.

(٣٨٩) طارق: طارف، ي. انظر صفحه الصفوة ١/ ٤١٧.

(٣٩٠) يقال: طفْتُ بالبيت أُسْبُوعًا، أي: سبع مرات.

روي عن حصين بن عبد الرحمن قال: أتينا مرة فإذا هو في علية له يتعبد منذ عشرين سنة.

عبد الرحمن بن إدريس قال: قيل لمرة بعدما كبر: كم بقي من صلاتك؟ قال: الشطر خمسون ومائتا ركعة.

مبحث في محمد بن علي الكتاني

قال رجل لمحمد بن علي الكتاني: أوصني، قال: كن كما تُري الناس، وإلا فأرِ الناس كما تكون.

وعنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال: يا أبا بكر من تزين للناس بخلاف ما يعلم الله منه شانه الله بين الناس.

ونظر إلى شيخ كبير السن أبيض اللحية يسأل، فقال: هذا رجل أضاع الله في صغره فضيعه الله في كبره.

وعنه: إن لله تعالى ريحًا تسمى الصبيحة، مخزونة تحت العرش، تهب عند الأسحار، تحمل الأنين والاستغفار إلى الملك الجبار، وأنشد(٣٩١):

الوجد والشوق في مكاني ... قد منعاني عن القرارِ
هما معي لا يفارقاني ... هما شعاري وهما دثاري

مبحث في محمد بن كعب القرظي

كان محمد بن كعب القرظي من أحسن الناس عبادة وزهدًا وحكمة، وكان عالمًا بالكتاب والسنة، وكان كثيرًا ما يقول: إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل فيه ثلاث خصال: فقهًا في الدين، وزهدًا في الدنيا، وبصيرة بعيوبه.

مبحث في منصور بن المعتمر

عن سفيان قال: كان منصور يصوم حتى صار مثل العود مهزولًا ضعيفًا، ولقد صام حتى كان يرى طحاله وكبده.

(٣٩١) طبقات الصوفية للسلمي ص٢٨٣.

وروي أن ابنًا له قال: يا أبت إني أصدع، قال: منذ كم؟ قال: منذ أمس، قال: تصدع منذ أمس وتشكو ربك[٣٩٢]، وعيني قد ذهبت منذ سنين، فما علمت بها أمك؟

وعن بعضهم قال: كان لمنصور جار له ابنتان لا يصعدان السطح إلّا بعدما ينام الناس، فقالت إحداهما ذات ليلة: يا أماه ما فعلت القائمة التي كنت أراها أيامًا في سطح فلان؟ قالت: يا بنية لم تكن قائمة، إنما كان منصور يصلي، يحيي الليل على ركعة لا يسجد فيها ولا يركع، فقالت: يا أماه بلغ به العبادة والفرق وأنا ألقاه منذ عشرين سنة، فأظنه قائمة وأنت تقولين هو منصور، فما فعل؟ قالت: مات ودفنوه قالت: يا أمتاه، انطلقي[٣٩٣] فاشتري لي مدرعة أتعبد فيها، فوالله لا أجمع برأسي ورأس رجل أبدًا، رجل لا ينام عشرين سنة فرقًا من النار؟ فاشترت لها مدرعة شعر، فدخلا جميعًا في العبادة فعبدتا عشرين سنة لا تنامان[٣٩٤] بالليل ولا تفطران[٣٩٥] بالنهار.

مبحث في مطر الوراق

كان مطر الوراق كثير الاجتهاد، قال لأصحابه يوم النحر: هل ترون في بأسًا؟ قالوا: لا، قال: فما ذقت لحمًا منذ يوم النحر ولا عيالي من السنة.

وروي أنه كان إذا أجنه الليل بكى، فقيل: ما يبكيك؟ فقال: أبكاني هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:٧١]، فليت شعري أصادر عنها أم لا.

وروي عنه: لو وليت من أمر [المسلمين] شيئًا لضربت المنازل في الطريق، ثم أجلست عليها الرجال ينادون: أيها الناس اتقوا الله، راقبوا النار.

وكان يخرج مع إبراهيم بن عبد الله، فلما قتل إبراهيم بباخمرى وأسر مطر، وقدم على المنصور، فقال له: يا مطر، أنت القائل: إن في قلبي لحرا لا يطفئه إلّا برد عدل، أو حر سنان؟ فقال: أنا القائل ذلك، فقال أبو جعفر: لأذيقنك اليوم حر سنان يشيب منه رأسك، فقال مطر: إذًا لأصبر صبرًا يذل الله [به] سلطانك، فأمر بقطع يديه، فمدوا يديه فقبضهما، فقال: يا مطر

(٣٩٢) وتشكو ربك: وسكون بك، م ي.

(٣٩٣) انطلقي: أنطلع، م ي. صفة الصفوة ٢/ ١١٣.

(٣٩٤) تنامان: ينامان، م ي. صفة الصفوة ٢/ ١١٣.

(٣٩٥) تفطران: يفطران، م ي. صفة الصفوة ٢/ ١١٣.

هذا خلاف ما وعدت، قال: كلا ولكن لا أعينك على معصيتك، فقطعوا يديه، فقطعت فما[٣٩٦] قطب، ثم قتل.

مبحث في محمد بن كثير

لم يدرك الناس في زمان محمد بن كثير أورع منه، وكان لا يستحل أن يشتري من السوق شيئًا كراهة أن يخالطه شيء من الحرام، ولا يجيب دعوة أحد ويقول: إن الناس ابتدعوا.

وكان يشهد الصلاة في الجماعة للفجر، فلا يزال يصلي إلى صلاة الظهر، ثم لا يزال يصلي إلى صلاة العصر، ثم ينظر في العلم إلى العشاء، ثم لا يزال يصلي إلى الصبح.

ودخل على وكيع بالشام ووكيع جالس على طنفسته فقال له: لقد ابتدعت بجلوسك على هذه الطنفسة.

مبحث في معاذ

من كلام معاذ: الزاهد المؤمن لا يخلو من أن يكون عامل خيرٍ[٣٩٧]، أو معينًا لعامله، أو محبًا له، أو راضيًا بعمله، ولا ينفك من الخير، والمنافق لا يخلو من أن يكون عامل شرٍّ[٣٩٨]، أو معينًا لعامله، أو محبًا له، أو راضيًا بعمله، ولا ينفك من الشر.

مبحث في محمد بن السماك

من كلام محمد بن السماك: إن الموتى لا يبكون[٣٩٩] عند الموت من الموت، ولكن بكوا من حسرة الفوت، فاتتهم دار لم يتزودوا منها، ودخلوا دارًا لم يعملوا لها، فأي حسرة مضت على من كان قبلنا، وأي حسرة على من كان بعدنا.

وكتب إلى بعضهم: إن استطعت ألاّ تكون لغير الله عبدًا ما وجدت من العبودية بدًّا فافعل.

(٣٩٦) فقطعت فما: فما قطعت، م ي.

(٣٩٧) خيرٍ: خيرًا، ي.

(٣٩٨) شرٍّ: شرًا، ي.

(٣٩٩) يبكون: يبكوا، م ي.

وعنه: همة العاقل في النجاة والهرب، همة الجاهل الأحمق في اللهو والطرب، والرجاء بلا عمل جرأة على الله، وكل شيء يمل ما خلا التقوى.

وعنه: طلبت المال سنين ثم تفكرت في قارون، ثم[٤٠٠] طلبت الجلادة فتفكرت بعاد، ثم طلبت الرئاسة فتفكرت بفرعون، ثم طلبت العلم والأدب فتفكرت بإبليس، فما رأيت شيئًا يقربني إلى الله أفضل من قلب ورع، ولسان صادق، وبدن صابر.

مبحث في منصور بن عمار

كان منصور بن عمار من أحسن الناس كلامًا، وكان يعظ ويقص.

ومن كلامه: ابن آدم تكسل في عمل الله وتنشط في عمل الدنيا، وتعامل الناس بالأمانة وتعامل الله بالخيانة؟ اتق الله.

وعنه: من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشيء، ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما في يد [غيره][٤٠١] [ومن هتك حجاب][٤٠٢]غيره انكشفت عورته، ومن نسي زلة نفسه استعظم زلة[٤٠٣] غيره. من كابد الأمور عطب، من استغنى بعقل نفسه[٤٠٤] زل، ومن تكبر على الناس ذل، ومن تعمق في العمل مَلّ، ومن صاحب الأرذال حُقر، ومن جالس العلماء وُقر، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم، ومن تهاون بالدين ارتطم[٤٠٥]، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العافية اصطبر. ومن جهل موضع قدمه مشت في موضع ندمه، من خشي الله فاز، من لم يجرّب الأمور خدع. ومن[٤٠٦] صارع أهل الحق صُرع، من عرف أجله قصر[٤٠٧] أمله.

وروى سكينة الأيلية وكان يلزم مجلس منصور، فقيل: كيف حال منصور؟ فقال: هو في العليين. ذكرنا الخبر في مجلس باب ذكر الله.

---

(٤٠٠) ثم: قم، م ي.

(٤٠١) يد: أيدي، ي. انظر بستان العارفين ص١٣٨.

(٤٠٢) بستان العارفين ص١٣٨.

(٤٠٣) زلة: له، ي. انظر بستان العارفين ص١٣٨.

(٤٠٤) بعقل نفسه: بعلم غيره، م ي. بستان العارفين ص١٣٨.

(٤٠٥) ارتطم: ظلم، م ي. بستان العارفين ص١٣٨.

(٤٠٦) ومن: من، م ي. انظر بستان العارفين ص١٣٨.

(٤٠٧) قصر: قضي، م ي. بستان العارفين ص١٣٨.

ومر منصور بامرأة تبكي على قبر ولدها بصوت حزين وتقول: فديتك يا ولدي وقرة عيني، يا صبيح المحيا أنا لك الفداء.

قال منصور: أيتها الباكية بين القبور، كيف يقبل الفداء عمن هو رهين الثرى.

فقالت: يا ولدي وثمرة فؤادي، بقيت في حفرة لا يدخل عليك روح الدنيا.

فقال منصور: لئن خلت منك النوادي والمجالس لقد آنس قرب جوارك الموتى.

فقالت: يا ولدي كيف صبرك بعد لين الفراش على خشونة مضجع الثرى؟

فقال منصور: يكون ميتًا باليًا فقد خلف مثلك والهة ثكلى.

فقالت: يا ولدي لو أمكنني أن أطلع عليك مرة أخرى لاشتفيت بك، واحزناه.

فقال منصور: كيف يكون من لا يمكنه أن يدفع عن نفسه مكروهًا ولا أذى، وكيف تستشفى من بعض حزنك عمن دواب الأرض إليه تسعى.

فقالت: يا أرض فديتك من سكن ومن مأوى لا تعجلي[٤٠٨] على ساكنك بالبلاء، وامنعي هوامك أن تتخذ عينه مرعى، وارحمي غربته أنا لك الفداء.

فقال منصور: هيهات قد صار الميت إلى ما عاينته من البلى، وهي أكالة اللحوم، شرابة الدماء، وسواء عندها في ذلك الكهل والفتى، وذو الحلم والنهى، وذو الفقر والغنى.

فقالت: يا ولدي أغرست في البر شجرة سوداء، أسقيها من دمع عيني فلا تروى، فلو كان لأحد على ملك الموت عدوى لكنت أول من استغاث واستعدى.

فقال منصور: كيف يكون على ملك الموت [عدوى] وهو عدل في إمارته لا يجور ولا يقبل الرشا.

فقالت: يا ولدي عليك السلام، فمتى الملتقى؟

قال منصور: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾ [الواقعة:٤]، وانشقت السماء، لم تكثري العويل والبكاء؟

فقالت: يا ولدي جاء الغيم وجاء الشتاء، وبقيت أمك ليس لها مأوى، فهي تجول بين القبور حيرى.

---

(٤٠٨) تعجلي: تعجلين، م ي.

فقال: جاء الغيم والشتاء، وليس لابنك إزار ولا كساء، والشتاء يزيد القبور بلى[٤٠٩].

فقالت: يا ولدي لو كان عند قبرك مأوى كنت أظلك من حر الصيف وأمطار الشتاء.

فقال: هيهات في اللحود لا بقاء، ومن الثرى لا وقاء قالت: يا ولدي لو وجدت السبيل إليك في دار البلى لأخذت من تحت رأسك اللبنة الخشنة، وجمعت ما تبدد وأغطي ما تعرى.

فقال: فكذلك منازل الموت مردودة الأبواب، ليس لها كواء.

فقالت: يا ولدي لو قدرت أن أشتريك من الموت لاشتريتك بمال مُسَمًّى.

فقال: لو كان في الموت بيع وشراء لتعالت عليه بالأثمان أصحاب الغنى.

قال: فكتب منصور القولين وحكاهما للناس.

فصل النون

مبحث في نوف البكالي

الحسن البصري قال: لما قدم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه البصرة، نزل على نوف البكالي، وكان نوف يقوم الليل كله، فقال علي: (يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة..) في حديث طويل.

وكان نوف من الكبار، وهو ابن أخت كعب.

مبحث في نباتة بن يزيد[٤١٠]

كان نباتة بن زياد من الزهاد، مستجاب الدعوة.

روي أن حمارًا نفق له في طريق الحج فقال: اللهم إن هذا عبدك في سبيلك، فابعثه لي، فأحياه الله حتى شد عليه رحله. معناه أنه قرب من الموت، فإنه لا يجوز إحياء الميت إلّا على يدي نبي معجزة له.

(٤٠٩) بلى: والبلى، م ي.

(٤١٠) يزيد: زياد، م ي. الإصابة في تمييز الصحابة ٦/ ٢٨٦

فصل الواو

مبحث في وهب بن منبه

روى عبد الصمد بن مغفل قال: صحبت وهب بن منبه شهرًا فصلى الغداة بوضوء العشاء.

وكان وهب عدليًا، ذكره القتيبي.

وقال رجل لوهب: علمني شيئًا، فقال: أعلمك ثلاثة أبواب من الحكمة: إذا سئلت عما لا تعلم فقل: الله أعلم، وإذا وضع بين يديك طعام(٤١١) فارفع يدك منه وأنت تشتهيه، وإذا قعدت إلى قوم فلا تبدأ بالكلام واسكت، فإن أفاضوا في خير فأفض معهم، وإن كان غير ذلك سلمت.

قال وهب: صَدَقَ مَنْ أَعْلَمَ(٤١٢) [المسلم] أن ماله ما قدم بين يديه وما خلف هو مال غيره.

وقال لعطاء الخراساني: يا عطاء، بلغني أنك تغشى باب السلطان، إن من كان قبل حفظوا الحكمة، فتغشاهم الأمراء وبذلوا لهم ولم يصلوا إليهم(٤١٣)، وإن أهل زمانك حملوا العلم على الأطباق إلى باب الأمراء فلم يصلوا إلى ما أرادوا.

ومن كلامه: الدنيا غنيمة الأكياس، وحسرة الحمقى.

وعن عطاء الخراساني: لقيت وهبًا في الطواف فقلت: حدثني وأوجز أحفظ عنك، فقال وهب: أوحى الله إلى داود: وعزتي وجلالي لا يعتصم عبد من عبادي بي دون خلقي فتكيده السماوات والأرض إلّا جعلت له مخرجًا من ذلك، وعزتي وجلالي لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني إلّا أسخت(٤١٤) الأرض من تحت قدميه، وأجعل قلبه في الهم(٤١٥)، ثم لا أبالي في أي واد هلك. ويحك يا عطاء ألم أُخبَر أنك تأتي باب هؤلاء الملوك، وأبناء الدنيا تحمل علمك إليهم، ويحك يا عطاء، تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك وسعه، وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠]، ارض

(٤١١) طعام: طعامًا، م ي.
(٤١٢) أَعْلَمَ: علم، م ي.
(٤١٣) إليهم: إلينا، م ي.
(٤١٤) أسخت: أرسخت، م ي. انظر إغاثة اللهفان ١/ ٥٣
(٤١٥) الهم: الهوى، م ي.

بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا، ويحك إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما فيها يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك، ويحك إن بطنك بحر من البحور، ووادٍ[٤١٦] من الأودية، ولا يملؤه إلّا التراب.

مبحث في وكيع بن الجراح

عن عبد الله بن عمرو بن ميسرة قال: لم أكتب عن[٤١٧] كوفي أفضل من وكيع، وكان ضحكه التبسم.

وعن وكيع: ما بعت شيئًا قط ولا اشتريت، قيل: وكيف؟ قال: كان أبي يكفيني ذلك، ثم أدرك ولدي فقام مقامه.

وقيل له: من أين تأكل؟ قال: آكل من رزق الله، وأرجو عفو الله.

وعنه: إذا رأيت الرجل فاتته التكبيرة الأولى فلم يحزن عليها فاغسل يدك منه.

وروي أن وكيع حج أربعين حجة، ورابط بعبادات أربعين ليلة، وختم القرآن بها أربعين ختمة.

وروي أن أهله أرادوا أن يختبروه[٤١٨] فدخل وكيع صائمًا عند المساء، فلم ير السراج، فلم يزل يصلي حتى نودي بالعشاء الآخرة، فخرج وصلى، ورجع فلم ير السراج، فلم يزل يصلي حتى أصبح لا يعاتب أهله وأصبح صائمًا، فجعل كذلك في الليلة الثانية والثالثة، فبكى عياله وقالوا: أردنا أن نقلته.

مبحث في وهيب بن الورد المكي

وعن وهيب: عجبت للعالم كيف يجيب دواعي قلبه إلى ارتياد[٤١٩] المضحك وقد علم أن له في القيامة وقعات وجولات، ثم غشي عليه.

---

(٤١٦) ووادٍ: واد، ي.

(٤١٧) عن: من، م ي.

(٤١٨) يختبروه: يحزنوه، م ي.

(٤١٩) ارتياد: ارتياح، م ي.

وعنه: من عرف نفسه لا يعجب بعلمه. وكان يتمثل:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس
ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوب دنياك مغسول من الدنسِ

عن بعضهم قال: أتيت وهيبًا المكي أرمقه، فرأيته مشتغلًا بالصلاة والطواف، حتى إذا كانت العشاء الآخرة أتى خادم بقصعة بر وقال: يا مولاي يبرد الطعام فأوجز الصلاة، قال: ضع وانصرف، فدنا وأخذ لقمة ووضعها في فيه فلم يسغها وهو ينظر إلى السماء حتى قال المؤذن: الله أكبر، فأخذ اللقمة وألقاها وتمضمض، وأخذ في الوتر.

عن سفيان: لا تقولوا: وهيب المكي، ولكن قولوا: وهيب العَبَّاد.

عن ابن إسحاق: كان وهيب من أعبد أهل زمانه وأشدهم خوفًا من الله.

قال شقيق: أخذتُ ترك الحلال مخافة الشبهة والحرام من وهيب، رأيته بمكة عند باب الصفا ينازع رجلًا ومع الرجل سلة من الفواكه، فيقول: من أين اشتريت الفاكهة؟ فقال الرجل وكان فقيهًا لوهيب: لا ينبغي أن تسألني، فقال وهيب: أنظر إلى بطني هل ترى فيه عوارًا، فقال الرجل: لا أرى، فقال وهيب: أما والله ما أكلت فاكهة مكة منذ خرج السودان، فقال الرجل: بلغني أنك تأكل من طعام مصر، ومصر خبيثة[٤٢٠]، فقال وهيب: علي عهد الله ألا آكل في الدنيا طعامًا حتى تحل لي الميتة، فكان يعلق الرغيف من سقف بيته ويجيع بطنه، ثم يدخل بيته ويقول: اللهم إنك تعلم أني أخشى الضعف في العبادة وإلا لم آكله، اللهم إن كان فيه شيء حرام أو شبهة فلا تؤاخذني به، ثم يأكل.

قال شقيق: وأتيناه ليلة وهو ينازع نفسه ونحن نسمع، فلما دخلنا عليه قلنا: يرحمك الله، من كنت تنازع؟ قال: أسمعتم؟ قلنا: نعم، قال: كنت أول من أمس صائمًا، وكان في بيتي رغيف، فدخلت العشاء الآخرة وأردت أن آكله، فقالت نفسي: تريد مع الرغيف مرقة، فتركته وأصبحت صائمًا، فلما صليت العشاء الآخرة دخلت وأردت أن أفطر بالرغيف، فقالت نفسي: تريد معه ملحًا، فتركته وأصبحت صائمًا، فلما كان عند الظهر قالت نفسي: ما أحسن هذا الرغيف، قلت: إني صائم، فلما كان عند العشاء دخلت البيت فإذا نفسي تطاوعني على أكله، ونسيت المرقة والملح، فكنت أعزي نفسي وأزهدها في لذات الدنيا، فاصنعوا إخواني كذا لعلكم تفلحون.

(٤٢٠) خبيثة: خبيث، م ي. تاريخ دمشق ٢٣/ ١٣٩.

مبحث في وراد العجلي

عن عمرو بن [حفص عن رجل من بني عجل][٤٢١] قال: كان بيني وبين وراد العجلي قرابة، فسألت أختًا له عن ليله، فقالت: يبكي عامة الليل ويتضرع.

قلت: فما طعامه؟

قالت: قرص في أول الليل وقرص عند السحر.

قلت: هل تحفظين شيئًا من كلامه؟

قالت: نعم، كان يقول عند السحر في سجوده ويبكي: مولاي عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقك، أيها المنان، مولاي عبدك يحب اجتناب معاصيك فأعنه على ذلك بمنك أيها المنان، عبدك عظيم الرجاء فلا تقطع رجاءه، فلا يزال يقول ذلك حتى يصبح.

ورقاء بن عمر[٤٢٢]

وكان ورقاء بن عمر من العلماء الزهاد.

وقال شقيق: أخذت القصد في المعيشة من ورقاء، كان بالمدائن، فأقمنا عنده ثلاثة أشهر. فأبى أن يقرأ علينا كتاب التفسير حتى نتغدى عنده ونتعشى، فأجبنا إلى ذلك،فقدم[٤٢٣] إلينا خبز الشعير وإدام الخل والزيت، ويقول: هذا لمن يطلب الفردوس ويهرب من زفير جهنم.

فصل في الهاء

مبحث في هرم بن حيان

أبو عمران الجوني: قال هرم بن حيان: إياكم والعالم الفاسق، يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس أمرهم فيضلوا.

وعن عبد الله بن عبد العزيز قال: رأيت هرم بن حيان كأنه مدهوش مبهوت، فقلت: يرحمك

(٤٢١) انظر صفة الصفوة٢/ ٩٣

(٤٢٢) عمر: عمرو، م ي. انظر تاريخ دمشق٢٣/ ١٣٨

(٤٢٣) فقدم: فتقدم، م ي.

الله على ماذا بنيت أمرك؟ قال: على أربع خصال، قلت[٤٢٤]: وما هي؟ قال: علمت أن لي رزقًا لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي، وعلمت أن لي عملًا لا يعمله غيري فأنا به مشغول، وعلمت أن لي أجلًا لست أدري متى هو، فأنا أبادر صحيفتي، وعلمت أن لا أغيب عن عين الله فأنا منه مستحي.

ودخل هرم السوق وهو جائع فقال: الأشياء في الأرض، والقضاء في السماء، فما ينفع الطمع في المخلوقين.

وقال الحسن: لما احتضر هرم قيل له: أوصنا، قال: لا أدري ما أوصي، ما لي إلّا أربعون درهمًا بقيت من عطاياي، كفنوني فيها، وانظروا فرسي وسلاحي فاجعلوهما في سبيل الله، وأوصيكم بخواتيم سور النحل: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ..﴾ [النحل:١٢٧] إلى آخرها. قال قتادة: أوصى بجماع الأمور، ومن أوصى بما أوصى به الله فقد أبلغ.

وزار هرم أويسًا وقال له: يا أويس صلنا بالزيارة، فقال أويس: وصلتك بما هو أنفع، الدعاء بظهر الغيب؛ لأن الزيارة واللقاء يعرض فيه التزين والرياء[٤٢٥].

وعن الحسن وقتادة أنه لما دفن هرم جاءت سحابة فرشت القبر.

وله مع أويس أخبار ذكرنا طرفًا منها في أخبار أويس.

مبحث في هلال الحبشي

عن أبي الدرداء قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة، وقام يصلي»، قال أبو الدرداء: فخرجت من ذلك الباب ونظرت يمينًا وشمالًا فلم أر أحدًا، فدخلت وقعدت، فقال: «أما إنك لست به يا أبا الدرداء»، قال: فأقبل إنسان حبشي أسود، عليه جبة من صوف، فيها رقاع من أدم، رام بطرفه إلى السماء ما يكاد أن ينظر إلى الأرض، فوقف عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلم، فناداه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف أنت يا هلال»؟ قال: بخير يا رسول، جعلك الله بخير، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ادع لنا يا هلال واستغفر»، فقال: رضي الله عنك يا رسول وغفر لك.

---

(٤٢٤) قلت: قال، م ي.

(٤٢٥) صفة الصفوة٢/ ٣١

مبحث في هشام الدستوائي

كان هشام الدستوائي من العلماء الزهاد، وكان لا يطفئ سراجه الليل، فقالت امرأته: هذا يضر بنا، فقال: ويحك إذا أطفأت سراجي ذكرت ظلمة القبر فلم أتقار.

فصل الياء

مبحث في يزيد الرقاشي

روي عن سنان أن يزيد الرقاشي صام أربعين سنة، وكان له عبادة وبكاء، وكان يذكِّر الناس.

وعنه: ليتنا لم نخلق، وليتنا إذا خلقنا لا نبعث، وليتنا إذا بعثنا لا نحاسب، وليتنا إذا حوسبنا لم نعذب، وليتنا إذا عذبنا لا نخلد.

وعنه: أيها المقبور في حفرته، المتروك في القبر بوحدته، المستأنس في بطن الأرض بأعماله، ليت شعري بأي أعمالك استبشرت، وبأي إخوانك اغتبطت، ثم يبكي ويقول: استبشر والله بأعماله الصالحات، واغتبط بإخوانه المتعاونين على طاعة الله.

وكان إذا نظر إلى المقبرة يصرخ كما يصرخ الثور، وكان كثيرًا ما ينشد:

أنا في القبر وحيد ... قد تبرى الأهل مني
أسلموني بذنوبي ... خبت إن لم يعف عني

وله:

كدر الموت حياتي ... لم تقلني عثراتي
قد رماني الموت فردًا ... في قفار موحشاتِ
أيها الحافر قبري ... أنا رهنٌ بفلاتِ
بذنوبٍ وخطايا ... ومعاصٍ موبقاتِ

وزار يزيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: قرأت عليه سورة ،فلما فرغت قال صلى الله عليه وآله وسلم: «هذا القرآن فأين البكاء؟».

وكان يزيد الرقاشي يقول في قصصه: يا يزيد من يصلي لك بعد موتك، ومن يصوم لك بعد موتك، ثم يقول: يا معشر من القبر بيته، والموت موعده، ألا تنفقون؟ ألا تبكون؟ ثم يبكي.

وعنه: كان يقول: بكى نوح على نفسه أفلا يبكي يزيد؟ سبقني العابدون فوالهفاه، ثم يبكي.

مبحث في يونس بن عبيد

روي عن يونس بن عبيد أنه كان يقول: إنكم اليوم تعملون أعمالًا تعرض عليكم يوم القيامة، فيسركم بعضها، ويسوؤكم بعضها، فانظروا إلى ما تعملون أنه يسركم إذا رأيتموه فأكثروا منه، وانظروا إلى ما يسوؤكم إذا رأيتموه فإياكم وإياه.

وكان يقول: أعياني ثلاث: كسب درهم من حله، وأخ إذا احتجت إليه واساني، وألا أتكلم إلّا فيما يعنيني.

وعنه: إنك لتعرف ورع الرجل في كلامه.

مبحث في يوسف بن أسباط

روي أن يوسف بن أسباط بلغ مبلغًا في العلم، واعتزل الناس، وتعبد، وكان لا يخرج إلّا في مواقيت الصلاة.

وسئل عن الزهد فقال الزهد فيما أحل الله، فأما ما حرم الله فإن ركبته عذبك.

وكان يأتيه الناس وأهل العلم للاستفادة، فيرد السلام ويسكت، فإذا طال بهم الجلوس قام ودخل المنزل، وفعل فعل ذلك [مع] ابن المبارك، فقال ابن المبارك: إن الرجل إذا اشتغل بنفسه نسي غيره.

وعن يوسف: من أصبح وله هم غير الله، فليس هو من الله.

واشترى يومًا بدرهمين زبدًا وتمرًا، ثم قال: إذا كان عندنا شيء أكلنا أكل الرجال، وإن لم يكن عندنا صبرنا صبر الرجال.

وعنه: الجوع يرق القلب.

وكتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والعمل بما علمك الله، والمراقبة حيث لا يراك أحد إلّا الله.

وعنه: عليكم بالاستعداد للموت، فإنه لا حيلة لأحد في دفعه، ولا ينتفع بالندامة عند نزوله.

مبحث في يحيى بن أبي كثير مولى علي بن أبي طالب عليه السلام

روي [أن] يحيى بن أبي كثير كان إذا حضر جنازة لم يتعش تلك الليلة، ولم يقدر أهله أن يكلموه تلك الليلة من شدة حزنه وخوفه، وكان يقول: لا يحمد عقل امرئ إلّا عند غضبه، ولا أمانته حتى يؤتمن.

وعنه: لا يحسن ورع الرجل حتى يشفى[٤٢٦] على طمع يقدر عليه فيتركه لله.

وعنه: دخلت مكة فكنت أسائل عطاء بن أبي رباح، فقال لي: من أين؟ قلت: من اليمامة، فقال: تسألني عن الفقه وفيكم يحيى بن أبي كثير، فأعجبت به، ثم مكثت ثلاثًا أطوف وأسأل الله أن يذهب إعجابه من قلبي.

مبحث في يزيد أبو إبراهيم

كان يزيد أبو[٤٢٧] إبراهيم التيمي من المجتهدين، حسن اللباس، قليل الأكل.

روي أنه [كان يرتدي برداء] بلغ من خَلْفه أليتيه ومن بين يديه سرته، فقيل له: لو لبست ما هو أوسع؟ قال: ما من لقمة لقمتها على الأرض طيبة إلَّا وددت أن لو كانت في فم[٤٢٨] أبغض الناس[٤٢٩] إليّ.[٤٣٠]

مبحث في يحيى بن معاذ الرازي

وسئل يحيى بن معاذ الرازي: ابن آدم يعلم أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن إليها؟ قال: لأنه منها خُلق فهي أمه، وفيها نشأ فهي عشه، ومنها رزق فهي عيشه، وإليها يعود فهي كفاته، وهي ممر الصالحين إلى الجنة.

وعنه: الدنيا خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والآخرة دار عمران، وأعمر منها قلب من يطلبها.

(٤٢٦) يشفى: يسعى، م ي. الورع لابن أبي الدنيا ص ١١٠
(٤٢٧) أبو: بن، ي.
(٤٢٨) فم: فيّ، م ي. الزهد لابن السرى ٢/ ٣٧٢.
(٤٢٩) الناس: الأشياء، م ي. انظر الزهد لابن السرى ٢/ ٣٧٢.
(٤٣٠) الزهد لابن السرى ٢/ ٣٧٢.

وعنه: العاقل المصيب من عمل ثلاثًا: ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

وعنه: رؤية الناس بساط الرياء، وخلوة المريدين عمره الشيطان.

وعنه: إذا أعرض المرء عن الموعظة فقد رضي بالنار.

وعنه: مسكين ابن آدم، قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار.

وعنه: الناس في استماع الحكمة رجلان: رجل عاقل، ورجل غافل، فالعاقل يتعجب وهو لما يسمع(٤٣١) يشتهي، والغافل يتقلب كأنه[قلبه](٤٣٢) حية تلتوي(٤٣٣).

وعنه: يابن آدم إن الله دعاك إلى دار السلام، فإن أجبته من دنياك دخلتها، وإن أجبته من قبرك مُنِعْتها.

وعنه: ويح نفسي ما أجهلها، وثقت(٤٣٤) بدار ما أغفلها، ساعات العذاب ما أطولها.

وعنه: لا أدري أي المصيبتين أعظم: فوت الجنان، أم دخول النيران.

وعنه: ذكر الجنة موت، وذكر النار موت، فيا عجبًا لنفس تحيا بين موتين، أما الجنة فلا صبر عنها، وأما النار فلا صبر عليها، وعلى كل حال فوت النعيم أيسر من مقاسات الجحيم.

وعنه: إلهي إن لم أكن لحقك راعيًا لم أكن لغيرك داعيًا.

وعنه: عجبت لمن يطلب الغفران ولا يترك العصيان، عجبت لمن يطلب الجنة ولا يترك الحرام، عجبت لمن يأكل رزق الله ويتكلم بهوى النفس، ومن شعره:

طلق الدنيا ثلاثًا ... والتمس زوجًا سواها
إنها زوجة سوء ... لا تبالي من أتاها
أنت تعطيها مناها ... ومعاصيك مناها
فإذا نالت مناها ... منك ولتك قفاها

(٤٣١) لما يسمع: يسمع ما، م ي. مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ١/ ٤١١.
(٤٣٢) مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ١/ ٤١١.
(٤٣٣) تلتوي: ملتوي، م ي. مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار ١/ ٤١١.
(٤٣٤) وثقت: وبقت، م ي. الاعتبار وسلوة العارفين ص ١٢

وعنه: إذا ذكرنا فقرنا إليك نطقنا بالدعاء، وإذا ذكرنا[٤٣٥] غنانا بك نطقنا بالثناء، وإذا ذكرناك بالربوبية خرسنا عن الدعاء والثناء.

ورأى يومًا عروسا فقال: هذا سرورهم بالغرور، فكيف سرورهم بالسرور.

وعنه: كره ابن آدم الموت بخلًا بالدنيا فاعتل بالذنوب.

وعنه: جئتك بأكثر ما عندي وهو المعرفة، فلا تمنعني أقل ما عندك وهو المغفرة.

وعنه: إذا وضع المؤمن في اللحد وانصرف عنه الأقرباء قال الله تعالى: ملائكتي غريب قد نأى عنه الأقربون، ووحيد قد جفاه الأهلون، أصبح مني قريبًا، وفي اللحد أسيرًا غريبًا، وكان لي في الدنيا محبًا داعيًا، ولنظري له في هذا البيت راجيًا، لا جرم أن أحسن ضيافته، وأكون أرأف به من قرابته.

مبحث في يزيد بن محمد بن مروان

روي عن بعضهم قال: رأيت يزيد بن محمد بن [مروان] دخل المسجد لصلاة الظهر، فلم يزل ذلك مقامه حتى صلى الصبح، ثم قال: إن الإبل إذا لم تُهْجِر[٤٣٦] لم تدرك المنزل.

وروي أنه كان يصلي بأصحابه، فالتوت حيّة بساقه، فمضى في صلاته، فلما فرغ تناول سوطًا وضربها وقتلها.

مبحث في يمان الأسود

روي أن أبا معاوية يمان الأسود كان ينادي على سور طرسوس: من كانت الدنيا أكبر همه طال غدًا في القيامة غَمُّه، ومن خاف الوعيد لها عما يريد، ومن رجا ما بين يديه جاد بما في يديه، ومن أراد من الله الجزيل لا ينام الليل ولا يقيل، قدم إلى الحسنى زادك فإنه فيه معادك.[٤٣٧]

وعنه: إن كنت تريد لنفسك الخير فلا تنم بالليل.

(٤٣٥) .ذكر: ذكرنا، م ي.

(٤٣٦) أي تسير في وقت الهاجرة . انظر لسان العرب (هجر).

(٤٣٧) الزهد للبيهقي ص٢٠٧.

فصل في تفاريق أخبار الزهاد

أبو يحيى بإسناده عن الحسن: إن قومًا أتو عمر فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا إمامًا شابًا إذا صلى لا يقوم من المحراب ويغنينا بقصيدة، فقال عمر: فامضوا بنا إليه، فقاموا حتى أتوه وقرعوا عليه الباب، فخرج الشاب، فقال عمر: بلغني أنك تغني، فقال: إنها موعظة أعظ بها نفسي، فقال عمر: قل، فإن كان كلامك حسنًا قلت معك، وإن كان قبيحًا نهيتك عنه، فأطرق الفتى ساعة ثم أنشأ يقول:

وفؤاد كلما عاتبته[٤٣٨] عاد في اللذات يبغي تعبي
لا أراه الدهر إلّا لاهيًا في تماديه فقد برح بي
يا قرين السوء ما هذا الصبا فني العمر كذا باللعبِ
وشباب بان مني فمضى قبل أن أقضيَ منه أربي
ما أرجي بعده إلّا الفنا ضيق الشيب عليا مطلبي
ويح نفسي لا أراها أبدًا في جميل لا ولا في أدب
نفسي[٤٣٩] لا كنت ولا كان الهوى راقبي الله وخافي وارهبي

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال: هكذا فليغن كل من غنى، ثم قال عمر: وأنا أقول:

نفس لا كنت ولا كان الهوى راقبي الله وخافي وارهبي

ودعا سفيان الثوري أبا داود الفارسي إلى العشاء، فأخذ خبزه ومضى، فلما دخل دار سفيان[٤٤٠] وقدم الطعام جعل يأكل من خبزه، فقال سفيان: إنما دعوتك لتأكل من طعامي، فقال: أنت أعلم بطعامك من أين هو، وأنا أعلم بطعامي، فكل أنت من حيث تدري وآكل من حيث أدري.

وكان أبو حمزة العابد يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، وقرأ في شهر واحد مائة ألف مرة (قل هو الله أحد)، وكان لا يستريح من الاستغفار، وكان ربما سجد فلا يرفع رأسه حتى يقول مائة مرة: لا إله إلّا أنت لا شريك لك.

---

(٤٣٨) عاتبته: عايتته، م ي.

(٤٣٩) نفسي: نفس، م ي.

(٤٤٠) دار سفيان: دار أبي سفيان، م ي.

وكان أبو عبد الرحمن يختم في كل شهر ستين مرة، كلها في الصلاة، ولا يخرج من المسجد إلّا لغائط أو حاجة، وكان قلبه لا ينام.

إبراهيم النخعي قال: قال همام بن الحارث(٤٤١): اللهم اشفني من النوم باليسير، وارزقني سهرًا في طاعتك، فما ينام إلّا هنيهة(٤٤٢) وهو قاعد.

ابن المبارك قال: كان عمرو بن عطية يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة من التسبيح التام، قيل: وما التام؟ قال: يقول: الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر.

وكان أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي مشهورًا وقبره كذلك.

وعنه: العبادة في الاحتمال، والمداراة، وكظم الغيظ.

وعنه: إن تكثرة الروفلة الاثم، والاستعداد للموت يفزعن المؤمن.

وعنه: أسعد الناس من كان قلبه سليمًا، ونفسه صابرًا، ولسانه لله ذاكرًا.

وكان في التابعين شاب يصحب ابن عباس ويحج، فإذا فرغ خرج للغزو، ولا يسمي نفسه، ويخفي أمره، فلما هاجت الفتنة اعتزل، وأتى بعض الحرّات(٤٤٣) يتعبد لله، وكان عمر بن عبد العزيز يكثر السؤال عنه.

وعن الحسن: بلغني أن عمر خرج إلى المسجد عند السحر، فإذا صبي صغير يمشي، فقال عمر: يا بني أين تريد؟ قال: المسجد، قال: يا بني وما تصنع؟ قال: أعبد ربي، فقال عمر: يا حبيب لقد عجلت العبادة، فقال: يا أمير المؤمنين ما عجلت العبادة وقد رأيت أصغر مني ذاق الموت.

وروي أنه كان في زمن عثمان شاب زاهد لا يخرج من البيت إلّا للصلاة، فدخل أبوه فرآه يبكي، فقال: ما يبكيك يا بني؟ قال: أنت الذي أبكيتني إذ حدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن أهل النار لا ينامون»، فذلك الذي أبكاني، ولا أزال باكيًا حتى أعلم أين المصير.

---

(٤٤١) الحارث: الحرث، م ي. انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١٦٣

(٤٤٢) هنيهة: هنيهه، م ي. انظر سير أعلام النبلاء ٥/ ١٦٣

(٤٤٣) الحرّات: الحراين، ي.

حفص بن سليمان قال: كان رجل من عُبَّاد الكوفة لم يُر أَعْبَدَ منه، وكانت له والدة تأمره بالتزويج، وكان [يقول] لا يا أماه إني أخاف أن أتزوج أو أرزق أولادًا فيكون بينكما ما يكون بين النساء، فتأمريني بطلاقها، فإما أن أطلقها وفي النفس ما فيها، وإما أن أحبسها فأعقك، فطلبت امرأة فوجدت واحدة ترضاها له، فقالت: يا بني رضاي أن تتزوج وسخطي إن أبيت، فتزوجها، فأعجب بها ورزق منها أولادًا، فكان بينهما ما يكون بين النساء، فقالت: يا بني طلقها، فقال: يا أمه كنت أكره التزويج لهذا، إنها أعجبتني وولدت لي أولادًا، فقالت: يا بني رضاي أن تطلقها وسخطي إن أبيت، فخرج إلى راحلته وشدها، ثم أتى الشام، فلقي أبا الدرداء فأخبره بالقصة، فقال: ما أنا بالذي [آمرك] بأن تطلقها، ولا أنا بالذي آمرك أن تعق والدتك، ولكني أخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «والدتك أوسط باب من أبواب الجنة فحافظ عليها أو دع»، فقال الشاب: بل أحافظ عليها، وأشهدك على طلاقها.

وروي عن الشعبي أنه أتاه رجل فسأله فقال: دلني على طعام حلال لا يسألني الله عنه يوم القيامة فيحبسني الحبس الطويل، ودلني على لباس حلال أصلي فيه لا يكون لله علي فيه تبعة، فاسترجع الشعبي وتفكر ساعة، ثم قال: يا رجل إن هذه مسألة ما سألني عنها أحد، أتريد أن تعمل بما سألت؟ قال: هذا عليك أجب عما سألتك ولا تحبسني، قال الشعبي: قلت: فانطلق إلى سواحل البحر واطلب جزيرة تنبت فيها الحلفاء فانسج[٤٤٤] منها جبة، وصُمْ وصَلِّ، وصد سمكة بيدك ولا تَصِدْها[٤٤٥] بشبكة، فكلها ولاتشوها[٤٤٦]، فإذا[٤٤٧] قدمت على الله لم يكن لله عليك فيها تبعة مما لديك من ذلك، فحدثه الشعبي فانطلق الرجل يفعل ذلك إلى أن كان زمن الحجاج وخرج ابن الأشعث، فهرب الشعبي من الحجاج يدور في البلاد، فمر بذلك الساحل، فرأى ذلك الرجل عليه مدرعة وسمكة موضوعة بين يديه بعد اثنتي عشرة[٤٤٨] سنة، فقال الشعبي: أتعرفني؟ قال: نعم، قال: من أنا؟ قال: أنت الذي ترشد الناس وتضل نفسك، فبكى الشعبي وانصرف.[٤٤٩]

(٤٤٤) فانسج: فاسخ، م ي.
(٤٤٥) تَصِدْها: تصده، م ي.
(٤٤٦) فكلها ولاتشوها: وكله ولاتشتريه، م ي.
(٤٤٧) فإذا: وإذا، م ي.
(٤٤٨) اثنتي عشرة: اثني عشر، م ي.
(٤٤٩) تاريخ دمشق٢٩/٥٦.

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: اشتريت سلعة واكتريت[٤٥٠] حمالًا، فقلت: بكم تحمل؟ قال: بفلسين، فلما حمل جعل لا يرفع قدمًا إلّا قال: الحمد لله، ولا يضع قدمًا إلّا قال: استغفر الله، حتى بلغ المنزل، فقال بكر: رأيت منك يا حمال عجبًا كذا وكذا، فقال: هل كنت يا بكر إلّا بين نعمة وذنب، فوضعت الحمد موضع النعمة والاستغفار موضع الذنب، فأعطيته مكان الفلسين درهمين، فقال: يا بكر أعطيتني عليهما أجرًا، والله لا يكون هذا أبدًا، عجل علي بالفلسين، قال بكر: الآن تم فقهك، الآن تم شأنك.

وروي أنه كان بالبصرة مملوك حمال، فكان يحيي الليل صلاة ويحمل بالنهار، فقال له بعض جيرانه وكان يراه في الليل: أجني أنت أم إنسي لا تستريح ليلًا ولا نهارًا، فقال: أسألك بحق الله إلّا كتمت، إن لي مولى مخلوق أؤدي إليه الضريبة في يومي، وأعبد مولاي الخالق بالليل، والأمر أسرع من ذلك.

قال الراوي: فسألت عنه بعدة مدة، فقيل: مريض، فدخلت عليه فإذا هو ملقى على الأرض متوسد برماد، فإذا قد سهل بطنه، وهو يقول: الأمر أسرع من ذلك، ثم قضى نحبه.

وروي أن شابًا بالبصرة من أبناء ملوكها رفض الدنيا وترك الطعام والشراب، وذوب نفسه في العبادة، وكان لا يأتي أحدًا ولا يخالط الناس، وكان جارًا للحسن، فأُخبر الحسن بأمره فقال: مرحبًا بمثل هذا، ينبغي لنا أن نزوره، فمشى إليه الحسن مع بعض جلسائه، فإذا الشاب مقبل من المنزل قد غطى رأسه، فدنا منه الحسن وسلم، فرد عليه ولم ينظر إليه، فقال الحسن: رحمك الله إن العبادة حسنة، وأفضل من ذلك العلم، وإن لك جارًا يقال له الحسن، يزعم الناس أنه حسن الكلام، حسن العظة، فلو أتيته وجالسته نفعك، فرفع رأسه وتبسم وقال: بئس العبد عبد لا يطيع سيده، بئس العبد عبد لا يخاف مولاه، فتبسم الحسن وقال: ارجعوا فقد كفاني الفتى أمر العلم.

وعن الحسن: والله لقد خرجت مع بعضهم فرأى دكان حداد والحداد قد أحمى حديدته ويضربها بمطرقته وينحاز عنها، فقال: يا حسن ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ [المرسلات:٣٢، ٣٣]، فصعق وحمل إلى منزله، فلم يفق إلّا عند السحر. والله لقد خرجت مع بعضهم فمررت بعطار وهو يطبخ دهنًا له في مرجلة عظيمة وهي تفور غليانًا، فلما نظر إليها

---

(٤٥٠) واكتريت: ودحوت، م ي.

قال: يا حسن وهي تفور ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك:٨]، فصعق فلم يفق إلّا في السحر، ولم يصل الظهر والعصر والعشاءين.

روى جماعة أن شابًا من أبناء الملوك كان يحب الصيد، فشغله يوم الصيد أصحابه، فبقي ليلة فجاع جوعًا شديدًا، فمر براع وإذا عنده جارية تعجن[٤٥١] النخالة للكلب، فقال: ناولني منها لقمة، فقال الراعي: أصلحك الله الآن نضع المائدة[٤٥٢] وهذا طعام الكلاب، فقال: ويحك ناولني منها لقمة فقد بلغ الجوع مني مبلغًا، فقال: الآن تبلغ المائدة[٤٥٣] فنزل فتناول لقمة فسكن الجوع، فقال: يا راعي إني كنت آكل شيء من الحار والبارد منذ عشرين سنة فلم أجد لها طعمًا مثل ما وجدت لهذه النخالة، وإني أعاهد الله لا آكل بعدها ألوان الطعام، ولا آكل إلّا الشعير حتى أموت، ففعل ذلك حتى مات.

أبو وهب قال: بلغني أن شابًا رفض الدنيا وزينتها حتى ذُكر[٤٥٤]، فلما ذُكر لبس[٤٥٥] مرة الشعر ومرة الصوف ومرة الحرور، وتلون للناس كي لا يقولوا[٤٥٦]: فلان زاهد، فقيل له: قد خلطت علينا، قال: ذاك الذي أردت.

شقيق عن عباد قال: رأى جماعة رجلًا يصلي في جوف الليل ويميل مرة هكذا ومرة هكذا، فقال له رجل: أوجز، فناوله درهمين، فقال: لا حاجة لي فيهما، فاعتذر وقال: والله ما ظننت بك إلّا جهدًا من الجوع، فقال: هو كما ظننت، ما لي عهد بالطعام منذ سبعة أيام، قال: فخذ الدرهمين، فقال: لا حاجة لي فيهما، قال: ولم؟ قال: لأنه انقلب[٤٥٧] أهل السوق، وأنا أكره أن يبيتا[٤٥٨] عندي، ولعلي أموت، فإن أصبحت فمع الغد رزق جديد، والله يرزق من يشاء بغير حساب ولا طلب.

وحدث الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده عن الحسن بن الحصين الفزاري قال: رأيت شيخًا

(٤٥١) جارية تعجن: احابه يعجن، م ي.
(٤٥٢) نضع المائدة: تصبح المله، م ي.
(٤٥٣) المائدة: الملهم، ي.
(٤٥٤) ذُكر: ذكرني، م ي.
(٤٥٥) لبس: تلبس، م ي.
(٤٥٦) كي لا يقولوا: كيلا يقولون، م ي.
(٤٥٧) انقلب: اقلب، م ي.
(٤٥٨) يبيتا: ياب، م ي.

من بني فزارة أمر له خالد بن عبد الله بمائة ألف، فأبى وقال: أذهب ذكر جهنم حلاوة الدنيا من قلبي، وكان يقوم إذا أصبح الناس فيصيح: النار النار.

وعن بعضهم: رأيت بعض العباد يناجي ربه ويقول: يا مطلوب المريدين، ويا مقصود المشتاقين، ويا غاية منى العارفين، ويا منتهى شكوى المضطرين، ويا من هو أرحم الراحمين، ويا رجاء الراجين، ويا غياث المستغيثين، ويا من هو بالجود قد وصف، ارحم من بالذنب قد عرف.

روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «بينما ثلاثة نفر يمشون إذ أخذهم المطر، فآووا إلى غارٍ، فانحطت عليهم صخرة من الجبل فأغلقت عليهم الغار، فقال بعضهم لبعض: ليذكر كل رجل منا أعمالًا صالحة عملها لله، فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، وكان لي امرأة وصِبْية، وكنت أرعى عليهم الغنم، فإذا رحت أخذت الإناء فحلبت فيه فبدأت بأبوي فسقيتهما قبل الصبية، فنادايا في السحر، فقمت فحلبت وأتيتهما[فإذا هما قد ناما] والصبية يتضاغون، وأكره أن أسقيهم قبلهما، وأكره أن أوقظهما، فما زال دأبي ودأبهما وبكاء الصبية حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلتها يا رب ابتغاء وجهك فأفرج لنا فرجة نرى منها السماء، ففرج منها فرجة رأوا السماء.

وقال الآخر: اللهم إنه[٤٥٩] كانت لي ابنة عم، فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فسألتها عن نفسها فأبت علي إلّا أن أعطيها مائة دينار، فجمعتها وجئتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله ولا تفتح الخاتم إلّا بحقه، فقمت عنها وتركتها، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة، فأفرج الله لهم فرجة.

فقال الثالث: اللهم إني كنت استأجرت أجيرًا بفرق من[٤٦٠] أرز، فلما قضى عمله قال: أعطني حقي، فرميت إليه أرزه، فسخطه وتركه، فلم أزل أزرعه[٤٦١] حتى جمعت منه بقرًا ورعاتها[٤٦٢]، فجاءني يومًا فقال: اتق الله ولا تظلمني، أعطني حقي، فقلت: اذهب إلى تلك البقر ورعاتها[٤٦٣]،

(٤٥٩) إنه: إنها، م ي.
(٤٦٠) بفرق من: رو، م ي. صحيح البخاري٣/ ١٠٥
(٤٦١) أزرعه: أزرع، م ي.
(٤٦٢) ورعاتها: ورعاها، م ي. صحيح البخاري٣/ ١٠٥
(٤٦٣) ورعاتها: ورعاها، م ي. صحيح البخاري٣/ ١٠٥

فقال: اتق الله ولا تستهزئ بي، فقلت: ذلك كله لك، فإن كنت تعلم يا رب أني فعلت ذلك لوجهك فأفرجها عنا، فاستأخرت الصخرة فخرجوا»، خرجه البخاري في الصحيح.

فصل في جملة من أخبار النساء العابدات

إن نسيبة[٤٦٤] بنت كعب الأنصارية أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، ما أرى الله تعالى ذكر النساء في شيء من الخير، ولا ذكر إلّا[٤٦٥] الرجال، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ الآية [الأحزاب:٣٥]، مدحهن بعشر خصال.

وعن أم سلمة قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ فقال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور»، قلت: يا رسول الله، وبم؟ قال: «بصلاتهن، وصيامهن، وعبادة ربهن، وطاعة أزواجهن».

وروي أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، وما من امرأة في شرق أو غرب سمعت بمخرجي إليك أو لم تسمع إلّا وهي على مثل رأيي، وإن الله بعثك إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك، وبالكتاب الذي أنزل إليك، وإن الله تعالى قد خصكم معاشر الرجال بالجمعة والجماعة، وتشييع الجنازة، وعيادة المرضى، والحج، والجهاد، وجعلنا محصورات مقصورات، وجعلنا مقضى[٤٦٦] شهواتكم، وقواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، فإذا خرج[الرجل] حاجًا أو معتمرًا أو غازيًا أو مرابطًا جمعنا لكم الطعام، وحفظنا عليكم بيوتكم وأموالكم، وربينا أطفالكم، وغزلنا ثيابكم، أما نشارككم في أجوركم؟ فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصحابه ثم قال: «هل سمعتم مثل مقالة هذه في حسن مسألتها وعنايتها في أمر دينها»؟ فقالوا: ما ظننا أن امرأة تبلغ هذا، ثم أقبل عليها فقال: «اسمعي أيتها المرأة وأبلغي من خلفك من النساء، إن حسن تبعّل إحداكن[٤٦٧] لزوجها، وابتغاها موافقته، وطلبها مرضاته يعدل ذلك كله، وقليل منكن تفعله»، فانصرفت متهللة استبشارًا بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤٦٤) .نسيبة: آسية، م ي.

(٤٦٥) إلا: بهم، م ي.

(٤٦٦) مقضى: معادن، م ي. شعب الإيمان١١/ ١٧٧.

(٤٦٧) إحداكن: إحداكم، م ي.

وعن أنس بن مالك قال: أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن لي امرأة كلما دخلت عليها استقبلتني وقالت: مرحبًا بسيدي وسيد أهل بيتي، وتعمد إلى ردائي فتأخذه من عنقي، وإلى نعلي فتخلعها من رجلي، فإن كنت حزينًا قالت: ما يحزنك، إن كان حزنك لآخرتك فزادك الله، وإن كان لدنياك فكفاك الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أقرئها[٤٦٨] مني السلام، وأخبرها أن لها أجر نصف شهيد».

فمنهن النساء الأربع: عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سيدة نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة ابنة خويلد، وفاطمة ابنة محمد».

وعن يحيى بن يعمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «انتهيت إلى سدرة المنتهى، فإذا أنا بحجاب من ياقوت فيه ثلاث خيام من لؤلؤ، خيمة لمريم، وخيمة لآسية، وخيمة لخديجة».

سلمان: كانت امرأة فرعون تعذب في الشمس، فإذا انصرفوا أظلتها الملائكة بأجنحتها، وإنها ترى بيتها في الجنة وهي تعذب.

وعن ابن عباس أن آسية كانت تعذَّب، فمر بها موسى بن عمران، فدعا لها، فلم تجد للعذاب مسًا، وسألت الله أن يبني لها بيتًا في الجنة، فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك، فأريت البيت في الجنة فضحكت، فقال فرعون: قد جُنّت[٤٦٩]، تضحك وهي تعذب.

ابن عباس: إن الله اصطفى مريم بولادة عيسى على نساء العالمين، وكانت تقوم في الصلاة حتى تورمت قدماها.

وجاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا محمد إن الله يقرئ خديجة السلام ويقول: بشرها ببيت في الجنة، وأنا أقرئها السلام، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي في محرابها فقال: يا خديجة إن الله يقرئك السلام، وجبريل يقرئك السلام، وأنا أقرئك السلام»، فقالت خديجة: الله السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام يا رسول الله.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش: نكسوا رؤوسكم، وغضوا أبصاركم حتى [تمر] فاطمةبنت محمد، قال: فتمر ومعها تسعون

---

(٤٦٨) أقرئها: أقرها، م ي.

(٤٦٩) جُنّت: جننت، م ي.

ألف جارية من الحور العين»[٤٧٠].

ونحن نذكر جملة من النساء المتعبدات بأسمائهن، ثم نتبعها بجملة من أخبار النساء من غير تسمية:

فمنهن رابعة العدوية: روي أن رابعة العدوية زارها أصحابها، فأقبلوا على ذم الدنيا، فقالت: اسكتوا عنها، لولا موقعها من قلوبكم ما ذكرتموها؛ لأن من أحب شيئًا أكثر ذكره.

واحتاجت حاجة شديدة، فأرسل إليها مولاها بصرة فيها [ألف درهم واشترى لها] دارا، قال: فأخذت الألف وتحولت إلى الدار، فشغل قلبها كنسها وإغلاقها ومرمتها، فبعثت إلى مولاها وقالت: دراهمك ودارك وشأنك فما حاجة لنا فيما شغل عن الله.

جعفر بن سليمان: دخلت على رابعة فأعرضت بوجهها، فقلت: ما بدا لك؟ قالت: إنك تشغلني عمن ليس هو مشغول عني.

وعن سفيان: قلت بين يدي رابعة: وا حزناه على قيام، فقالت لي: تكذب وا قلّة حزناه، لو كنت حزينًا ما هنّاك العيش.

جعفر بن سليمان قال: تهجدنا ليلة فبدرت إلى محراب، وبدرت رابعة إلى محراب، فلما أصبحنا قلت: يا رابعة ما جزاؤنا على قيام هذه الليلة؟ قالت: جزاؤنا أن نصوم له النهار.

وقيل: ما هذا الحزن؟ قالت: إنما يفرح من كان له أمان من الحزن.

وقيل لها: هل تحبين الله؟ فسكتت ثم قالت: إن قلت: نعم، خشيت أن يقال: كذبت، وإن قلت: لا، خشيت أن يقال: كفرت.

ودخل سفيان عليها فقال: يا رابعة هل أراك خالية، فقالت: إلى الساعة فلا؛ إذ كنت مع مولاي أناجيه، الآن[٤٧١] صرت خالية حين شغلتني عنه.

أبو سليمان الداراني: كانت رابعة تنوح الليل بهذين البيتين:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي[٤٧٢] ... وأبحت[٤٧٣] جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

(٤٧٠) المعجم الأوسط ٣/ ٣٥.

(٤٧١) الآن: الأرض، م ي.

(٤٧٢) محدثي: محبتي، م ي. التبصره لابن الجوزى ص٣٠٢.

(٤٧٣) وأبحت: وأنخت، م ي. التبصره لابن الجوزى ص٣٠٢.

جعفر بن سليمان: ما رأيت رابعة قط إلّا كأنها قريبة عهد بالمصيبة من الخوف والحزن.

وعن جعفر قال: خرجت أريد رابعة، فقال سفيان: وأنا معك، فأتيناها وهي عليلة، فأشار إليّ سفيان كلمها، فقلت: أنت أولى، فقال سفيان: يا رابعة أنت عليلة، فلو دعوت الله يذهب عنك ما أرى، فقالت: يا سفيان ألست تعلم أن الله أراد علتي؟ فقال: بلى، قالت: فكيف تسألني أن أسأل الله خلاف ما أراده.

وقال لها سفيان: إن بالبصرة أقوامًا يؤدون زكاتهم طيبة، فلو أذنت لي أكلمهم ليبعثوا بها إليك؟ فقالت: أفٍّ لك يا سفيان، إني أستحي أن أسأل الدنيا ممن يملكها، فكيف أسألها ممن لا يملكها.

ومنهن: رقية بنت أذينة: روي أن عائشة رأت في منامها كأنها حجت وحجت معها امرأة يقال لها: رقية بنت أذينة، فوزن عملها فرجح بمثل أحد.

فاتفق أن عائشة حجت ذلك العام، فلما أتت الموسم أمرت منادٍ ينادي في الناس: يا رقية بنت أذينة، فأجابت، فقيل: إن عائشة تدعوك، فدخلت عليها فقالت: أنت أختي، رأيت عملك رجح على جبل أحد، فما عملك؟

فقالت: يا أم المؤمنين، ومن أنا وما عملي؟ لكن لي مداومة على ستة أشياء:

أولها: ما أذن المؤذن إلا وأنا متوضئة مستقبلة القبلة، منتظرة للصلاة.

والثاني: ما جلست على طعام قط إلا ومعي يد يتيم.

والثالث: مذ بلغت مبلغ النساء ما وضعت خماري عند غير ذي محرم.

والرابع: ما رددت سائلًا عن بابي قط.

والخامس: ما عرجت على أمر قط إلا شاورت فيه الرجال لفضل عقولهم.

والسادس: ما أذن المؤذن قط إلا وقلت مثلما قال المؤذن حتى يفرغ.

فقالت عائشة: فلهذا رجح عملك على أُحد.

ومنهن: معاذة العدوية: روي عن مُحمَّد بن فضيل عن أبيه قال: كانت معاذة العدوية إذا جاء الليل تقول: هذه ليلتي التي أموت فيها، فما تنام[٤٧٤] حتى تصبح، وإذا جاء النهار قالت:

(٤٧٤) .تنام: ينام، م ي.

هذا يومي الذي أموت فيه، فما تنام حتى تمسي، وتلبس الثياب الرقاق في البرد لتمنعها النوم، ومرت بقوم يضحكون وعليهم ثياب صوف، فقالت: سبحان الله، لِبْس المساكين، وضحكُ الغافلين.

وحدثني الشيخ الإمام أبو محمد بإسناده أن معاذة كانت لا تنام بالليل ولا تأكل بالنهار، فقيل لها: أضررت بنفسك، فقالت: وما هذا؟ إنما أخرت الأكل إلى الليل، والنوم إلى النهار.

وبإسناده أن معاذة لم تتوسد فراشًا بعد أبي الصهباء حتى ماتت.

ومنهن: عفيرة العابدة: عن يحيى بن بسطام قال: دخلنا عليها وكانت بكت حتى عميت فقال بعض أصحابنا لآخر بجنبه: ما أشد العمى، فسمعت فقالت: عمى القلب عن الله أشد من عمى العين عن الدنيا، وقالوا هلاّ(٤٧٥) استرحت قليلًا، فقال: يوشك أن يستريح العمال.

وقيل لها: بلغنا أنك لا تنامين(٤٧٦) بالليل، فبكت وقالت: أشتهي أن أنام(٤٧٧) ليلًا فلا أقدر، وكيف ينام من لا ينام عنه حافظاه ليلًا ولا نهارًا.

ومنهن: حفصة بنت قيس: عن مهدي بن ميمون قال: مكثت حفصة في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لقضاء حاجة، وكانت تصلي الليل كلّه وتبكي.

ومنهن: البلجَاء(٤٧٨)، فروي أنه أمر ابن زياد بقطع يديها ورجليها وأن يمثل بها فما نطقت بشيء، فقيل لها: كيف وجدت ألم الحديد؟ قالت: شغلني هول المطلع عن برد حديدكم، ثم قالت: إليكم عني أتكلم بكلمات(٤٧٩) يحفظهن من سمع عني، فحمدت الله وأثنت عليه ثم قالت: هذا آخر يومي من الدنيا، وهو غير مأسوف عليه، وأرجو أن يكون أول يومي من الآخرة، وهو اليوم المرغوب فيه، ثم قالت: إن علمي(٤٨٠) [بفنائها] هو الذي زهدني في البقاء فيها، وسهل علي جميع بلواها. ثم قدمت ومثل بها حتى ماتت.

وروي أنها لما قطعت يدها أتيت بالنار للكي فصرخت وقالت: ليس من ناركم صرخت، ولا على دنياكم أسفت، ولكن ذكرت بها النار الكبرى.

---

(٤٧٥) هلّا: لها، م ي.

(٤٧٦) تنامين: تنامي، م ي.

(٤٧٧) أشتهي أن أنام: أشتهي أن لا أنام، م ي.

(٤٧٨) البلجَاء: البلخا، م ي. ربيع الأبرار ٢/ ٣٦٠.

(٤٧٩) بكلمات: ناسيًا حتى، م ي.

(٤٨٠) علمي بفنائها: عملي، م ي. تسلية أهل المصائب ص٤٣.

ومنهن: رحلة العابدة، قيل لها: لو رفقت بنفسك، فقالت: ما لي والرفق، وأنشأت تقول:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه[٤٨١] الصحيحة فلتة

عباد بن كثير قال: دخلنا عليها وكانت صامت حتى اسودت، وبكت حتى عميت، وصلت حتى أقعدت، فذكرناها شيئًا من العفو أردنا أن نهون عليها الأمر، فشهقت ثم قالت: علمي[٤٨٢] بنفسي قرّح[٤٨٣] فؤادي، وكلم قلبي، ولوددت أني لم أخلق ولم أك شيئًا مذكورًا، ثم أقبلت على صلاتها فخرجنا.

ومنهن: أم سالم السدوسية، أخرجت من البصرة اثنتي عشرة مرة.

ومنهن: إم إبراهيم العابدة، أصيب ساقها فجاءوا إليها يعزونها[٤٨٤]، فقالت: لولا مصائب الدنيا قدمنا الآخرة فقراء[٤٨٥] فجئنا إليها نعزيها[٤٨٦] فوعظتنا.

ومنهن: أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، كانت تعتق كل يوم رقبة، وتحمل على فرس في سبيل الله، وكانت تقول: أف للبخل لو كان ثوبًا ما لبسته، لو كان طريقًا ما سلكته.

ومنهن: حبيبة العدوية، روي أنها كانت تقوم بالليل وتقول بعد الصلاة: إلهي قد غارت النجوم، ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وبابك مفتوح، وخلا كل حبيب بحبيبه، فهذا مقامي بين يديك. فإذا كان السحر قالت: إلهي هذا الليل قد أدبر، وهذا النهار قد أسفر، فليت شعري هل قبلت ليلتي مني فأهنأ أم رددت علي فأعزّى.

ومنهن: بردة الصريمية، بكت حتى عميت عيناها، فقيل لها في ذلك فقالت: إن كانتا للنار فأبعدهما الله، وإن كانتا للجنة فسيبدلني الله خيرًا منهما.

---

(٤٨١) نفسه: عينه، م ي. الزهد الكبير للبيهقي ص٢٣٥.
(٤٨٢) علمي: علي، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٥٢.
(٤٨٣) قرّح: أقرح، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٥٢.
(٤٨٤) يعزونها: بعروتها، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.
(٤٨٥) قدمنا الآخرة فقراء: قدمن الأخيرة فقرا، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.
(٤٨٦) نعزيها: بعرها، م ي. انظر صفة الصفوة ٢/ ٢٥١.

ومنهن: منيفة(٤٨٧) بنت [أبي] طارق، كانت بالحيرة(٤٨٨) تصلي عامة الليل والنهار ولا تهجع إلا بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وكانت عابدة مجتهدة. (٤٨٩)

ومنهن: جوهرة، رأت في النوم خيامًا مضروبة فقالت: لمن هذه؟ فقيل: للمجتهدين، فما نامت بعد ذلك.

ومنهن: عبيدة بنت أبي كلاب، قيل لها: ما تشتهين؟ قالت: الموت، قيل: لم؟ قالت: لأن كل يوم أصبح فيه أخشى أن أجني على نفسي جناية يكون فيها عطبي(٤٩٠) أيام الآخرة.

ومنهن:[أم] طلق، كانت تصلي في كل يوم وليلة أربعمائة ركعة، وتقرأ ما شاء الله ثم تقول: إنما خُلقنا للطاعة، فمن أشقى منا إن تركناها؟.

ومنهن: غنضكة(٤٩١) البصرية كانت تصلي عامة الليل ثم تقول إذا أصبحت: هذا الجهد مني وعليك التكلان.

ومنهن: سعوانة بنت عون، بكت سعوانة حتى خيف عليها العمى، فقيل لها: إنا نخاف عليك العمى، فبكت وقالت: أعمى والله في الدنيا من البكاء أحب أن أعمى في الآخرة من النار.

ومنهن: كريمة بنت سيرين، كانت مجتهدة، مكثت خمسة عشر [عاما] في مصلاها لا تخرج إلا للوضوء.(٤٩٢)

ومنهن: ريحانة الأبلية(٤٩٣): عن سعوانة قالت: تذاكرنا الدنيا عند ريحانة فقالت:

وما عاشق الدنيا بناج من الردى ... ولا خارج منها بغير غليل
وكم ملك قد صغّر الموت نفسه ... فأخرج من ظل عليه ظليل

ومنهن: هنيدة، حدثني الشيخ الإمام بإسناده عن عامر بن أسلم(٤٩٤) الباهلي قال: كانت لنا

(٤٨٧) منيفة: معة، م ي. صفوة الصفوة ٢/ ٢٧٩.

(٤٨٨) ويذكر في صفوة الصفوة ٢/ ٢٧٩ أنها كانت بالبحرين.

(٤٨٩) صفوة الصفوة ٢/ ٢٧٩.

(٤٩٠) عطبي: عطي، م ي. صفة الصفوة ٢/ ٢٤٨.

(٤٩١) غنضكة: عنكصة، م ي. انظر صفة الصفوة ٢/ ٢٥٤.

(٤٩٢) صفة الصفوة ٢/ ٢٤٣.

(٤٩٣) الأبلية: الإيلية، م ي. حلية الأولياء ١٠/ ١٣٢.

(٤٩٤) أسلم: مسلم، م ي.

جارة[٤٩٥] [في الحيّ يقال لها: هنيدة، فكانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها، فتقول لهم: قوموا فتوضأوا وصلوا فستغتبطون بكلامي][٤٩٦].

ومنهن: منيرة، عن رجل من بني سدوس قال: كان في الحي[٤٩٧] عجوز يقال لها منيرة، فكانت إذا جاء الليل تقول: قد جاءت الظلمة، قد جاء الخوف، ما أشبه هذا بيوم القيامة، ثم تقوم فلا تزال تصلي حتى تصبح.

ومنهن: عديل العابدة، كانت بالبصرة، وكانت إذا جنها الليل خرت ساجدة وتنادي في سجودها: يا رب أما لك عذاب به إلا النار، حتى تصبح، وكانت يزورها المشايخ فتكلمهم سويعة ثم تقول: قوموا فإن الحديث هناك يطيب في دار لا موت فيها ولا هم ولا نصب.

فصل روي أن عيسى بن مريم مر بأربعة آلاف نسوة متغيرات[٤٩٨] ألوانهن فقال: ما الذي غير ألوانكم؟ قلن: ذكر النار يابن مريم إن من دخل النار لا يذوق فيها بردًا ولا شرابًا.

عبد الرحمن بن جابر قال: بينا أنا أطوف فرأيت امرأة تدعو وهي متعلقة بأستار الكعبة وتقول: يا كريم الصحبة، يا حسن المؤنة، جئتك من شقة بعيدة، متعرضة لمعروفك، فأنلني معروفك معروفًا أستغني به عن معروف من سواك، يا معروفًا[٤٩٩] بالمعروف وأنت أهل المعروف يا كريم.

وروي أن امرأة كان لها جارية تركت نعيم الدنيا وأقبلت على العبادة، فكانت تصوم النهار وتحيي الليل وليس لها في بيتها شيء، فقالت أمها: تزوجي، فقالت: هاتي رجلًا زاهدًا لا يكلفني أمر الدنيا وما أظنك تقدرين عليه، فوالله ما ما في نفسي أن أعبد الدنيا ولا تنعمت مع رجال الدنيا، فإن وجدت رجلًا يَبكي ويُبكي، ويصوم ويأمرني بالصوم، ويصلي ويحثني عليها، فإن أصبت مثل هذا فبها[٥٠٠] ونعمت وإلا فعلى الرجال السلام، فلا حاجة لي في المجانين الذين يشربون ويلعبون.

---

(٤٩٥) جارية: جارة، م ي.
(٤٩٦) صفة الصفوة ٢/ ٥٠١.
(٤٩٧) الحي: الحجر، م ي. انظر صفة الصفوة ٢/ ٥٠٠.
(٤٩٨) متغيرات: متعبدات، م ي. انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٨٢٥.
(٤٩٩) معروفًا: معروف، م ي.
(٥٠٠) فبها: فيها، م ي.

وروي أن امرأة كانت باليمن زاهدة عابدة، وكانت إذا جنها الليل تقول: يا نفس الليلة ليلتك فقومي فتعبدي فلعلها لا تكون ليلة سواها، فتصلي الليل كله، فإذا أصبح تقول: يا نفس اليوم يومك فصومي واجتهدي لعله لا يكون لك غيره، فتصوم وتصلي وتتعبد، فلم تزل كذلك ستين سنة أقل أم أكثر.

وكانت امرأة ببيت المقدس حجت ماشية اثنتى عشرة سنة ما ركبت فيها.

وقال أبو صفوان: تزوج ابن ملك من بني إسرائيل ببنت ملك، فلما اجتمعا قالت الجارية: إن أولى الناس بمعرفة النعيم[٥٠١] من غدا بالنعيم، وما أحسن من طلب الآخرة بنعيم الدنيا، فهل لك أن تدع ما نحن فيه ونتعبد، فأجابها الفتى، فخرجا ولبسا المسوح تعبدًا.

عن جعفر بن سليمان قال: قال لي مالك بن دينار: مرّ حتى نزور امرأة صالحة، فخرجنا، فلما رأته قالت: يا مالك إلى كم تتحكم عليه وإلى كم تشكو منه، أما آن لك أن تسكت فتسلم أو تتعبد فتخدم، قال مالك: لم أبلغ بعد درجة التفويض، قالت: وقع قلبك في الحبس فانغلق وفقد مفاتيح فتحه، بل عمى قلبك يغلي عليه الشر غليان القدر، وزال عنه النور، واستحكمت فيه الشرور بإشارة الناس مالك زاهد البصرة، فبكى مالك حتى صاح، وزفرت[٥٠٢] به وقالت: اسكت من صياحك، صياحك صياح الرياء، وصياح السمعة، وصياح التملل والضجر، لم تصِحْ أنت ولكن صاح فيك الشيطان، فبكى مالك وقال: علمتني وأدبتني، قالت: هيهات بعد الكبر، ولكن دع أربعة: الرياء، والتصنع، وشهوة الخفية، والاستئناس بالناس، ثم قالت: يا مالك بلغني أنك تجمع كل ليلة بين شهوتين: خبز الشعير، والملح الجريش، وأنا لم أجمع منذ عشرين سنة الملح مع الخبز، فخرج مالك وهو يقول: أدبتني وأحسنت، ولم يجتمع [بها] بعد ذلك.

أبو سليمان الداراني قال لأم هارون: تحبين لقاء الناس؟ قالت: ما شيء أحب إلي من رواية تبقى[٥٠٣]، فقلت لها: تحبين الموت؟ قالت: لا، قلت: لم؟ قالت: لو عصيت آدميًا ما أحببت لقاه، فكيف أحب لقاء الله وقد عصيته.

مالك بن دينار: دخلت على رابعة أعودها من شكاة أصابتها فقلت: يا رابعة أي شيء

(٥٠١) النعيم: بالنعيم، م ي.

(٥٠٢) وزفرت: فررت، ي.

(٥٠٣) رواية تبقى: راوية يبقى، م ي.

تشكين؟ قالت: ذنوبي، قلت: ما تشتهين؟ قالت: مغفرة ربي، فقلت: يا رابعة فهل خطر على قلبك شيء من شهوات الدنيا؟ قالت: تمرة اشتهيتها منذ ثلاثين سنة فتركتها، فلما بلغتُ الصحن ألقى غراب تمرة من منقاره، فتناولتها ودفعتها إليها، فقالت: من أين؟ قلت: غراب ألقاها، قالت: كيف آكل فلا أدري لعلها من بستان ظالم أو بستان مظلوم، ألا إن التمر حرام على رابعة حتى ترى الله، فتوفيت ولم تذق التمر.

حماد بن زيد: كانت سعوانة ناحت ثلاثين سنة، ثم تابت وناحت على نفسها ثلاثين سنة، وكانت تصلي الليل كله وتقول: يا حبيب من تحبب إليه، وقرة عين من انقطع إليه، قد ترى وحدتي من الآدميين ووحشتي، يا أنس المستأنسين، ويا قرة عين العابدين، ارحم عبرتي، وأقل عثرتي، وعجل راحتي. فخطبها محمد بن سليمان الهاشمي لما بلغه(٥٠٤) من فضلها فأبت وقالت: إن بسعوانة نفسًا تواقة متعلقة بثواب الله، فلن تعدل الدنيا وما فيها عندها جناح بعوضة.

ذو النون: خرجت إلى الإسكندرية فصرت في بطن الطريق، فإذا بجارية سوداء عليها مدرعة من شعر وخمار من صوف، وفي عنقها سبحة وهي تمشي، فقلت لها: يا سوداء من أين أقبلت؟ قالت: من عند الله اللطيف الخبير، كنت أناجيه، ثم مضت وأنشأت تقول:

سائل عن الليل أهل الليل والسهر والقاعدين بلا لهو ولا سمر
والواضعين على الأكباد أيديهم شدوا الرحال وهيئوه للسفر(٥٠٥)

عبد الله بن حاضر: دخلنا على حمدونة العابدة ببلخ(٥٠٦)، زعموا أنها لم تخرج من مصلاها أربعين سنة إلا للوضوء، فتذاكرنا عندها البقاع، فقائل يقول: خير البقاع طرسوس، وقائل يقول: مكة، فقالت: لا لم يخلق الله موضعًا خيرًا من الجنة فأسكنها آدم، فلما نسي أمر الله لم ينفعه، وأخرج منها، خير البقاع ألاّ يُنسى الله فيها ولا يُغفل [عنه].

أحمد بن أبي الحواري: دخلت على امرأة بالرملة فقالت: يا أحمد أطالبٌ أنت أو مطلوب؟ فبقيت حيران، فقالت: إن كنت مطلوبًا ففيم الهرب، وإن كنت طالبًا فأين الظفر.

جعفر بن محمد قال [دخل] أبو أيوب السختياني(٥٠٧) مكة فذكرت له امرأة عابدة لها عقل

(٥٠٤) بلغها: بلغه، م ي.
(٥٠٥) وهيئوه للسفر: وهيّوا له السفر، م ي. انظر الجامع لشعب الإيمان٤/ ٥٢٩.
(٥٠٦) ببلخ: بيه، ي. انظر توضيح المشتبه٣/ ٣١٩.
(٥٠٧) أيوب السختياني: أبو السجتياني، م ي.

ودين، فأحب لقاها فأتاها وكلمها، فرأى عقلًا، فذكر لها شيئًا من أمر النساء، فقالت: لو كنت أيوب ما فعلت، قال: أنا أيوب، فقالت: هيه يا أيوب تمد بها صوتًا أما كان في حب الله ما يشغلك عن طلب النساء.

تمّ الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه وتسديده.

التحاميد

تحميد في التوحيد والعدل

الحمد لله الأوّل بلا أول كان قبله، ولا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع الخلق بقدرته ابتداعًا، واخترعهم بمشيئته اختراعًا، جل فيما أنشأ وفطر عن وزير، وتعالى فيما قدر ودبر عن ظهير ومشير، الأحد بلا ندّ يضارعه ويضاهيه، الصمد بلا ضد ينازعه ويناهيه، القديم فلا شيء يشاركه في القدم، والباقي فلا سبيل إليه للفنى والعدم، المحيط بكل معلوم، والعليم بكل خفي مكتوم، المتفرد بالكبرياء، المتوحد بالبقاء، فاطر الأرض والسماء، ورب[1] الظلمة والضياء، المتعالي عن الأضداد والأنداد، والصاحبة والأولاد، ما اتخذ الله من ولد، ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ [المؤمنون:٩١]، سبحان الله وتعالى عما يصفون، الحي الذي لا تعتريه الآفات، والقادر الذي لا تعضده الأدوات، والفرد الذي لا تكثره الجماعات، والغني الذي لا تنفعه الطاعات، والوتر الذي لا تختلف عليه الحالات، والدائم الذي لا تبيده الأيام والساعات، والعليم الذي لا تبدو له البدوات، الحي للذات، المستغني عن القدرة والحياة، لا يعزب عليه قطر الماء[2]، ولا نجوم السماء، ولا سوافي الريح في الهواء، ولا دبيب النمل على الصفا، ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء، ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۞ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٨، ٩]، لا تغيره الأيام، ولا تشبهه الأعراض والأجسام، ولا يوصف بالجوارح والأعضاء، ولا بالأبعاض والأجزاء، الذي لم يزل ولا يزال، ولا لملكه زوال، ما اختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال، كان ولا مكان، وكان ولا زمان، فخلق المكان وخلق الزمان، ولم يتغير عما كان، المتكلم لا

(١) ورب: وربة، ي.
(٢) الماء: المطر. م ي.

باللسان واللهوات، والسميع البصير لا بالأدوات، والفاعل لا بالآلات، المنزه عن الحركات والسكنات، لا يشغله شأن، ولا يصفه لسان، ولا يحويه مكان، ولا يفوته إنسان ولا جان، لا تدركه الأبصار، ولا تحجبه الأستار، ولا تحويه الأقطار، ولا يغيره الليل والنهار، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، العدل فلا جور فيما ابتدأ وابتدع واخترع، ذو الطول فلا ظلم فيما ذرأ واخترع، الرحيم فلا سفه فيما صنع ودبر، الحليم فيما قضى وقدر، العليم فلا فاسد فيما أنشأ، الصادق فلا كذب فيما أنبأ، صدق في وعده وإيعاده، وارتفع عن ظلم عباده، وجل عن شبه الخليقة، وتنزه عن الأفعال القبيحة، المتنزه عن إضلال العباد عن الدين، وإغواء الخلق عن الحق المبين، خلق الخلق لطاعته، وسهل السبيل إلى عبادته، وهداهم إلى صراط جنته، ورغبهم في مغفرته، وحذرهم من نقمته، ولم يخالف بين أمره وإرادته، ولم يكلف أحدًا فوق طاقته، بل أمر تخييرا، وكلف يسيرا، ونهى تحذيرا، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢]، لم يرض لهم الكفران، ولم يغوهم عن الإيمان، ولم يرد منهم الإثم والعدوان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ[٣]﴾ [النحل:٩٠]، لم يعذب أحدًا إلا بذنوب اقترفها، ومعاصٍ اجترحها، بعد رسل أرسلهم، ورجال حملهم، وبعد أن أعذر وأنذر، ووعد وأوعد فقال عز من قائل: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣، ١٤].

أرسل إليهم رسلًا ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٦٥].

ثم ختم النبوة بسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين: محمد رسول رب العالمين، اصطفاه برسالته، واختصه بفضائل كرامته، وأيده بالحجج القاهرة، والبراهين الباهرة، والبينات الظاهرة، أرسله على حين فترة من الرسل، وطموس من السبل، ودروس من الملل، أطلعه في ليل الكفر صباحا، وفي ظلام الشرك مصباحا، أحيا به[٤] الأنام، وكشف به الظلام، وأسس به الإسلام، بعثه بالنور المضي، والبرهان الجلي، نسخ به الأديان، وأبطل

(٣) تذكرون: تفحلون، م، ي..

(٤) أحيا به: اصابه، م ي.

به الأوثان، وأطفأ به النيران، وأعلن به الإيمان، وأخرجه من شجرة مباركة، اختارها تخييرا، وطهرها تطهيرا، وأرسله إلى كافة الخلق بشيرًا ونذيرًا، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٦]، وأنزل معه كتابًا عزيزًا، قرآنًا عربيًا ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

واختار له من خلقه أصحابًا، خيرة الخلق، والدعاة إلى الحق، الموصوفين بالصدق، والموسومين بالسبق ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، رضي الله عنهم ورضوا عنه، فنصح الأمة، وكشف الغمة، وقام بنصرة الدين، حتى أتاه اليقين.

نحمده على نعمه المتتابعة، وأياديه المتوالية، بجميع المحامد، وأستهديه لأنهج المراشد، وأشكره على نعمائه شكر من لا ينساه، وأستعينه على الأمور التي تقرب من ثوابه وتباعد من عقابه، وأومن به إيمان من اتقاه ورجاه، وتوكل عليه وكفاه، وشهد له بالربوبية، وخضع له بالعبودية، وأتوكل عليه توكُّلَ مَنْ تاب إليه وأناب، وصدق وأجاب، وأستغفره [استغفار] من وحد ربه، وخاف ذنبه.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، عظم سلطانه فليس له غالب، وكثر إحسانه فكل إليه راغب، شهادة إقرار بأنه أولى من عُبِد، وأحق من حُمِد.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات الله عليه وعلى أهل بيته مصابيح الدجى، وأعلام الهدى، وعلى خلفائه شموس الدين، وأئمة المؤمنين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وعلى الأنصار والمهاجرين، وسلم دائمًا كثيرًا.

تحميد آخر

الحمد لله فاطر السماوات، سامع الأصوات، باعث الأموات، مقدر الأقوات والأوقات، الخافظ الرافع، الضار النافع، الباسط المانع، خلق الخلق من طين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، فتبارك الله أحسن الخالقين، ورازق العالمين، القديم الذي لا ابتداء لوجوده، والجواد الذي لا نهاية لجوده، المحيي المميت، المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، الصادق في الوعد والوعيد، العليم بمضامير الخلق وسرائر الغيوب، الكاشف للكروب، الساتر للعيوب، الغافر للذنوب، خلق السماء فزينها بالنجوم، وخصها بالشهب والرجوم، وأسكنها

ملائكة أبرارًا ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وجعل الأرض للخلق مهادا، والجبال أوتادا، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بعظمته نعت الناعتين، له القدرة والبهاء، والعظمة والكبرياء، والملك والبقاء، مانح كل غنيمة[٥] وفضل، وكاشف كل عظيمة وأزْل[٦]، خلق الأنام فأحصاها، وخلق الدهور وأفناها، وفطر النفوس فسواها، ألهمها فجورها وتقواها، فله النعم السوابغ، والحجج البوالغ، لا يمثله الفكر موجودا، ولا تكفيه الصفات محدودًا، ولا تنقضي به الهبات مفقودًا، ولا تتصل به الأنساب والدًا ومولودا، خلق الخلق بلا مثال، ودبر الأمور بلا احتيال، فله الحمد بالغدو والآصال.

أحمده على نعمه وآلائه، وأستعينه على أداء حقه وقضائه، وأعوذ به من الانهماك في الردى، وأستهديه لمرتع الهدى، وأسترشده على معالم الدين، وأستعصمه من الشك بعد اليقين، وأسأله اتباع الحق المبين، والاعتصام بحبله المتين.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، معطي الجزيل، ومعود الجميل، فقد سأله قدسا، وتبًا لمن كفر به وتعسا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق المبين، وأيده بالروح الأمين، وأنزل عليه الكتاب المستبين، وختم به النبيين، وأتم به عدة المرسلين، ليظهر دينه الذي ارتضاه، وحقه الذي أعطاه، ويتم كلمته إعزاز دينه الذي اصطفاه، فجعله نورًا لمن اتبعه ووالاه، وحجة على من جحده وناواه، فأوضح شرائع الملة، وأحيا طريق السنة، ودل على الصراط السوي، ودعا إلى السراج المضي، وبلغ الرسالة، وأوضح الدلالة، فهو نبيه الصادق خبره، الميمون أثره، صلوات الله عليه صلاة تبقى على الأيام والساعات، وتجدد تجدد الأوقات، وعلى آله أفضل الصلوات.

تحميد آخر

الحمد لله خالق السماء، دائم البقاء، باعث الأنبياء، مجري الماء، محيي الأموات ومميت الأحياء، ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، ليس له أنداد ولا أضداد، بريء من الأزواج،

---

(٥) غنيمة: عظيمة، م ي.

(٦) وَأزْل: ازل، ي. الأَزْلُ: الضِّيقُ. الصحاح (أزل).

مطهر من الأولاد، خرت له الجباه، ووحدته الشفاه، سبحانه من إله لا يرام، وملك لا يضام، وقيوم لا ينام، وعزيز ذي انتقام، قرب فدنا، وبَعُدَ فنأى، وهو بالمنظر الأعلى، يعلم السر وأخفى، ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:٦]، ولي النعم ومبتديها، وبارئ النسم ومنشيها، وخالق الأمم ومحييها، وفاطر الأشياء ومفنيها، فطر السماء بقدرته، ودبر الأمور بحكمته، ورزق الخلق برحمته، وكلفهم طريق معرفته، وسهل السبيل إلى طاعته، وحذرهم سطوات نقمته، محيي البلاد بهواطل الديم، ورازق العباد بسوابغ النعم، وعاصم أوليائه بوثائق العصم، خالق النور والظلم، وفالق الحب وبارئ النسم، ومنشئ الأشياء من بعد العدم، خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، خالق الخلق، وباسط الرزق، مدبر الأمور، وباعث من في القبور، وإليه المرجع والمصير.

أحمده على ما مَنَّ به من جزيل الفوائد، وجميل العوائد، حمدًا يملأ السماء فضلا، ويعدل الجبال ثقلا، لا يغلق دونه باب، ولا يحجبه عن الله حجاب، ولا يحصيه علم ولا كتاب، ولا يأتي عليه عدٌّ ولا حساب، حمدًا يفضل حمد الحامدين، وشكرًا يوجب[7] ثواب الشاكرين، ويزلف من رب العالمين.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، نبه على معرفته بمواقع نعمته، وهدى إلى وحدانيته بآثار قدرته.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالدين القويم، والصراط المستقيم، وأيده بالروح الأمين والكتاب المبين، فأوضح ما درس، وأبهج ما انطمس، ودل على المكرمات، وأمر بالخيرات، فخير مولود دعا إلى خير معبود، إلى الجن والإنس حين عبدت الأوثان، وأطيع الشيطان، وعصي الرحمن ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس:٧٠]، ودعا إلى الدين، وعبد الله حتى أتاه اليقين، فصلوات الله عليه وعلى آله أجمعين.

تحميد آخر

الحمد لله المنفرد[8] بالكبرياء، المتوحد بالبقاء، فاطر السماء، رب الظلمة والضياء، عالم الغيوب، وستار العيوب، وغفار الذنوب، وكاشف الكروب، ومقلب القلوب، منهج الأنهاج،

(٧) وشكرًا يوجب: ويوجب شكر، م ي.

(٨) المنفرد: المتفرد، م ي.

ومزين السماء بالأبراج، وخلق الإنسان والأعراض من نطفة أمشاج، ومارج البحرين العذب والأجاج[٩]، مصور الأشباح، وفاطر الأرواح، ومرسل الرياح، وفالق الإصباح، لا يدرك بالحواس، ولا يقايس بالناس، مبتدع الأجسام والأعراض، ومؤلف الأجزاء والأبعاض، ومعيد الأرواح إلى الأشخاص، والمالك ليوم الفصل المبشر لأهل الإخلاص بالقول والخلاص، رافع السبع الطباق، ومظهر العشي والإشراق، والعالم بخفي طرف الأحداق، والمالك ليوم التلاق، تفرد بالعزة والجلال، والعظمة والكمال.

له الملك والملكوت، والعزة والجبروت، وهو الحي الذي لا يموت، له الدين الواصب، والأمر الغالب، عزيز لا يضام، ومنيع لا يرام، المحيط بالسرائر، والمطلع على ما في الضمائر، والعليم بالبواطن والظواهر، وهو الأوّل والآخر، والباطن والظاهر.

أحمده على المواهب والرغائب، وأستعينه على الملمات والنوائب، حمدًا مؤديا[١٠] بالحق ما أولاه، راضيًا لشكر ما أعطاه، فهو ولي كل خير ومنتهاه.

ونؤمن به إيمانًا نكذب به أول الكاذبين، ونبطل أباطيل الكافرين، ونرضي رب العالمين.

ونشهد أن لا إله إلّا الله إعظامًا له بالتحميد، ونتوكل عليه توكل من أقر له بالتوحيد، [أرسل رسله] وأمرهم بتبليغ رسالاته، وما حملوه[١١] من كلماته، وما أوحَى إليهم[١٢] من إعذاره وإنذاره، وأصحبهم المعجزات القاهرة، والآيات الباهرة.

ثم ختم رسالاته بالنبي الأمي، الطاهر الزكي، الهاشمي الأبطحي، المكي المدني، التقي النقي، عبده الهادي إلى الرشاد، ورسوله الهادي إلى السداد، وأمينه على كلماته، والمختص باتصال[١٣] كراماته، أرسله إلى الخلق وألزمهم طاعته عامة، بعثه وحيدًا من كل ناصر، فريدًا من كل عضد ومؤازر، وأنزل معه كتابًا اقتص فيه نبأ الأولين، وأخبار القرون الماضين، بعثه بالضياء والنور، والفسحة في الأمور، والأمم فرق في أديانها، عاكفة على نيرانها، عابدة لأوثانها، فنسخ به الملل، وأزاح به العلل، ورفع به الحق بعد اتضاعه، وقمع به الشرك عقيب

(٩) العذب والأجاج: عذب وأجاج، م ي.

(١٠) مؤديا: مؤد، م ي.

(١١) حملوه: حملهم، م ي.

(١٢) إليهم: إليه، م ي.

(١٣) باتصال: بقايل، م ي.

ارتفاعه، مظهر الإسلام، موطد الأركان، مشيد البنيان، ساطع البرهان على المكان بنور هدايته، وصدق مجاهدته، فصلوات الله عليه وعلى آله وعترته، وعلى نجوم الهدى من صحابته، صلاة دائمة نامية تتصل باتصال الجديدين، ولا تنقطع على مرور العصرين.

تحميد آخر

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتح فرقانه، وآخر دعوى أهل جنانه، واصطفاه لنفسه ذكرًا، ورضي به من عباده شكرًا، ذي العظمة والجلال، والقدرة والكمال، والإنعام والإفضال، علا وقهر، وملك فقدر، وأطيع فشكر، وأنعم على عباده وأسبغ، واحتج عليهم وأبلغ، استعبد الأرباب بقدرته، وخضعت الملوك لجلال عزته، وقصرت الصفات عن كنه عظمته، استحق الحمد لجلاله، واستوجب الشكر لكريم فعاله، لا منازع له في تقديره، ولا معين له في تدبيره، العدل في قضائه، المعبود في أفلاكه وأرضه(١٤) وسمائه.

توحد بالربوبية، وتفرد بخلق البرية، خلق فسوى، وقدر فهدى، ووهب فأسنى، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، و﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٤٥]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه:٨]، أمر ونهى، ووعد ووفى، وأوعد فعفا، وعلم السر وأخفى، ودل على سبيل الهدى.

القديم الذي لا يشاركه في قدمه شيء، والعليم الذي لا يضارعه في صفاته حي، الولي الحميد، العلي المجيد، المبدئ المعيد، ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۞ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٤-١٦].

أحمده على سوابغ نعمه، ونشكره على جميل مننه، ونعوذ به من موجبات نقمه، ونستعينه راغبين، ونستغفره راهبين.

ونشهد أن لا إله إلّا هو وحده لا شريك له، شهادة ظاهرة آياتها، لامعة بيناتها، القلوب عليها مشتملة، والعقول عليها معتدلة.

ونشهد أن محمدًا عبده الأمين ورسوله إلى بريته، المأمور بابتداع ملته، وإظهار دعوته، أرسله إلى الخلق داعيًا، وللحق هاديًا، والناس في تيهاء مظلمة، وظلماء مبهمة، انتجبه لرسالته،

---

(١٤) أفلاكه وأرضه: رضائه أرضه، ي.

واختاره لسفارته، وشرح به الدين، وختم به النبيين، فبلغ الرسالة، وأدّى الأمانة، وأسس الإسلام، ودعا إلى دار السلام، وبين الحلال والحرام، فصلوات الله عليه وعلى آله الطيبين.

تحميد آخر

الحمد لله رازق العباد، ومالك البلاد، ورافع السبع الشداد، ومحصب العجاد، وساطح المهاد، ومسبل الوهاد، ومالك يوم المعاد، ومدمر عاد وإرم ذات العماد، باسط الأرضين، ورب العالمين، وديان يوم الدين، وإله الأولين والآخرين، الناصر لأوليائه، المنتقم من أعدائه، الصادق في إنبائه، ليس في قضائه فساد، ولا يوصف بصفة العباد، وهو لجميع الخلق بالمرصاد.

جرت الأنهار بقدرته، وسكنت الأرضون برحمته، ودارت الأفلاك بمشيئته، وخضعت الأشياء لعظمته، وذلت الجبابرة لعزته، ودل على كل شيء بوحدانيته، وقامت السماوات بقوته، له العظمة والكبرياء، والرفعة والبقاء، والمجد والسناء، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۞ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن:١٤، ١٥]، فطر الظلمة والنور، وعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأحاط بكل شيء ظاهر ومستور، لا يوصف بالمكان، ولا يشار إليه بالبنان، ولا يقال له: متى، ولا يوصف بصفاته بحتى، لا تدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، وهو الإله الواحد، رب كل شيء وخالقه، وحافظ كل حي ورازقه، لا تغيره الأحوال، و[لا] يجوز عليه الانتقال، إليه تنتهي الآمال وصالح الأعمال، والبريء من سوء الفعال، والمتعالي عن مقالة أهل الضلال، يعلم ما تكن الصدور، وما تجن البحور، وما ترخى عليه الستور، العدل في أفعاله، الصادق في أقواله، المتفرد بجلاله، لم يخلق الخلق ليشتد به [على] سلطان مظاهر، ولا استعانة به على ضد مناوئ[١٥]، ولا استعلى [به] على شريك مكابر.

أحمده على ما دفع من البلايا، وستر من الخزايا، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله مبشرًا بالجنة لمن حفظ وصيته وأطاعه، ومنذرًا بالنار لمن عصى أمره وأضاعه، بعثه بدين على الأديان فضله، وحكم بسيما أهل الأرض عدله، فقام بأمر الله ليله ونهاره، حتى قر الحق قراره، وأوضح الدين ومناره، وطمس الكفر وآثاره، فقبضه الله تعالى وقد رضي عمله، وأدى إلى عباده ما حمله، فصلوات الله [عليه] وعلى آله أجمعين.

---

(١٥) استعانة به على ضد مناوئ: استعانه ثاور، ي.

تحميد آخر

الحمد لله داحي المدحوات، وداعم المسموكات، فاطر السماوات، وخالق الجبال الراسيات، ومسكن البحار الزاخرات، ومجري الأفلاك الدائرات، ومصرف النجوم السائرات، ومنشئ السحاب الحاملات، ومذر الرياح الذاريات، وجاعل النور والظلمات، محيي الأحياء ومميت الأموات، ومقدر الأوقات والأقوات، الموجود قبل الأشياء الموجودات، والباقي بعد النهايات، والموصوف بأحسن الصفات، العالم بالخفيات، مجيب الدعوات، وسامع الأصوات، ومنزل البركات، وقاضي الحاجات، ومدرك المدركات، القادر للذات، الحي للذات، المستغني عن القدرة والحياة، يعلم عجيج الوحوش في الفلوات، ومعاصي العباد في الخلوات، واختلاف النِّيْنَان(١٦) في البحار العامرات، وتلاطم الماء بالرياح العاصفات، الصانع بلا آلات، والفاعل بلا أدوات، والمتكلم لا باللسان واللهوات، الحي الذي لا تعتريه الآفات، والعليم الذي تبدو له البدوات، والصانع الذي لا تختلف عليه الحالات، يوافق ما علن منها وظهر ما(١٧) بطن واستتر.

وأشهد أن محمدًا عبده المنتخب، ورسوله المقرب، أخرجه من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، شجرة أصلها الطهارات، وأغصانها البركات، وثمارها الدلالات، وأوراقها النبوات، بعثه إلى الحق داعيًا، وعن الباطل ناهيا، أرسله بالحق ليوضح مناره، ويوقد في ظلام الكفر ناره، فأحيا سبيله وعمره، وانتهى فيه إلى كل ما أمره، وانجابت لعزته الظلم، وارتاحت لإجابته الأمم، وأسفر به وجه الكعبة عن مناسكه، وعظم به الطواف في مسالكه، وأضاء به البلد الحرام، وتهلل له الركن والمقام، به ثبت التوحيد، وكمل التمجيد، صلوات الله العزيز الجبار، والملائكة الأبرار، على المصطفين الأخيار، وعلى الطيبين من آله وأصحابه، المقتدين بفعاله، صلاة لا انقضاء لأبدها، ولا انتهاء لأمدها، ولا إحصاء لعددها، صلاة تفوق الصلوات، وتزكو على التحيات، وسلم دائمًا كثيرًا.

تحميد آخر

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ..﴾ [الأنعام:١] إلى قوله:

---

(١٦) النِّيْنَان: البينات، ي. جمع نون، وهو الحوت. انظر الصحاح (نون).

(١٧) ما: وما، ي.

﴿تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ:١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:١]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن:٣، ٤]، ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد:٥، ٦]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر:١٣]، ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، خالق كل شيء، ورازق كل حي، وعالم كل غيب، وساتر كل عيب، ومانح كل سبب، ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر:٣].

الصانع لا بالأدوات، والمتكلم لا باللسان واللهوات، والسميع البصير لا بالآلات، القادر الحي للذات، المستغني عن القدرة والحياة، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

له الحمد والثناء، والعظمة والكبرياء، والمجد والسناء، والرفعة والبقاء، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٢]، ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة:١١٧].

الواحد الأحد[١٨]، الفرد الصمد، المنزه عن اتخاذ الصاحبة والولد، المتعالي عن الأضداد والأنداد، والصاحبة والأولاد، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون:٩١، ٩٢].

(١٨) الأحد: الأحمد، ي.

فاطر الأرواح، ومصور الأشباح، ومرسل الرياح، وفالق الإصباح، وجاعل الليل سكنًا ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام:٩٦]، خلق[١٩] فوقكم سبعًا شدادًا، وجعل الجبال أوتادا، والأرض مهادا، وجعل في السماء سراجًا وهاجا، ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۞ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۞ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح:١٦-٢٠]، وأنزل من المعصرات ماء ثجاجًا، وصوركم بعدما كنتم نطفة أمشاجًا، ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل:٧٢]، وقسم الأرزاق فقدر غنيًا ومحتاجًا[٢٠] ومرج البحرين عذبًا وأجاجا، لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه الحلي استخراجًا، وكلفكم بعدما بين إلى الحق منهاجًا؛ لتدخلوا في دين الله أفواجا، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ[21]﴾ [الزمر:٦].

فله الحمد ذي الملك والملكوت، والعظمة والجبروت، الحي الذي يموت، لا إله إلّا هو سبحانه عما تشركون، وعده مأتي، ولقاؤه حتم مقضي، قادر قوي، دائم أبدي، وهو للمؤمنين ولي، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٢١].

الأوّل الآخر، الظاهر الباطن، العزيز القادر، الكريم الغافر، الحليم الساتر، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:٢٢].

قامت السماوات بقدرته، وسكنت الأرضون برحمته، ونزلت الأمطار بنعمته، وخرت البحار بمشيئته، وتزينت الأزهار ببديع فطرته، ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤].

ملك لا شريك له في ملكه وتدبيره، وعدل لا ظلم في قضائه وتقديره، الرحيم فلا جور فيما أنشأ وفطر، الكريم فلا فساد فيما قدم وأخر، العزيز فلا راد لما قضى وقدّر، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۞ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم:١٧، ١٨].

(١٩) خلق: خلقك، م ي.

(٢٠) وقسم الأرزاق فقدر غنيًا ومحتاجًا: وقسم الأزواج فقدر عنبًا ومحتاجًا، ي.

(٢١) تصرفون: تؤفكون. م، ي.

نحمده على سوابغ نعمه، ونستغفره من موجبات نقمه، ونستعينه استعانة من لا يرجو إلّا إياه، ونؤمن به إيمان من لا يعرف ربًا سواه.

ونشهد أن محمدًا عبده الرضي، ورسوله المرضي، ونبيه الأبطحي، وحبيبه الزكي، ونجيبه التقي النقي الهاشمي، من أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فصلوات الله عليه وعلى أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، وعلى أصحابه السابقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم أجرًا كبيرا، وعلى خلفائه ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة:٤٠]، ومن كان ثانيًا آناء الليل والنهار، وشهيد يوم الدار، والمستغفرين بالأسحار، وسلم دائمًا كثيرًا.

تحميد آخر

الحمد لله المتفرد بالكبرياء، المتوحد بالبقاء، فاطر الأرض والسماء، رب الظلمة والضياء، المتعالي عن الأضداد، والأشباه والأنداد، والصاحبة والأولاد، الذي لم يزل ولا يزال، ولا لملكه زوال، ما اختلف [عليه] دهر فيختلف فيه الحال، ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال، لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحجزه الأستار، ولا يغيره الليل والنهار، علا بكل مكرمة، وفاز بكل فضيلة، وجل عن شبه الخليقة، وتنزه عن[٢٢] الأفعال القبيحة، صدق في ميعاده، وارتفع عن ظل عباده، وقام بالقسط في خلقه، وعدل عليهم في حكمه، وأحسن إليهم في قسمه، فلا إله إلّا هو الواحد القهار، العزيز الجبار، المقتدر الغفار، لم يتناه في الأوهام بتحديد، ولم يتمثل في العقول بتصوير، ولم تنله مقاييس المعتبرين، ولا أدركته تصاريف الاعتبار، ولا وقته الأوقات، ولا حيزت عليه الأزمنة والغايات، ولا أحاطت به الجهات.

كان ولا مكان، وكان ولا زمان، وكان ولا حين ولا أوان، فخلق المكان، وخلق الزمان، وخلق الحين والأوان، ولم يتغير عما كان، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، علا عن التجسيم والتحديد، والتصوير والتجسيد، والتحول[٢٣] والشبيه، وعما يقوله الظالمون علوًا كبيرا.

القديم الدائم، الذي لا تبيده الأيام والساعات، والغني الذي لا تنفعه الطاعات، الدائم

(٢٢) عن: في، م ي.
(٢٣) والتحول: والتحوير، م ي.

الذي لا تحيط به الجهات، ولا حيزت عليه الأزمنة والأوقات والغايات، ولا وقته الأوقات، مبشر أهل الطاعات بالجنات، ومنذر أهل الزلات بالعقوبات والمثلات، المنزه عن الآفات، المبرأ عن الحركات والسكنات، المتعالي عن البنين والبنات، والآباء والأمهات، والصاحب والصاحبات، البريء عن خلق الكفر والضلالات، وعن إرادة المعاصي والجهالات، العدل فيما قضى من القضيات، الحكيم فيما قدم وآخر من المشيئات والإرادات، غافر الخطيئات، وساتر الزلات، ومقيل العثرات، وولي الحسنات، البريء من السيئات، بيده الملك(٢٤) وهو قادر على جميع المقدورات، محيط بجميع المعلومات، عالم بما هو كائن وآت.

نحمده على ما مَنَّ به من النعم السابغات، وبين من الدلالات. وأشهد أن لا إله إلّا الله أصدق الشهادات، وأزكى التحيات، وأحسن المقالات، وأساس العبادات.

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المجتبى من أصناف الحيوانات، ورسوله المصطفى لكرائم الرسالات، والمختص بعقائل الكرامات، والمعصوم من الزلات، المبشر به في القرون الماضيات، أرسله بالهدى والبينات، وأيده بالحجج والمعجزات، والآيات الباهرات، والأدلة النيرات، وختم به النبوات، ونسخ به ما تقدم من الديانات، فقام بأمر الله في جميع الحالات، وجاهد في إيضاح المشكلات، حتى أبطل العزى واللات، وفرض الصلاة والزكاة، وسن المسنونات، وفرض الواجبات، فصلوات الله عليه أفضل الصلوات، وعلى آله أهل السبق والنجاة، وعلى أصحابه بحق ياسين والصافات.

تحميد أكثره عن الهادي يحيى بن الحسين وبعضه عن أمير المؤمنين عليهما السلام

الحمد لله كلما لاح نجم وخفق، والحمد لله كلما أظلم ليل وغسق، والحمد لله كلما طلع قمر واتسق، والحمد لله كلما أضاء فجر وانفلق، والحمد لله على ما أنشأ وخلق، والحمد لله [على] ما أنعم ورزق، والحمد لله معلن الحق، ومظهر الصدق، حمدًا طيبًا مباركًا كما هو أهله، ملأ أطباق السماوات، ورفع الدرجات، والحمد لله الذي لا تراه العيون، ولا تحيط به الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا يجزئ أنعمه العاملون، المحمود على السراء والضراء،

(٢٤) الملك: جمع، م ي.

والشدة والرخاء، الذي ليس له حد ينال، ولا شبه يضرب فيه الأمثال، وهو ذو القوة والمحال، الذي دنا فنأى، وأحاط بالأشياء علمًا وخبرا، وفطرها كيف شاء فطرا، فلم يمتنع من مفطوراتها مفطور، ولم يستر من محجوابات سرائرها مستور، علمه بما سيكون من كل مكون كعلمه بما كان وظهر وتبين، لا يخفى عليه شيء [مما] تنطوي عليه الجوانح والقلوب، ولا يحتجب عنه شيء من خفيات الغيوب، الذي تنبت بأمره الأشجار، واستقلت بقدرته الأقطار، وهطلت بمشيئته الأمطار.

وأشهد أن لا إله إلّا الله حقًا حقا، أقولها تعبدًا ورقًا، مقالة مخلص من العباد قائل صدقا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله برسالات فبلغ ما أمر بتبليغه، وجهد لربه ونصح لأمته حتى أتاه اليقين، جاهدًا، مجتهدا، ناصحًا، صابرًا، متعبدًا، حتى أقام دعوة الحق، وأظهر كلمة الصدق، ووحد لله جهارًا، وعبده ليلًا ونهارا، ثم قبضه الله إليه وقد رضي عمله، وقبل سعيه، وشكر أمره، فعليه أفضل صلاة المصلين، وأهل بيته الطيبين.

تحميد آخر

الحمد لله منشئ النفوس وفاطرها، والمطلع على ما خفي من جواهرها، والمحيط بما في الصدور وخفياتها، والعالم بأسرار النفوس وحفياتها.

سبحانه محييًا مميتا، قادرًا على كل شيء مقيتا، على كل حال وصف جلاله، وحمد في كل فعل أفعاله، ورزق كلَّ حي إفضالُه، وأذل الجبابرة انتقامه، ونعش المستضعفين إنعامه، وقهر في كل وقت سلطانه، وبهر العالمين نوره وبرهانه، حافظ لا ينسى، باق لا يفنى، يعلم السر وأخفى، يُسبح له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهم وما تحت الثرى، حكيم لا يجور في قضاياه، جواد لا تكدى عطاياه، شمل إحسانه ولطفه، وعظم امتنانه وعطفه، ليس لكونه ابتداء، ولا لجوده انتهاء، ولا لملكه انقضاء، ولا لعزه فناء، ولا يحيط به فضاء ولا يكنه هواء، ولا يقيله وطاء[٢٥]، ولا يظله غطاء، تبارك من له العظمة والكبرياء، والمجد والسناء، ومنه النعمة والبلاء، والإحسان والآلاء، توَحّد بلا نظير، وتفرد بلا مشير، ولم يعرض عليه في تدبير، ولا شابه ريب تكفير.

---

(٢٥) الوطاء: ما انخفض من الأرض. لسان العرب (وطا).

أحمده على ما ظاهر من العطايا، ودفع من البلايا، وأخفى من الفضائح، وستر من القبائح، حمدًا يكون شكرًا لنعمه، وخَفِيرًا[٢٦] من نقمه، ورضًا بقضائه، وشكرًا لنعمائه، وأستعينه على أداء شكره، والوقوف عند أمره، وأستغفره لسوالف الذنوب، ومستورات العيوب، وأومن به إيمانًا فارق إخلاصه الشرك، ونفى يقينه الشك، وأتوكل عليه توكل من لا يفزع إلّا إليه.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة العالم المعتقد، لا القائل المقلد، شهادة من لا يعرف ربًا سواه، ولا يقف به الاجتهاد دون رضاه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه من أشرف المنابت، وأيده بالقول الثابت، واختاره من الأنام، وتكنفه بالصلاة والصيام، وقواه بأصحابه الكرام، نذيرًا لمن آمن به واتبع الدين، وحجة بالغة على الملحدين، مبشرًا بالجنة من حفظ وصيته وأطاعه، ومنذرًا بالنار من عصى أمره وأضاعه، فقبضه الله إليه وقد رضي عمله، وأدى إلى عباده ما تحمله، فصلوات الله عليه وعلى آله المصطفين، وأصحابه المنتجبين، وأزواجه أمهات المؤمنين.

تحميد آخر

الحمد لله فاطر السماوات والأرضين، ورازق الخلق أجمعين، لا ظهير له، ولا وزير له، وهو رب العالمين، وأتوكل عليه وهو كهف المعتصمين.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة المخلصين الموقنين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله المصطفين، وأصحابه الأفضلين.

والحمد الله القديم الذي لم يزل ولا يزال، والباقي الذي لا تغيره الأحوال، لم يكن أولًا قبل أن يكون آخرًا، ولا باطنًا بعد أن يكون ظاهرًا، الكبير الواحد، الذي لا تعتوره المعاني، ولا يشبه الأجسام ذات المباني، ولي كل الحسنات، البريء من السيئات، المحصي السرائر، والعالم بما في الضمائر، والمخترع بحكمة واقتدار، وكل شيء عنده بمقدار، ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

أحمده على ما أولى من إحسانه، حَمْدَ من وافق بين عقده ولسانه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، شهادة من يجعلها عنوان إيمانه، وبعدّها عصمة أمانه.

---

(٢٦) وخَفِيرًا: أي مانعا. انظر لسان العرب (خفر).

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اصطفاه بالنبوة والرسالة، وبعثه ليبين الهدى من الضلالة، والدعاء إلى كلمة الإخلاص، والحمد لله على طريق النجاة والخلاص، فصلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيرًا.

والحمد لله القريب الرحمة، العظيم النعمة، الشديد النقمة، مكثر القليل، ومعز الذليل، وغوث اللهيف، وعون الضعيف، الصادق فينا وعده ووعيده، وهو مبدي كل شيء ومعيده، وولي كل حق ونصيره، وإليه مرجع كل حي ومصيره، ليس لجوده ابتداء، ولا في قضاياه اعتداء، ولا لسلطانه انتهاء، كان ولا خلاء ولا فضاء، ولا مكان ولا هواء، ولا أرض ولا سماء، ولا خضرة ولا ماء، ولا ضوء ولا ظلماء، أقرت لحكمته الحكماء، وذلت لعزته العظماء، يعلم ما تكن الصدور، وما تجن البحور، [والماجد فلا منتهى لسؤدده] ، والجواد الذي لا نهاية لجوده، الحي الذي لا تعتريه الآفات، ولا تبدو له(٢٧) البدوات، والصانع الذي لا تعضده الأدوات، [والفرد] لا تكثره الجماعات، والوتر الذي لا تختلف عليه الحالات، [والباقي] لا تبيده الأيام والساعات، المحيي المميت، المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، الصادق في الوعد والوعيد، العالم بضمائر القلوب، علام الغيوب، والغافر للذنوب، والكاشف للكروب، والساتر للعيوب، الذي خضعت له الرقاب، وذلت له الصعاب، وإليه المرجع والمآب، وهو سريع الحساب، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم [وله الأمر] من قبل ومن بعد.

نحمده على نعمه المتظاهره، ونشكره على آلائه الباطنة والظاهرة، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونفوض أمورنا إليه، ونستغفره لذنوب ذهبت شهواتها وبقيت تبعاتها، لم نقصد بها كفرانه، ولم نعدَّ لها إلّا رحمته وغفرانه، ونشهد أن [لا] إله إلّا الله وحده لا شريك له.

---

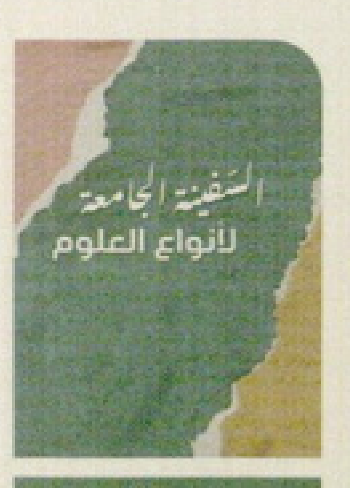
(٢٧) تبدو له: تدوله، ي.

فهرس المحتويات

الطباعة: **بيبلوس برينتينغ ش.م.ل.**

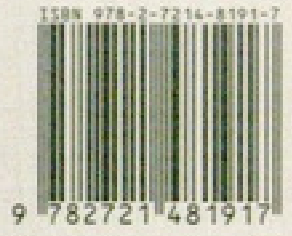
٢٠٢٤/٦/٣٠-٠,٣-١٦٨١٩٢

انتهت رئاسة المعتزلة في نيسابور بلا منازع في القرن ١١/٥ للحاكم الجشميّ، فهو يمثّل ثقافة نيسابور آنذاك ويعدُّ أحد شخصيّاتها الموسوعيّة، الجامعة بين علم الكلام والفقه والأخباريّين والمحدّثين والمفسّرين. وحين صنَّف الجشميّ كتابه هذا كان في مقتبل العمر، وكان هذا الكتاب من أوائل مصنّفاته. لقد أراد الجشميّ في مسمّاه من كتابه هذا أن يكون بمثابة السفينة في حمولتها؛ أي أن يكون ناقلًا معرفيًّا لكلّ ما لديه من أخبار وقصص ومعارف. ويمكن أن يجمل القول في كتاب السفينة بأنّه مصنَّف الحاضرة أو الإقليم، ليعكس ثقافة الإقليم ونقاشاته وأفكاره، فهو يمثّل ثقافة الوسط الثقافيّ العامّ. ولو تتبّعنا مصنّفات الجشميّ فأعماله تكشف لنا تنوّعها بين علوم التفسير (ضمّت جلّ آراء التفاسير المعتزليّة)، وكذلك في علوم الحديث، وأحاديث الأخباريّين وقصص السير، وهذا كان الشاغل في حوزات نيسابور وجوامعها. وهو في تصنيفه هذا استطاع أن يبرز ثقافة نيسابور بكلّ أطيافها ومدارسها، وقد أوضح من جهة أخرى الآراء الاعتزاليّة في قصص الأخبار والمحدّثين ونحوها.



سلسلة
تصوص ودروس
أبحاث إسلاميّة




ISBN 978-2-7214-8191-7
9 782721 481917


Réf: TXTISL000013A